الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية و آدابها

الرقم التسجيلي:.........................

الرقم التسلسلي:.........................

بعنـــــــــــوان :

الأسلوبية الوظيفية و موقعها من كتاب البيان في روائع القرآن لتمام حسان

رسالة مقـــدمة لنيل شهـــادة الماجستير في الأدب العـــربي

إعـــداد الطالبة:

بداش حنيفة

إشـــراف:

أ.د : دوب رابح

السنة الجامعية 2008

لما انصبت الرؤية العلمية الحديثة على الحد بالوظيفة أكثر من الحد بالبنية العضوية ، فإن اللغة وحدها الكفيلة بإعطاء المرء مقوماته الإنسانية عبر تمكنه من إجراء العملية التواصلية ، فتغدو حينئذ نقطة تقاطع الوقائع المعيشية ، وبالتالي مركز التقاء الفرد وليس شيء من هذا ممكن بغير الإنجاز الوظيفي للغة.

وقد أفرز هذا التصور تفكيرا ابستيمولوجيا عميقا وخصبا ألقى الضوء على الظاهرة نفسها ، التي هي موضوع علم اللسان ، وأدى هدا التصور في التفكير إلى توجه الدراسات اللغوية نحو اتجاهين أساسيين هما :

أ- اتجاه يختص بدراسة المدلولات الإفرادية والتركيبية داخل النظام اللغوي (الدلالات اللسانية)

ب - اتجاه يهتم بالمعاني المقصودة أثناء تحقق الكلام في الأفعال الكلامية (الدلالات الكلامية)

وينضوي الاتجاه الثاني ضمن تيار جديد ظهر في السنوات الأخيرة ، يريد به أصحابه أن تكسر الحواجز بين الدراسات النحوية ، والدراسات الدلالية بدراسة اللسان أثناء تحقيقه ، وعلاقته بالمتكلمين المستعملين له .
وهكذا يصبح النحو إيذانا بخروج اللفظ من المخزون المعجمي إلى الأداء التداولي

ومن ثمرات الدراسات الوظيفية " النحو الوظيفي " والذي يهتم بوظيفة اللغة الأساسية (التواصل) وموضوع اللسانيات في نظره ، هو وصف القدرة التواصلية لدى المتكلم و السامع ، مما جعل بعضهم يعده نظرية في التركيب والدلالة من جهة نظر تداولية .

فهذه الدراسات تجاوزت البنوية الصورية ، والتي تعد النسق مغلقا على نفسه ، إذ لم تتجاوز حدود البنى اللغوية ، مما أدى إلى اعتناق اللسانيات الوظيفية ، والتي لم تزدر الظروف والملابسات المحيطة بالكلام ، فالمقام هو الذي يفرض نمطا معينا من القول ، فتكون الوظيفية بذلك قد احتوت السياق اللغوي ، وسياق الموقف *contexte of situation* وفي تفاعل مستمر بين الداخل والخارج (التركيب أو النص ، والموقف)
وبين المبنى والمعنى ،وبين الشكل والوظيفة .

وفي هذا المخاض الابستيمي تغير مجرى الدراسات واهتمامها ، حتى تحولت وجهتها إلى نحو النص بينما كانت الجملة قبل هذا محل اهتمام ودراسة، فإلى أي مدى استطاعت اللسانيات الوظيفية أن تتجاوز اللسانيات البنوية؟.وهل هناك مجال للالتقاء ، أم أن طبيعة كل منها تدعو إلى البتر والفصل ؟ وما مدى نجاح وفعالية هذا الاتجاه اللساني ، حينما نقل إلى الحقل الأسلوبي ، واتخذ منهجا للتحليل ؟ وهل يمكن أن تكون الأسلوبية الوظيفية أو المقترب الوظيفي للأسلوب بديلا عن الاتجاهات ومناهج التحليل الأسلوبي الأخرى؟ وإن كان الأمر كذلك فما هي نوازع البقاء التي خولت لها الاستمرارية والثبات ؟ .

وهل الانتباه إلى ضرورة شحن النحو بالأبعاد الدلالية والوظيفية والتداولية ، حجة لنفي هذه الكوامن في النحو العربي ؟. وهل يمكن التسليم مع من ذهبوا إلى القول بأنه نحو جاف ؟.

وما دام مؤلف "تمام حسان " البيان في روائع القرآن" - هو مدونة هذا البحث- فما مدى التزامه بحدود الوظيفية ؟ وهل تمسك بها أم نفذ بمنهجه وتسلل ليصاحب اتجاهات من نفس الجنس ،ونقصد تحديدا لسانيات النص واللسانيات التداولية .

انطلاقا من الطرح السابق جاء عنوان البحث :" الأسلوبية الوظيفية وموقعها من كتاب البيان في روائع القران لتمام حسان " .ومن خلاله — العنوان- يمكن التعرف على تقنيات ، وأدوات التحليل الوظيفي التي مارسها تمام ، وطبقها على النص القرآني ، ويمكن رفع الستار عن الاتجاه الوظيفي الذي يحمل بذور التداول بجامع الاهتمام بعملية التواصل ، وكذا تسليط الضوء على اللسانيات الوظيفية باعتبارها أولى محطات ما بعد البنوية ، ونافذة على المسرح التداولي .

واختيار " تمام حسان " تحديدا لتكون إحدى مؤلفاته مدونة للبحث ، تبرره جهوده التي يقدمها خدمة للغة العربية ومناهج البحث فيها ، وهذه المرة فاجأنا بدراسة هذه للنص القرآني فلم أجد بدا من التعرف على آليات المعالجة المعتمد عليها في هذا الكتاب " البيان في روائع القرآن " ، و لم يكن اختياري لإحدى مؤلفات "تمام حسان" من باب العبث أو الصدفة إنما كان نتاجه رفيق الدرب العلمي منذ مذكرة الليسانس؛ إذ كان النموذج التطبيقي" اللغة العربية معناها ومبناها" .

فكتاب "البيان "قد اشتمل على منهج لدراسات لغوية قرآنية جديدة جديرة بالإعجاب ، فأعادت صياغة الدرس اللغوي ومفاهيمه وفقا لمصلحة اللغة (المنهج) والناطقين بها (البعد الوظيفي) و لا يتأتى ذلك ما لم يتدارك التراث ، والظفر بالدرس الحديث فاشتملت الدراسة على ثنائيات عدة (القديم الحديث،المعنى المبنى الشكل الوظيفية ...) وهذه المقابلات ثمنت البحث وقيمته ، فرشاقة الموضوع و ديناميته تأتيه من هذه الناحية. زد على ذلك شرف الغاية (خدمة كتاب العزيز المنان)وشرف الوسيلة إذ جمع الكتاب الكثير من مبادئ اللغة وأسرارها اتخذت وجهة وظيفة واستطاع حيينها الكشف عن جلال القرآن وجماله ، تراكيبا وألفاظا معنى ومبنى مع تفاعل هذه النواحي جميعا.

وما هذه إلا عينة من الميزات العامة لنتاج الأستاذ اللغوي ، فكان يخرج عن كل باب من أبواب اللغة الموروثة بمفهوم جديد ، وتجربة جديدة ، ومصطلح جديد ؟ فلم يكن ناقلا للنص فحسب ؛ بل كان يفككه ويعيد تركيبه بما ويتلاءم ورؤيته ، جاعلا منه مقدماته اللغوية ، ونقطة انطلاق وترق إلى ما وراءها ، وكان من نتيجته ذلك أن توحدت لغة البحث عنده من خلال استيعاب الجديد للقديم ، والانطلاق منه إلى الرحب الفسيح. فحرك بذلك روافد اللغة المكنوزة المستقرة ويكون قد حقق فتحا لغويا جديدا ، استطاع به أن يحقق تعادل الأصالة مع الحداثة.

واختيار الأسلوبية الوظيفية تحديدا يبرره عاملان :

أولهما : مجاراة واقع الدراسات اللغوية التي ارتضت الاتجاه الوظيفي ، والآخر بيان أهمية الجنوح إلى هذا الاتجاه وترقب نتائج تطبيقه على الدراسات الأسلوبية منها واللغوية ، على حد سواء .

ويضاف إليها بعد ثالث وهو تتبع مسيرة ونتائج المناهج اللغوية التي سعى اللسانيون العرب المحدثون إلى تطبيقها على اللغة العربية –عند "تمام" خاصة –إذ يمثل قطبا مهما ورئيسيا في الساحة اللغوية .فهل كللت الوظيفية بالنجاح على غرار البنيوية الوصفية التي طالما غزت الكتابات اللسانية العربية إلى وقت قريب ؟

ومما يفرض الدراسة الوظيفية : أهمية المزاوجة بين الدرس اللساني والأدبي وضرورة الصلة بينهما؛لأن المستوى اللغوي هو القاعدة والقلعة التي انطلق منها البلاغيون والدرس البلاغي العربي.

ويهدف هذا البحث إلى المساهمة في إرساء درس وظيفي عربي ، أو بعثه من جديد ، ومد منهج "أبي علي الفارسي" ، و "ابن جني" و"الجر جاني" ، و "السكاكي" ، و"حازم القرطاجني" ... و "تمام حسان" حديثا ، فكان منهجهم وصفيا وظيفيا .

و لم يكن الغرض هو الكشف عن الجانب الأسلوبي في حد ذاته ؛ إنما الهدف في جوهره كشف العلاقة المعرفية والمنهجية بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ومحاولة إيصال فنون البلاغة بمناهج اللسانيات المعاصرة ، ونسبة كل منها إلى المستوى التحليلي المناسب لها .

وقد اقتضى موضوع البحث أن يكون المنهج المتبع هو المنهج الوصفي الاستقرائي ، الذي يفرض أن هناك نموذجا تطبيقيا قابلا للوصف انطلاقا مما هو كائن ومستقر " كتاب البيان في روائع القران " وربط هذا الإجراء بما سبق من إنجازات ودراسات حتى نخرج بنتيجة هدفها توضيح صلة الدراسات القديمة –البلاغية- خاصة بالدراسات اللغوية الحديثة ، ومعرفة أوجه التماثل والاختلاف.

وتماشيا مع الأهداف وموضوع البحث كان لزاما تتبع **التقسيم الآتي** :

-مدخل عام حول جذور الأسلوبية وحدودها عند العرب مركزين في ذلك على طائفتين رئيسيتين : "اللغويين والبلاغيين "، وسلط الضوء فيه على أهم ما يصب في الأسلوبية الوظيفية صراحة أو تلميحا.

- ثلاثـــة فصـــول :

-فكان **الفصل الأول** عرضا نظريا للدراسات الأسلوبية ، ومناهج التحليل الأسلوبي وتضمنت هذه العناوين الرئيسية عناوين فرعية وهي: علاقة اللسانيات بالأسلوبية ، ما بين البلاغة والأسلوبية، علاقة النقد بالبلاغة .

-وبعدها قسمت عناصر المدونة ووزعت على فصلين احتذاء بتقسيم صاحبها؛حيث يتضمن الفصل الثاني دراسة لغوية ويتقدمها تمهيد يحوي شرح المصطلحات التي تعتبر مفتاحا لما يحتويه الكتاب من مضامين : " المبني ، المعنى الوظيفي ، القرينة اللفظية ، القرينة المعنوية ، قرينة السياق ، الرخصة ، الأسلوب العدولي ، تعدد المعنى بحسب الأصل..."، وقد قسم إلى مباحث ثمانية هي : قرينة البنية في التركيب القرآني ،

النمط التركيبي القرآني ، قرينة الرتبة في التركيب القرآني ، قرينة الربط في التركيب القرآني، قرينة التضام في التركيب القرآني، قرينة الإعراب في التركيب القرآني، قرينة السياق في التركيب القرآني، قرينة الرخصة في التركيب القرآني.

أما **الفصل الثالث** فهو دراسة أسلوبية، يتقدمها تمهيد يضم مفهوم البيان عند اللغويين والبلاغيين والأصوليين وقد قسم هدا الفصل إلى مباحث ثمانية كذلك هي : تأملات في القيم الصوتية في القرآن الكريم ، ألفاظ وعبارات مختارة ، الأسلوب العدولي (المؤشرات الأسلوبية)، إباء اللبس في القرآن ، أسلوب الدعوة في القرآن من المقاصد الأسلوبية للقرآن، قصة يوسف –عليه السلام- كما تعرضها السورة ، الهيكل البنوي لبعض سور القرآن .

أما **مصادر ومراجع** البحث فهي بين لسانية وأسلوبية ، وكتب تفسير ، بحسب القضايا الواردة في المدونة، وكان لأمهات الكتب العربية حضور مثل : كتاب دلائل الإعجاز "لعبد القاهر الجر جاني" ، البيان والتبيين "الجاحظ "، مفتاح العلوم "السكاكي" ، الخصائص "لابن جنى "... وغيرها ، ولم يغفل في البحث استغلال ما هو مبثوث في المكتبة الحديثة من مباحث ودراسات مثل : التفكير البلاغي عند العرب حتى القرن السادس الهجري ، "لحمادي صمود "، والوجه والقفا للمؤلف نفسه ، وكتب "عبد السلام المسدي" المختلفة واللسانيات ، وكذلك كتابات "محمد عبد المطلب" ، وإصدارات "تمام حسان المختلفة" "وصلاح فضل" وغيرها .

ومن **الصعوبات** التي واجهتني في البحث :

-صعوبة الفصل بين ما هو بنوي ووظيفي لاعتماد كل منها على النسق.

-تشعب محتوى الكتاب ، ما بين دراسات لغوية وأخرى أسلوبية ، إذ ينبغي العمل على كل المستويات اللغوية : (الصوت، الصرف، النحو، الدلالة) وزخم المادة وكثافتها فهي دسمة إلى حد بعيد.

-التعامل مع نموذجين : تراثي وحداثي ، وأحس أني قصرت في الجانب الأول ، في مواطن عدة تمنيت لو أن لي فرصة أطول ، لفهم التراث ، فنعتذر لتراثنا ونعده بالأفضل.

- فقدان السيطرة أحيانا، نتيجة التداخل بين المستوى اللغوي والأسلوبي،إذ أنسى أحيانا وأسير والاتجاه اللغوي.

- المرة الأولى التي أطأ فيها أرض الأسلوبية ، وأتعامل مع ما كتب فيها ، فحدث لي التفات لا نحوي ولا دلالي لكن تخصصي ، فرحت كالمبتدئ أنّمي أفكاري نماء هذا الوليد اللساني.

- على الرغم من تحديد الموضوع باسم " الأسلوبية الوظيفية " لكن مخافة الإجحاف في حق الأستاذ " تمام حسان " جعلت الخاتمة متنوعة حتى لا تكاد تحصر هدف البحث في عناصر معدودة أو محددة ، فمستلزمات المادة كانت سيدة الموقف.

وختاما أبوء بنعمة العزيز المنان،وشكر الأستاذ الدكتور الأب : "رابح دوب" الذي تحمل أعباء هذا البحث إشرافا وتوجيها، وإلى جامعة " منتوري " بقسنطينة، إلى جانبها جامعة "الأمير عبد القادر" للعلوم الإسلامية ،و لا أنسى شكر جامعة" فرحات عباس بسطيف"،كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث .

وللسادة أعضاء اللجنة الموقرة جزيل التقدير والاحترام على صقل ما ظهر من اعوجاج في هذا البحث ،وملء ثغراته وفجواته المختلفة .

و في خاتمة هذا البحث ، يمكن أن تسجل النتائج التالية:

- **نتائج منهجية** : تتعلق بأهمية الإجراء الوظيفي في الدراسات اللغوية والأسلوبية.

- **نتائج نظرية** : حول جذور الأسلوبية عند العرب القدماء ، والاتجاهات الأسلوبية ومناهج التحليل الأسلوبي .

- **نتائج تطبيقية** : الاتجاه الوظيفي في التحليل الأسلوبي.

أ-النتائج المنهجية :

-إثراؤها-الوظيفية-المنهجي للدرس اللساني عامة ، والأسلوبي خاصة ، بإضافة إطار نظري جديد ، لوصف وتفسير بنى اللغة (العربية)وقد استجابت نشأته لحاجة ابستمولوجية ومنهجية ، أدت بالدراسة البنوية إلى تبني مبدأ الشرح والتفسير.

-اعتبارها نظرية صورية ووظيفية ثارت على البنوية .

-بيان مقدار الدينامية التي تساهم بها كل الجمل والنصوص في عملية التواصل اللغوي ؛ بينما البنوية تكاد تخلص للنظام اللغوي على حساب الاستعمال ، فإن كان الوصف في ذاته إجراء ساكنا ، فإنه لا يقتضي بالضرورة منظورا ساكنا للموضوع.

-ربط النص اللساني بالموقف والسياق.

-التحليل الوظيفي يتميز بتنوع الدلالة وتنوع الاتجاهات ، إذ يخترق الحدود المنهجية لجميع الدراسات اللسانية المعاصرة ، فهو مفهوم انسيابي ينطلق منه اللسانيون من مختلف مذاهب علم اللسان الحديث (البنوية ، التوليدية التداولية)

-ارتباط البنية بمفهوم العلاقة ضمن إطار النسق ، ومن هذه الخصيصة الجوهرية تم نقل النسق اللساني إلى نسق أدبي ، واتسمت نظرتهم إليه بالمرونة (إذ ربط بالسياق الثقافي العام).

-الأسلوبية الوظيفية لا تغفل العلاقات الوظيفية بين العناصر اللغوية وهي تهدف إلى وصف شبكة العلاقات التي توحد الطبقات ، (صوت ، معنى ، مضمون) ثم العلاقة بين التراكيب والمقام .

ب- النتائج النظريـــة :

- إن تزاوج التحليل النحوي القائم على الخلفيات الدلالية ، والعمل الصوري هو الذي ولد المفهوم الوظائفي للدراسات النحوية المعاصرة .

-التقاء أسلوبية تمام الوظيفية مع أسلوبية التعبير ، كونها تنظر إلى البنى ووظائفها داخل النظام اللغوي ، ودراسة المضمون داخل العبارة اللغوية (مع تجاوزها في عنصر المقام).

- التقاؤها مع أسلوبية "سبيتزر" في بحثه عن العلاقة بين التعبير والمؤلف مع الكشف عن ملامح لغوية تشكل ظاهرة أسلوبية، وتتجاوز أسلوبية الكاتب كونها أسلوبية لا تهتم بالتخاطب والتواصل ، بقدر ما تهتم بالأنظمة التعبيرية التي يضيفها الكاتب إلى نفسه .

- تجاوز الأسلوبية الوظيفية للأسلوبيات المختلفة ، إذ انتقت من كل نوع ما يفيدها ، ثم تجاوزت الأنواع السابقة عندما جعلت الموقف التواصلي على نحو يبحث فيه بين البنى وسياق الموقف.

-البلاغة العربية تمثل نظرية قائمة للاتصال ، فهي تناولت المبنى (الصياغة) مما له علاقة بالمعنى وارتباطهما ؛ إذ لا يستغني الشكل عن المضمون ولا المعنى عن ظروف الاستعمال.

- يمكن اعتبار الأسلوبية الوظيفية ، صورة جديدة لعلم المعاني.

-إن الطاقة الفنية والجمالية للنحو العربي ، لا تأتيه من المستوى الإفرادي لأن الاهتمام بالترتيب جوهر العمل النحوي ، ودراسة العلاقة بين المبنى والمعنى تستدعي التوسع في بيان ما يطرأ على تلك العلاقات من تغيرات وتفاعلات ، فالدلالة ليست في مجرد التراكيب ؛ إنما هي آليات الارتباط الحادثة بين الألفاظ ولا مرجع ذلك إلا النحو .

-عودة المعنى ليتصدر التحليل اللغوي ، وعودة تفسير جراء العلاقة الحميمية بين النقد واللسانيات.

-إن المفهوم الجديد للتأويل جعله مقاربا لروح العلم ، وهو يركز على العلاقة ما بين اللغة والفكر.

-يمكن عد الأسلوبية البديل عن علم البلاغة التقليدي –إن صح التعبير-لكن بمناهج وطرق تتصل بعلم اللغة ومفاهيم للتحليل ، لكن في البلاغة العربية ، يقال كلام آخر حيث يظل النحو وقوانينه عمودا جامعا ، و على هذا فالأسلوبية إعادة قراءة ، كما هو الشأن بالنسبة للنحو العربي.

ج- النتائج التطبيقية :

- نجاح " تمام" في اختياره النص القرآني ، وإجراء الدراسة الوظيفية عليه ؛ لأن القرآن مضمون قوامه الدعوة إلى عقيدة جديدة ، لذا يعد هذا النص المقدس قمة الخروج عن الطريقة العادية في تصريف اللغة ، وتسخيرها لأغراض إبلاغية (التواصل) ، فهو رسالة مشحونة هدفها التوصيل ، ومراعاة كل ما يتعلق بهذا الهدف .

- أهمية الكتاب في الكشف عن دور الظواهر السياقية في تكييف النظام لمقتضيات الأداء، واحتواء النظرية النحوية للمقام ، ويعد استكمالا للكشف عن أهم عنصر (المعنى) فكان إباء اللبس ضرورة لا بد منها.

-المشروع-كتاب البيان-امتداد لمشروع إعادة قراءة التراث النحوي فتمام أشد إصرارا على تبني الحواشي والمتون.

- انتهى تمام في تحليله إلى الاطمئنان إلى نظريات متعددة ، لذا يمكن نعت منهجه بالتكاملي (الشمولي) ، ولا يعد هذا خلطا أو تهجينا ،وهو المنهج الذي سار عليه أسلافنا.

- لا يخفى اهتمام " تمام" بالبعد التداولي ، لما في ذلك من توظيف لمصطلحات : " أسلوب الدعوة ، وكذا مقاصد الأسلوبية والحجاج " فهذا الأخير يحمل فعالية جدلية تداولية ، لان طابعه الفكري مقامي و اجتماعي .

- لا يزال المصطلح القديم حاضرا في تحليل اللساني العربي الحديث والمعاصر ، وهو موقف منهجي مدروس وان كان هناك اجتهاد لسن مصطلحات جديدة ، لكن لم ترق إلى درجة التحديث المطلق.

- بعض القضايا التي تناولها تمام من وجهة نظر وظيفية : كالزمن ، والجهة واردة في التحليل اللغوي القديم ، لكن بصورة جزئية ، أو ضمنية ؛ لذا فالتحليل اللغوي العربي نحوا وبلاغة لم يزحزح.

- إن نحو " تمام" " وظيفي" ، لما فيه من خصائص تداولية ، تحدد الخصائص التركيبية والصرفية.

- لم يكن " تمام " في اتجاهه الوظيفي يهدف إلى دراسة الأسلوب في جميع الأشكال اللغوية التي ترد في سياق اتصالي معين ، كما عند الغرب ؛ بل اختار نموذجا محددا.

- لم يكن هم تمام التنظير بل نزع إلى تطبيق ، وهذا ما يحسب له ويكون بذلك قد تجاوز أخطر أزمة في اللسانيات العربية الحديثة " نقص التطبيق " .

- الاهتمام بالمستوى التركيبي ، والذي يعد مغامرة كبرى إذا علم أن هناك نموذجا ضخما لا يمكن زحزحته " التراث النحوي " .

- تمام " في درسه الأسلوبي لم يخرج في الأغلب الأعم عن مباحث البلاغة عند البلاغيين القدماء.

- الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص ؛ لأن الأول أكثر فاعلية في نقل المعنى ، واعتباره تفوها منجزا كفعل حقيقي ، بينما للجملة أثر محدود في المواقف الإنسانية ، وهذا كله نتيجة قصور الدراسات البنوية التركيبية في معالجة أبعاد الظاهرة اللغوية (البعد الوظيفي التداولي).

- إن قبول التضام مصطلحا مشتركا بين نحو النص ونحو الجملة ، يوجب الحذر باختلاف مظاهر التضام في الجملة والنص ، والشيء نفسه يقال في تمييزه بين التوارد بنوعيه ، أما الاتساق فلا وجه في نحو النص للاقتصار على المتضامين.

- إعطاء "تمام" شكلا وصيغة مغايرة للمعنى ، ليصبح عنده جملة من الوظائف التي تحرزها صيغة لغوية ما، مضافا إليها سياق الموقف بعناصره ، لكن الرصف وتشقيق المعنى عند القدماء حدد المكون البلاغي ودوره في النظرية النحوية.

-النصّانية ليست مكتشفا جديدا ، ففي الدراسات اللغوية العربية الكثير ، خاصة ما يتعلق بتفسير النص القرآني (فالإعجاز مزية النص).

- التحليل الوظيفي للجمل هو ما ارتضاه " تمام" إذ تجاوز التحليل القديم والبنوي ، ونتج عن ذلك أن بنية الجملة غير ثابتة ، ومع هذا فقد حافظ على المسند والمسند إليه لا المحور والتعليق .

- اعتماد تمام على أكثر من منهج من مناهج التحليل الأسلوبي .

-تحليل " تمام" القول عبر مستويات ثلاث : البنية التركيبية - مستوى البنية الدلالية ، مستوى البنية الوظيفية .

- تفريقه بين سياق الحال وسياق الموقف ، لكن لا ينسى أن براعة البلاغة العربية تأتيها من اكتشاف المقام.

حين نبحث عن مولد البلاغة العربية ونشأتها نرى لزاما على البحث أن يسير بنا في اتجاهين:" الشعر والقرآن"، والكلام عن القضايا التي طرحها القرآن أولى، وإن كان الشعر في وجوده أسبق لكن البحث في القرآن هو الدافع للبحث في الشعر واللغة على حد سواء[1].

ولرصد الأفق الفكري لإشكالية اللغة في الثقافة العربية الإسلامية يجب العودة إلى أهم مصدر قامت من حوله كل البحوث والدراسات (ونقصد تحديدا القرآن) ويمكن القول: إن البحث اللغوي عند السلف بمعناه العلمي قد ابتدأ بدراسة الإعجاز في القرآن ، فأثارت هذه القضية قضايا أخرى لأنها تركزت من حيث الأساس على تداخل الشاغل الديني بالشاغل اللغوي[2]؛ إذ بدأت الدراسة التحليلية الوصفية الشاملة للغة العربية من أجل وضع ضوابط لقواعدها تجنب تفشي اللحن (خاصة في النص القرآني) وبما أن تلك الدراسة التحليلية للمادة اللغوية كانت وصفية شاملة ، فمن الطبيعي كذلك أن تكون القواعد والضوابط الوصفية التي تمخضت عنها عامة وشاملة لا تقتصر على مواضيع : " التصريف، النحو" فقط بل تتعداها إلى بقية مواضيع علوم اللغة من : أصوات وقراءات وعروض وبلاغة[3].

وبناء على هذا فقد سبقت الدراسات اللغوية العربية في مولدها الدرس البلاغي، لذا كانت محرضا له وشاهدا عليه في الوقت نفسه، وبهذا السبق صار الدرس البلاغي عند القوم جزءا، أو فرعا من الدرس اللغوي العام[4].

وبتتبع منابت البلاغة العربية، وتطورها يمكن استخراج العوامل التي ساهمت في نشأتها، ويمكن تقسيمها إلى عوامل أولية، وعوامل مساعدة أو طارئة:

1- العوامل الأولية: وهي تلك التي أدت إلى ملاحظة الخصوصية الأدبية، سواء أكان ذلك من الداخل، أي عن طريق معاناة موضوع البلاغة (نص أدبي) وقد أنجزت عن طريق تأمل النص الشعري مباشرة (نقد الشعر واختياره) وذلك عن طريق الملاحظة المباشرة والاختيار الفني.

أو من الخارج عن طريق معاناة أسئلة أخرى: " معرفية عامة أو لغوية أو دينية "،وهي تهدف إلى تقنين اللغة والفكر وتنزيه الدين.

1- منذر عيا شي: مقالات في الأسلوبية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، ط1990، ص187.

2- المرجع نفسه ، ص 187.

3- جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني نظرية الإمام الجرماني اللغوية وموقعها في علم اللغة العام الحديث: مطبعة الجيل دمشق، ط1980، ص25.

4- منذر عيا شي: مقالات في الأسلوبية، ص149.

2- العوامل المساعدة: وهي التي ساهمت في تعميق البحث في الموضوع أو تطويره،وهي تتعلق أساسا بالمثاقفة وتطور البحث والتأليف في المجالات الفكرية المختلفة[1].

فالحدث القرآني وحركة جمع اللغة وتقعيدها أكثر العوامل التصاقا بهذه النشأة ، ونتيجة لذلك امتــاز نشـــاط بيئات ثقافية في تاريخ البلاغة : بيئة اللغويين والمتأدبين والنحاة[2].

فكما كان للّغويين والمتكلمين باع في الدرس البلاغي، كان للنقاد كذلك أثر لا يقل شـأنا عـن أثـر اللغويين والمتكلمين، وربما كان النقاد أبعد أثرا من الطائفتين السابقتين، ويعد النقد من أهم العوامل التي ساهمت في نشأة البلاغة وتطورها على مر العصور، والصلة بين النقد والبلاغة صلة وثيقة لا تنفصم (حتى أوشك القرن الرابع الهجري أن ينتهي)[3].

إضافة إلى هذا فإن في تاريخ البلاغة العربية ما سمي ببلاغة الأدباء ومنهم: الكتاب والشعراء والنقاد، ثم البلاغة المتفلسفة (أو لبلاغة الفلسفية)[4].

إذا ما استقرئ تاريخ البلاغة فإنها مرت بمرحلتين: كانت أولهما أقرب إلى " النقد العملي" و الأخرى ألصق وأوغل بالأسلوبيات، وبدأت الدراسات البلاغية أول ما بدأت على أيدي اللغويين والنحاة، ولكنها كانـت تدور في فلك تفريق الفصحاء وغير الفصحاء من العرب، وهكذا أصبحت الفصاحة من مصطلحات النحـو واللغة[5].

وبالتالي فإن المتقدمين ميزوا بين مستويين للدراسة النحوية: ويتمثل الأول في رصد الصواب والخطـأ في الأداء، وإذا انتهى من هذه الخطوة انتقل إلى أخرى محاولا فيها تحديد القضايا النحوية واستخراج المعقول من المحسوس.

أما المستوى الثاني: فيتمثل في العلاقات المتنوعة بين الكلمات ثم بين الجمل وأدركوا أن الخبرة بتراكيب اللغـة هي في الوقت ذاته خبرة بالأغراض التي يعبر عنها، كما أن الارتباط القوي بين ما يسمى بالتراكيب وما يسمى بالمعاني أو الأفكار كذلك[6].

1- ينظر ، محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، إفريقيا الشرق ، بيروت، لبنان ، ط1999،ص18-19.

2 -حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية،ط 1981، ص131.

3 - عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي،دار غريب للطباعة والنشر القاهرة ، ط 1998 ، ص37.

4 -محمد بركات أبو علي: بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية، دار وائل للنشر، ط1 2004، ص14.

5 - تمام حسان: الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب(نحو فقه اللغة ،بلاغة) عالم الكتب القاهرة ، ط 2000 ،ص279.

6- محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر لو نجمان ، ط1994.

وهذا ما يتمثل في علاقة المبني بالمعنى، وتمثله العلاقات التركيبية المختلفة بين الكلمات داخل الجملة أو بين الجمل بعضها البعض، فأدركوا حقا مفهوم ثنائية التركيب[1] فمن خلال محاولة بحث هذا الأخير ومكوناته حاولوا أن يدرسوا العلاقة المتبادلة بين اللفظ والمعنى.

وتكمن أهمية العنصرين في النحو ومنهجه في كونهما يحققان اتصال موضوع النحو بموضوع علـــم المعـــاني[2] ويرجع السبب في اشتراك العلمين في دراسة الجملة إلى أن للجملة جانبان متلازمان وهما: "جانـــب المـــبنى وجانب المعنى" [*1].

فمن خلال هذا التلازم تظهر علاقة اللفظ بالمعنى في مستوى التركيب (بغض النظر عن علاقتهما في مستوى الكلمة المفردة، باعتبارها جدلية تكون وحدة لا انفصام فيها) وهذه النقطة-التلازم- من مبادئ المنهج الوصفي الوظيفي والذي يقتضي عدم الفصل بين هذه المستويات المتدرجة في النظام اللغوي: " صوتي، إفرادي، تركيبي" وهذا المنهج الوظيفي قد سار على نهجه علماء اللغة العرب : "أبي علي الفارسي"- "ابن جني"- "عبد القـــاهر الجرجاني"- "الزمخشري"- السكاكي"...

وعلى هذا فالنحاة لم يكن هدفهم الأوحد القول بالصواب والخطأ اللغوي فحسب؛ بل ينطلقون في أبحاثهم من فكرة النظام والتركيب وما ينشأ عن هذه الفكرة من علاقات وما يترتب على ذلك من فكرة المعاقبـــة في الموقع ، ثم الربط بين الصورة والوظيفة التي تؤديها الصورة (الصيغة) في النظام[*2].

فللغويين كبير الأثر في مد تيار البلاغة من خلال دراساتهم في اللغة وبحثهم في الألفاظ، وبيان ما يعتريها من ثقل وخفة، وما يطرأ عليها من تنافر وتلاؤم، والتي تفضي إلى فصاحة الألفاظ أو غثاثتها.

وقد أفادت بذلك كله الدراسات البلاغية (ونرى هذه الأبحاث مدونة في كتب المتأخرين الذين يهتمون بوضع القواعد النهائية في أبحاثهم البلاغية).

وعلى هذا فإن اللغويين في القرون الأولى لم يكونوا منفصلين عن النحاة؛ بل كانوا يمتزجون في معظم الأحوال، والعالم وقتئذ يجمع إلى تعليم اللغة وشرح مفرداتها بين الاشتقاق والإعـــراب، إلى بيـــان خصـــائص الأسلوب ودقائق التعبير، فصلة النحو باللغة كانت وثيقة محكمة، مزيجا بين (النحو و اللغة لعـــلاج اللحـــن)

---

[1] -حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير البلاغي عند العرب ونظريات التفكير اللغوي الحديث (في مجال مفهوم اللغة والدراسات النحوية) مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، ط1994، ص26.

[2]- ينظر، عبد السلام السيد حامد: الشكل والدلالة دراسة نحوية للفظ والمعنى، دار غريب للطباعة والنشر، ط2000، ص15ـــ30.

[*1]- فالأول مجال ساكن، يشترط فيه توافر الإسناد العنصرين (مسند، مسند إليه) وهذا من اختصاص النحو،والمعنى يختص بمجال الدراسة الابلاغية للجملة،وكيفية ارتباط الإسناد بالإفادة ،وهو مجال متغير حسب حال السامع والمقام.جعفر دك الباب :النظرية اللغوية العربية الحديثة،منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ط1996،ص155.

[*2]- وتجلت هذه الفكرة مع نهاية القرن الرابع الهجري عند ابن جني من علماء اللغة، و الجرجاني عبد القاهر من علماء البلاغة. حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب، ص26.

وكانت العلوم متداخلة يظاهر بعضها بعضا، ويفيد أحدهما من الآخر و لم يكد ينفصل النحو عن اللغة إلا أخيرا[1].

وجدير بالذكر أن النحاة قد سلكوا لونا جديدا من النقد تشعبت بحوثه وتنوعت، وعرفت له مقاييس وأصول والنقد في القرن الثاني الهجري قام على أكتاف النحاة، ولكن النقاد من النحاة كان يغلب عليهم القياس النحوي والتحليل للقواعد بما يتماشى مع مسائل النحو، ومع هذا فإن نقدهم لم يكن ينصب على هذا الجانب وحده؛ بل شمل معه عنصر الجمال، وموطن الذوق.

ولعل من أهم النتائج الصلة الوثيقة التي أقاموها بين النشاط اللغوي، وبين العمل النقدي يروم كشف السر في جودتها، ولا يتأتى هذا إلا بعد معرفة دقيقة بقواعد اللغة، والضوابط التي تتحكم في ما قد يقوم بين أقسامها من علاقات، ووصف تلك الأقسام وصفا تتجلى به خصائصها ولقد حظيت هذه الفكرة في الدراسات الأسلوبية اليوم بمكانة هامة، ولعلها أصبحت من المسلمات المنهجية الضرورية، ومنطلقها " إيبستيمولوجيا" يتأتى عليه دراسة الجانب الإنساني في الفعل اللغوي عامة[2].

فلم تقف مشاركة اللغويين في بلورة المسائل البلاغية عند هذا الحد نظرا لارتباطها الوثيق بالنحو، فدرسوا دلالات التركيب إذ وقفوا في ذلك على جملة من القوانين الهامة، وعندهم نجد جذور ما يسمى اليوم: " بعلم المعاني السياقي"، كما تنبهوا لعوارض الملفوظ وهيئاته (كالحذف والإيجاز) فكانوا أول من تفطن إلى تعدد عناصر الدلالة ونيابة بعضها عن بعض، وأول من تبلور على أيديهم تبعا لذلك مصطلح" السياق"[3].

"فسيبويه" أثناء تحليله للتركيب لا يقف عند وصف المواقف اللغوية؛ وإنما ينتقل إلى وصف المواقف التي تستعمل فيها وما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب وحال المتكلم وموضوع الكلام، وقد هداه هذا الاتساع على استكانة البنية الجوانية للتركيب النحوي فيقدر الحذف في ضوء هذا التفسير الداخلي، ويلاحظ كيف ينصرف الاستفهام في النص إلى معان أخرى في ضوء معطيات الموقف الاجتماعي كما تنبه إلى دور السياق في تحديد البناء الداخلي للغة، وبيان المقصود من البناء الخارجي[4] - وهذا يصب في الأسلوبية الوظيفية من خلال مراعاة السياق الداخلي اللغوي والسياق الاجتماعي-

بالإضافة إلى استعمالهم – النحاة- لمصطلح الاتساع وذلك يجسد معرفتهم لأصل الوضع والنقل، فالمصطلح متعدد الدلالة يستقطب جملة من الطرق في القول، ويدل به على ممارسات تراعي إرادة المتكلم وقصده أكثر من البنية الساكنة.

---

1 -ينظر، عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص23-24.

2 -المرجع نفسه، ص41.

3 -حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، ص53.

4 - عبد الرحمن حسن العارف: تمام حسان رائد لغويا، ص348.

كما لا يقل أهمية ما ذكره في باب الاستقامة من الكلام فمنه:" مستقيم حسن، محال ومستقيم كذب، مستقيم قبيح وما هو محال كذب"، وما يهمنا هنا (المستقيم الكذب).بناء على هـذا "فسـيبويه" قـد أدرك معـنى الاستعمال المجازي، وإن لم يسميه مجازا لكن حام حوله[1].

فالبحث في خصائص التراكيب وأسرارها وجد أولا عند النحاة وساقهم هذا البحـث إلى الاهتـداء إلى خصائص النظم، والتي ساقها" الجرجاني عبد القاهر" فيما بعد (حيث استمد نظريته في المعاني) وكان لـه في بحثهم نصيب غير قليل لكن ليس على انه من فن البلاغة؛ إنما وقع لهم على أنه من النحو بحسب مـا كـانوا يتصورونه[2]، فأدرج "سيبويه" في الكتاب أمثلة متعددة خرج فيها الاستفهام (أدوات ومعاني) إلى معاني مجازية واعتبر ذلك من الظواهر البارزة في الكتاب، كما اتسع الأمر وشاع بين الرواد الأوائل من اللغويين عند :" أبي عبيدة " "عمرو بن المثنى"[3] (2هـ) ويعد هذا الإنجاز من أبرز المسائل الأسلوبية التي وصلت عن هذه الفترة إذ يخرج الاستفهام عن المعنى الحقيقي ليتلون بغرض الكاتب والسياق)[4].

ما دام قد ذكر " أبو عبيدة" فإن كتابه " مجاز القرآن"، قد أورد فيه الكثير من المظاهر البلاغية: "كالإطناب والإجمال والتقديم والتأخير".ويعد هذا الكتاب من اللبنات الأولى في بناء صرح البلاغة العربية والنواة الطيبة التي أثمرت دراسات مفصلة في كتب اللاحقين من المنشغلين بفن البلاغة [5]؛ إذ يعتبر أقدم محاولة لمد الجسور بـين النص القرآني والعربية عبر النص الشعري، وتقاليد لقول العربي، وذلك الجسر الذي سمي "بالمجاز".

لكن "أبا عبيدة" يبادل هذه الكلمة بكلمات أخرى :" كالتفسير والمعنى والغريب والتقدير والتأويل" فكلمـة المجاز عنده عبارة عن الطرق التي سلكها القرآن في تعبيراته (وهذا العمل من صميم العمل الأسلوبي لاقترانـه بطرق التعبير والتراكيب والاستعمال) ويمثل هذا الكتاب كذلك عملية الغربلة المنهجية التي تسمح باسـتعمال مجموعة من المقولات البلاغية، والتي ستكون لاحقا موضوعا للتأمل البلاغي ثم التسمية والتعريـف[6]، كمـا جسد ضروبا من المجاز وانتهى في الأخير إلا أنها لا تخرج عن طرق العرب وأساليبها فيقول :"ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني ومن المحتمل من مجاز ما اختصر ، ومجاز ما حذف، ومجاز ما كف عن خبره ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد، ووقع على الجميع ، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميـع ووقـع معنـاه علـى الاثنين... "[7]. وعلى هذا يمكن التمييز بين صنفين من المجاز عند "أبي عبيدة":

---

1 -رابح دوب: البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار الفجر للنشر والتوزيع ، ط1 1997، ص76-77.

2 - عبد المنعم خفاجي، محمد السعدي فرهود، عبد العزيز شرف :الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 1992، ص68-69.

3 -رابح دوب: البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص76-77.

4 -حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، ص118.

5 -عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، ص115.

6 -محمد العمري: البلاغة العربية، أصولها وامتدادا تها، ص92-93.

7- أبو عبيدة: مجاز القرآن ، تحقيق محمد فؤاد سيزكين، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 1962، ص18-19.

1- مجاز عبارة عن إشكالات ذات طبيعة تاريخية (تتعلق بتطور اللغة معجما ولهجات وتقنيات كتابية)(*) وهي سابقة على العملية البلاغية، كما أن هذه الإشكالات غير ملازمة للنص.

2- مجازات نصية: وهي ناتجة عن عمل في اللغة نفسها، في تركيبها الداخلي (النحو الـــدلالي) وفي علاقتـــها بالعالم (المراجع والخلفيات والمقاصد) - وهنا تظهر ملامح الأسلوبية- وهذه الأنواع تنقسم في ضوء تطـــور البلاغة العربية فيما بعد إلى مستويين[1].

2-1- مجازات تثير إشكالات داخل البناء النحوي: وتتعلق بمدى تماسك الجمل داخليـــا (تقـــديم- تـــأخير) والحذف والاختصار واختلاف الضمائر وغير ذلك من الإجراءات التركيبية التي يمكن البحث عـــن حكمـــة لوجودها من داخل النص نفسه).

2-2- مجازات تتعلق بنقل الدلالة ومخالفة المعنى لظاهر القول وإلحاق العوالم والمفاهيم بعضها ببعض[2] ، وهذا المستوى من المجاز اللغوي هو الذي سيأخذ عند" السكاكي" ومن جاء بعده إلى اليوم مصطلح" البيان" [3] ،كما نوه بما يعرف "باسم إيجاز الحذف والمجاز المرسل والالتفات".

تجدر الإشارة إلى أن الجانب المتعلق بالمجازات تثير إشكاليات داخل البناء النحوي ،هي ما اصطلح عليه " بعلم المعاني"؛ إذ ابتكره" الزمخشري" (ت538هـ) في كتابه " الكشاف" ولأول مرة في تاريخ البلاغة وقصد به الإشارة إلى مجموعة المسائل التي درجت البلاغة فيما بعد على دراستها تحت هذا الفرع وثبـــت اســـتعماله " السكاكي" (ت626 هـ)، ودرس مسائله من قبلهما "عبد القاهر الجر جاني" دون اســـتعمال للمصـــطلح أو تعريف له .

ومحور ما دارت عليه مسائل هذا العلم عندهم جميعا وهي تتبع خواص تراكيب الكلام، أي تتبع خواص الجملة والجمل، فدراستهم لم تقتصر على مستوى واحد إنما شملت ما يدعو إليه المنـــهج الحـــديث؛ فدرســـوا الأصوات، الصرف، النحو والدلالة فلم يكونوا يفسرون الظاهرة اللغوية من خارج؛ بل كـــانوا يعمـــدون إلى الربط بين الظواهر في سياق لغوي واحد ومن أظهر الدلائل على ذلك ما فصل فيه :" أبو الفتح عثمان" "ابـــن جني"[4] (ت 392 هـ) عن "الاستثقال والاستخفاف" ، حيث إن الظواهر اللغوية يركن فيهـــا إلى الحســـن والطبع، وهذا دليل على إدراكه لما يعرف "بسياق الحال":" *Contexte of situation* " [5].

* - وهي إشكالات أمكن تجاوزها عن طريق تفسير المفردات والمقارنة ثم الاختيار بين اللهجات وفي هذا الصنف يندرج شرح معاني الكلمات، ومناقشة الأوجه الإعرابية .محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص103.

1 - محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص103.

2 - المرجع نفسه :103.

3 - ينظر، شفيع السيد: البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم ، دار الفكر العربي، ط2 1996،ص 19-20.

4 -ينظر ،أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر،ط 1998،ص85-87.

5 -ينظر، عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية ،دار النهضة العربية بيروت لبنان (د ت)،ص182-183.

انطلاقا من هذه الفكرة فإنه يقدم أروع صورة لعناية النحاة بأساليب الكلام ،وتأكيده ارتباط النحو بالمعنى السياقي للكلام، كما لم يفته الحديث عن قضية اللفظ والمعنى[1] [والتي قام على أساسها البحث البلاغي قديما والأسلوبية حديثا، إذ تعد الجذور الحقيقية للأسلوبية العربية]. ونجد " ابن جني" يلبسها – اللفظ والمعنى- ثوبا جديدا خالق فيه السابقين*، حيث سار في درب لم يسلكه أحد من السابقين في تفضيل اللفظ على المعنى أو العكس أو جعلهما بمنزلة سواء، إنما ينادي بالعناية بالألفاظ والمعاني وإن كانت المعاني أجل قدرا والعناية بالألفاظ ضرورية للعناية بالمعاني وترى المعنى وفخامته لا يظهر إلا برفعة اللفظ.

وتحدث " ابن جني" عن أنواع الدلالات وحصرها في ثلاث دلالات (مخالفا في ذلك كل من "الجاحظ" و"الروماني") فأقواهن اللفظية ثم تليها الصناعية فالمعنوية، إذ يفاضل في هذه الدلالات وما ذهب إليه في قصر الدلالة وما ذهب إليه في قصر الدلالة على اللفظ بأنواعه أقرب إلى روح البلاغة (الإفهام)[2].

أضف إلى ذلك أنه أحسن من مثل الذين بحثوا في مستويات الدلالة فيما يخص الفرق بين الحقيقة والمجاز فيقول: « الحقيقة ما أقر في استعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز ما كان بصدد ذلك، وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة ، فإن عدم هذه الأصناف كانت الحقيقة البتة وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه....» [3]

ونلاحظ أنه استعمل مصطلحي اللغة والاستعمال إلى كونها مقابلة بين استعمالين[4] (اللغة والكلام)

أما باب" شجاعة العربية" فدليل على سيره على نهج الأوائل في عدم التفريق بين النحو والبلاغة، وشجاعتها عنده تتمثل في (التقديم والتأخير والفصول والحمل على المعنى) كما ربط بدقة بين العلامات الإعرابية والمعاني الوظيفية لأجزاء السياق الكلامي[5]، كما وجد النحاة أن القاعدة يمكن أن يقع ترخصا في تطبيقها بدوافع من قرائن السياق ، أو الموقف الانفعالي، فأصبح الخطاب النحوي تجسيدا لظواهر ثلاث غير متشابهة هي اللغة في المستوى النظري والقاعدة في المستوى التعليمي والاستعمال في المستوى التطبيقين فيكون التأليف بين مظهرين: داخلي كأن يكون بين قواعد النحو نفسها والثاني خارجي يعرف القاعدة بالمستوى النظري ليرد الاختلاف إلى ائتلاف عميق[6] [وهذا ما يمت إلى الوظيفة بصلة عميقة وينم عن حيوية و دينامية الجملة العربية وهذا ما ذكره "تمام حسان" في كتابه "الخلاصة النحوية" إذ يمكن عد لحظة الترخص تلك منطلقا للعمل الأسلوبي الإبداعي]ويضاف إلى جهود هؤلاء ما قام به كل من :" ابن فارس" (ت395هـ)، "و الثعالبي" إذ صرفوا

---

[1]- صالح بلعيد: التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1994، ص77.

*- من حيث لا يخرج أحدهم عن اعتبار الجمال في اللفظ أو في المعنى دون اللفظ "كأبي عمر الشيباني" و"الآمدي" أو في المعنىفقط "كبشر بن المعتمر" "وابن قتيبة "و"الروماني". عبد القادر حسين : أثر النحاة في البحث البلاغي، ص290

[2]- المرجع نفسه، ص289-292.

[3]- ابن جني : الخصائص، تحقيق عبد الحكيم بن محمد ، مكتبة التوفيقية (د . ت) ج2 ، ص304.

[4]- حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، ص568.

[5] - صالح بلعيد: التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص79-81.

[6]- حسن خميس سعد الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشرق للنشر والتوزيع، ط2000، ص16.

الأصل لدراسة التركيب وطرق العرب في كلامها وعلاقة التراكيب بالمعنى وهي ما يدرسه المحدثون بالعلاقة بين الشكل والمضمون وهي أساس العمل النقدي، كما لم تفتهم دراسة الأدوات والتراكيب العربية على مستوى النحو والبلاغة، ودراسة التركيب والنظم[1]. فالعمل الذي قام به الثعالبي بدراسة الخصائص التي تتسم بها اللغة موضوع الدرس، من حيث اللفظ المفردة ومكانتها في الاستعمال والتي يدرسها المحدثون تحت " الدراسات الأسلوبية[2].

ويتضح أن مصادر البلاغة قسمان كبيران : قسم ينتمي إلى هذا الطور إلا أن اهتمامه بالبلاغة هامشي مندرج في نطاق مشاغل اللغويين والنحاة، وقسم في البلاغة وعلى رأس هذا القسم "الجاحظ" (ت255 هـ) "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ)،" السكاكي" (ت655هـ)

ولعل أكثر ما يشار إليه عند الحديث عن الجذور الحقيقية للأسلوبية (عند البلاغيين) ثنائية اللفظ والمعنى[3] الذي ساهم في طرح هذه القضية ثنائية " الفصاحة والبلاغة" وهما أكثر المصطلحات تواتر وأصلا الحكم في بلاغة النص، ولعل دراستهما بشيء من التوسع دليلا على فهم علماء البلاغة للعلاقة بينهما، ويمكن من تحديد ميادين الدراسة الأسلوبية وإدراك التطور أو التحول الذي يكون قد جد في صلب النظرية البلاغية.[4]وليس الهدف من عرض هذه القضية جمع المقاييس المتعلقة بجمال اللفظ واستقامة المعنى ، وإنما هي محاولة إبراز المضايقات المنهجية التي زج بهم فيها الفصل النظري بين الشكل والمضمون (باعتبارهما إحدى مشكلات النقد الكبرى وجانب مهم من نظريتهم في النص الأدبي)[5].

ومن اللافت للانتباه أن ليس المقصود باللفظ دائما اللفظ المفرد ولا المقصود بالمعنى دائما المدلول المفرد للألفاظ، ولو نظر في أقوال القدماء في هذه القضية " اللفظ والمعنى" باعتبارهما مفردين يوقع في الإحالة لا شك وأن تصور الاستقلال كل منهما لا يتفق في اللفظ المفرد لأن أصله رمز لمعنى، ولا يقوم اللفظ وحده صوتا دون معنى، وأن المقصود هو التركيب اللفظي" في عبارة مفيدة أو جملة والمعنى هو معنى العبارة ككل، ولما كان مجال البحث البلاغي هو العبارة منذ القدم فكل ما يقال عن تلك الثنائية ينصرف إليها[6].

---

1 -ينظر، حلمي خليل : مقدمة لدراسة فقه اللغة ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ،ط1993،ص12__15.

2- عبده الراجحي: مقدمة لدراسة فقه اللغة في الكتب العربية، ص163.

3 -أحمد درويش:دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، ص3.

4- ينظر، حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، ص392.

5- المرجع نفسه، ص43.

6- محمد زغلول سلام: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة منشأة المعارف، الإسكندرية ، ط1، ص73-74.

ويستنتج من هذا المنطلق أن حركة البلاغة القديمة –إن صح التعبير- قد وقفت على جوانب البحث الأسلوبي ، ومن ذلك أنها تبدأ غالبا من النص وتنتهي إليه، وتمثل ذلك في رصد الخواص الجمالية التي تتصل بالشعر والكشف عنها في التركيب اللغوي من حيث الربط بين الرمز والمرموز له [*] [1].

ولكن نشأة الأسلوبية وغايتها في الوقت نفسه لا تستقيمان إلا بالمنظور الثاني، وهو مركب غير مباشر ويتمثل في تحديد الأسلوبية لموضوعها وهو الأسلوب"[2]وقد ظهرت هذه الكلمة في تراثنا البلاغي القديم على نحو ربطت فيه بين مدلول اللفظة، وطرق العرب في أداء المعنى، أو بينه وبين النوع الأدبي وطرق صياغته...، وقد يتساوى مفهوم الكلمة مع مفهوم النظم، والذي يمثل خواص التعبيرية ي الكلام والنطق[3]، وهكذا يمكن القول أن العرب اعتمدوا في درسهم اللغوي من النص (تنظير وممارسة، فكانت نظرتهم للأسلوب أثر من آثار النص ونتيجة من نتائجه الدالة عليه[4]- وهنا يظهر المنحى الوظيفي لا محالة-

ومن هنا كان دراسة التركيب في التراث العربي في مجملها ذات وشائج بالتحليل الأسلوبي ، ففيه تكسب الكلمات دلالات و إيماءا ت داخل النسق اللغوي[5]، فلم يكن بد أن ينصرف كل إلى وجهته، ولكنهم تحلقوا حول الجملة " فمنها لم ينطلقوا إلى الأمام، بل انطلقوا إلى داخلها يفتشون ويحللون، فالقضية تتعدى بالضرورة حدود الجملة إلى دراسة أسلوبية متكاملة[6].

فإذا صح هذا الإيضاح فإن البلاغة في مجموعها تدور حول الأساليب كما أن فروعها الثلاثة تقوم بينها رابطة توحد ما تنافر من أغراضها، ذلك أن الفروع الثلاثة (معاني، بيان، بديع) تقع في نطاق دراسة الأساليب *Stylistique*.

إن ترصد الظواهر الأسلوبية لدى "الجاحظ" ومحاورة لتراث البلاغي عنده ، فإنه سيكشف حتما عن تلك القيم الأسلوبية الكامنة في لمادة والمنهج فلم يخرج هو الآخر عن إطار النص والتركيب والصياغة" فحرص على دراسة كل المظاهر المساهمة في تركيب النص المؤثرة في خصائصه الفنية بدءا من تآلف الحروف في اللفظ إلى أن يستقيم بنية متماسكة منصهرة في شكل فني مخصوص (الصياغة) فهو يزاوج بين الخصائص النوعية الحديثة ذلك

---

* -وتكتمل هذه الرؤية التي احتوت مفهوم النظم لتجعله مندرجا أو متوازيا مع التأليف المعنوي، ومنها يشكل مفهوم الأسلوب فجعل حازم القرطجني الأسلوب تحصل عن التأليفات المعنوية والنظم هيئة تحصل عن التأليفات اللفظية . رجاء عبيد: البحث الأسلوبي معاصرة وتراث منشاة المعارف الإسكندرية ، ط 1993، ص204.

1 -محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية، ص171.

2 -عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار سعاد الصباح، ط 4 1993، ص57.

3 -محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية ، ص172.

4- منذر عيا شي : مقالات في الأسلوبية، ص30

5 -رجاء عيد: البحث الأسلوبي معاصرة وتراث ، ص205.

6 -رجاء عيد: فلسفة اللغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف الإسكندرية، ط2 1988، ص18.

أن عنايته بالكلام تحيط بالجدولين الذين ينظمان الظاهرة اللغوية وهما جدولا:" الاختيار والتوزيع"، وعلى هذا النحو يكون صاحب البيان و التبيين" وقد مع مقاييس البلاغة بين " الوعي الجدولي بالمقال" والوعي السياق[1].

وبما أن الحضور اللغوي قار في الأسلوبية وهذا ما يلاحظ عند "الجاحظ" فيما يخص عنصر الاختيار الذي يكون حدا فاصلا بين نوعين من الممارسة اللغوية: ممارسة اجتماعية وأخرى فنية وهذا ما نجده في الأسلوبية الحديثة حيث تفسر الأسلوب على انه عدول عن الكلام العادي مؤسس على مبدأ الاختيار والذي بنا عليها "الجاحظ" رأيه في اللفظ والأسلوب عامة، وفكرة المواضيع المبنية على مقتضيات الوظيفة هي التي ولدت مقولة الملائمة.

بالإضافة إلى مساهمته في تثبيته جدلية اللفظ والمعنى في البلاغة، وإقرار الفصل ين الشكل والمضمون - جذور الأسلوبية كما قيل سابقا- ولا يستبعد أن تكون هذه الثنائية في تفكيره الأصل في تولد سلك في البحث يتمثل في تقسيم مختلف المساهمات البلاغية وتصنيفها طبقا لموقف أصحابها من اللفظ والمعنى وقد اهم " الجاحظ" لانحيازه للشكل على حساب المعنى[2].

وكان لابد أن تحمله هذه الرؤية الشاملة" الجاحظ" إلى الاهتمام بالبنية العامة وتعقب مظهر الجمال الفني من زاوية تلتحم فيها وحدات النص التحاما يغدوا بموجبه الفصل بين الخصائص البنيوية للفظ والمميزات العامة لبنية الكلام، اصطلاحا منهجيا وضرورة قاهرة، وأن اللفظ عنده بالإجماع: هو الشكل والأسلوب عامة زيادة على الكلمة المفردة. وهذا الاشتراك الدلالي لشاهد على ترابط الجزء والكل في تصوره، والتكامل مقياس الاختيار مع خصائص التوزيع[3]- وهذا ما أستدل به لاحقا على أن الوظيفة تحوي كل من الاختيار والتوزيع ... فهي مصب الإجراءات اللغوية-.

فبالرغم من أن قضية النظم التي أعلن ميلادها "عبد القاهر الجرجاني" إلا أن جذورها تمتد إلى ما قبل "الجاحظ" إلا أنها لم تتجاوز عنده الإعلان المبدئي المشفوع بأمثلة قليلة إلى بحث لغوي بلاغي منظم. ونتتبع في إحدى أقواله علاقة التلاحم هذه إذ يقول في حكمه المشهور«...وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحد فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان»[4].

إن مضمون النص يتجاوز مجرد تأليف الأصوات وتنافرها فلا يتأتى التشبيه الأخير من النص الدال على سهولة المعاطف، وسلامة النظام إلا من اجتماع كل المقاييس الأسلوبية (من بلاغة للفظ- إصابة المعنى- واختيار شريفها....)[5] ومن أهم الأسس التي أرساها، دفاعه عن الإبانة و الاهتمام واعتباره الغاية التي تجري إلى تحقيقها كل مستويات اللغة (وهذه الفكرة منبع لأهم اتجاهات النقد والبلاغة، وحدد النقاد و البلاغيون

---

1 - ينظر ، حمادي صمود التفكير البلاغي عند العرب، ص252.

2 - المرجع نفسه، ص264__272 .

3 - المرجع نفسه، ص289.

4 - الجاحظ: البيان والتبين،تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت،(د. ت) ج1، ص67.

5 - حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، ص295.

بعده مهمة الأسلوب بقدرته على إيقاع الفهم وعدمه بالإضافة إلى فكرة " السياق" التي تعد من أبرز المقاييس البلاغية" الأسلوبية" والسياق عنده يتجاوز محض الجوار اللغوي إلى الظروف العامة[1].

ويظهر هنا الاهتمام بالتواصل ، والذي يعتبر مجسدا للبعد الوظيفي للغة بنية لغوية وبعدا ثقافيا اجتماعيا. فهذه النظرة إلى البلاغة عند "الجاحظ" أدخل في الذوق وتدور حول الأصول لا الفروع وتفسح المجال للملكة وهو لون من ألوان المعرفة دون الصناعة[2].

وهو المذهب الذي ارتضاه " عبد القاهر الجرجاني" (ت471 هـ) من بعده وبلور نظرية عامة في البلاغة " النظم"، ردا على التيار الذي اهتم باللفظ دون المعنى أو العكس وأكد أن ليست البلاغة أمرا مستقلا عن اللغة، وما دام الأمر كذلك فإن هذه الأخيرة (البلاغة) يجب أن تدرس اللفظ والمعنى معا، وعلى هذا فكتابه " دلائل الإعجاز" بداية مرحلة جديدة في تاريخ علم اللغة العربية (مرحلة الدراسة الوظيفية) وذلك بغية تحديد ضوابط وقواعد للبلاغة انطلاقا من النص ذاته[3] والنظم بالمصطلح الذي اشتقه له صاحب الإعجاز و"الأسرار" وبالمفهوم الذي أفرغه في قالبه يرتد إلى النحو قبل أن يرتد إلى البلاغة، فإذا رمنا الوفاء للنسق الفكري الذي اختطه له صاحبه والامتثال إلى المعمار المنهجي الذي سواه يتعين القول : إنه سؤال البلاغة ينعطف على سؤال النحو، من خلال سؤال المعنى، وأن ليست الدلالة في الألفاظ وليست في مجرد التركيب، وإنما هي في آليات الارتباط الحادثة بين الألفاظ عندما تتوالى في الكلام تواليا نسقيا ، وليس مرجع من ذلك إلا النحو (وهو المقياس الضابط لسلامة البناء من حيث هو الضامن لبلوغ المعنى)[4] - هنا يظهر الاتجاه الأسلوبي الوظيفي "للجرجاني" كما لا يخفى علينا أنه قد جعل الفصاحة والإعجاز في النظم وتركيب الكلام-.

وعلى هذا الأساس فإن "الجرجاني" يفرق بين أنواع النظم لأن هناك نظم الكلام، ونظم الحروف وهذا الأخير هو تواليها- الحروف- في النطق، " .....فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق"[5] .

وأوضح من ذلك كله، أن النظم الذي تتفاضل مراتب البلاغة من أجله صنعة يستعان عليها بالفكرة لا محالة ، فترتيب الألفاظ في النطق على حسب ترتيب المعاني في النفس (المعنى النفسي هو جانب من دراسة المعنى ويمثل عنصرا جماليا، أقام" الجرجاني" على أساسه بحوث علم المعاني، وإحداث هذا التوافق بين المعاني

---

[1] - حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب ،ص609ـــــ911

[2] -تمام حسان: الأصول، دراسة إيبيستيمولوجية، ص280.

[3] - جعفر دك الباب: الموجز في شرح دلائل الإعجاز، ص29.

[4] - عبد السلام المسدي: العربية لإعراب ، مركز النشر الجامعي، ط2003، ص70-71.

[5] -عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،علق عليه محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت لبنان، ط1 1994، ص51.

النفسية والتراكيب الدالة عليها لا يتم إلا بمعرفة عميقة للوظائف النحوية من " أدوات الشرط والاستفهام...." وما يمكن أن يحدثه وضع أداة مكان أخرى من تغير في المعنى بالإضافة إلى الموقعية وأثرها في المعنى[1].

كما أن "الجرجاني" لم يغفل في نظمه عن فروع المعنى الثلاث - كما سنبينها فيما بعد عند "تمام حسان"- وهي:" المعنى الوظيفي"، والذي يعتبر وظيفة الجزء التحليلي في النظام،و"المعنى المعجمي" للكلمة، و"المعنى الاجتماعي" لها، مع الإشارة إلى العلاقات المختلفة بين المعنى الوظيفي والمعنى المقامي، ويدل هذا على أن المضمون النهائي للكلام الذي يدركه الفكر أو العقل يتحلل عنده إلى عناصر:(المرسل ، المستقبل، المخبر به المخبر عنه)ومجموع هذه العناصر يتصل بالسياق وعناصره، وارتباطه بالمعنى ارتباطا مباشرا [2]- وهذه هي الوظائف التي تحدث عنها "جاكسون"- وتتسم نظرته إلى النحو بالشمولية متغاضيا في ذلك عن الأجزاء؛ بل ركز على وحدته الإبلاغية [3].

فالنظم عند"الجرجاني" وبمختلف درجاته يعد مستوى من مستويات الأسلوب الرفيع، ويعقد علاقة بين النظم والأسلوب فيقول : «والأسلوب الضرب من النظم و الطريقة فيه»[4] .

فنظرية النظم هذه كانت نظرية في الصياغة والدليل على ذلك كثرة المقارنات التي كان يجريها بين الكلام وأشكال التعبير الأخرى، ويتبين من خلالها إيمانه بأن الأدب يستمد مقوماته الأساسية من بنائه اللغوي، وطريقة التعبير عن المعنى[5]. وأنه أول من قصد إلى المعاني الثانية قصدا وراء فكرة النظم، وهي ما أسماه" بمعنى المعنى" وهذه العبارة تمثل القراءة الثانية (الدلالة الثانية) للأسلوب لكنه فيما بعد ضيق مجال نظريته فأصبحت تسمى "بعلم المعاني"[*][6].

وواضح مما سبق أنه يلح إلحاحا شديدا على بيان أن معاني النحو هي ما يعنيه اليوم" بالمعاني الوظيفية " التي تدور حول وظيفة الباب في السياق ، ولا يتم النظم إلا إذا روعيت معاني البنية الشكلية (وهي المعاني التي تحمل نماذج من التركيب ، واختيار الأقسام الشكلية في مقابل المعاني القاموسية - أي الاختيار والملاءمة عند " الجاحظ"-.

1- أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص88.

2 - ينظر حلمي خليل : العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة ، ط 1996، ص223-225.

3 - صالح بلعيد: التراكيب النحوية وسياقتها المختلفة عند الجرجاني ،ص 2.

4- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ،ص 315.

5 - حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، ص521.

* -وهي معان ترجع إلى الإسناد وإلى خصائص مختلفة في المسند إليه والمسند وفي أضرب الخبر وفي متعلقات الفعل من مفعولات وأحوال وفي الفصل بين الجمل والوصل وفي القصر والايجاز والإطناب... وهي الأبواب التي ألف فيها من خلفوه في علم المعاني. فتحي أحمد عامر: المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1993، ص7.

6 - المرجع نفسه ، ص141.

وقد تداخلت أحكام البلاغيين وآرائهم مع أراء النحويين، فظهرت فكرة التعليق النحوي عند "الجرجاني" والمتمثلة أساسا في تفكيك بنية الإسناد ، وبيان علاقات العلم فيه ووظف التعليق لتفسير العلاقات السياقية في التراكيب الجملية تحت عنوان " النظم"[1] .

إذ ليست تحولات البنية للوصول إلى الهيكل الأسلوبي مجرد ربط الشكل بالمضمون ، أو مجرد ربط مجموعة من الألفاظ كيفما جاء واتفق، إنما التحول يتجاوز عملية (الظم) إلى (عملية التعليق) حيث تؤدي العلاقات النحوية دورا بالغا وإخباريا وإبداعيا، ومن خلال العملية الأخيرة – التعليق – يكتسب التحول خواصه الإبداعية فتأتي الإفادة مضافا إليها كما متوازيا من الملاحظ الشكلية التي أفرزتها البلاغة، ليكون التظافر بين النحو والبلاغة "قمة الأدبية".

لكن "الجرجاني" يتجاوز هذه المرحلة إلى مرحلة الانتهاك؛ والتي تتنافى مع المردود المعجمي -وهذه العملية هي ما ينطلق منها المحدثون إذ يرون الأسلوبية انحرافا عن المعيار- على أن يلاحظ في كل ذلك الانسجام الذي يجب أن يعيد الانتهاك إلى النظام ، فتجميع المفردات لابد أن يدخل في دائرة " التأليف" من حيث :" الصوت- التعليق- والدلالة...."[2].

فالبلاغة مع" الجرجاني" تكون قد دخلت طورا جديدا لم تعد فيه القيمة الأدبية مرتبطة بنجاعة النص، وتأثيره المباشر في متلقيه لقربه من الإفهام ، ولحسن لفظه ووضوح معناه؛ بل أصبحت خصوصيات في بناء المعاني[3].

أما" السكاكي" (ت626هـ) في كتابه " مفتاح العلوم" فقد سار على درب "الجرجاني"خاصة في القسم الثالث من كتابه" المعاني" (وكان هذا المصطلح تثبيتا منه) فأصبح محورا ومرجعا لكل الدراسات البلاغية التي تبعته حتى الآن ،ومحور ما دارت عليه مسائل هذا العلم عندهم جميعا:" الزمخشري، الجرجاني فالسكاكي" إذ يعرف علم المعاني بقوله: «... هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تصنيف الكلام على ما يقتضي الحال ذكره »[4].

وهذا التعريف نموذجا لتأليف" السكاكي" الذي أفرغه في أسلوب علمي منطقي بعيد عن جلاء العبارة ووضوح التأليف - الذي ركز عليه السابقون-[5].

---

1 - عبد الرحمن حسن العارف: تمام حسان رائدا لغويا، ص346-347.

2 -ينظر محمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1997،ص124-125.

3 - حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، ص523.

4 - السكاكي: مفتاح العلوم ضبطه وعلق عليه نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ط 2 1987، ص161.

5 - المرجع نفسه، ص272-273.

بالإضافة إلى أن مقولة " التتبع" التي جاءت فاتحة التعريف ، مما يعني إتجاه البلاغة إلى الناحية الاستقرائية لمتابعة الظواهر التعبيرية في سياقاتها المختلفة ،واستخلاص مواصفاتها التركيبية، وهنا تنتفي حجة من يهاجمون البلاغة بأنها دراسة جزئية تختطف المواصفات.

فهذا التتبع دراسة وصفية لمجموع الاحتمالات التركيبية؛ ذلك أن التتبع مسلط على الخواص التركيبية لا التراكيب في حد ذاتها وهي التي تقودنا إلى البنية النواة والتي يمكن اعتبارها بنية (محايدة) تهيئ للأشكال المختلفة للتحول والانتقال (من الأصل) إلى العدول، وهنا تكمن فاعلية علم المعاني حيث لا تتصل باللغة إلا بوصفها خلفية مثالية تمثل الأصل؛ إنما تسلط فعاليته على الكلام"[1].

غير أن هناك حصرا يجب أخذه بعين الاعتبار، هو أن " مفتاح العلوم" هو مفتاح لعلم واحد سماه :" علم الأدب" ، وهو حصيلة أنواع وعلوم أدبية بدءا من الصوت والنحو ثم تتوسع إلى علمي المعاني والبيان وأساس هذا التقسيم هو النظر في (المفرد: الصرف ، والمركب: النحو) لكن سرعان ما تجاوزه إلى تقسيم جديد ثلاثي " علم المعاني والبيان" بعدما كان يظن أنهما منتميان لعلم النحو[2] - ربما هذا التقسيم الثلاثي ناتج عن المغالاة في التقسيم والتقعيد- كما أظن- لأن علم المعاني في طابعه العام دراسة للجانب المتعلق بالمعنى الوظيفي للجملة العربية ، وعلى هذا الاعتبار فهو مكمل للنحو العربي الذي يراعي وظائف المفردات في الجملة،فكأن النحو تحليلي وعلم المعاني تركيبي كما بين ذلك "تمام حسان" -.

والأدب عند "السكاكي" يساوي الخطاب الناجع، فمن هذا المفهوم يتحدث عن " علم الأدب" والذي يعتبر تصورا مبكرا لما سمي حاليا " بعلم النص" وعد وظائف الأدب ثلاث وظائف تتحدد بحسب الباعث: وهي المستوى الأدنى- الأوسط – الأعلى) وعلى هذا فقد اشتغل إلى حد بعيد بتعريف النظم؛ لأنه أساس البلاغة المقامية (أي بلاغة الشجاعة التواصلية ،وما يعرف اليوم بالوظيفة التداولية)[3].

وتظهر مهارة"السكاكي"في قدرته على الربط بين الأسلوب ومبدعه من خلال رصد الطاقات التعبيرية التي يستعين بها في كلامه.

هذا فقد ربط معنى الأسلوبية بخاصية أخرى في التعبير وهي خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر،لما يحويه من أفاني بحيث يوجه المخاطب بغير ما يتوقع - وهذا ما يسمى في الأسلوبية الحديثة بأفق الانتظار والمفاجأة- كما جعل للصياغة مستويين يختلفان باختلاف السياق : فالمستوى الأول يمثل المستوى اللغوي الذي ترد فيه الصياغة حسب مقتضيات الإيصال فحسب، أما المستوى الثاني فهو الذي عبر عنه بالوظيفة البيانية

---

[1] - ينظر، محمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة أخرى، ص200-201.

[2] - محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص479-481.

[3]- محمد العمري :البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، ص479-481.

لاختصاصه بصياغة أخرى تتميز بطبيعتها الجمالية ، وما تحويه من مفردات ركبت على غير المألوف في المستوى الأول[1]- مراعاة الموقف التواصلي-

وتكون دراسة" السكاكي" مدخلا إلى تراكيب الجمل وارتباطهما بمدلول يستقى من الموقف اللغوي بأجمعه يضاف إلى ذلك تلك العلاقة الباطنية بين الدال والمدلول، وما يدفع إلى تصور يقوم على التأويل، وبسبب التصارع الداخلي بين قدرة الأداء وقدرة الكلمات، وفيه يكون المضمر أو المسكوت عنه له حضوره وتواجده بصورة أو بأخرى[2].

وعلى هذا قد عرف التراث العربي الظاهرة الأسلوبية دارسا إياها فيما يسمى خاصة " بعلم المعاني" ويضاف إلى ذلك استخدامهم له في الممارسة التحليلية كان دليلا على معالجتهم لجوانب أسلوبية في نظام الخطاب ، كما انطلقوا من النص تنظيرا وممارسة[3].

وبالتالي فإن النظرية اللسانية العربية المستخلصة من آراء وتحليلات المفكرين العرب القدماء تتسم بكونها نظرية خطاب، وذلك بالنظر إلى المبادئ العامة المعتمدة والتي تتفرع عن مبدأ أساسي واحد وهو أن إدراك خصائص اللغة (باعتبارها أداة توصيل) رهين بإدراك العلاقة القائمة بين بنيات الجمل، أو النصوص ومقامات إنجازها[4] - وهذا كله يصب في المنحى الوظيفي للأسلوبية، ويمكن حينها الحديث عن " أسلوبية وظيفية" في التراث البلاغي العربي، وهذا ما سعى" تمام حسان" إلى تجسيده باستغلال البنى وعلاقاتها فيما بينها ، وارتباطها بالمقام خدمة للأسلوبية الوظيفية - فإذا كانت اللسانيات تنطلق من الصوت لتنتهي إلى مستوى أكبر هو التركيب المؤلف من هذه المفردات والجامع لها من خلال نظام فائق التنسيق والدقة (علم التراكيب).

هذا من الناحية البنائية ، أما من الناحية الوظيفية فإن من مهمات علم اللسانيات دراسة الحركة والدينامية التي من خلالها يمكن للصوت وللركن ثم للتركيب أن يولد المعنى، وهذه الحركة و الدينامية هي التي تولد الصوت والكلمة فالتركيب والمعرفة الدقيقة بهذه المكنة الدينامية الحركية التوليدية هي التي تفجر الطاقات والشحنات اللغوية ، وهذا كفيل بإحداث منعطفات أخرى في البحث الأسلوبي –"الو ظيفي"- ليرقب الحدث اللساني، ويرصد علاقاته المتشابكة ، إذ يمكن لهذا الأخير- الحدث اللساني -والأسلوبي أن يرصد دينامية اللغة وحركتها بالإضافة إلى إمكانية توظيف النتائج الوظيفية البراغماتية[5].

والملاحظ عموما أن الاتجاه المتبع من خلال استقراء الدراسات العربية النحوية منها والبلاغة تسير نحو الوظيفية بدءا من التركيب وعلاقات الكلم ببعضها (السياق اللغوي) على هذا القدر من التتبع لمنهج البلاغيين

---

[1]- ينظر، محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية،ص ص22__284.

[2]- رجاء عيد: البحث الأسلوبي معاصرة وتراث ، ص215.

[3] -منذر عيا شي: مقالات في الأسلوبية، ص 29-30.

[4]-ينظر مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسان الحديث، دار النشر ،ط 1988، ص530.

[5]- المرجع نفسه، ص12-13.

القدماء فإن دراسات موسعة وجادة حول البلاغة العربية القديمة وهذا اللون من الدراسة كاد أن يستوفي حقه حتى أصبح محتما أن يتجه البحث فيها على نحو يربطها بالبحث الأسلوبي الحديث، والذي يتجاذبه تياران هما :" الأصالة والمعاصرة"، فهذا الأخير يرى عدم كفاية النموذج التقليدي وضرورة التغيير والمواكبة[1] .

وهذه الرؤية قد أوقعتهم – دعاة التجديد والمحدثين – في مفارقة كبرى حين تبنوا اللسانيات الغربية بتفكيرها (البنيوي الوصفي) وإعادة الوصف هذه نتيجة حتمية ومنطقية لما اقترحه المحدثون (العرب) بحاجة اللغة إلى إعادة النظر في منهجها ، ذلك باقتراح نظرة جديدة إلى اللغة عامة " والبلاغة على وجه الخصوص وهذا الواقع أملى عليهم وضع مقولة " المعيارية" مقابلا منهجيا لمقولة " الوصفية"[2] على حد تعبير "تمام حسان" الذي يرى أن أساس الشكوى هو تغليب المعيارية في منهج حقه أن يعتمد على الوصف أولا وأخيرا ولتتضح المعيارية في طريقة التناول والتعبير في كتب النحو والصرف والبلاغة[3].
وقد أفرزت هذه الفكرة تفكيرا إبستمولوجيا عميقا ألقى الضوء على الظاهرة نفسها التي هي موضوع " علم البلاغة".

ومن هنا تبرز أهمية هذا اللون من التفكير الذي استقرت مباحثه منذ القرن "الخامس الهجري" وهي محاولة تستهدف إحياء التراث أو دفعه، عن طريق الدرس الأسلوبي النقدي الحديث؛ وذلك بتمحيص ما قاله السابقون[4]، إذ البلاغة عند القدماء، وكما رآها "تمام حسان «لم تقم في أي مرحلة من مراحل تاريخها الطويل بدور المنهج النقدي الأدبي المتكامل إذ لم تتخط النقد الشكلي إلى نقد المضمون إلا مع الكثير من القصور»[5].
والناظر في مقومات نظرية الحداثة في النقد والأدب يستنتج أنها تستند في مجملها إلى مادة وموضوع تربطهما علمانية "المنهج". وإذا كان الموضوع ملتحما وثيق الالتحام بالغايات الإجرائية ، والمرامي التحويلية في صلب كيان المجتمع المفرز للأدب أخذا وعطاء وتقييما، فإن المادة في الأدب أبدية القرار (إذ هي الكلام يدور على نفسه) فلا مناص إذا من أن تتبوأ نظرية الأسلوب المترلة التي تعرف ضمن تيارات النقد المتجددة ومجاريها اللسانية العامة[6].

---

1 -ينظر، محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص1.
2 -ينظر، فاطمة الزهراء بكوش: نشأة الدرس اللسان العربي الحديث، إتراك للطباعة والنشر،ط1 2004 ، ص21.
3- تمام حسان : اللغة بين المعيارية والوصية ، عالم الكتب القاهرة، ط2001، ص12.
4- شفيع السيد: البحث البلاغي تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي ، ط1996، ص169.
5- ينظر، تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها،عالم الكتب القاهرة ، ط1، ص330__337.
6- عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص19.

لذا فقد شهد القرن العشرون بعثا للبلاغة العربية عبر تحقيق النصوص البلاغية القديمة ، ونشرها والعناية بشرحها، بيد لكن يفتقر إلى محاولة جادة وجديدة تؤسس أسلوبية عربية تستند إلى الموروث البلاغي العربي مواشجة إياه بمنجزات تطور اللسانيات الحديثة التي أفرزت الأسلوبية[1].

فمباحث هذه الأخيرة في العربية كثيرة في عددها متشبعة متباينة أحيانا- في نظرتها، وهي مزيج بين الدرس النقدي والدرس الأدبي؛إذ لو لم يكن الأسلوب مسألة قائمة بذاتها لما لوحظت تلك الملاحظات الجوهرية ، والتي تعالج حقيقة الظاهرة الأسلوبية بعمق أو تمسها مسا رقيقا بقصد إجلاء طبيعتها[2].

لكن رغم هذا وذاك فإنها قد حظيت بجهود معتبرة في الدراسات النقدية العربية ، وكان اهتمامهم منصبا بتصنيف الاتجاهات، ومناهجها وطرائق تحليلها للنصوص، والأدوات الإجرائية التي تستعملها في وصف النصوص وتحليلها.

ومن أهم القضايا التي طرحها النقاد العرب المعاصرون ، والتي تتعلق بتحديد ماهية الأسلوبية مثلا أهي منهج أم علم كما نجدها "سعد مصلوح"، بالإضافة إلى إثارتهم قضية " الشكل والمضمون" (والتي تعد إحدى مشكلات النقد الكبرى ومن الجذور الحقيقية للأسلوبية).

وما يهمنا هو استجلاء مضيئة بحسبانها تواصلا إنسانيا ثقافيا لا يمكن جحدهن سواء ما اتصل بالجانب النظري أو التطبيقي في التراث العربي[3].

وهذه القضايا وغيرها تجد مشروعية الطرح، بعد أن مرت عقود كثيرة على بدايات التطور التي حدثت في كثير من مناهج دراسة الأدب العربي (تاريخ الأدب، النقد، تحليل النصوص...) فقد ساهم التطور في إحداث تقدم ملحوظ في مناهج الدراسات الأدبية من زوايا كثيرة، فأصبح مألوفا أن يتم تناول الظواهر الأدبية، وحتى القديمة منها بمنهج مغاير[4].

فمن خلال هذا الطرح حاولت إثارة ما في جوف التراث البلاغي العربي و محاورته ما إن كانت فيه بواعث تسمح بإحداث مقاربة بينه ، وبين الدراسة الأسلوبية العربية الراهنة؟ وما مدى حضور الدس اللساني في البحث البلاغي وموقع هذه الأخيرة من أفنان اللسانيات العامة؟ وهل تمثل البلاغة في أحسن أحوالها مجموعة من القواعد الشكلية المحكمة القادمة من أمس بعيد، والمنفصلة من خلال روحها وجدواها عن الواقع الأدبي؟ وما خول للأسلوبية أن تكون الوريثة الشرعية ؟ وما نجاعة بلاغتنا في الكشف عن المعنى؟.

---

[1]- حسن ناظم : البنى الأسلوبية دراسة في أنشودة المطر لسياب ، بغداد 1995 ، ص16.

[2]- خالد جمعة : نحو نظرية أسلوبية لسانية ، دار الفكر دمشق، ط2003، ص11.

[2]- رجاء عيد : البحث الأسلوبي معاصرة وتراث ، منشأة المعارف الإسكندرية،ط1993، ص198.

[3]- أحمد درويش : النص البلاغي في التراث العربي والأوربي ، دار غريب للطباعة والنشر ، ط1993 ، ص3.

وفي خضم هذه الاشكالات والتي تهدف إلى استنطاق الدرس لأسلوبي في مدونة "تمام حسان" والمرسومة بـــ " البيان في روائع القرآن". فما مدى فعالية حضور المقترب الوظيفي للأسلوب في إجرائه ذاك؟ هل استطاع أن يجدد وينفرد ليتميز؟ أم سار على درب أشياعه من " النقاد واللسانيين العرب المحدثين الذين يعيشون صراع التقليدي والتجديد في إطار ما اصطلح عليه :" بأزمة اللسانيات العربية الحديثة".

أ-ما بين اللّسانيات و الأسلوبية:

مما بوسع اللّسانيات أن تقوم على توظيفه بتفرد معرفي، بعض الحقائق التي كانت شائعة التداول، دون أن يرتقي بها العارفون إلى مراتب الاستثمار التأسيسي الكاشف، و من أجلى تلك الحقائق؛ أنّ الإنسان يبحث في اللّغة بواسطتها (فالأدب مادته اللّغة، و نقده باللّغة) و لقد كان لهذا التخريج فضل في تعبيد طرق التواصل بين أطراف يجمعهم الانتماء إلى عالم الأدب، و الانخراط في حرفة النقد، و يفرق بينهم وقوفهم في مواقع متباينة داخل هذه الحقول، فكان لهذه الموازنة التمثيلية فعل رشيق؛ لأنها كثيرًا ما كانت تعينُ النقاد المحدثين على استدراج إخوانهم إلى التسليم بأنّ اللّغة في قضية الأدب "المرصد الجوهري"، و بأنّ هذا الدوران (من اللّغة كمادة في النص الإبداعي، و إلى اللّغة كمادة في الخطاب النقدي)، هو الذي يكسب علمهم خصوصية وعندئذٍ يسهل استجلابهم إلى حضيرة الاهتمام ببنية اللّغة، و مرافقتهم إلى قلعة العلم الذي يدور أمره على كشف أسرار اللّغة [1].

فمن حقائق المعرفة أنّ اللّغة ترتبط باللسانيات ارتباط الناشئ بعلة نشوئه؛ إذ تفاعل علم اللسان مع مناهج النقد الأدبي الحديث، حتى أخصبه فأرسى معه قواعد "علم الأسلوب"، و هذا الأخير من ضروب الصنف الثاني من العلوم، و التي اكتشفت منهجًا مستحدثًا يتناول به مادةً لم يسبق أن تناولها بذلك المنهج، و هو في ذلك صنو لعلم اللسان، و على هذا فلن تنجوَ الأسلوبية من طفرة الرائجات، و شكلية البدائل ،بل لن يستقيم أمرها بين الحداثات إلا إذا انتبه أعلامها إلى حقائق التصنيف المعرفي، ومقوماته في المادة و المنهج، فلم تلتبس حدودها بحدود ما يتاخمها من: بلاغة وبنوية وعلم اللسان[2].

فبرغم ما تزعمه الدراسة من خصوصية لمنهجها، فإنّ هذا المنهج لا يبدأ من فراغ، و لا يقطع مع غيره إنما يتصل بها اتصالاً نوعيًّا، و يوظف ما قبله توظيفا خاصا، و هو في هذا و ذاك يبدأ أساسًا من "اللسانيات الحديثة"، و على رأسها البنوية ، و التي أرسى معالمها "دي سوسير"*(Ferdinand De Saussure)*[*] و هناك مجموعة من الأسس أو المصادرات التي تمتلك و ثوقيتها من علم اللّغة، استنادًا إلى توزيع التحليل الأدبي إلى مستويات .

الدرس اللّغوي: فالفونولوجيا (الإيقاع)، و المورفولوجيا (التشكيل اللّغوي) ، و النحو أو التركيب (البناء النصي)، السيميولوجيا على أن توازي مستويات الدرس في اللّغة، و في النقد لا يعني تماهيها، فإنه يظل للهدف

1- عبد السلام المسدي: العربية و الإعراب، ص 12- 13.

2- ينظر، عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص 5__ 7.

* -فردناند دي سو سير عالم لغوي سويسري (1857- 1913م) مؤسس علم اللّغة الحديث ،فرق بين ما هو سكوني معجمي ،وبين ما هو حي ،وجمعت محاضراته عام 1916م. محمد فتحي التويجي ،الموسوعة الثقافية العامة مشاهير العالم، إشراف إميل يعقوب،دار الجيل ،ج1، ص86-87.

المختلف في كلّ منها دوره في تميز هذا من ذاك[1].

فكان الظن بالأسلوبية أنها علم لن يلبث حتى يحظى بالاستقلالية، و ينفصل كليا عن الدراسات اللسانية ذلك أن هذه تعنى أساسًا بالجملة و الأسلوبية تعنى بالإنتاج الكلي للكلام،و أنّ اللسانيات تعنى بالتنظير إلى اللّغة كشكل من أشكال الحدوث المفترضة، و أن الأسلوبية تتجه إلى المحدث فعلاً، كما أنّ اللسانيات تعنى باللّغة من حيث هي مدرك مجرد تمثله قوانينها،وان الأسلوبية تعنى باللّغة من حيث الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي كأداء مباشر، هذا إلى جملة فروق أخرى.

لكن اللسانيات ما لبثت أن تطورت تطورا سريعًا، فانتقلت من دراسة الجملة كمنجز بالإمكان، إلى دراسة العبارة كمنجز بالفعل، كما انتقلت من دائرة التركيب في النحو إلى دائرة التركيب في بناء النص، و اتسعت ميادينها، فغطت ما كان يعتبر من خصوصيات غيرها، و لامست العلوم الاجتماعية و الفلسفة وعلم النفس...الأنثروبولوجيا و الأدب...[2]

إذا أريد للوصف اللساني للأسلوب أن يكون فعالاً، ينبغي أن يراعي بأن الأدب و إن كان يقوم على أساس المكونات اللّغوية، فله خصوصية تميزه من الوقائع اللسانية الأخرى، و لذلك فأي تحليل لساني خالص لا يمكن أن ينتهي إلاّ إلى إبراز الجوانب اللسانية وحدها، فإذا كانت نشأة دراسة الأسلوب من اللسانيات في الغالب، و من منطلقات أخرى أحيانًا، فإنه بلا ريب أن الأسلوبية هي دراسة للغة، و أن موضع النقاش الوحيد هو كيفية دراسة اللّغة الأدبية.

و علاقة اللسانيات بهذه الدراسة–الأدبية- ليست أمرًا يسيرًا،بالرغم من وجود منطقة مشتركة بينهما و بهذا تكون الأسلوبية المنطقة الفاصلة بينهما[3]. - ذلك أنّ علوم اللّغة اهتمت بما يقال، في حين انصبت بحوث الأسلوبية على كيفية ما يقال- فمن الركائز الأساسية لتحديد ما يتصل بعلم الأسلوب، محاولة حصر المجال الحيوي الذي تدور فيه الأسلوبية، و أهم مبدأ أصولي تستند إليه في تحديد حقلها- الأسلوبية- يقوم أساسًا على ركيزتين متكاملتين من ركائز التفكير اللّغوي: (ظاهرة اللّغة *Langage*،وظاهرة الكلام(*Parole*) فقد كان "سوسير"أول من أحكم استغلال هاتين الظاهرتين في دراسته، ثم جاء بعده اللّغويون فحللوهما وحددوهما بمصطلحات تتلون إلى حد كبير باتجاهاتهم الفكرية.

و قد كان هذا التمييز بين اللّغة كظاهرة لغوية مجردة توجد ضمنًا في كل خطاب بشري، و لا توجد أبدًا هيكلاً ماديا ملموسا، و الكلام باعتباره الظاهرة المجسدة للغة مساعدًا على تحديد الأسلوبية (إذ إنها لا يمكن أن

---

1 -ينظر، محمد فكري الجزار :لسانيات الاختلاف الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة ،إيتراك للطباعة و النشر والتوزيع ،ط2 2002 ،ص7.

2- منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية، ص 11.

3- نور الدين السد: الأسلوبية و تحليل الخطاب، ج1، ص 17.

تتصل إلاّ بالكلام)، و هو الجسر المادي الملموس الذي يأخذ أشكالاً مختلفة(1).

إنّ هذا التقابل بين اللفظ و اللّغة و الموازي و المتضمن بوجه من الوجوه لذلك التمييز بين السياق و الجدول، و الذي نشرته ألسنية "سوسير" يظهر في دروسه تحت تسمية "*Syntagme* " (أي سياق)، إلاّ أنه لم يستعمل " *Paradigme* " (أي جدول)، و قد استعمل بدلاً منهما بنفس المعنى مفهوم الترابط الذهني(2).

وعلى هذا فقد ارتبط الأسلوب ارتباطًا وثيقًا بالدراسات اللّغوية؛ فإذا كانت هذه الأخيرة تركز على "اللّغة" فإنّ الأول- الأسلوب- يركز على طريقة استخدامها و أدائها، لأن المتكلم (الكاتب) يستخدم اللّغة استخدامًا يقوم على الانتقاء و الاختيار،و على هذا الأساس فإنه يضاف إلى ثنائية "سوسير" "الدال و المدلول" (3)، ثنائية أخرى باعتبار الإشارة اللّغوية في نظره- " سوسير"- تقوم بدورها في التواصل كونها توجد ضمن مجموعة إشارات ترتبط فيما بينها بواسطة علاقات محددة، تتوزع على محورين أساسيين هما:

أ/ المحور النظمي:الذي تنتظم عليه الوحدات اللّغوية لتؤلف سلسلة معينة من الكلام في مقاطع، كلمات و جمل.

ب/ المحور الاستبدالي:الذي تنظم عليه العلاقات بين كل إشارة من مجموع الإشارات الموجودة في المرسلة الكلامية، و الأخرى التي تنتمي إلى اللّغة نفسها (و هي علاقات تربط في ذهن المتكلم و السامع بين الإشارات التي تنتمي إلى نمط واحد، و تقوم بوظيفة لغوية مشتركة)، و بالتالي فهي تستطيع أن تحل إحداهما محل الأخرى في سياق السلسلة الكلامية نفسها دون أن يطرأ خلل على نظامها النحوي.

و بناء على علاقات التمايز و المفارقة على المحور النظمي، و علاقات التنافر والتضاد على المحور الاستبدالي فإنّ اللسانيين على هذا التمييز يحددون " الخطاب الأدبي" بكونه يتميز بإسقاط مبدأ المساواة الموجود في محور الاستبدال (الذي تقوم عليه عملية الانتقاء) على محور النظم (الذي تتم فيه عملية التنسيق)(4).

فالربط بين الدرس الأسلوبي و اللساني من القضايا المسلم بها، نظرًا لما توصل إليه الدرس اللساني من خطوط واضحة، و أسس ثابتة، رغبةً في الإفادة منها، و لهذا جاء السؤال عن الأسلوب، و عن حقيقته و طبيعته و إمكانياته باعتباره ظاهرة دراسية يمكن تخصيصها بمباحث مستقلة(5) .

1- محمد عبد المطلب: البلاغة و الأسلوبية، ص 204.

2- دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرمادي ، محمد عجين،محمد الشاوش، الدار العربية للكتاب ليبيا ، ط1985 ص360-361.

3- موسى ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، دار الكندي للنشر و التوزيع الأردن، ط 2002، ص 9.

4- ينظر ،جورج مولينيه: الأسلوبية، ترجمه و قدم له بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط1 1999، ص 8- 10.

5- فيلي ساندريس: نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة خالد محمود جمعة، المطبعة العلمية دمشق ، ط1 2003، ص12.

ب -إشكالية الأسلوب:

إنّ الأسلوب نظام تؤدي اللّغة فيه وظائف مخصوصة، و لامتحان التماسك الداخلي لهذا التعريف، يمكن البحث عن الصحة فيه من خلال ملاحظات تتعلق بالخصائص الأسلوبية نفسها، و هذا التعريف يقوم على تعاكس المفاهيم.

فالمعروف هو أنّ اللّغة نظام و أنّ الأسلوب يؤدي بها إلى وظائف مخصوصة، فكيف صار ذلك كذلك [1] ؟.

فإذا كان النظام كما أقره "جون دوبوا" (*Jean Dubois*) في قاموس اللسانيات:« على أنه مجموعة من العناصر المتناسقة و المتداخلة » [2].

أو من القاموس الفرنسي" *Petit Larousse* ": « بأنه مجموعة من العناصر تحددها جملة من العلاقات التي تقيمها فيما بينها»[3] .

و إذا كان هذا هو النظام؛ فإنّه ينطبق على الأسلوبية أيضًا؛ ذلك أنّ الأسلوبية علم يدرس تناسق العناصر المؤلفة للكلام و تداخلها، و يبحث العلاقات القائمة بين هذه العناصر لتحديد وظائفها، و بهذا فالأسلوب ليس فوضى تنظمه اللّغة، و لكنه كلام به تتنظم اللّغة؛ غير أنّ مدعاة الالتباس هي أنّ الأسلوب نظام لا يمكن إدراكه إلاّ بإزاء نظام آخر هو: " النظام اللّغوي"[4].

و التعرض لقضية الأسلوب بوصفه مشكلة، ضرورية لابد منها لما له من حضور جليّ في معظم العلوم الفنية و العلمية و العامة؛ لذا فالدارسون و الأدباء لم يتفقوا على تحديد الإطار النظري للأسلوب، و لم يجمعوا على تعريف واحد؛ إذ بلغت تعريفاتهم له أكثر من ثلاثين تعريفًا، بحسب تعدد المذاهب الفنية، و الاتجاهات الأدبية، فهي لا تخص المجال اللساني فحسب[5].

و الدراسات الحديثة تتناول مفهوم الأسلوب من زوايا متعددة، في محاولة للوصول إلى مفهوم محدد يمكن على أساسه أن تقوم دراسة موسعة تستوعب أنواع الأداء في مستويات مختلفة، ويبدو أن الدراسة القديمة لم تغفل هذا الجانب (وإن كان تناوله محدودًا)[6] وكلمة أسلوب* في العربية مأخوذ من معنى "الطريق الممتد" أو السطر من النخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب ،والأسلوب الطريق والوجه والمذهب ،يقال أنتم في أسلوب

1- ينظر، منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية.ص 96- 98.

2 - Jean dubois et autres:dictionnaire de linguistique , libraire la rousse, France,1980,p 481.

3 -librairie la rousse paris,tom3,p446.

4- منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية، ص 98.

5- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة دمشق ،ط1 1989 ص 10.

6 - محمد عبد المطلب :البلاغة والأسلوبية ،ص 9.

* - فوجدت الكلمة مجالا طيبا في الدراسات القديمة خاصة في مباحث الإعجاز القرآني، التي استدعت بالضرورة ممن تعرضوا له أن يتفهموا مدلول الكلمة عند بحثهم المقارن بين أسلوب القرآن و غيره من أساليب العرب . محمد عبد المطلب : البلاغة و الأسلوبية،ص 10.

سوء، و يجمع على أساليب، والأسلوب الفن يقال: أخذ فلان في أساليب من القول: "أي أفانين منه" [1].

و بالتالي فإنّ النقاد العرب القدماء لم يعرفوا الأسلوب بشكله الحديث؛ لذا لم يفردوا له كتابًا مستقلا إنما عرفوه ببدائل(مدرسة الطبع و الصنعة، اللفظ و المعنى، عمود الشعر، نظرية النظم، السياق...)، و هي المدخل إلى علم الأسلوب عند العرب[2].

و لقد جاء في الموسوعة الفرنسية "*la rousse* " أنّه يمكن استخلاص معنيين لكلمة "أسلوب" ووظيفتين: فمرة تشير هذه الكلمة إلى نظام الوسائل و القواعد المعمول بها، أو المخترعة و التي تستخدم في مؤلف من المؤلفات، و تحدد خصوصية و سمة مميزة، فامتلاك الأسلوب فضيلة.

و تعني كلمة أسلوب " *Stylos*" في الإغريقية (عمودًا)، و الجذر اللّغوي له في اللغات الأوربية المعروفة هو " *Stilus* "، و تعني (الريشة)، ثم انتقل عن طريق المجاز إلى مفهومات تتعلق كلها بطريقة الكتابة، و لكنه ظل ينصرف إلى الخواص البلاغية المتعلقة بالكلام (كما ورد في قاموس أكسفورد" *Oxford* ".[3] و ينظر إليه كوجه لجماليات التعبير الأدبي، أي بمعزل عن اللّغة العامية، تلك اللّغة البسيطة التي لا تتجاوز كونها أداةً للإيصال، في حين أن آخرين ينظرون إليها على أنها منتجة للمعنى.

و يراه بعضهم بأنه الاختيار الواعي لأدوات التعبير، و تبحث فئة أخرى عن تحديد القوى الغامضة التي تكون اللّغة في اللاشعور[4]، و يمكن رد الخلافات النظرية حول تعريف الأسلوب إلى مبادئ ثلاثة:

أولها: أنّ الذين ركزوا على العلاقة بين المنشئ و النص راح يلتمس مفاتيح الأسلوب في شخصية المنشئ، و انعكاس ذلك في اختياراته حال ممارسته للإبداع الفني و بذلك رأى أنّ الأسلوب "اختيار".

ثانيا: أنّ من اهتم بالعلاقة بين النص و المتلقي، التمس مفاتيح الأسلوب في ردود الأفعال و الاستجابات (التي يبديها المتلقي أو السامع)، و من ثم يكون الأسلوب قوة ضاغطة على حساسية المتلقي.

ثالثا: أنصار الموضوعية في البحث أصروا على عزل طرفي عملية الاتصال (المنشئ و المتلقي) إذ رأوا وجوب التماس مفاتيح الأسلوب في وصف النص لغويا.

و ما اختلافاتهم إلا من منطلق الزاوية التي يستفتح بها وصف النص، فمنهم من قال بأنه انحراف عن نمط، و منهم من رأى بأنه إضافات إلى تعبير محايد، و منهم من رأى أنه خواص منظمة في السمات اللّغوية تتنوع بتنوع البنية و السياق[5].

و هذا الفصل بين" المخاطِب، المخاطَب، الِخطاب"هو فصل بديهي يعمد إليه في البحث و التحليل، باعتباره

1- ينظر ، ابن منظور: لسان العرب المحيط، قدم له عبد الله العلايلي، دار الجيل بيروت، ج3،ط 1988 ، مادة(س.ل.ب) .

2- محمد عزام : الأسلوبية منهجا نقديا، ص 145.

3- المرجع نفسه، ص 9.

4- بيير جيرو: الأسلوب و الأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي لبنان، (د-ت)، ص 7.

5 - سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب القاهرة،ط3، ص 45.

معينًا على استشفاف تحديد الأسلوب في ماهيته و مقوماته،مع عدم الغفلة عن التفاعل العضوي القائم في عملية الخطاب و أنّ العناصر الثلاث تكون مثلثا لا يكتمل بنقصان إحدى العناصر[1].

و في خضم هذه التحليلات بدأ مفهوم الأسلوب يتحدد و يتسع في الوقت الذي بدأت فيه الدراسة تأخذ شكلاً منظما؛ جعل بعضهم يعطيها اسم "الأسلوبية"، لكن مضمون كلمة أسلوب واسع جدا، و هو عندما يخضع للتحليل يتناثر غبارًا من المفاهيم المستقلة، هذه الدراسات تقوم على قواعد مشتركة باسم الأسلوبية، يجمع بينها أنها تعمل في ميادين، ووفق مناهج واضحة، فأصبحت هذه الكلمة تعطي مجموعة من الطرق المتميزة التي لا ترى الأسلوب إلا من خلال مظاهر خاصة، و بعضها لا يتناول إلاّ الإطار، على حين بعضها الآخر هجر هذا المصطلح لأنه أخذ يميل نحو الاختلاط أكثر فأكثر؛ لأن الأمر مرتبط بمفهوم الأسلوب نفسه و بتطوره التاريخي[2].

و المشكلة الأساسية ترجع في قسم كبير منها إلى الوضع العام المفترض للأسلوب، من حيث تداخله بين علمي اللّغة و الأدب، لأن الغرض الأسلوبي في حقيقته في المجالين، و هذا التقابل في مفهوم الأسلوب بين العلمين السابقين يعني:

- تحليل الأسلوب بمناهج اللسانيات و أسسها من ناحية.
- تحليله بمناهج الأدب و أسسه من ناحية أخرى[3].

و لهذا سيعالج في الصفحات الموالية الأسلوب بوصفه مشكلة رئيسية، و المتمثل في العلاقة الرأسية بين "الأسلوب و الأسلوبية". فما الدور الذي كان يؤديه مصطلح الأسلوب في القرن العشرين بعد ظهور مصطلح " الأسلوبية" و تجاورهما معا؟.

إنّ هذا السؤال يقود إلى طبيعة الدراسات الأسلوبية ذاتها، و أول ما يلاحظ عليها هو سيادة الترعة العلمية الصارمة، محاكاة لـ "علم اللّغة"[4]، ما دامت الأسلوبية قد نشأت في حضنها- علم اللّغة- لكنها تختلف عن اللّغة في كونها ترشدنا إلى اختيار ما يجب أخذه من هذه المادة للتوصل إلى التأثير في المتلقي، فالأسلوبية هي البحث في الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب[5].

إذن من الضروري تحديد المادة الكلامية التي تدور حولها الدراسة الأسلوبية (كلام مستمر و انتقاء مستوى ذي أسلوب معين) لكي يصلح للدراسة الأسلوبية.

من هذه الزاوية وجدت الأسلوبية نفسها تعود إلى الأسلوب كي يساعدها على التصنيف بين مستويات الكلام

---

[1]- عبد السلام المسدي: الأسلوب و الأسلوبية،ص 79- 80.
[2]- ينظر ،بيير جيرو: الأسلوب و الأسلوبية، ص 5- 7.
[3]- فيلي ساندريس : نحو نظرية أسلوبية لسانية، ص 19.
[4]- أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث، ص 19.
[5]- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 11.

المختلفة، و هو دور قد يتشابه مع الدور القديم الذي كان يقوم به علم الأسلوب مع البلاغة، لكن الفرق الرئيسي أنّ الدور القديم كان معياريا- إن صح التعبير- فبعد أن حددنا العلاقة الرأسية بين المصطلحين بقي أن نحدد العلاقة الأفقية بينهما، (و العلاقة الأفقية في معناها رصد العلاقات بين مجموعة من النقاط المتجاورة) فالدائرة التي تغطيها دائرة الأسلوب أوسع و أشمل من تلك التي تغطيها كلمة الأسلوبية، فقد دخل مصطلح الأسلوب في الدراسات البلاغية و النقدية، سواء، باعتباره نظاما و قواعد عامة كما كان في منهج الدراسات الكلاسيكية، و التي تسعى إلى إيجاد المبادئ العامة لطبقة من طبقات الأسلوب، أو للتعبير في جنس أدبي معين، أم باعتباره خصائص فردية كما تتجه المدارس الحديثة الوصفية على اختلاف بينها؛ إذ كانت هذه دائرة الأسلوب، فإن الدائرة التي تحتلها الأسلوبية أضيق بكثير؛ لأنها تعني: " الوصول إلى وصف و تقييم علمي محدد لجماليات التعبير في مجال الدراسات الأدبية و اللّغوية على نحو خاص"،و تبقى الإشارة إلى أن ظهور مصطلح "الأسلوبية" لم يُلغ مصطلح "الأسلوب"؛ إنما تحددت للمصطلح القديم دائرة و وظيفة في إطار المصطلح الجديد.(1)

و توضح هذه الفكرة ماهية العلاقة بين كل منهما، فلعلم الأسلوب جانب نظري و آخر تطبيقي (شأنه في ذلك شأن الفروع العلمية الأخرى)، إلا أنّ السائد عمومًا هو استعمال مصطلح الأسلوبية للإشارة إلى الجانبين معا، من غير أي تفريق بينهما، و على الرغم من أن هذا الاستعمال عام ولا يغير شيئا من مضمون الاصطلاح، إلا أن نظرية الأسلوب تستعمل للإشارة إلى علم الأسلوب اللّغوي العام، و تستعمل الأسلوبية للإشارة إلى كل من علم القواعد التطبيقية للأسلوب، و علم الرسائل الأسلوبية(المعيارية منها و الوصفية).

وعليه فكل منهما يشترط الآخر؛ لأنّ الظواهر الأسلوبية الحقيقية هي الأساس في اكتمال بناء النظرية في النهاية، ولأنها لا تستطيع أن تصف قدرًا من المواد اللّغوية المجمعة وغير المتجانسة من غير أساسٍ نظري يعتمد عليه(2).

لقد سبق القول إن تحديد الأسلوب يقتضي على الأقل توا شجا إجرائيا مع الأسلوبية، وإن كانت ثمة دراسات تناولت تحديدات الأسلوب بمعزل عن تحديد الأسلوبية، فمن الجلي أنها سقطت في التكرار، أو أنها أضفت غموضا على تلك التحديدات من حيث أرادت الكشف عنها، وعملية المواشجة بينهما هي عملية اختزال وتجنب التكرار وعملية تبسيط للمشكلات التي يثيرها تحديد الأسلوب لتستجيلها الأسلوبية والعكس صحيح(3).

---

[1]- ينظر، أحمد درويش: الأسلوب بين المعاصرة و التراث، ص 19- 20.

[2]- فيلي سا ند ريس: نحو نظرية لسانية أسلوبية، ص 20.

[3]- حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ص 22.

ج- تـــــاريخ الأسلــــــوبيـــة:

إذا كانت البلاغة تدرس الأسلوب بمعيارية نقدية، فإنّ الأسلوبية تطمح لأن تكون علمية تقريرية، تصف الوقائع و تصنفها بشكل موضوعي و منهجي، و هذا ما جعلها تتجاوز البلاغة -إن صح التعبير-[1].

و "فور سيستر" (1846م) لا يراها إلاّ هكذا،[2] و يذهب الدارسون إلى أنها بدأت عام 1875م، حين أطلق بوفون " درجا بلنتس" هذا المصطلح على دراسته الأسلوب عبر الانزياحات اللّغوية و البلاغيـــة في الكتابـــة الأدبية، أو هي ما يفضله الكاتب من الكلمات و التراكيب [3].

و يذهب آخرون إلى أن مولد "علم الأسلوب" فيما أعلنه الفرنسي" جوستاف كويرتينغ" في عام 1886م في قوله: « إنّ علم الأسلوب الفرنسي ميدانه شبه مهجور تماما حتى الآن، فوضعوا الرسائل يقتـــصرون فيهـــا على تصنيـــف وقائع الأسلوب التي تلفت أنـــظارهم طبقا للمناهج التقليدية...» [4].

و قد شق التيار الأسلوبي في النقد الأدبي طريقه منذ القرن العشرين بين شكوك متكاثفة خيمت على شـــرعية وجوده، دفعت به مدا و جزرًا : مرة إلى القواعد التعليمية القديمة، و أخرى إلى ضبابية الذوق الفني و الحـــس اللّغوي.[5] فظهورها في الـــقرن التاسع عشر لم يرق بها إلى معنى محدد، إلاّ في أوائل القرن العشرين، فكان هذا التحديد مرتبط بشكل وثيقٍ بأبحاث علم اللّغة،حتى ظهـــرت بـــوادر النهضـــة اللّغويـــة في الغـــرب فيمـــا يسمى"الفيلولوجيا" (*Philologie*) إذ أكدت الصلة بين المباحث اللّغوية و الآداب، و ظل الأمر كذلك إلى أن وضع" سوسير" أسس علم اللّغة الحديث[6]- و قد وضّح ذلك سابقا فيما يخص علاقة الأسلوبية باللسانيات-

ففي عام 1980م جزم "شارل بالي"(*Bally Charles*) [*](1865- 1943م) بأن علم الأســـلوب قـــد تأسست قواعده النهائية و يتمثل مفهوم علم الأسلوب عنده في مجموعة من عناصر اللّغة المؤثرة عاطفيا علـــى المستمع أو القارئ، و مهمة علم الأسلوب هي البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللّغة المنظمـــة، و الفاعليـــة المتبادلة بين العناصر التعبيرية، التي تتلاقى لتشكل نظام الوسائل اللّغوية المعبرة، و هو على هذا يدرس العناصـــر التعبيرية للغة المنظمة من وجهة نظر محتواها التأثيري و التعبيري، و صب هذه الأفكار في كتابيـــه(الأســـلوبية الفرنسية 1902م، و المجمل في الأسلوبية 1905م) الذين يعتبران اللبنة الأولى في صرح الأســـلوبية العلميـــة،

1- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 17.

2- عبد المنعم خفاجي: الأسلوبية و البيان العربي، ص 13.

3- محمد عزام : الأسلوبية منهجا نقديا، ص 17.

4- بيير جيرو: الأسلوب و الأسلوبية، ص 5.

5- محمد عزام : الأسلوبية منهجا نقديا، ص 17.

6- محمد عبد المطلب: البلاغة و الأسلوبية، ص 172.

* -لساني سويسري، ولد بجنيف و مات بها (1865- 1947م)، اختص في اليونانية و السنسكريتية، تتلمذ على يد سوسير، فاستهوته وجهة اللسانيات الوصفية، و عكف على دراسة الأسلوب في ضوئه، فأرسى قواعد الأسلوبية الأولى في العصر الحديث. عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص 241.

و فيهما أقام الأسلوبية على تعبيريـــة اللّغة.[1]

لكن الجهد الذي قدمه "بـــالي" تناوبت عليه روح الشك حتى أصبحت مباحثه موضع إشفاق بعد مقارنتها باختبارات الدراسة الحديثة، إذ ركزت على الجانب التأثيري و العاطفي في اللّغة، و جعل ذلك يشكل جـــوهر الأسلوب و محتواه، و هذه الالتفاتة تشكل مظهرًا بارزًا من مظاهر انفتاح الدراسة الأسلوبية علـــى الجانـــب التأثيري، إلاّ أنه لم يقصد به دراسة الأسلوب الأدبي، و بالتالي فهو لم ينقل علم الأسلوب إلى الأدب، و يبـــدو أن محاولته لاستئصال اللّغة الأدبية من ميدان الدراسة الأسلوبية، و استبعاده أدوات التعبير في اللّغة – بمفهومها العام- من ميدان الدراسة الأسلوبية كان من أكثر الأسباب التي أدت إلى معارضته، لأن مثل هـــذه الدراســـة تكون مزعزعة و غير عملية موجهة نظر منهجي(خاصة عندما يستخدم الفرد اللّغة بقصد جمالي)[2].

مهما يكن فإن "بـــالي" قد استدرك الجانب الذي أسقطه أستاذه " سوسير"؛ أي أنّ تشبيه النظام اللّغوي بقطعة الشطرنج وحده كفيل بأن يجعل المبتدئ في اللعبة يلاحظ أنه نسق بدون قلب، أي أنه نســـق يفتقـــد الجانب الوجداني، فهذا الجانب هو الذي بحث عنه.

و قد ساهمت المدرسة الفرنسية في إخماد جذوة المباحث التي قدمها "بالي" متعاونة مع أصحاب التيار الوضعي فقضي على هذه المباحث بالانزواء عن مجالات الدرس النقدي[3].

و من أبرزهم : "ماروزو" "*Jules Marouzeau* "، و "كراسو" " *M.Cresset*"   وعبر-"ماروزو"-عن أزمـــة الدراسات الأسلوبية التي تتذبذب بين موضوعية اللسانيات و نسبية الاستقراءات، فنادى بحـــق الأســـلوبية في شرعية الوجود ضمن أفنان الشجرة الألسنية العامة[4].

كما اعتمد كل من " رينيه ويليك" " *R.Wellk*" و "وارين" "*A.Warren* " على هذا النداء من بعـــده في كتابهما المشترك (النظرية الأدبية عام *1948*م) تجذير جدلية البحث لبناء أصولية المناهج النقدية، فأقام التحليل على مقارعة منهجية العلوم الإنسانية، و منها -الأدب- بمنـــهجيات العلـــوم الصـــحيحة، و انتـــهيا إلى أنّ « للدراسات الأدبية مناهجها النوعية، و هي مناهج موفقة، فإن لم تطابق غالبًا مناهج علوم الطبيعة، فإنهـــا لا تقلّ عنها عقلانية»[5].

---

[1]- محمد عزام : الأسلوبية منهجا نقديا، ص18.

[2]- ينظر، محمد عبد المطلب: البلاغة و الأسلوبية، ص 175، و موسى ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، ص10-11.

[3]- محمد العمري: البلاغة العربية أصولها و امتدادا تها، ص 22.

[4]- محمد عبد المنعم خفاجي: الأسلوبية و البيان العربي، ص 14.

[5]- عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب ، ص 28.

لكن هذا الشطط العقلاني في منهج البحث استفزّ بدوره ردود فعـــل مضـــادة مـــن طـــرف "ليوســـبيتزر" (*L.Spitzer*) [*]عام (1887- 1960م)، إذ طوّر النظرة إلى الأسلوب و إمكانية الإفـــادة منـــه في دراســـة النصوص الأدبية، و بخاصة ذلك الجسر الذي أقامه بين دراسة اللّغة و دراسة الأدب، و أسس الأسلوب المثالية فأحدث اثر ذلك تحولاً أساسيا و جوهريا في الإفادة من اللّغة، في دراسة النصوص الأدبية[1].

و دراسة الأسلوب الفردي للأديب، من خلال اعتـــماده على الكشف عن ملامح لغويـــة تشـــكل ظـــاهرة أسلوبية[2]، إنّ أسلوبيته تبحث عن روح المؤلف في لغته، و من هنا اتسمت أسلوبيته بالمزج بين ما هو لســـاني و نفسي ، و يستند منهجه في التحليل الأسلوبي إلى التذوق الشخصي[3]، و من هنا يمكـــن نعـــت منهجـــه بالانطباعية، فكل قواعده العملية منها و النظرية قد أغرقت في ذاتية التحليل، و قالت بنسبية التعليل.

و مع الستينات من القرن العشرين، اطمئن الباحثون إلى علم الأسلوب، و تحول المخاض من جدلية الوضعية و المثالية، إلى ثنائية الممارسة و التنظير[4]، حيث انعقدت ندوة في جامعة "أنديانا" (أمريكا) ،حضـــرها أبـــرز علماء اللّغة، و نقاد الأدب، ومحورها "الدراسات الأسلوبية"،و من بينهم "رومان جاكوبســـون" (*Roman Jakobson*)[*] الذي ألقى فيها محاضرته حول:"اللسانيات والإنشائية" فبشر يومها بسلامة بناء الجسر الواصل بين اللســـانيات و الأدب.

و في عام 1965م ازداد الألسنيون اطمئنانًا إلى ثراء البحوث الأسلوبية، و اقتناعًـــا بمســـتقبل حصـــيلتها الموضوعية، و ذلك عندما أصدر "تودوروف"(*Tzveton Todorov*) أعمال الشـــكليين الـــروس مترجمـــة إلى الفرنسية[5]. -و التي تعد من أهم روافد الدرس اللّغوي و الأسلوبي، و سنعود إلى هذا فيما بعد إن شاء الله - ثم وُفّق في بلورة قواعد أصولية الإنشائية في مصنفه " الأدب و الدلالة" ، و قد اتخذ لبحثه محور العلائق التركيبية و العضوية، بين الأدب مضمونا و منطوقًا، و حاول رسم حدود فلسفة المنهج النقدي[6] (و يعتبر مـــن رواد البلاغة الجديدة في فرنسا على رأي " هنريش بليث"). و تأتي المدرسة الألمانية- بعد الحـــرب العالميـــة الأولى-

---

* - ليوسبيترز: قد بنى رؤيته هذه متأثرًا بآراء "كارل فوسلر- بيرغسون- غروس- فرويد"، كما أفاد من دراسات هذا الأخير خاصة في الاعتناء بالجوانب السيكولوجية للمبدع، و كان نتيجة ذلك أن قوى الجسر بين علمي اللّغة و الأدب، من خلال العناصر النفسية. موسى ربابعية: الأسلوبية مفاهيمها و تجلياها، ص 11.

1- موسى ربابعية : الأسلوبية ماهيتها و تجلياها، ص 11.

2- المرجع نفسه، ص 12.

3- حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ص 34-35 .

4- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 19.

* - ولد بموسكو سنة 1896م، اطلع على أعمال سوسير، و في سنة 1915م أسس بمعية ستة طلبة " النادي اللساني بموسكو"، و عنه تولدت مدرسة الشكليين الروس في سنة 1920، و هو النادي الذي احتضن مخاض المناهج البنيوية في صلب البحوث " الإنشائية و الصرفية" خاصة في بحوث وظائف الأصوات انظر عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص 245.

5- عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص23-24.

6- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 19.

لتؤدي دورًا خطيرًا في تطبيق المفاهيم اللّغوية على الأدب، و إن كانت في بدايتها ذات ميول رومانسية إلاّ أنها تحولت إلى الدراســة اللّغوية بصورة أساسية، و استطاع "كارل فوسلر"(*K-Vossler*) أن يطابق بين اللّغــة و الفن في دراسة تركيب الجملة لغويا، ودراسة الأدب كعملية فردية، (حيث أصبحت اللّغة عنده نوعا مــن الفن) ومفهوم اللّغة عنده طاقة و نشاط خلاّق.

و تتويجا لجهد المدرسة الألمانية يبارك " ستيفن أولمان"(*UllmannS.*)، استقرار الأسلوبية علمــا ألســنيا نقديا سنة 1969م قائلاً: « إنّ الأسلوبية اليوم هي أكثر أفنان الألسنية صرامة، على ما يعتري غائيات هــذا العلم الوليد و مناهجه و مصطلحاته من تردد، و لنا أن نتنبأ بما سيكون للبحوث الأسلوبية من فضل على النقد الأدبي و الألسنــية معًا »[1]، و في الثــاني من ديسمبر 1970م، تلــقى "ميشال فوكـــو" (*M.Foucault*) بفرنسا درسه الأول معنونا إياه "بسلطان الكلام" فيتعاطى فيه على عادته في بحوثه تحليلا أصوليا، تناول العلاقة التأسيسية الإجرائية القائمة بين الخطاب و الواقع، و يعمد إلى موارنة التفريع النوعي للفكر الفلسفي بالتقسيم الكيفي للواقع الكلامي، فينتهي إلى أنّ كلاً من فلسفة الذات الفاعلة و فلسفة التجربة المنشئة، و فلسفة القرائن الشاملة ترتبط بعالم الخطاب المخطوط منه و المقروء و المتبادل ارتباطا مائعا.

و في العام نفسه يصدر "ف. دي لوفر" (*F.Deloffre*) كتابه عن "الأسلوبية و الإنشائية في فرنسا"، فيــنقض فيه مبدأ البحث الأصولي في منهجية العمل الأسلوبي، معرضا عن تمثل قواعد الموازنة بين عقلانيــة المنـــهج في العلوم الصحيحة و عفوية الاستقراء في حقول العلوم الإنسانية، و مسلما بداهة، و مصادرة بما قبلية المنهج في كل بحث أسلوبي[2].

فهذا المخاض الذي عرفته دراسة الأسلوب سواء في صلب المدارس اللسانية منها و النقدية، أو في معزل عن هذه و تلك هو الذي فجر بعض مسالك البحث الحديث، وأخصب بعضها الآخر، فأما الذي تفجر فهو " البويتيقة" (أو البويطيقة) الجديدة، و أما الذي ازداد بهذا الجدل و المخاض ثراء و خصبًا فهو علم العلامات " *La Sémiologie* "، إذ امتدت بينه و بين النقد الأدبي أسباب متكاثفة تجسم شبكتها اليوم نزعة في النقد و التحليل، اصطلحت على نفسها بـــ"عالمية الأدب" ، (*Sémitique littéraire*)، وقد حمل ريادتها في المدرسة الفرنسية"قريماس"(*A.J. Greimas*)[3].

و على هذا فإنهم جعلوا لدراسة الرمز علما خاصا (*Sémiotiques*)، لذلك انعكس هذا كله في دراسات النقاد الشكليين، برزت فيها أهمية التحليل اللّغوي الذي قام على أساس من التمييز الواضح بين لغة العلم و لغة الأدب[4].

1- محمد عبد المطلب: البلاغة و الأسلوبية، ص 23- 24.

2 -محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 20.

3 - المسدي :الأسلوبية و الأسلوب ،ص25.

4- سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 28.

كما يوضح هذه المسألة " هينريش بليث" و هو بصدد تبيين أهمية هذا التحليل:« لقد اعترف منظرون محدثون مثل "تودوروف" (...) و غيرهم بدقة فن العبارة القديم"*élocution*". و أسلوبية الانزياح و حاولوا إدماجها اعتمادًا على اللسانيات البنوية. كانت النماذج المحصلة بهذه الطريقة أحيانًا أكثر تماسكا من البلاغة الكلاسيكية غير أنها بخلاف الأخيرة تتخلى بشكل يكاد يكون تاما عن التوجه التداولي ويحاول النموذج الذي سنقترحه تطوير النتائج التي توصل إليها هؤلاء الباحثون، و تحسينها بل و تصحيحها إذا اقتضى الحال»[1] .

ولقد صادفت الأسلوبية نجاحًا كبيرًا مع المدرسة الإسبانية على يد " داماسو ألونسو"(*Damas Alonso*)، و كان مرتكز المدرسة تطويع وجهتي نظر المدرستين الألمانية و الفرنسية، فمن وجهة نظر أولى تعد امتدادًا للمثالية الألمانية، حتى اتخذت الحدس مرتكزًا أساسيا في التحليل الأسلوبي، و من وجهة أخرى ارتكزت على المبادئ السوسيرية بتعديلات معينة[2]، و الدراسة الأسلوبية عند "ألونسو" تمثل دراسة كل شيء يبرز خصوصية العمل الأدبي، مع الاهتمام بالناحية السطحية لخدمة المضمون، الذي يتعلق بالمعنى و التأثير، و قد تبنى أهمية العلاقة بين (الرامز و المرموز إليه) من خلال التركيب الصوتي للكلمة، لا تركيبها المقطعي فحسب و ليس المرموز له ما يتصل بالمعنى فقط؛ بل هو تركيب من عناصر معنوية و تأثيرية و خيالية (أو كل التيار المعقد الذي يمكن توصيله عند الكلام)، أما الرامز فهو يتسع لتصبح القصيدة كلها رمزًا أدبيا.

وربما أهمية البحث الأسلوبي عنده تتمثل في وضوح الكيفية التي يبني بها ذلك الجسر بين المرموز له و الرامز هو في حالة التكوين[3].

ج- ما بين البلاغة و الأسلوبية:

في مفترق هذا المخاض التاريخي يبدو أنّه من المشروع أن تستوقف الأسلوبية نفسها في ضرب من الاستبطان الذاتي؛ و ذلك بالاتجاه إلى البحث في أسس التفكير الأسلوبي من حيث منطلقاته النظرية، و من حيث تشكلاته العملية، و ليس الحل في إتباع هذا الاستبطان النظري؛ إذ كلما ساءل العلم نفسه تحتم الامتثال إلى قواعد التفكير الأصولي وأبرزها اثنتان:

- **أولهما**: ألاّ يخلط البحث بين نظريات المعرفة التي تستند إليها مادة علمه.
- **وثانيهما**: ألاّ ينجر صاحبه و هو يبحث عن فلسفة لعلمه إلى تسلسل دائري يخصب العقل التجريدي، و بالتالي التصور الفلسفي المحض، و هو يخص العلم ذاته.[4]

فالإقرار الأصولي المتكاثف في السنوات الماضية لئن كاد يشمل مجالات البحث اللساني، فإنه خلا من محاولات الكشف عن قضايا "التحديد" في بعدها الفني المحض. و للعلة نفسها لا يكون بناء أصولية ما، سليما

1- هينريش بليث: البلاغة و الأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص،ترجمة و تعليق: محمد العمري إفريقيا الشرق المغرب، ط 1999،ص65.

2- حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ص 27.

3- ينظر، محمد عبد المطلب: البلاغة و الأسلوبية، ص 178- 179.

4- ينظر،عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص 26- 27.

إلاّ إذا أقيم أسّه على تلك القواعد[1].

هذا بالإضافة إلى أنّ فحص النص الأدبي بالطرق الأسلوبية التقليدية، أو بوسائل الأسلوبيات الموسعة، أو بالاسترشاد بمقولات اللسانيات و استمداد نماذجها إنما يتطلب التمكن من أدوات التحليل اللساني على مستوياته: " الصوتية، الصرفية، النحوية، والدلالية " [2]، وهذا قد أدى إلى إحداث مفارقة ما بين البلاغة باعتبارها علما لسانيا قديما، و الأسلوبية باعتبارها علما لسانيا حديثا؛ و من هنا يصبح الاختلاف اختلافا منهجيا. فالعلوم اللسانية القديمة التي سارت البلاغة في هديها، كانت تنظر إلى اللّغة بوصفها منطوية على ثبات حقيقي، بينما العلوم اللسانية الحديثة تنظر إلى اللّغة بوصفها متغيرة و متطورة؛ و إن كان ثمة ثبات معين فإنه ينظر إليه بوصفة ضرورة منهجية تلجأ إليه اللسانيات خاصة[3]. واتجاه اللسانيين إلى إحداث هذه المفارقة المنهجية بين مصطلحي الوصفية و المعيارية- و قد ذكرنا هذا في المدخل- دفعهم إلى الحكم على البلاغة بالمعيارية-كما كان الشأن في النحو- فتجعل وجهتها إصدار الأحكام، و تحديد الأنماط، وتقييم القول على حسب الشرائط و المعايير. فإنّ البحث الأسلوبي يعتمد على المنهج الوصفي، كما يهتم بتفسير الإبداع بعد تجسيده في أدائه اللّغوي، و من ثم البلاغة تسبق الإبداع بتحديد مواصفاته و تحاكمه-بعد أن يوجد- على حسب تحقق تلك المواضعات.

فبالإضافة إلى تجاوز الأسلوب المعايير الثابتة؛ إذ إنه يبحث عن ظواهر أدائية في سياقات معينة، وما لتلك التنظيمات من سمات فنية، ويشترط ألاّ يخلط بين ظاهرة في عصرٍ وبين سواها في عصرٍ آخر[4].

على أنّ المنطلق المنهجي الذي تتأسس عليه الأسلوبية هو التمييز الواضح بين محورين، يعتبر الفصل المنهجي بينهما من أبرز إنجازات الفكر العلمي الحديث، خاصة في منظومة العلوم الإنسانية، و هما: المحور التاريخي (*Diachronique*)، و المحور الآني "التزامني" (*Synchronique*)، و الذي يسعى في تحليله للظواهر على جملة علاقاتها[5] و أبنيتها المشتركة، و انتظامها في نسق ديناميكي، و يبرز السياقات التي تنتجها و طريقة تكيفها معها من منظور علمي صحيح.

فهذا المحور الأول في مضمار المقارنات يعد مجسما للبعد الأفقي، إذ هو يترل مترلة العرض، ضمن الأبعاد الوجودية للأسلوبية، و يشده بعد ثان هو بمثابة الطول المخترق لزاوية العرض، و مداره تحديد الأسلوبية بمقارنتها بالبلاغة، و قوام مصادرتنا التي ننطلق منها؛ هو أنّ للأسلوبية واللسانيات أن تتواجدا، أما الأسلوبية و البلاغة، كمتصورين فكريين، فتمثلان شحنتين متنافرتين[6]- تحفظ إلى حين لأننا سندخل في علاقة

---

[1]- ينظر،عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب ، ص 32.

[2]- سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 17.

[3] -حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ص 18.

[4] -رجاء عيد: البحث الأسلوبي: معاصرة و تراث، ص 19.

[5]- ينظر: صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، دار الكتاب المصري القاهرة ط1 2004، ص 7-9.

[6]- عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص 51- 52.

الاستبدال و الوراثة- غير أن هذه المفارقة لا تعني المقاطعة النهائية بينهما، ذلك أنّ هناك بعض القضايا التي يمكن للأسلوبية أن تشترك فيها مع علم البلاغة، و بخاصة إذا تناولت الأسلوبية بالتحليل قضايا بلاغية في الخطاب الأدبي، تشكل علامات أسلوبية فيه[1].

فالحصيلة الأصولية في مقارعة البلاغة بالأسلوبية، تتلخص في أن منحى البلاغة متعالٍ؛ بينما تتجه الأسلوبية اتجاهًا اختياريا، معنى ذلك أن المحرك للتفكير البلاغي قديما يتم بتصور "ما هي" – تحفظ نسبي – بينما يتم التفكير الأسلوبي بالتصور الوجودي، لذلك اعتبرت الأسلوبية أن الأثر الفني معبر عن تجربة معيشة فردية[2].
وهناك من العناصر الجامعة بينهما؛ فإذا كانت البلاغة تعتمد على قوانين النحو و ما تتيحه من حرية و اختيار في العلاقات لتراعي مقتضى الحال، و أنّ الأسلوبية ليست إلاّ صورة متقدمة للبلاغة؛ حيث يظل النحو و قوانين اللّغة عمودًا فقريا جامعا، والبلاغة تقع موقعًا وسطا بين النحو و التراكيب التواضعية للكلام، و بين الأسلوبية التي صعدت من اندفاعها في الخروج عن الأصول[3] - و اعترف بهذا كثير من الباحثين: "محمد مفتاح"، و" تمام حسان" في كتابه "الأصول" ؛ إذ يعتبر البلاغة علاقة بين الأسلوب و المعنى-. فالأسلوبية تقفو ما يمكن التصرف فيه عند استعمال اللّغة، فالنحو ينفي، و الأسلوبية تثبت؛ معنى هذا أن هذه الأخيرة علم لساني يعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنوية لانتظام جهاز اللّغة[4].

و بناء على ما قيل سابقًا فلا يمكن إنكار تلك العلاقة بين البلاغة و الأسلوبية؛ إذ تتقلص هذه الأخيرة أحيانًا حتى لا تعدو أن تكون جزءًا من نموذج التواصل البلاغي، و تنفصل أحيانًا عن هذا النموذج، وتتسع حتى تكاد تمثل البلاغة كلها، باعتبارها بلاغة مختزلة.[5]
ويرقى هدف الأسلوبيون إلى تتريل الأسلوبية مترله المنهج الذي يمكن القارئ من إدراك انتظام خصائص الأسلوب الفني إدراكًا نقديا، مع الوعي بما تحققه تلك الخصائص من غايات و وظائفية؛ فهي علم تحليلي تجريدي يرمي إدراك الموضوعية في حقلٍ إنساني عبر منهج يكشف البصمات التي تجعل السلوك اللساني ذا مفارقات عمودية.[6]

يبقى أنّ الأسلوبية علم يرقى بموضوعه، أو هو يعلو عليه لكي يحيله إلى درسٍ علمي، و لولا ذلك لما حازت الأسلوبية على هذه الصفة، و لما تعددت مدارسها و مذاهبها، و في مجملها تمثل صلة اللسانيات بالأدب[7]، بيد أنها لا تعني القطيعة الكاملة مع التراث البلاغي.

---

[1]- نور الدين السد: الأسلوبية و تحليل الخطاب، ج1، ص 29.
[2]- المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص 54.
[3]- أحمد الشامية: في اللّغة دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللّغوية، دار البلاغ للنشر و التوزيع، ط1 2002، ص 133.
[4]- المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص 56.
[5]- هنريش بليث: البلاغة و الأسلوبية، ص 19.
[6]- نور الدين السد: الأسلوبية و تحليل الخطاب، ج1، ص 15.
[7]- منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية، ص 29.

وباستبطان المحركات التي حددت نقاط التقاطع، و نقاط التماس بين حقلي البلاغة و الأسلوبية، و بتتبع منهج التاريخية، ويتبين أنّ الأسلوبية وليدة البلاغة و وريثتها، و تجاوز لها في الوقت نفسه، فهي نفي لها و امتداد في آن واحد، و هي بمثابة حبل التواصل و خط القطيعة[1].

I - الاتجاهـــات الأسلوبيـــة:

إنّ البنويـــة ثمرة نتاج معرفي، و حصيلة تراكم ثقافي، كانت تعمل داخل منظومة الفكر الغربي، في الوقت الذي أنجز فيه العلم ثورة في المنهج و طرائق البحث، و أزاح الإيديولوجيات عن المعرفة العلمية؛ الأمر الـــذي أسفر عن عداء المنهج البنوي الواضح -إن صح التعبير- لكل منفعة أو فلسفة أو إيديولوجية، (بل إنّ البنويـــة تزهر عند نهاية الإيديولوجيات)، و لم تعد الفلسفة سوى استراتيجية تتلخص مهمتها في النقد، الثامن عشـــر للميلاد حركة أدت بالاشتراك مع الرومانسية إلى تدمير أطر البلاغة، و هذه الحركة ارتبطت بثورة لها أصـــول قديمة، و منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا لم تنته دورتها بعد- عند الغرب- فما دامت البلاغة تعبير عن ثقافـــة و ليست مجرد كشكول بسيط من القواعد؛ فلابد للفكرة التي نحملها عن الإبداع الأدبي و اللّغة أن تتغير، كما تغيرت الفكرة عند الإنسان و المجتمع، فالقرن الثامن عشر حدد الحدود- بشكل مائع و عائم- بـــين رؤيـــتين للعالم: " وجودية و جوهرية"[2].

إنّ انتقال البلاغة من المعيارية إلى الوصفية و من القاعدة إلى الظاهرة لا يتبع النموذج العلمي المعترف به في الدراسات الإنسانية كلها فحسب؛ و إنما يتبع أيضا نوعا من الضرورة المعرفية التي تتسق مع طبيعة التحول الحضاري في العصر الحديث، و على إثر هذا أصبحت القواعد المتحكمة في الأدب و أنظمته هـــدفًا مســـتمرا ينقضه المبدعون، و يجربون بدلا من إمكانياتهم الخلاقة في ابتكار " أنظمتهم الجديدة"، فأصبح المبـــدعون هـــم المشرعون لمبادئهم[3].

فهذه النظرة كانت نقطة الانعطاف التي غيرت منحى البلاغة، إذ أخذت بحوثها تنمو منذ نهاية عقد الخمسينيات حتى الآن، عبر ثلاثة آفاق متجاورة و متـــتالية، و إن كانت متباينة في أهدافها و برامجها[4].

و لا تـــتعلق هذه الآفاق بالاتجاهات الداخلية للدراسات البلاغية الجديدة فحسب؛ و إنما تمثـــل طرائـــق مختلفة في منـــظور التجديد و أدواتـــه المنهجية، فولد مصطلح " البلاغة الجديـــدة" [*] عـــام *1958* م، عرفت هذه المدرسة فيما بعد بمدرسة "بروكسل"، و تفرعت إلى تيارات عديدة متخالفة حتى انتهت في آخر

1- محمد عزام: الأسلوبية منهجًا نقديا، ص 41.

2- بيير جيرو: الأسلوب و الأسلوبية، ص 20.

3- صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، ص 149.

4- صلاح فضل،: الأسلوب مبادئه وإجراءا ته ، ص 95.

*- إذ ظهرت في عنوان أحد الكتب الشهيرة التي وضعها المفكر البولوني " بلجيك" بيرلمان تحت اسم مقال في البرهان " البلاغة الجديدة". صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، ص 95.

عقد الثمانينات إلى ما يطلـــق عليه "أزمة الشكلانية"، و يلاحظ على مبادئها أنها تدور حول وظيفة "اللّغـــة التواصلية"، وأنها ليست منبتّة الصلة بالتقاليد البلاغية الكلاسيكية.

أما التيار الثاني في البلاغة الجديدة قد نشأ في منتصف الستينات من هذا القرن، و امتد مشروعه خـــلال العقدين التاليين، و لم تكن له علاقة تذكر ببلاغة "بيريلمان" (*Pérelman*)المنطقية؛ بل إنه في بعض النواحي يعمل في الاتجاه المضاد له و لمدرسة "بروكسل"، وقد ولدت هذه لبلاغة في حضن البنوية النقدية ذات النزوع الشكلاني الواضح، و تتمثل جدتها في أنها تقوم في مقابل التقاليد المدرسية للبلاغة الفيلولوجية التي تمثلها جماعة ممن أطلق عليهم "البلاغيون الجدد" (معظمهم في فرنسا أمثال: « "جيرار جنيت"،"جان كوهين" "تودوروف" جماعة "م" أو "جماعة ليجا" ». و يلتقون في كثير من مبادئهم، و إنجازاتهم بمثلى الدراسات المجازية و اللّغوية في الثقافة الإنجليزية ، و الأمريكية على اختلاف المناهج و الغايات.[1]

و على هذا فالمذهب الشكلي (*Forma Criticisme*) يكاد أن يكون أقرب المذاهب النقدية إلى روح العلم – في تلك الفترة- و لقد كان من أهم الاتجاهات التي نبهت إلى دراسة لغة النص و مهدت بـــذلك لإثـــارة اهتمام علماء اللّغة الخلص بقضية الأسلوب، وإقامة جسر ما بين اللّغة ودراسة الأدب[2].

و يأتي الاتجاه الثالث لتحليل الخطاب "بمنهج وظيفي" مجاوزا للاتجاه البنوي، و معتمدا على السيميولوجيا من ناحية، والتداولية من ناحية أخرى، و قد تحول إليه في نهاية السبعينات بعض أنصار التيار الثاني، و التقى هـــذا التيار الوظيفي ببحوث تحليل الخطاب من منظور وظيفي تداولي لغوي، و أخذ يصـــب بشـــكل مكثـــف في اتجاهات علم النص[3] - و في مقام لاحق حديث عن الاتجاه الوظيفي بالتفصيل-.

ما دام قد ذكر النص؛ فإنه ليس مدركا معطى دفعة واحدة و بشكل نهائي، إنه مدرك بالممارســـة لأنهـــا إنجازه، و هو مستمر بها لأنها سفينته إلى الدوام قراءةً و تفسيرًا " و تأويلاً"، فالأسلوبية في دراستها لا تعني بـــه من حيث هو جوهر ثابت، فلا تدعي الإحاطة به فهما؛ لكنها تعمل على توسيع فهمه[4]، و لا يمكن للأسلوبية أن تكون لا على مستوى الدلالة، و لا على مستوى الموقف بحثا في الكلمة: " صوتا، شكلاً و دلالة فقـــط"، كما لا يمكن لها البحث في الجملة؛ فتصنفها و تقسمها إلى: فعلية و اسمية، و تنظر في تركيب هـــذه و تلـــك (كما هو في نحو الجملة التقليدي) –وهذا يعني تجاوز نحو الجملة إلى نحو نصي ، كما سنرى عند "تمام حسان" لاحقا – وهذا يعني أن الأسلوبية محتاجة إلى رؤية شمولية بها تدرس أجزاء الخطاب "كلمات وجمل"،وبها تحيـــل هذه الأجزاء وتخرجها من نظامها الخاص إلى نظام الخطاب، وبالتالي لابد للأسلوبية أن تتحـــول إلى دراســـة النص، واعتباره الوحدة التركيبية والدلالية التي تنتظم فيها وحدات أصغر على مستوى اللّغة، أو على مستوى

[1]- صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، ص96.

[2]- سعد مصلوح : الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ، ص 27- 28.

[3]- ينظر، صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص ، ص 96.

[4]- منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية، ص 43.

الجملة وهي حين تتحول إلى دراسة النص تستطيع أن تستفيد بشكل أعمق من كل الدراسات العلمية "اللسانية خاصة".

وما دامت الأسلوبية هي الدرس العلمي للغة الخطاب؛ فإنها أيضا موقف من الخطاب و لغته، و هذا ما جعل الدرس الأسلوبي متعدد المذاهب و النظريات و المدارس التي استفادت من الدرس اللساني الذي سنه "سوسير"، فمنها :" أسلوبية التعبير، أسلوبية الفرد، المثالية، التكوينية،البنوية، الإحصائية، الصوتية و أخيرًا الوظيفية"[1]، و في هذا البحث سنتناول بالدراسة كلاًّ من: " أسلوبية التعبير، الأسلوبية، الفردية،الأسلوبية البنوية، الأسلوبية الوظيفية".

أولا- الأسلوبيـــــة التعبيريـــة(الوصفيـــــة):

و أشهر من مثلها "شارل بـــالي" مؤسس علم الأسلوب ، و من مميزات هذا الاتجاه أنه يدرس العلاقة بين الصيغ و الفكر(علاقة الشكل مع التفكير)، و هي تتناسب مع تفكير القدماء، و هي لا تخرج عن نطاق اللّغة و لا تتعدى وقائعها، و يعتد فيها بالأبنية اللّغوية و وظائفها داخل اللّغة، فهي وصفية بحتة[2].

و هكذا تصبح أسلوبية التعبير دراسة لقيم تعبيرية و انطباعية خاصة بمختلف وسائل التعبير التي في حوزة اللّغة، و ترتبط هذه القيم بوجود متغيرات أسلوبية؛ أي أنها ترتبط بأشكال مختلفة للتعبير عن فكرة واحدة (و هـذا يعني وجود مترادفات للتعبير عن وجه خاص من أوجه الايصال)[3]. - و هذا ما عبر عنـه "تمـام حسـان" و البلاغيين العرب القدماء: أن الوجه البلاغي هو التعبير عن فكرة واحدة بمبانٍ مختلفة؛ أي تعدد المباني للمعنى الواحد-

و يلاحظ هنا نوع من التداخل و التخارج بين الأسلوبية و البنوية؛ على اعتبار أن الأولى اشتقت مـن الفكر اللّغوي و الأدبي، متأثرة بذات الاتجاهات التي ساهمت في تشكيل البنوية، و بالتالي فهناك نوعًا من الترابط بين الألسنية من ناحية و اتجاهات دراسة الأساليب التعبيرية من ناحية ثانية، على أنه من الظريف أنّ" بالي" كان يعني بالمظهر اللّغوي للأسلوب خارج نطاق الأدب و يركز على الجانب العاطفي في تشـكيل سمـات مميـزة للأساليب اللّغوية[4].

و قد عرّف "بـالي" موضوع الأسلوبية بأنها: « ...تدرس الأسلوبية وقائع التعبير اللّغوي، مـن ناحيـة مضامينها الوجدانية؛ (أي أنها تدرس وقائع التعبير اللّغوي من ناحية مضامينها الوجدانية)، أي أنها تدرس تعبير الوقائع للحساسية المعبر عنها لغويا، كما تدرس فعل الوقائع اللّغوية على الحساسية»[5].

1- منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية ، ص 73- 74.

2- ينظر، محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص، 77 ، و بيير جيرو: الأسلوب و الأسلوبية، ص 32.

3- بيير جيرو: المرجع نفسه، ص 34.

4- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، ط1 ، ص 105.

5- بيير جيرو: الأسلوب و الأسلوبية، ص 34.

و الملاحظ أن "بالي" رغب عن التقسيم المألوف عن للظاهرة الكلامية، ويصنف الواقع اللّغوي تصـــنيفا آخر؛ إذ يرى الخطاب نوعين:"ما هو حامل لذاته غير مشحون البنية، و ما هو حامل للعواطف والخلجـــات" وتبعا لذلك حدد حقل الأسلوبية بظواهر تعبير الكلام، وفعل ظواهر الكلام على الحساسية(1).

و ذاك المضمون هو الذي تنبغي دراسته عبر العبارة اللّغوية(مفردات و تراكيب) دون بحث خصوصيات المتكلم؛ لأنها من اختصاص البحث الأدبي و الأسلوبي لا الأسلوبية، التي هي جزء من الدراسة الألسنية العامة، كما غض النظر عن استخدام المؤلف للقيم التعبيرية و لا يتساءل عن خواص الشخصيات و المواقف أو إيقاع العمل الأدبي(2). إذ يعده –الأسلوب- واحدا من علوم اللّغة كعلم الأصوات، التراكيب و الصيغ. فـــدعا إلى عدول علم اللّغة عن المنهج التاريخي و اعتماد التلقائية الطبيعية المتكلمة - و هذا عين المنهج الوصفي لاعتمـــاد الآنيـــــــة-

و يكون بهذا قد خالف بعض مقولات الأسلوبيين الألمان الذي يعدون الأسلوب: بأنه الخصائص التي تميز لغة ما، إذا كانت اهتماماتهم تنحصر في تحديد السمات اللّغوية العامة، و رأى بالي « أن هذه السمات العامة بعيدة عن واقع الاستعمال اللّغوي».

و موضوع علم الأسلوب: هو تلك المقارنة بين العناصر الفكرية في اللّغة التي يتوصل إليها بالملاحظة الخارجية، و العناصر الوجدانية التي يتوصل إليها بالملاحظة الداخلية ، فــ "بالي" ينظر للاتجاه الذي يبدأ بالمعنى بحثا عـــن الصيغ الخارجية التي تؤديه(3).

و معدن الأسلوبية حسب "بالي" ما يقوم في اللّغة من وسائل تعبيرية تبرز المفارقات العاطفية و الإراديـــة و الجمالية، حتى الاجتماعية و النفسية، فهي تكشف أولا في اللّغة الشائعة التلقائية قبل أن تبرز في الأثر الفني(4).

و على هذا فقد أسس النظرية الأسلوبية على اعتبارات جوهرية هي:

1/ جعل اللّغة مادة التحليل الأسلوبي و ليس الكلام، أي الاستعمال الخارجي بين الناس، لا اللّغة الأدبيـــــة (مخالفا في ذلك أستاذه الذي تجاوز القيمة التعبيرية الكامنة في الأنساق اللّغوية) بعيدا عن ملابسات انجازها.

2/ إن اللّغة حدث اجتماعي صرف، يتحقق بصفة كاملة و واضحة في اللّغة اليومية.

3/ يعتبر أن كل فعل لغوي فعل مركب، تمتزج فيه متطلبات العقل بدواعي العاطفة، بل إن الشحنة العاطفيـــة أبين في الفعل اللّغوي و أظهر(5).

1- عبد السلام المسدي:الأسلوبية والأسلوب،ص40-41.

2- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 78__ 80.

3- نور الدين السد:الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ص61.

4- عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص 41.

5- حمادي صمود: الوجه و القفا في تلازم التراث و الحداثة، دار شوقي للنشر، ط2 1997، ص 80 -83.

و باعتبار الكلام الأدبي مجموعة من الجمل لها وحدها المميزة، و لها قواعدها و نحوها و دلالتها[*] و الأسلوبيون يتعاملون مع الجملة كتعاملهم مع النص بأجمله؛ لأنها قابلة للوصف على مستوياتها المتعددة و التحليل الصوتي يقوم أساسا على إدراك الخصائص الصوتية في اللّغة العادية، ثم ينتقل من ذلك إلى تلك التي تنحرف عن النمط العادي، باستخلاص سماتها، التي تؤثر بشكل واضح في الأسلوب (لأن النطق و الصوت يمكن أن يكونا ذا طبيعة انفعالية). أما التراكيب؛ فالأسلوبية ترى فيه عنصرًا ذا حساسية في تحديد الخصائص التي تربطه بمبدع معين، لأنها تعطيه من الخصائص ما يميزه عن غيره، أما بالنسبة للناحية الدلالية؛ فالأسلوبية تتجه إلى الألفاظ باعتبارها ممثلة لجوهر المعنى؛ فاختيار المبدع لألفاظه يتم في ضوء إدراكه لطبيعة اللفظة، و تأثير ذلك على الفكرة، كما يتم في ضوء تجاوز ألفاظ بعينها تستدعيها هذه المجاورة أو طبيعة الفكرة[1] -و هذا ما يثبت تلازم الفكر (المعنى) و اللفظ، و هما أساس المنهج الوصفي الوظيفي، و التي لم يغفلها التراث البلاغي العربي، كما رأينا في عدة مواضع سابقة-.

و الباحثون العرب قد اهتموا بأسلوبية "شارل بالي"، فترجموا جزءًا من أعماله و لخصوا بعضها و حاولوا تحديد اتجاهه في البحث الأسلوبي، و منهجه في درس الأسلوب، و تحديد خصائصه[2].

هذا الاستقراء العاجل يدفع إلى القول بأن مجال الأسلوبية يمكنه من تجاوز ما عرفته البلاغة من حقول، ذلك أن في نظريته من الدعائم التي تجعلها مواكبة للتفكير الأسلوبي الحديث؛ و لو بحث عن القيم الإخبارية في الحدث اللّغوي و صهرت لوجدت أبعادًا ثلاثة: " البعد الدلالي، البعد التعبيري، البعد التأثيري"، و هذا ما دفع أتباع "بالي" أمثال:" كروسو" إلى تحويل مفهوم التعبيرية إلى مفهوم الجمالية[3]. ثم يبرز "جيرو:" (*Guirauo*) هذا الازدواج الوظيفي مطابقا بين مجال العمل الأسلوبي، و محتوى التفكير البلاغي القديم[*]، ليتناظر مجال الأسلوبية بحقل دلالي واسع يستقطب مفهوما ثلاثيا قائما على (الجمالية، الأدبية، الوظيفية) و هو ما حاول كل من "ولييك" و" وارين" تأسيسه على ركائز أصولية في كتابهما "نظرية الأدب". كما ركز فيما بعد "كروسو"و "ماروزو"،على دراسة الاتجاه التعبيري، إذ انتهوا إلى نقد لاستعمال الكلمات و تراكيب الجمل، في حين كان "بالي" يعتبر أن وسائل التعبير هي غير الأسلوب الشخصي، كما درس "أولمان ستيفن" (*s.ullmann*)الفعل الماضي في المسرح الفرنسي[4]،ومن مميزات أسلوبية التعبير و خصائصها ما يلي:

---

[*] - إذ أنه ينبغي التمييز بين التأثيرات الطبيعية و التأثيرات الإيحائية الإشارية للكلمات؛ فالأولى لازمة لنوعية الأصوات و مجال دراستها الصوتيات و الصرف (حيث تحلل العلاقة بين الصوت و المعنى و بين صيغ الكلمات و دلالتها) من جانب آخر / أما الإيحائية فمجالها الدراسات الدلالية الأسلوبية. ينظر، محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 84.

[1]- ينظر،محمد عبد المطلب: البلاغة و الأسلوبية، ص 306- 307.

[2]- نور الدين السد: :الأسلوبية وتحليل الخطاب ،ص 62.

[3]- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 89-90.

[4]- المرجع نفسه، ص 89- 90.

- إنّ أسلوبية التعبير دراسة علاقات الشكل مع التفكير (أي الفكر عموما، و هي تتناسب مع تعبير القدماء).
- لا تخرج عن إطار اللّغة، أو عن الحدث اللساني المعتبر لنفسه.
- و تنظر إلى البنى و وظائفها داخل النظام اللّغوي، و بهذا تعتبر وصفية.
- إن أسلوبية التعبير أسلوبية للأثر، و تتعلق بعلم الدلالة، أو بدراسة المعاني[1].

الملاحظ أن الاتجاه البنوي للأسلوبية يحمل بعض ملامح الوظيفية خاصة في العنصر المتعلق بالنظر إلى البنى ووظائفها،و إن دل هذا إنما يدل على عدم الفصل القاطع بين كل ما هو بنوي و وظيفي، لأن الوظيفي أساسا ينطلق مما هو بنوي بجامع البنية و النسق، إضافة إلى تفرد الوظيفية بالغوص في عمق البنى، زيادة إلى البعد الثقافي الواسع، إذ لا تلغ في غالب الأحيان السياق الثقافي...- و لم تكن الشكلانية الروسية بمنأى عن النسق، فأي محاولة لتأطير هذه المدرسة في سياق ثقافي أوسع، ينبغي أن يراعي ثلاثة تطورات مرتبطة ارتباطا حميما،و أن إحدى هذه التطورات هو النزوع إلى التحليل البنوي في الدراسة الأدبية[2].

و هكذا استقلت الأسلوبية مع بالي مقطعًا عموديا على كل مستويات الاستعمال في لغة واحدة، من مجموعة لسانية واحدة؛ غير أن رواد علم الأسلوب حتى أتباع بالي أنفسهم سرعان ما نبذوا هذا التقسيم العمودي، فعزلوا الأسلوبية عن الخطاب الإخباري الصرف، و قصروا عليها الخطاب الفني، إذ لا ينفك الواقع اللساني يفسر بأنّ الأسلوبية إنما هي وريث البلاغة[3]. وهذا ما مهد لظهور اتجاه أسلوبي جديد و هو:

ثانيا- الأسلوبية الفردية (التكوينية،أسلوبية الكاتب):

يعتبر هذا التيار المرحلة الحاسمة في تأسيس أسلوبية أدبية تتخذ من النص الراقي موضوعًا، و تنفذ من بنيته اللّغوية و ملامحه الأسلوبية إلى باطن صاحبه و مجامع روحه، لهذا تعتبر منعرجا حادا بالقياس إلى مرحلة البدايات مع عالم الأسلوب"شارل بالي".

و على هذا يمكن اعتبار انفجارها كردة فعل على الأسلوبية التعبيرية. و هي في الواقع نقد للأسلوب، و دراسة لعلاقات التعبير مع الفرد أو المجتمع الذي أنشأها و استغلها، و هي بهذا تكون "دراسة تكوينية"، و ليست معيارية أو تقديرية فقط، كما تهتم بالأسباب و لهذا كانت أسلوبية "للأسباب" و تنتسب إلى النقد الأدبي ، وممثلها البارز " ليو سبيتزر"(*Leo' Spitzer*)(*) (1887-1960م) ، و بفضله تطورت النظرة إلى علم الأسلوب و إمكانية الإفادة منه في دراسة النصوص الأدبية، حيث أقام جسرا بين الدراسات اللّغوية و الأدبية، و أسس الأسلوبية المثالية.

---

[1]- منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية، ص 44.

[2]- فيكتور إيرليخ: الشكلانية الروسية، ترجمة الولي محمد، المركز الثقافي العربي، ط1 2000، ص 166.

[3]- عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب، ص 42.

* - نمساوي النشأة ألماني التكوين عاش ما بين (1886-1960م) من علماء اللسانيات ونقاد الأدب من مؤلفاته "دراسات في الأسلوب والأسلوبية والنقد الأدبي". عبد السلام المسدي :الأسلوبية والأسلوب ، ص 248 .

و يكون بذلك قد أحدثت تحولاً أساسيا و جوهريًا في الإفادة من اللّغة في دراسة الأسـلوب الفـردي للأديب؛ من خلال اعتمـاده على الكشف عن ملمح (ملامح لغويـة تشكل ظـاهرة أسلوبية)[1].

و ترصد أسلوبيته علاقات التعبير بالمؤلف، ليدخل من هذه العلاقة في بحث الأسباب الـتي يتوجـه بموجبـها الأسلوب وجهة خاصة، و أنّ أسلوبيته تبحث عن روح المؤلف في لغته، و من هنا اتسمت بالمزج بين ما هـو نفسي، و ما هو لساني؛ بيد أنّه كان يصدم بحكمة فلاسفة العصور الوسطى؛ و المتمثلة في عدم إمكانية وصف ما هو شخصي، لكن تأملاته حول هذه القضية قادته إلى اكتشاف التوازي الذي يمكن ملاحظته بين الانحرافات الأسلوبية عن المنهج القياسي، و بين التحول الذي يحدث في نفسية عصر معين، فهو يبحث عن قاسم مشترك أعظم بين الانحرافات الأسلوبية، أو أنه يبحث عن الأصل الاشتقاقي الروحي أو الجذر النفسـي، و إنّ تعـبير "الأصل الاشتقاقي" يكشف عن مرجعيته في استلهام اللسانيات، و حاول تطبيقها على المستوى الأسلوبي.

و ما يمكن ملاحظته: أن "سبيتزر" يبدأ باللّغة لينـتهي بالنفس مستكشفة عبر اللّغة أسلوبها الذي يترشح عنـه وضع نفسي معين[2]، بالإضافة إلى هذا فإنه قد بنى أسلوبيته على مرتكزات عدة:

أولـها: أنّ النقد يجب أن ينطلق من العمل الأدبي نفسه، و **الآخر** أنّ الأسلوبية يجب أن تكون نقدًا قائمًا على التعاطف مع العمل، و أطرافه الأخرى.

و تحليله الأسلوبي يقوم على تحليل أحد ملامح اللّغة في النص الأدبي، و أنّ عملية التحول إلى الأثر الأدبي تكون من خلال الحدس القائم على الموهبة و الدربة و التجربة، و يبقى أن السمة المميزة للأسلوبية تكون عبارة عن تفريغ أسلوبي فردي، أو هي طريقة خاصة في الكلام[3].

فاتجاهه قائم على الذوق الشخصي مع الحرص على أن يعكس المثيرات التي تصل من النص إلى القـارئ، فالدائرة الفيلولوجية مكونة من: (ملاحظة منعزلة يهتدي إليها القارئ بفطنته،ثم يتبعها قناعة بأنّ هذه الظاهرة المنعزلة يكمن فيها الأسلوب، و هي تمثل روح العمل الأدبي في شموليته، مع ضرورة وجود ملامـح أسـلوبية أخرى في النص تدعم هذه المراحل).

و بهذه الفكرة يصبح"سبيتزر" داعية للتفسير الأسلوبي المنبثق من الجزء و المنطبق على الكـل (باعتبـار النصوص الأدبية وحدات متفردة متجانسة)، أضاف مبدءًا آخر و هو ضرورة تعبير الأسلوب عن روح الكاتب و كوامنه[4].

فاعتبار الأسلوب ملمحا جوهريا للشخصية ذائعة متداولة،منذ أن شاعت عبارة بوفون الشهيرة:« الأسلوب هو الشخص نفسه » فكان أوفق- "سبيتزر"-النقاد الذين حاولوا عقد علاقة سببية بين نفسية المؤلف وأسلوبه.

---

1 - موسى ربابعة : الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها ، ص 11-12.

2- حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ص 34- 35.

3-موسى ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، ص 12.

4- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 92__ 94.

واللافت للانتباه أن" سبيتزر" بقدر ا أخذ في إنضاج منهجه، كان بـذالك يبتعـد بالتـدرج عـن موقفـه السيكولوجي الذي يسيطر عليه في الدراسات الأولى، وأنه تفطن إلى أن "المحور السيكولوجي"غير قابل للتطبيق العلمي على المراحل الماضية، ثم وصل إلى نتيجة مفادها:أن علم الأسلوب النفسي التحليلي ليس سوى شـكل خاص مما يطلق عليه خدعة الترجمة[*].

وبهذه الطريقة فإنه هجر المنهج السيكولوجي لصالح "المنظور البنوي"والذي يخضع التحليل الأسلوبي لتفسير العمل الفني باعتباره جهازا شعريا مركبا له حقوقه الخاصة دون اللجوء لعلم النفس (مما يجعل تصوّره شـديد القرب من وجهة النظر الوظيفية كما سنرى فيما بعد[1]،وكان يرى ضرورة تصرف عالم اللّغة تصـرفا حـرا بالمواد والأدوات، التي يوفرها له العلم العقلاني، من أجل إنشاء علاقة شخصية بالأدب الأمر الذي اعتنقه مـن بعد أشد النقاد البنويين شكلانية[2].

"فسبيتزر" قام بمحاولة جادة مبكرة لربط علم اللّغة بتاريخ الأدب، و هو مبدأ جوهري في علم الأسلوب - إن صح التعبير-إذ دفعوا هو و رفاقه بالدراسات الأسلوبية خطوات إلى الأمام و كانت لهم وقفات لامعة في المفاهيم الأدبية؛ بالإضافة إلى عقليتهم الحديثة و نزعتهم الإنسانية يصعب توفيقها مع الملاحظة المنظمة الدقيقة و التحديد اللازم للبحث العلمي[3].

و لا يفوت التذكير بأن"سبيـتزر" يلتـقي مع دعاة النـقد الحـديث مثـل"باشـلار"، "جـون بـيير"، "ريتـشارد"..." و آخريـن؛ إذ درسوا بنـية الكتـابة انطـلاقًا مـن المـزاج و الحريـة و الاعتبـارات الشخصية[4]، والمبادئ الأساسية لأسلوبية" سبيتزر" بهذا الاستقصاء هي:

- تركيز البحث على الأنظمة التعبيرية التي يضيفها المبدعون إلى لغتهم الخاصة (يعني هذا أنّ الأسلوبية تهـتم بالعبارة، و لا تهتم بالتخاطب و التواصل كما كان شأنها في الاتجاه السابق).
- لا تستمد الظواهر الشكلية في الأثر الأدبي تبريرها من ارتباطها بروح كاتبها فحسب؛ و إنما يبرر وجودهـا أيضًا روح الجماعة التي ينتمي إليها- و هنا يلتقي مع الاتجاه الوظيفي.
- اللّغة بتجلياتها المختلفة؛ ليست إلاّ الوجه الظاهر لشكل عميق باطن تربط بينهما وشائج لا تنقطع... إلى غير ذلك من المبادئ[5].

---

[*] -لأن التراسل بين العمل(الجانب الحيوي، والعمل الأدبي يسهم دائما في تكوين العناصر الجمالية للأدب .صلاح فضل:علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته،ص196.

[1] - صلاح فضل:علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته،ص195-197.

[2] -محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا،ص 78.

[3] -المرجع نفسه، ص 109.

[4] -نور الدين السد: الأسلوبية و تحليل الخطاب، ص 78.

[5] - ينظر، حمادي صمود: الوجه و القفا في تلازم التراث و الحداثة، ص 106ــ 108.

و فيما يلي نجمل خصائص و مميزات أسلوبية الفرد بصفة عامة:

- هي في الواقع نقد للأسلوب، و دراسات لعلاقات التعبير مع الفرد، أو مع المجتمع.

- يمكن اعتبارها دراسة تكوينية و ليست معيارية و لا تقريرية.

- إذا كانت أسلوبية "التعبير" تدرس الحدث اللساني المعتبر لنفسه، فإنّ أسلوبية الفرد تدرس هذا التعبير نفسه إزاء المتكلمين.

و لكن مع هذا فإنّ أسلوبية التعبير تلتقي مع أسلوبية الفرد؛ في كونهما تنظران إلى النص بحثًا عن البنى اللّغوية و وظائفها داخل النظام اللغو، ثم إنهما تقومان على إبراز دور العلاقات التي تربط بين الشكل اللّغوي و التعبير الوجداني المتضمن فيه (إذ إنّ التعبيرية لا تتجاوز حيز اللّغة؛ من حيث هي حدث لساني لخطاب نفعي[1]،فإنّه من الخطأ إغفال إنجازاتهم، و على الخصوص تلك التي تقترب من تحقيق الشروط العلمية للوصف اللّغوي و النقدي السليم؛ إذ يعثر في إنجازاتهم على حرارة نقدية كثيرًا ما تفتقد في التحليلات البنوية، إلاّ أنّ الاتجاهين يحاولان معًا الاقتراب من خواص العمل الأدبي، باكتشاف مظهر مميز فيه عند الأسلوبيين، ورصد بنيته الداخلية المتكونة في اللّغة عند البنويين[2].

أما الباحثون العرب- المحدثون- فإنهم أشاروا في مجال حديثهم عن الاتجاهات الأسلوبية إلى "الأسلوبية النفسية"، و هي تعنى بمضمون الرسالة و نسيجها اللّغوي، مع مراعاتها مكونات الحدث الأدبي، الذي هو نتيجة لإنجاز الإنسان، و الكلام و الفن،واعتقدوا بذاتية الأسلوب و فرديته، لذلك اتجه إلى دراسة العلاقة بين وسائل التعبير والفرد، دون إغفال علاقتها بالجماعة[3] .

ثالثا- الأسلوبية البنوية:

لقد أشار" سوسير" في محاضراته إلى أهمية الفصل بين "اللّغة"من حيث هي نظام مستقر، و بين اللّغة من حيث هي تعبير لغوي[4]، كما كانت فكرته عن اللّغة بوصفها منظومة "*Système*" تتألف من عناصر لا توصف بحد ذاتها؛ بل من خلال تقابلها ،مع عناصر أخرى، باعثا لنشوء البنوية(*)"***Structuralisme***"مع أن" سوسير" لم يستعمل مصطلح البنية "***Structure***"[5] ، و من ثم أخذ العلماء ينظرون إلى اللّغة على أنها بنية أو نظام « عناصره المختلفة يعتمد بعضها على بعض، و وجود هذا النظام مهم بالنسبة لفهم كل تغير لغوي،

---

[1]- منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية، ص 45.

[2]- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 109- 110.

[3]- نور الدين السد: الأسلوبية و تحليل الخطاب، ص 67.

[4]محمود السعران: علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية بيروت لبنان ،(د.ت)، ص 341.

*- من الناحية اللّغوية فإنّ البنية هي البناء و الجمع أَبْنِيَة و أبنيات ، و البِنية والبُنية ما بنيته و هو البني و البنى ، وكأن البنية التي يبنى عليها مثل المِشية ، والبنى بالضم مقصور مثل البِنى ، يقال بنية و بنية و بنى بكسر الباء أي الفطرة ، وأبنيت الرجل : أعطيته بناء ، أو ما تبنى به داره . ابن منظور : لسان العرب المحيط ، مادة (ب . ن.ي) .

[5]- أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر دمشق سوريا، ط 1996، ص 20.

و اللّغة من حيث هي لغة، و الدور الذي تقوم به في المجتمع»[1].

قد غدت - البنية- صاحبة الجلالة و السيادة، و لهذا فإنها ليست مجرد تعبير عن ذلك الكل الذي لا يمكن رده إلى مجموع أجزائه؛ بل هي تعبير عن ضرورة النظر إلى "الموضوع"، على أنه نظام أو نسق [*]، حتى يكون في الإمكان إدراكه أو التوصل إلى معرفته، مع الاعتقاد بأنّ النسق أعم من البنية،
(و النسق البنوي مظهر من مظاهر النسق العام)؛ إذ قد يكون النسق مغلقًا أو مفتوحًا كما هو الشأن بالنسبة إلى المناهج النقدية« كالسيميائيات و التأويليات المعاصرة» فالبنوية تملك تصورًا معينًا للنسق، لا يرقى إلى درجة الإطلاق، و مهما يكن فإنّ" سوسير" كان أكثر اللسانيين شغفا بالنسق.
حيث كان يبحث عن تحديده طوال حياته، فمن الصعب تصور النسق اللساني خارج إطار الكلية و الانسجام، و هذا المصطلح "النسق" هو موطن الجدة في نظريته، بل كاد يمثل المحور الجوهري (فاللسان عنده نسق لا يعرف إلاّ طبيعة نظامه الخاص، و هي نسق سيميائي يقوم على اعتباطية العلامات)، و لا قيمة للأجــزاء إلاّ ضــمن الكل، و قد جاراه الكثير من البنويين في هذا الشغف، حتى أطلق "فوكو" علــيهم اســم "جيــل النســق"[2]

فمذ اتكأت البحوث الحديثة على مصطلح البنية، واكتشف به التنظيم الداخلي للوحدات و طبيعة علاقاتهــا و تفاعلها؛ لذا لم يعد من الممكن التخلي عنه في الفكر الحديث، على أنّ مفهوم البنية يقدم في تحليل الخطــاب عونا أساسيا لأمرين:

- **أولهما:** يسعفن في التخلص من الارتباط بالوحدات الجزئية للقول، باعتبارها مجلى العناصر البلاغية، و لأنّ مفهوم البنية ذو طابع تجريدي؛ فهو أكثر علمية و أشد قابلية للالتقاط على مستويات عديدة، كونها تتدرج من الأبنية الصغرى إلى الكبرى، حتى تصل إلى النص كله باعتباره بنية - و هذا ما قيل سابقًا فيما يخص مشروعية العلاقة بين الدراسات اللسانية و الأسلوبية، إذا احتضنت الأولى بحوث الثانية -. و هذا الطابع الذي تتسم به البنية يجعل موضوع المعرفة العلمية للأدب متسقا مع بقية العلوم الإنسانية.

- **و الأمر الثــاني:** الذي جعله محوريا في التحليل البلاغي للخطاب، هو أنه يكفل الخروج من مأزق حقيقي لم تستطع إليه البلاغة القديمة و لا الكلاسيكية المحدثة أن تتجاوزه- إن صحّ التعبير- فربما هذا السبب يعــود لاستحالة إبعاد النمط أو النسق أو القالب اللّغوي باعتباره النموذج المستقر، و الذي تنطلق منه عملية التحليل وصولاً إلى المعنى؛ إن لم نقل في علاقة تفاعل وظيفي بينهما- و هو اعتبار الأشكال زخرفا و زينة تضاف إلى القول لتحسينه، لكن البنية – على حد تعبيرهم- تثبت أصالة النموذج التعبيري، في إنتاج الدلالــة الأدبيــة،

---

[1]- محمود السعران: علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، ص 342.

[*]- النسق: هو تلك العلاقة التي تربط بين العناصر اللسانية و مستوياتها، و يربط بعضها ببعض، و أي اختلال في هذه العلاقة بين العناصر يفقد النسق توازنه، و قد يشكل كل مستوى نسقا داخل النسق العام للسان، و يرادف مصطلح-النسق- هنا مصطلح التضايف "*Corrélation*" أو مصطلح البنية. أحمد اليوسف: سلطة البنية و وهم المحايثة، ص121.

[2]- ينظر، أحمد اليوسف: المرجع نفسه، ص 117ــــ 119.

و انبثاقه من طبيعة التكوين الداخلي لوحداته، مما يستحيل معه إزالته، دون نقض هذا التكوين ذاتــه (فهــي بذلك تلغي المسافة الوهمية الفاصلة بين ما كان يعد تعبيرًا أصليًا مباشرًا و ما يعد تعبيرًا شعريا مجملاً [1].

هذا إضافة إلى الأصول النظرية و المنهجية العامة للمنهج البنوي؛ إذ إنّ أصول البنوية عامة، و الأمريكية -خاصة- والتي استلهمها كثير من اللسانيين الوصفيين العرب- تقوم على إبعاد المعــنى في عمليــة التحليــل اللساني، و يرفض كثير من الأمريكيين كل حديث عن الوظيفة كما هو الحال عند "بلومفيلد" و "هاريس" و "هوكيت"[2] على سبيل التمثيل لا الحصر.[تبقى إذن فكرة الاعتماد المطلق على البنية محل شك؛ لأنّ القضية تعود إلى إشكالية المبنى و المعنى، أو الشكل و المضمون، أو الشكل و الوظيفة، فتراثنا العربي — البلاغي خاصة- لم يكن همه المبنى فقط، بل لنا من الدلائل ما يكفي على عدم تجريد البنية من مضمونها، فمصطلح "الصياغة" و "النظــم" لحجة تحجم كل قول، و حتى النحاة أنفسهم قد ميزوا بين مستويين: مستوى الأداء و المســتوى الفني. حتى أنّ مصطلح "البنــية" الحديثة قد أثار ثورة الاتجاهات الأكثر دينامية و وظيفية، كالمدرسة التحويلية التوليدية، و المدرسة الشكلية الروسية، و توجت بمدرسة براغ الوظيفية- و سيتبن ذلك فيما بعد-

و استنادًا إلى الأصول النظرية للبنوية، فلا تستطيع اللسانيات الحديثة أن تفوت على نفسها فرصة طــرح الأسلوب، و لهذا استخدمت مصلح " البنية"، لكي تظهر أنّ القيمة الأسلوبية للإشارة تتعلق بمكانهــا ضــمن النظام؛ بينما تنتسب كل إشارة من الإشارات إلى بنيتين:

- الأولى: بنية القانون، و هي تحدد مكان الإشارة ضمن الفئة الاستبدالية.
- الثانية: و هي بنية الرسالة، و تحتل الإشارة فيها موقعا(تركيبيا) محددا.

فهناك نموذجين كبــيرين للقضايا، أمّا الأول فيتعلق بدراسة شكل الإشارة إزاء النص، أما الثاني فيتعلق بالنظام الذي ولدها[3].

و نعود لمصطلح "البنية" لنجد أنّه يثير بعض الإيحاءات التي يتفق عليها عامة الباحثين، و منها مــثلاً: أنّ البنية عبارة عن مجموعة متشابكة من العلاقات، و أنّ هذه الأخيرة تتوقف فيها الأجزاء، أو العناصر على بعضها من ناحية، و على علاقتها بالكل من ناحية أخرى[4].

"فالأسلوبية البنوية" و استنادًا إلى ما سبق تعني تحليل النصوص الأدبية بعلاقات التكامل و التناقض بــين الوحدات اللّغوية المكونة للنص، و بالدلالات الإيحائية التي تنمو بشكل متناغم كما عبر عنها "مارسيل كروزو" تنغيم "أوركسترالي" في كتابــه " الأسلوب و تقنياته"؛ و هي تتضمن بعدًا ألسنيا قائما على علمي المعاني و الصرف و علم التراكيب، لكن دون الالتزام الصارم بالقواعد، و لذلك فهي تدرس ابتكار المعاني النابع من

1- ينظر، صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، ص 163- 165.

2 - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية ،مطبعة فضاللة،ط1998،ص 183.

3- بيير جيرو: الأسلوب و الأسلوبية، ص 74.

4- صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، مؤسسة مختار للنشر و التوزيع القاهرة ،ط1 1992،ص 180.

مناخ العبارات المتضمنة للمفردات.

أما توظيف التحليل الأسلوبي لعلم التراكيب، فيبدو من خلال ما يتفاعل بين اللّغة المدروسة وعلم التراكيب، و ذلك يتحقق تبعًا لنسقين:

1/ فمن خلال التراكيب يمكن الكشف عن القواعد العامة الموجودة في سائر اللغات؛ ومن ثم الكشف عن مميزاتها، و ما تشترك فيه مع بقية اللغات من خصائص و سمات أسلوبية.

2/ الألسنية لا تستطيع تغيير أية لغة؛ إنما تستطيع تطويرها من خلال التراكيب و رفدها بمقومات جديدة(و في هذا المجال تقدم الألسنية معطيات هامة لعلم النفس الاجتماعي، و لعلم النفس العام).

و بما أنّ الأسلوبية البنوية تعنى بوظائف اللّغة (حلقة الاتصال)، فإنّ الخطاب الأدبي في منظورها نص يضطلع بدور إبلاغي، و لحمل غايات محددة، و ينطلق التحليل من وحدات بنوية ذات مردود أسلوبي[1]، وهذا المنحى الأخير يطفو على اتجاه "جاكبسون"(*R. Jakobson*) [1*] ؛ إذ جعله منطلق دراسته ، و تبنى محور عدم الفصل بين المنهجين التاريخي و الوصفي- عكس" سوسير"- وأن بينهما علاقة تكامل لا تقابل . و من هنا جاء تأكيده على العلاقة بين علم اللّغة و العلوم الأخرى، كما ركز على مبدأ تطبيق التحليل اللّغوي على الشعر (و تحليله يعتمد على وجود أشكال متكررة تساعده في التأكيد على نظريته)[2]،و التحليل النصي لدى "جاكبسون" يتناول جانبين في النص الأدبي:

أ- هندسة القصيدة (تحديد المقاطع الشعرية ، المفردات ، التراكيب...)

ب- الجانب الدلالي: علاقة الكلمات مع بعضها، أثر العلاقة.

و أخيرًا تفاعل الشكلي و الدلالي في وحدة جدلية لوجود علاقة مستمرة [3]

و يعد "مايكل ريفاتار"(*M.Riffaterre*)[2*] من أبرز من ساهم في تأصيل " الأسلوبية البنوية"، و تعتبر محاولاته جهدًا بارزًا لتجاوزه الإشكال النظري و الإجرائي الذي طرحه التفكير في الشروط الموضوعية التي يقتضيها التحول بالمنهج البنوي من مستوى اللّغة إلى مستوى الكلام[4].

و يرى أنّ إنكار القيمة الأسلوبية لبنية من بنى النص أو ظاهرة من ظواهره، قد يدل على وجود تلك القيمة؛

---

[1]- نور الدين السد: الأسلوبية و تحليل الخطاب، ص 82.

[1*]- جاكبسون كان واحدًا من ثلاثة علماء الروس الذين أظهروا المعنى المحدد لكلمة " بنية" في عام 1928م، إثر تقديمهم لبحث تضمن الأصول الأولى للمنهج، ثم اتخاذهم هذا الأخير بوصفه أكثر صلاحية في الكشف عن قوانين بنية النظم اللّغوية و تطورها. رجاء عيد: البحث الأسلوبي معاصرة و تراث، ص 45.

[2]- ينظر، محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 113- 116.و رجاء عيد: البحث الأسلوبي معاصرة و تراث، ص 45- 46.

[3]- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا ، ص 142.

[2*]- أستاذ بجامعة كولومبيا، اختص بالدراسات الأسلوبية في مطلع العقد الخامس، و أبرز مؤلفاته: "محاولات في الأسلوبية البنوية". عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص 247.

[4] -حمادي صمود: الوجه و القفا في تلازم التراث و الحداثة، ص 115.

لذلك يخطأ من يتصور أنّ المحلل الأسلوبي مطالب بإقصاء كلمات من نوع القيمة، و القصد و الجمالية من مجال دراسته؛ فهو يستعملها و يوظفها لكن بوصفها دلالات و إشارات فقط « مظاهر الخروج في النص المتسببة في انفعال القارئ، و جزءًا من بنيته الأسلوبية[1].

و موضوع الدراسة الأسلوبية عنده هو النص الراقي، و المنطلقات النظرية الأساسية في تحديده للنص الأدبي؛ اعتباره ضربا من التواصل و جنسا من الاختيار، و لا تختلف عن صنوف الخطاب الأخرى، إلا بما يركب فيه صاحبه من خصائص شكلية تفعل في المتلقي فعلاً يقرره الكاتب مسبقا و يحمله عليه.

و الأسلوبية كما جاء بها "ريفاتار" تحاول ألاّ تغفل دور القارئ باعتباره جزءًا من عملية التواصل، و يعول عليه في تمييز بعض الوقائع الأسلوبية داخل النص، لذلك يقترح ما يسمى"القارئ الجمع" بدل (القارئ العمدة أو المخبر) "*Archilectur*" ، فتنحصر مهمته في تعيين الوقائع الأسلوبية لا تفسيرها - تجنبا للذاتية و الانطباع -.

"فريفاتار" قد عنى بالوظيفة الاتصالية في معاينته للأسلوب، فينبغي وضع معايير مقامية، يقع على عاتقها التمييز بين الواقعة اللسانية و الأسلوبية.(كي تكشف الظاهرة الأسلوبية)،و من هنا تنصب عنايته على الطريقة التي بها يفك القارئ شفرة النص(و هنا يلتقي مع "جاكبسون") و يوجز "ريفاتار" هدف تحليل الأسلوب بما يلي:" إن هدف تحليل الأسلوب هو الإبهام الذي يخلقه النص في ذهن القارئ".

و بالتالي يكون قد استند في تحليلاته الأسلوبية إلى بنية النص اللسانية بالإضافة إلى العوامل المقامية و الوظيفة الاتصالية (مقررين أساسيين لوظيفة الأسلوب)، كما أدرج مصطلح "المقصدية" و الذي قصد به النظر إلى النص بوصفه نتاجًا فنيا، و ليس فقط صيغة متوالية تقريرية[2].

و أهم ما جاء به نقده للنظريات الأسلوبية بمسألة واحدة لما لها من رواج في الدراسات و تأثير فيها، ومن وثيق الصلة بتصوره الذي يمكن أن يعد من وجوه تطوير لها، ويقصد بذلك اعتبار الأسلوب عدولاً [3].

و من هنا يكون قد طور مفهوم الانحراف ليستخلص منه في الأخير مقولة -التضاد البنوي- إذ تصبح عملية التلقي بمثابة معيار لتحديد الوقائع الأسلوبية، التي يتوفر عليها النص الشعري، و بالتالي فالنص عنده يعتبر انحرافا داخليا عن السياق فهو الذي يمثل محور التعرف على إجراءاته الأسلوبية، فبدل فكرة المعيار بفكرة "السياق" "المنبهات الأسلوبية" [4]. و هذا الأخير من الأركان الأساسية، و من أهم المقاييس التي اشتهرت عنه في الدراسات الأدبية؛ إذ سعى للتفريق بين معنى السياق في تصوره الخاص، و المعنى الجاري في اللّغة؛ فالسياق الأسلوبي يختلف عن السياق اللّغوي من جهة أنّه لا يقوم على الترابط و التتابع، و ليس دوره ضبط المعنى و بيانه، أو الإضافة إليه، فالسياق عنده بنية لغوية يقطع نسقها عنصر غير متوقع، و عن التضاد الحاصل من

---

[1]- ينظر ،نور الدين السد: الأسلوبية و تحليل الخطاب، ص 83__ 87.

[2]- ينظر،حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ص 72 __78.

[3]- حمادي صمود: الوجه و القفا في تلازم التراث و الحداثة، ص 130.

[4]- ينظر ،حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ص 72- 78.

تداخل المتوقع،و غير المتوقع ينشأ المنبه الأسلوبي، و تقسيمه إلى نوعين: سياق داخـل الوحـدة الأسـلوبية، أو الحدث الأسلوبي (و هو السياق المولد للتضاد أو الخلاف)، و هو يشتمل على عناصر زائدة، و يمكن حصره في وحدة لغوية واحدة، و بالمقابل هناك السياق الأكبر(1) .

وعبر كل هذا يكون "ريفاتار"قد دفع بالمنهجيات الأسلوبية السابقة ("جاكبسون"، "بالي")إلى أقصى حد ؛إذ طور المنظور الوظيفي في دراسته للأسلوب، و ذلك بإعطائه بعدًا نفسيا يضاف إلى السـمات الأسلوبيـة للنصوص في النقد العاطفي، و الـذي يرمي إلى أن يكون موضوعيا في الترابط بين الأسلوب، و التأثير علـى القارئ. لأن التحليل بموجب الأفعال و الأحداث هو موضوعي على نحو حقيقي، لأنه يدرك رشاقة و حركية المعنى، و لأنه يوجهه حيث يكون الفعل (أي الوعي الفعال و الإحساس للقارئ)(2).

إنّ البنوية تركز منذ البدء على التمييز بين مستوى اللّغة و مستوى النص- وعلى حد تعبير "بيير جيرو" أنّ "بالي" يخلط دائما بينهما- إذ يعير للنص سمات تنتسب في حقيقتها إلى النظام-و هي في تمييزها ذاك تعتمد على التعارض بين اللّغة و الكلام، و هذا التمييز هو ما تناوله مجددا، و تم تحليله و تحديده و شـرحه مـن طـرف "هيلمسلف" تمكن و أداء، "تشومسكي" قانون و رسالة "جاكبسون"...وهلم جرا، فهذا الأخير قد ركـز في اتجاهه- الأسلوبي- و الذي يحمل في طياته المنحى البنوي- على تحليل الرسالة مع عدم تجاهله النسق .

أما العرب فقد أشار عدد من الدارسين في دراستهم الأسلوبية إلى هذا النمط، و هم يسـايرون في ذلـك الغربيين الذين صنفوا هذه الاتجاهات في دراساتهم، كما استفادوا من المنـهج البنـوي في دراسـة الظـاهرة الأدبية(3).

أما التراث العربي فلسنا بحاجة إلى إثبات ما فيه من إنجازات يمكن موازاتها بالدراسات اللّغوية المعاصرة. فمفهوم الوظيفة التواصلية كما هي عند "جاكبسون" و "ريفاتار" قد نظر إليها عند القدماء بسبب الاهتمـام بالنص من وجهات ثلاث، تمثل أقطاب الإيصال الرئيسية (كالعلاقة بين الخطاب و مرسله، العلاقة بين الخطاب و متلقيه، الخطاب من حيث هو مرجع لذاته)(4).

بالإضافة إلى مفهوم النسق أو البنية إذ تقوى لديهم منذ البداية عندما غلب القياس على الرواية؛ القيـاس الذي يقوم على استقراء الظواهر، و استخراج نظامها الخفي الذي يترجمه الاطراد، فالهم النسقي كان حاضرًا في أعمال البلاغيين العرب(5) ، و لعل من أبرز هذه المسائل انتباههم إلى أنّ الإنشائية أو الأدبية وثيقة الارتبـاط بالبنية اللّغوية، و الطريقة المتبعة في أداء المعنى، و هذا يعني أن الأدب يستمد خصائصه المميزة من صورة اللّغـة

1- حمادي صمود: الوجه و القفا في تلازم التراث و الحداثة، ص 149- 150.

2- ينظر، حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ص 72- 78.

3- نور الدين السد: الأسلوبية و تحليل الخطاب، ص 82__ 85.

4- منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية، ص 115.

5- محمد العمري: البلاغة العربية أصولها و امتداد ا تها، ص 13- 14.

فيه، و رسمه في هندسة العبارة، و دفعهم هذا الاقتناع إلى التعمق في دراسة مستويات اللّغة بشكل لافت للنظر، و انتهى بهم البحث إلى الإقرار بوجود مستويين كبيرين: مستوى يجري فيه المستعمل على العادة و العرف، و مستوى يتصرف فيه المستعمل في المواضعات، و هذين المستويين هما الذين مكّنا العرب القدماء من اكتشاف مفهوم يعتبر من دعائم الأسلوبية اليوم، هو مفهوم "*L'écart*"، و قد أشار إليه بوضوح في مصطلحات من قبيل " الخروج، العدول، التفسير"[1].

كما أثروا عملية التواصل و التي تشمل ثنائية (المتكلم، المتلقي) ،إذ إن علم المعاني يتكئ أساسا على عملية "التتبع" – و ذكرنا هذا سابقا في المدخل أثناء حديثنا عن "السكاكي"، و قوله: يتتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة- و هي عملية تقتضي حضور الذات أولاً، فإنّ الذات لابد أن تمتلك قدرة خاصة على استقراء الصيغة الأدبية في كافة مستوياتها، ليستوعب هياكلها الذهنية أولا، ثم أبعادها التنفيذية ثانيا. و من ثم يتاح لها إنشاء صيغ تتوفر فيها المواصفات المكتسبة، أما المتلقي فإن حضوره يأتي تاليا للمتكلم من خلال استحضار حالته الإدراكية من ناحية، و حالته الثقافية من ناحية أخرى، فحالة المتلقي هي التي تفرض على الصياغة شكلاً بعينه؛ بحيث يكون افتقاد المطابقة ضياع للمستهدف الكلامي[2].

إذا استثني "رولان بارت" فإن البنويين لم يتعرضوا بشكل مباشر لتحليل طبيعة علاقة الأدب كأعمال إبداعية بالحياة، لأنهم حددوا منذ البداية مجال عملهم؛ أنه ليس لغويا، و لكنه ميتالغوي، و حددوا مهمة الناقد و موقعه خارج دائرة العالم الذي يعيشه الأديب،إذ يرى العمل الإبداعي و يكتب عنه، فإذا بلغة النقد تسبح فوق لغة النص محاولة الإمساك بها و تحليل علاقاتها[3]،و أنّ "رولان بارت" يعتبر امتدادا لـ"لويس ألتوسير"، الذي لم يغفل دور الإيديولوجية و لم ينكر نساقيتها، و لا يلغي وجودها التاريخي سواء أكانت صورً أم أساطير أم أفكارا أو مفاهيم، و تؤدي دورا تاريخيا في الوقت نفسه، و ذلك في إطار مجتمع معطى و طابعها النسقي يجعلها تتمثل الوقائع الاجتماعية تمثلاً خالصًا، لأنّ اللّغة ليست عنصرًا من عناصر الثقافة؛ بل إنها أساس كل أنواع النشاط الثقافي، و من ثم فهي أقرب الأدلة و أقواها عند استقصاء الملامح الخاصة لأي مجتمع معاصر[4].

و لعل هذا ما دفع "رولان بارت" إلى إظهار العداء للمعتقد الوثوقي، ويشاطره في ذلك "أدونيس" الذي أبدى مقتا لإيديولوجية الواحد (مخالفا بذلك البنوية الصورية)[5]. و يقول "رولان بارت": « ...يواجهنا الأدب بوصفه مؤسسة اجتماعية، و بوصفه عملاً فنيا معا، و هو بوصفه مؤسسة اجتماعية، مجموعة من كل تلك الممارسات و العادات التي تتحكم في ضخ الكتابات و دورانها في مجتمع معين، مثل المترلة الاجتماعية(...)

---

[1]- حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، ص 617.

[2]- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة أخرى، ص 205.

[3] - صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص 89.

[4]- تمام حسان: اللّغة بين المعيارية و الوصفية، عالم الكتب القاهرة،ط4 2001،ص15.

[5]- ينظر، أحمد اليوسف: سلطة البنية ووهم المحايثة، ص 50

و ظروف واستثماره و "استهلاكه" (...) و يتألف بوصفه عملاً فنيا في الدرجة الأولى من عدد مـــن أنـــواع الاتصال اللّغوي (...)»[1]، [و في كل هذا نلاحظ نوعا من الحركة و الاضطراب، لتجاوزه النسق الـــوهمي الذي سطرته البنوية، ليلحق الجانب الاجتماعي- عرفية الاستعمال- بالتحليل الأسلوبي و الاهتمام بالوظيفية].

رابعا -الأسلوبيـــة الوظيفيـــة:

إنّ ما يلمس في الانتقادات التي كان يوجهها اللسانيون ، و منهم "جورج مونان"*(G.Mounin)* إلى بعض النقاد البنويين انطلاقا من الركيزة المعرفية التي شيدت عليها اللسانيات صرحها، كما هي لدى "سوسير" و "بلومفيلد" "*Bloom Fleid*"، و تتمثل في إقصاء الدلالة ، ودراسة المعنى من حقلها، و هذه من الصعوبات التي واجهت البنوية الأدبية و هي تقترب من النصوص بمرجعية لسانية فكان على النقد البنوي أن ينتقل مـــن النسق المحايث إلى النسق المفتوح، و الذي ينبغي أن يحتوي الدلالة و يقربها من المحايثة التي ينشدها[2].

و لما كانت اللسانيات تنشد مترلة العلم الكلي في تقرير حال الظاهرة اللّغوية؛ مبتدئـــة بالحـــدث العـــيني، و قاصدة إلى الحقائق الكونية، أفلا ينبغي على ذوي الاهتمام من المختصين بتنظير الأعماق المعرفية لعلم اللسان، أن يتعقبوا تجليات الحدث الكلامي، عسى أن يستنبطوا السلك الرابط بين التعريـــف العضـــوي و التعريـــف الوظيفي للغة، أو الحديث عن الأسس التي تجيز "صيرورة البنية إلى وظيفة"؛ و بل ما الذي يقنع علـــى صـــعيد المجردات الذهنية، انقلاب "العلامة" في هذا المقام إلى رسالة "إبلاغية"[3].

فالبنية إذا تعددت و صارت بنى متماسكة تماسكا كليا، ثم ارتصفت أفقيا و عموديا فتتحـــول حينئـــذٍ إلى نظام؛ غير أن هذا النظام ينطبق عليه ما ينطبق على البنية و العلامة؛ فقد يكون واحد الجانب فريد البعد، حيث تتعلق دائرته على جنس مادته الأساسية؛ و قد يكون متعددًا متضافرًا،و على هذا يظل أمامنا أحد الاحتمالين:

- فإما أن تكون ذات طابع فرضي استنباطي: فهي تركز على التصور الفرضي الاستنباطي[4]. (إذ يعتمد اللّغة الصورية لوصف اللّغة الطبيعية)، و هذا التوجه أكثر انتشارًا، و بالجملة فإنّ وصف لغة ما وصفًا صوريا يقتضي استخدام إجراءات و معايير كافية تمكننا من التعبير على نظرية ما على شكل نسق استنباطي، و هو ما يـــؤدي إلى تقريب اللسانيات من العلوم الصورية[5].

- إما أن تكون البنية على تصور وظيفي: يركز في كل حال على السياق الذي ترد فيه البنيـــة، و قـــد بـــدأ استخدامه بطريقة علمية ابتداء من مدرسة "جنيف" و مرورًا بالشكلية الروسية، فحلقة "براغ"(و النمـــوذج الواضح لهذا التصور هو علم الصوتيات) الذي يرى في الوحدات الصوتيـــة - الفونيمات أو الحروف- عناصر

1- رولان بارت: اللّغة و الخطاب الأدبي؛ اختيار و ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993، ص 53.

2- أحمد اليوسف: القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحايثة، ص 70.

3- ينظر، عبد السلام المسدي: اللسانيات و أسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، ط 1986، ص 31- 32.

4- ينظر، صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 180- 181.

5- ينظر، حسان الباهي: اللّغة و المنطق بحث في المفارقات، المركز الثقافي العربي، ط1 2000، ص 53- 54.

ذات معنى، و لكنها لا تكتسب معناها إلاّ بدخولها في نظام أشمل منها، و هي تعتمد كذلك على القيم الخلافية، كما تقوم البنية نفسها بوظيفتها كعنصر جزئي مندمج في كلٍّ أشمل، أو تعتمد على قيم التشابه التي تحدد بنيتين مختلفتين في مضمونهما، و لكنهما متفقتان في مظهرهما العرفي أو الشكلي[1].

و أثناء الحديث- فيما سبق- عن مصطلح النسق عند "سوسير"- و البنوية عامة تم التأكد من أنّ هذا الأخير - النسق- يتحدد مفهومه أكثر عندما تثار علاقته بالبنية؛ ومن هنا تفشل أي محاولة لتعريفه، إن هي أهملت الملابسات السياقية التي تربطه بجملة من المفاهيم و المصطلحات، و من أهم هذه المفاهيم والمصطلحات " علاقة النسق بالوظيفة"، و لهذه العلاقة منحيان:

- منحى لساني.
- منحى أدبي.

و قبل الحديث عن مفهوم الوظيفة كما هي لدى الشكلانيين الروس نعرج على حقلها اللساني، فالوظيفة كالبنية أصبحت تميز حقلاً من حقول المدارس اللسانية المعاصرة[2]، فالبنويون ينظرون إلى الوظيفة على أنها ذلك الدور الذي تقوم به وحدة ما داخل البنية النحوية للعبارة؛ ذلك أن كل عنصر من عناصر هذه العبارة ينظر إليه على أنه عنصر مشارك في معناه العام[3].

و إذا كانت اللسانيات الوظيفية تنظر إلى الدراسة اللسانية نظرة وصفية، و تؤكد الطابع الصوتي للسان، مخالفة في ذلك "المنهج الفيلولوجي" الذي كان يركز على الكتابة بدل الصوت، و تنطلق من الفكرة التي مؤداها بأنّ اللسان مؤسسة اجتماعية، فإنها تنفرد عن اللسانيات العامة، و التي أرسى "سوسير" دعائمها؛ في كونها تركز على الطابع الوظيفي للغة[4]،و يتبنى هذا الإجراء عصبة غير قليلة من الدارسين و منهم:

"أندري مارتيني" _(*André Martinet*)، الذي جعل الدراسة التركيبية الوظيفية تبلغ مرحلة متميزة من مراحل تطورها، حيث كان جادًّا في استثمار النتائج العلمية المحققة في مجال الدراسة "الفيلولوجية" استثمارًا واسعًا، و كان ذلك إدراكا منه لأهمية الدراسة التركيبية الوظيفية في حقل الأصوات (و هذه المدرسة الوظيفية تحاول الكشف عن ما إذا كانت كل القطع الصوتية التي يحتوي عليها النص تؤدي وظيفة التبليغ أم لا[5]، و الوظائف الوظائف التي تتصل بالجانب الصوتي يحددها "مارتيني" على النحو الآتي(الوظيفة التمييزية التقابلية، وظيفة الحد الفاصل، الوظيفة التعبيرية)، ثم أجمل مارتيني الوظائف في:

1- ينظر، صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 180- 181.

2- أحمد اليوسف: القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحايثة، ص 119.

2-Jean Dubois et autres: Dictionnaire de linguistique,p216.

4- ينظر، مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة أحمد الحمو، المطبعة الجامعية دمشق، ط 1985، ص 13.

5- خولة طالب الابراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، ط 2000، ص 86.

- وظيفة الإبلاغ و التواصل.
- وظيفة التفكير.
- وظيفة التعبير الذاتي.
- الوظيفة الجمالية[1].

و لعل أهم هذه الوظائف- الوظيفة التواصلية- لأنّ تصور لسان ما وفق مفهوم المدرسة الألسنية الوظيفية يشتغل، لذا ينبغي أن يخدم باعتباره وسيلة تواصل بين جماعة لغوية واحدة، فثمة دينامية لوقائع اللّغة الإنسانية تجعل منها كائنًا متحركا قابلاً للتطور، شأنها شأن البنى الاجتماعية الأخرى، و بسبب ارتباط اللّغة الإنسانية كبنية اجتماعية بسائر البنى ، فقد أصبح عليها لازما أن تتطور كي تستمد احتياجات الناطقين بها[2].

أما اللسانيات الغلوسيماتيكية[*] (*Glossématique*)؛ فترى أنّ الوظيفة هي كل علاقة تجمع بين عنصرين لسانيين، بحسب ثباتهما أو تغيرهما، فالوظيفة هي الارتباط الداخلي (*Intredependant*) وهي تكون العلاقة بين مكونات لسانية ذات استقرار، و لهذا المفهوم صلة ما بالمتصورات الرياضية، و لكن مثل هذا الارتباط الوظيفي لا يمكن أن نلفيه خارج النسق الذي يتوافر على درجة عالية من الانسجام، و لذلك ينبغي أن يتصف بالثبات- و يمكن أن يكون هذا هو الاختلاف بين وظيفية البنوية و الوظيفية بمعناها الواسع -

أما الوظيفية في أدبيات النحو التوليدي، فهي تعني العلاقة التركيبية التي تربط بين عناصر البنية فيما بينها و كما هو معلوم فإن اللسانيات التوليدية التحويلية بلورت مفهوم النسق بلورة علمية لم يسبق أن حققته الدراسات التي أتت قبلها، و عليه فإنّ الوظيفة تنطوي لا محالة داخل شمولية النسق ، و كذا حيوية الجملة، و علاقة البنية السطحية بالبنية العميقة كلها مؤشرات وظيفية أثرت على النسق البنوي، فتجاوزت السطح إلى العمق مطورة بذلك المنظور السكوني إلى منظور حركي [3]. وعلى هذا فإنّ الوظيفية في أدبيات النحو التوليدي التحويلي، انطلقت من كون الوصف غير كاف، فلابد من نظرية علمية تعلل الظواهر و الأسباب، و يطلب من الباحث أن ينظر إلى العمليات لا إلى الأشياء، و القواعد التحويلية هي القادرة على وصف اللّغة و تفسير معطياتها[4].

---

[1]- أحمد اليوسف: القراءة النسقية سلطة البنية و وهم المحايثة، ص 120.

[2]- أندري مارتيني: وظيفة الألسن و ديناميتها، تر: نادر سراج، دار المنتخب العربي، ط1 1996، ص 5- 6.

[*]- الغلوسيمية: مصطلح اخترعه "هيلمسليف"للدلالة به على توجه خاص في الدراسة اللسانية، أعلن عنه خلال مؤتمره للحلقة الدولية لعلم اللّغة C.I.L بكوبنهاجن 1936، و ركز "هيلمسلف" على أعمال "سوسير"، إذ يمكن اعتبار هذه المدرسة تنظيرًا آخر لنظرية "سوسير". ينظر،جورج مونان: علم اللّغة في القرن العشرين، تر: نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة، سوريا، ط1، ص 128- 131.

[3]- أحمد اليوسف: القراءة النسقية سلطة البنية و وهم المحايثة، ص 120.

[4]- صالح بلعيد: التراكيب النحوية و سياقاتها المختلفة عند الإمام الجرجاني، ص 50- 51.

أما حلقة "براغ"[*1] (المدرسة البنوية الوظيفية)"*Fonctional structuralisme*" فقد كان لها فضل كبير على كثير من الاتجاهات اللسانية التي أتت بعدها؛ حيث حاول بعض أعضائها توسيع مدارك النسق، بإخراجه من الإطار اللساني المحدود إلى الإطار الأدبي الواسع؛ فكانت جهود "رومان جاكبسون" بارزة في هذا المجال[1].

و من أهم المبادئ التي تجسد الاتجاه الوظيفي لهذه المدرسة: اعتبار اللّغة نظاما لوسائل الاتصال، و كل عناصر اللّغة تخدم هذه الوظيفة، كما أنّ التقسيم الوظيفي للجملة يوضح كيفية ربط الجملة بالموقف الكلامي الذي تنشأ عنه. كما أن موضوع الكلام- حسب"ماتيزيوس" يجب أن يكون معلوما من قبل السامع لتحقيق عملية تواصل سليمة[2].

فربما مصطلح "الوظيفة البنوية" قد يثير تناقضًا ، لكن لا بأس أن أدعم رأيي بما قاله "مصطفى غلفان: «...إذ يتم الجمع بين تحت نفس المدخل،بين علم اللّغة التاريخي و المقارن، و بين علم اللّغة الوصفي، و الوظيفي و علم اللّغة العام، و علم اللّغة البنوي (...) و بين علم اللّغة العام، و علم اللّغة الوظيفي، و أي وظيفة يقصد؟ أليس علم اللّغة الوصفي منحى داخل علم اللّغة العام؟ أليس علم اللّغة الوظيفي علمًا وصفيا بنويا[3]».

إنّ مفهوم الوظيفة يعد من المفاهيم الأكثر تداولاً في علم اللسان الحديث، و قد استجابت نشأته لحاجة ابستيمولوجية و منهجية أدت بالدراسة البنوية إلى تبني مبدأ الشرح و التفسير[*2] بناء على أن "الاهتمام" بمبدأ الوظيفة (*Fonction*) يقود إلى الفكرة القائلة بأنّ دراسة حالة لغة ما، مستقلة عن أي اعتبار تاريخي، يمكنها من أن تحصل على قيمة تفسيرية (*Valeur explicative*) و ليس فقط وصفية (*Descriptive*).

و الحقيقة أنّ التحليل الوظيفي للغة ليس بنويا فحسب، فهو متنوع الدلالة متعدد الاتجاهات، بحيث يخترق الحدود المنهجية لجميع الدراسات اللسانية المعاصرة، و هذا ما جعله مفهوما انسيابيا مائعا ينطلق منه اللسانيون من مختلف مذاهب علم اللسان الحديث (البنوية،و التوليدية،و التداولية)، و لكن بأغراض و توجهات منهجية و ابستيمولوجية مختلفة و متناقضة أحيانا[4].

---

*1 - مؤسسها اللساني التشيكي "فيلم ماتسيوس" **V.Mathesius 1926**، بمدينة براغ التشيكية، وكانت بداية ظهورها بعد أن انظم إليها سنة **1928** "رومان جاكبسون و نيكولاس تروبتسكو ي وجعلوا منها مدرسة من أكبر المدارس اللسانية الحديثة و أشهرها، بالإضافة إلى ما جاء به "جسبيرسن"من المفاهيم اللسانية المتصلة بالفونيم و التي تعد القاعدة التي قامت عليها مبادئ براغ الفونولوجية، و منذ **1930** انظم إليها لسانيون من فرنسا، أبرزهم:" أندريه مارتيني" "ديفروت". ينظر، طيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية- دراسة تحليلية ابستيمولوجية دار القصبة للنشر، ط **2001**، ص **103- 104**.

1- أحمد اليوسف: سلطة البنية و وهم المحايثة، ص 120.

2- ينظر، جعفر دك الباب: الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 117- 119.

3 -مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 110.

*2- انطلاقا من تصنيف ظواهر اللّغة و وحداتها، انطلاقا من ملاحظة علاقاتها و تتبع تفاعلاتها ضمن بنى نموذجية، صورية تنتظم في هيئة فئات أو (مجموعات) بإمكانها أن تشكل قواعد عامة في نظام كل لغة. هامش طيب دبه : مبادئ اللسانيات البنوية ، ص 101.

4- طيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 101.

و لنعد إلى الشكلانية الروسية[*]، و زعيمها "فيكتور تشكلوفسكي"، إذ حققوا انزياحا أساسيا في النظرة إلى الأدب؛ و نظروا إلى النص باعتباره جسرًا قائمًا بذاته، و ليس ثمة علاقة تربطه بخارج مزعوم، كما حصرت وظيفة النقد الشكلاني في تحليل مفردات القصائد و جملها، و بتعداد تكرار حروف العلة و الساكنة...

إنّ أول ما فعله الشكلانيون هو وقوفهم بالمرصاد لذلك الإرث النقدي الذي ارتبط بتحليـــل النصـــوص الأدبية و تفكيكها (أي القيمة بين الشكل و المضمون) ؛ لأن المضمون يتضمن بعـــض مقومـــات الشـــكل و عناصره[1]- و الربط بين البنية و المحتوى لدليل على اتجاههم الوظيفي- فحاول الشكلانيون الروس التشديد على البحث عن أشكال جديدة في الدراسة الأدبية، فشددت قبل أي شيء على خصوصيات موضوعها[2].إذ حولت الأجزاء المكونة للعمل الأدبي، و فتحت مجالات جديدة للبحث، و أغنـــت إغنـــاء واســـعا معرفتنـــا بالنسقيات الأدبية، فنقلوا الشعرية من حقل الانطباعية اللسانية إلى موضوع التحليل العلمي، و إلى مشـــكلة ملموسة لعلم الأدب؛ فكان اهتمامه يصب على كيفية ما يقال لا على ما يقال، فرغم التصاق مصطلح الشكل بها لكن كان وعيهم بكون اللّغة لفظ و معنى جنبهم من شراك الشكلية المحضة.

ودراسة الشكلية لبنية المنظوم قفزة نوعية بالمقارنة مع مناهج علم الإيقاع التقليدي؛" فجاكبسون "يطأ أرضا صلبة حينما يسند سنة 1935م إلى حركة الشكلانيين الروس كونهم ربطوا التطريز باللسانيات و الصـــوت بالمعنى، و الإيقاع و التنغيم بالتركيب، كما استبعدوا الدراسة المعيارية للمنظوم، و المتعارضة الجامدة (الوزن / الإيقاع)، و يكون ذلك الربط بين الصوت و المدلول الإنجاز الأهم الذي أشار إليه "جاكبسون."[3] .

و من جهة أخرى فإنهم تيقنوا بأن نشاط الإنسان الخطابي ظاهرة معقدة، و يعود هـــذا في أساســـه إلى الاختلافات الوظيفية داخل كل واحد من هذه الأنساق اللّغوية؛ فإذا كان الوصف في ذاته إجراءً ساكنًا فإنه لا يقتضي بالضرورة منظورًا ساكنًا للموضوع، فحينما أعاد "تينانوف" تحديد الأثر الأدبي بوصفه نسقًا "استطيقيا" أكثر مما هو مجموع الأدوات الأدبية، فإن مفهوم التعايش الخالص لمجموعة من العناصر في مجموع أدبي قد أدى إلى التكامل الدينامي، و كان هذا يقتضي في نفس الآن تغيرات دورية في هرمية المكونات، تغيرات مستمرة في الوظيفة الاستطيقية للأدوات الأدبية، و على هذا فإنّ المفهوم الوظيفي للواقعة الأدبية قد حفز الاهتمام بالتصور

---

[*]-تزامن ظهورها مع قيام الثورة البلشفية في العشرينيات من القرن الماضي ،الحركة التي أخذت على عاتقها مهمة علمنة الدراسة الأدبية ، وهي تعود إلى تجمعين اثنين الأول في موسكو ، والثاني في سان بترسبورغ .أنظر ، فيكتور إيرليخ: الشكلانية الروسية،ترجمة الولي محمد ،المركز الثقافي العربي ،ط2000،ص5.

[1]- سمير أبو حمدان: الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية، بيروت باريس، ط1 1991، ص 92- 93.

[2]- ينظر، فيكتور إيرليخ: الشكلانية الروسية، ص 7ــــ 8.

[3]- المرجع نفسه، ص 91- 92.

الأدبي (فلسفة الفن العفوية عند "أبوياز")[*] صاغها "تشلوفسكي" "تنيانوف" كانت تسير في نفس الاتجاه[1].

و بالتالي فإنّ الشكلية الروسية من أهم روافد الدرس اللّغوي و الأسلوبي، و حاولت التحرر من المناهج التقليدية، و من الرمزيين بحيث تنطلق من إرساء الدلالة الوصفية، لترتبط بالسياق الكلي للعمل الأدبي مع إعطاء الجانب اللّغوي و الموسيقي أهمية خاصة، و توظيفها بما يثري الشكل الأدبي، و كانت العلاقة بين المستويات (الأصوات، ثم الدلالة، البنية النحوية ثم الشكل الصوري) الذي تتجسد فيه جزئيات الصورة في وحدة متكاملة كما تتجسد فيه المواقف و الأحداث و الشخصيات. و العلاقة بين هذه المستويات علاقة تفاعل وظيفي يتحرك من الجزء إلى الكل، و من الأنظمة الصغرى إلى الأنظمة الكبرى في السياق العام يربط بعضها ببعض، و يمكن القول بأنّ هذه الحركة- الشكليين- دارت في مجملها على الجوهر الداخلي للعمل الأدبي، مع الرفض للتنظير و التأويل؛ فقد شغلتهم الحقيقة الأدبية، بغض النظر عن أي اعتبار يبتعد عن النص ذاته[2] - و لذا يمكن اعتبارها الجذور الأولى عند الغرب للأسلوبية الوظيفية، من خلال الإجراء الوظيفي في النص الأدبي-

و على هدي الجهود الصادرة من قبل" الحركة الشكلانية" سارت حلقة "براغ" فأفادت منهم و طورت مفاهيمها و نقحتها، كما حاولت تعديل بعض مفاهيم مدرسة "جنيف" اللسانية، و أهم التعديلات (عدم إغفال البعد الثقافي في الدراسات الصوتية)، إذ لا يمكن تحديد الصوت إلاّ ضمن النسق اللساني العام، و هكذا صارت الفونولوجيا سمة من سمات التفكير البنوي الصلب- إن صح التعبير- فالوظيفة الصوتية يحتويها النسق اللساني، و من هنا تلاحظ شمولية النسق على الوظيفة التي كانت مرتكزًا للسانيات "أندري مارتينيه"، فقد كان "جاكبسون" و "تروبتسكوي" غير مقتنعين بالنظرة الصورية لمفهوم التزامن، و تطبيقه تطبيقا مغلقا على الظواهر: الصوتية،اللسانية، و الوقائع الأدبية. و وجه التباين بين لسانيات" براغ"، و لسانيات "سوسير"؛ أنهم نظروا إلى اللسان على أنه نسق وظائفي، أي أنهم تعاملوا معه من المنظور الحركي وليس من المنظور السكوني، فأرست بذلك المبدأ البنوي للنسق الفونولوجي؛ حيث أكدت بذلك ما كان قد أشار إليه "عبد القاهر الجرجاني" من أن الكلمة لا حياة لها إلاّ داخل النسق اللساني العام.

و من هنا ترتبط البنية بمفهوم العلاقة "ضمن إطار النسق" و "هذه الخصيصة الجوهرية" مكنتهم من نقل النسق اللساني إلى نسق أدبي، و اتسمت نظرتهم إليه بالمرونة، فحاولوا ربطه بالنسق الثقافي العام، و من ضمنه البعد الاجتماعي. وبذلك يكون تصور مرن حيال النسق الذي اتسم بالانغلاق مع طلائع التفكير اللساني المعاصر، وترسخ في أدبيات البنوية الصورية، و هكذا اجتهدت لسانيات "حركة براغ" في إيجاد سبيل التلاقي

---

[*]- كانت حلقة من الشكلية الروسية، مقرها بسان بسترسبورغ، بالمقابل هناك حلقة موسكو اللّغوية، و مقرها في موسكو، تتألف من مجموعة من الطلاب الشبان،يتبادلون الآراء بصدد مسائل تتعلق بنظرية الأدب، بعيدًا عن الدروس الأكاديمية الرسمية. فيكتور إيرليخ: الشكلانية الروسية، ص 5.

[1]- المرجع نفسه ، ص 103- 130.

[2]- ينظر،محمد عبد المطلب: البلاغة و الأسلوبية، ص 180- 181.

بين الطابع الصوري، و الطابع الوظائفي للنسق الأدبي[1]؛ إذ ترى مدرسة براغ أنّ اللّغة تتوفر على عدد من الأساليب الكلامية و الأدبية المتنوعة، التي تناسب الطبقات الاجتماعية المختلفة، و تستعمل في سياقات موقفية معينة[2].

و بناء على هذا فإن "المقترب الوظيفي" للأسلوب تطور بهذه المقتربات التي تبنتها مدرسة "براغ" ومجال الحديث هنا: يشدد على الأسلوبية التي تختزل إجراءها في النظر إلى البنى اللسانية في النص؛ إذ عنيت بصياغة نظرية أسلوبية تبنى على مفهوم النص بوصفه كلية بنوية، تتضمن بضع طبقات (الصوت،المعنى ،والمضمون). إن دراسة الأسلوبية للنصوص يمكن أن تعنى بطبقة خاصة؛ بيد أنّ ما ترمي إليه في الأخير يجب أن يكون وصف شبكة العلاقات التي توحد الطبقات و مكوناتها في كلية التناغمات والتعارضات و الترتيبات.
إنّ النمذجة "*Typology*" للنصوص المعدة في إطار نظرية عامة للاتصال اللفظي ينظر إليها بوصفها أساسا واعدًا لتمييز الأساليب[3].

و عن هذا المفهوم المضاعف للبنية و الوظيفة (ضمن البنى تتحدد الوظيفة كما في أعمال اللسانيات الحديثة)، نشأ نقد للأسلوبية التقليدية و البنوية و حدث تجديد للقضايا و حلولها في عدد لا بأس به من النقاط[4]، و منها مفهوم الشعرية الذي صاغه "جاكبسون"؛ فالشعرية عنده لغة في وظيفته الجمالية؛ لذلك اعتقدوا أن ميزة الفن اللفظي (أي أدبيته) ***Literarimes*** يمكن أن تكتشف بدراسة خصائص اللّغة الشعرية، و هنا محاولة لتمييع الحدود بين الأسلوبية و الشعرية[*]، بالنظر إلى أنّ الأولى نظام جديد، و بهذا تنحو الدراسات التي تطبق قوانين الشعرية منحى أسلوبيًا. و ما يحسب لهم نظرتهم إلى الأسلوب؛ فإنّ دراسة الرسالة اللفظية بوصفها عمل فن، إنما هي دراسة للأسلوب(تغيير مفهوم الأسلوب كما كان عند "بالي").
و بني هذا القسم من النظرية على افتراض أن بضع خصائص لفظية عامة للنسق يمكن أن تستمد من الظروف، التي تتجاوز مستوى الفرد لعملية الاتصال، مثل: الغرض العام للرسالة،وظيفتها، والموقف الاتصالي الخاص بمقابل العام،و الاتصال المباشر بمقابل غير المباشر).
فهذه الظروف تتجاوز مستوى الفرد، بعضها عوامل مشكلة للأسلوب، تصوغ التنظيم اللفظي للنصوص بطريقة تجعل التعبير ملائمًا للضرورات الاتصالية المتميزة[5].

---

[1]- ينظر، أحمد اليوسف: القراءة النسقية سلطة البنية و وهم المحايثة، ص 130- 131.
[2]- أحمد مومن: اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2 2005، ص 150.
[3]- ينظر، حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ص 62- 63.
[4]- ينظر،،بيير جيرو: الأسلوب و الأسلوبية، ص 62.
[*] -فالأسلوبية تدرس خصائص وقوانين نص أدبي معين لكن الشعرية تعني باكتشاف قوانين النصوص اللأدبية بشكل عام فهي متعالية تبحث فيما يجعل النص الأدبي أدبيا ،فالأسلوبية قانون خاص والشعرية قانون عام تخضع له جميع النصوص .حسن ناظم: البنى الأسلوبية،ص64.
[5]- ينظر: حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ص 64- 65.

و على هذا، فإن علماء الأسلوب في مدرسة براغ هي أول من طور علم الأساليب الوظيفية، و قد وقفوا عند الوظائف التالية:

- الوظيفة الاتصالية للغة.

- الاستعمال الهادف و المستحسن اجتماعيا في الميادين المختلفة للفاعلية البشرية. لكن اللّغوية الروسية(*Elise Riesel*)قد وضعت حديثا نموذجا لخمسة أساليب وظيفية في اللّغة الألمانية (و يمكن عدها تجاوزا أنواعًا ضمن الوظيفية)[1].

- أسلوب الاتصال العام (نصوص ،حكومية، وثائق، لوائح).
- الأسلوب الصحفي (أخبار...).
- أسلوب التواصل اليومي (لغة التعامل في الأوساط الرسمية).
- أسلوب الأدب الجميل (كل أنواع الكتابة الأدبية).

و بهذا تبدو الأساليب الوظيفية من الأساليب الدائمة لعدم اقتصارها على الأدب، (الذي يمثل جانبا من هـذا النظام) إنها شبكة تتضمن نصوصا بخصائص أسلوبية مشتركة تنضوي تحت مفهوم جامع هو "الوظيفة".

و الوظيفة من منظور الدراسة الأسلوبية تعني حاجة أشكال محددة من التعبير اللّغوي إلى وسائل أسلوبية تناسب الهدف من استعمالها، فتصبح الأساليب الوظيفية بناء على هذا نماذج لغوية متكررة و جـاهزة؛ لأنها تستعمل اللّغة في مجال محدد لخدمة هذا الجانب من الفاعلية البشرية، و أداء وظيفة اجتماعيـة. "فالأسـاليب الوظيفية" تجسد تلونا موضوعيا في الأسلوب على خلاف الأسلوب الشخصي، و هذا ما يفتح بـاب دراسـة الأسلوب في جميع الأشكال اللّغوية التي ترد في سياق اتصالي، بالاعتماد على المنهج الذي تعرفه الوظيفية[2].

و لكي ينفهم أكثر الإطار اللساني الذي اعتمدت عليه النظرية الأسلوبية الحديثة، لا بأس من عرض عوامل التواصل الكلامي كما قدمها "جاكبسون" و التي أصبحت فيما بعد من أساس معظـم النظريـات اللسـانية و السيميائية و الأسلوبية[3].

1- ينظر، فيلي ساندريس: نحو نظرية أسلوبية لسانية، ص 160- 161.

2- المرجع نفسه، ص 161- 163.

3- جورج مولينيه: الأسلوبية، ص 14.

السياق (*Contexte*)

الباث (*Destinateur*) .... الرسالــة (*Message*) .... المستقبل (*Destinataire*)

الصلة (*Contact*)

السنن (*Code*)

عناصر التواصل الكلامي (1)

فالمرسل (المؤلف) هو مصدر المرسلة (النص، الإنتاج) الذي بنى المرسلة (نظام رموز، و المخـــزون اللّغـــوي) مشترك بينه وبين المرسل إليه (قارئ، متلقي) و هي لا تفهم-الرسالة- إلاّ ضمن سياق ،و هـــو المرجـــع،و لا تكتمل العملية إلاّ بعامل سادس هو قناة "الاتصال".

و ما يهمنا من هذا، هو الوظائف اللّغوية التي ترتبط بكل عنصر من العناصر، فقد وضع "جاكبسون" نظريـــة هامة في وظائف اللّغة و التواصل؛ إذ المنهج هو تطبيق ما يتصل بنظرية الإعلام على الأداء اللّغوي، فيما يتصل بالمرسل و المتلقي. و انطلق من شكل جهاز التخاطب، في نظرية الإخبار، و دقق عناصره الستة، و هي:

1/ **المرسل** (*Destinateur*): يولد الوظيفة التعبيرية (*Fonction Expressive*)، و تسمى أيضًـــا بالوظيفـــة الانفعالية (*Emotive*).

2/ **المرسَل إليه** (*Destinataire*): تتولد عنه الوظائف الإفهامية (*Conative*).

3/ **السياق** (*Contexte*): يولد الوظيفة المرجعية (*Fonction*)

4/ **الصـــلة** (*Contact*): و هي تولد الوظيفة الانتباهية (*Fonction Phatique*).

5/ **السنن** (*Code*): و تولد الوظيفة المعجمية (*Fonction de glose*) (2).

6/ **الرسالة** (*Message*): و تتولد عنها الوظيفة الإنشائية (*Fonction Poétique*)، و هي الوظيفة التي تكون فيها الرسالة غاية في حد ذاتها، لا تعبر إلاّ عن نفسها، و المقصود بها إذًا تركيز الاهتمام على الرســـالة لصـــالح الرسالة الخاص، و حضور هذه الوظيفة يترافع و حضور الهدف الأسلوبي فيه (شريطة أن تصبح لغة الرســـالة

1- المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص 158.

2- المرجع نفسه، ص 157- 160.

هدفها و مضمونها إيصالاً و إرسالاً[1].

و مبادئ الشعرية عنده بمثابة المنهل الذي قدم للباحثين أداة تحليلية، تقرب نظرية الوظيفة الشعرية من استراتيجيات الخطاب، خاصة بالأدب. وتتميز عنده- الوظيفة الشعرية- عن طريق العلاقة بين محوري التركيب(*Syntagme*)، و الاختيار(*Paradigme*). فالوظيفة الشعرية حينئذٍ مبدأ التعادل الماثل في محور الاختيار، على محور التأليف (و مصطلح التعادل لا يصلح لتكوين القول؛ بل يصلح لاختيار الكلمات الملائمة على مستوى التشابه، لكن شذوذ الشعر يكمن في أنّ التعادل يصلح للاختيار).

كما أن "جاكبسون" رفض قصر اللّغة على إحدى وظائفها بل هي كل متكامل[2]، و تبعًا لذلك اكتشف أن كل عنصر من العناصر الستة، يولد وظيفة في الخطاب تتميز نوعيا عن وظائف العناصر الأخرى، و تكون عملية التخاطب اللساني تأليفا لجملة هذه الوظائف مع بروز إحداها، فتكون بنية الكلام مصطبغة بسمات الوظيفة الغالبة (*La Fonction Prédominante*). و هذا الموقف قد حسم المواقف المتباينة ، لأنّ كل رسالة مهما كانت غايتها، تتضمن وظيفة أدبية، تبقى أن درجة هذه الوظيفة تختلف من نص لآخر[3].

و على هذا فإنه يفترض في نظرية علم الأسلوب، أن يشتمل النص بكل ظواهره المميزة وعملية الإنتاج و التلقي معًا، و أن تعتمد على مبادئ لغوية وغير لغوية، أما الأسلوب فتصوره كنتيجة لاختيار المؤلف بين مجموعة امكانات النظام اللّغوي، و نتيجة لما يتم من إعادة تكوينه من جانب المتلقي للنص، أي أن الأسلوب يتجلى عندئذٍ في النصوص من خلال عملية التواصل الأدبي (خاصية مشتركة غير ثابتة). و لعل ميزة هذا التصور أنه يجمع بين العناصر المختلفة في عملية التواصل[4]. فلقد اتخذت الأسلوبية مدخلاً وظيفيا في معاينة الأسلوب، فهي تنظر إليه بوصفه "واقعة أسلوبية"، و هذه الأخيرة هي عنصر لغوي ينظر إليه من حيث استخدامه لأغراض أدبية في عمل معين.

إن ما سبق يحدد إجراءً تحليليا يتواشج – ضرورة- مع المدخل الوظيفي (*Fonctiona*) لدراسة الأسلوب بوصفه واقعة لسانية بحتة تحمل خصائص متميزة، و من ثم فهي واقعة أسلوبية. فالمدخل الوظيفي لدراسة الأسلوب يعاين هذه الواقعة الأسلوبية على أنها "عنصر لغوي يستخدم لأغراض معينة"، كما أنّ هذا المدخل - الوظيفي للأسلوب- صيغة أكثر تسامح من المنهج البنوي؛ لأنه يمكننا من النظر إلى الظواهر الأسلوبية كجزء من "البنية" أو التركيبة الأساسية للنص، فهو يعتمد على التحليل الدقيق لجزئيات العمل الأدبي كنص لغوي، و يمكننا من اكتشاف العلاقات بين الجزئيات، و ما يعد منها مهيمنا، و ما هو فرعي.

إذ يرى "ليفن" أنّ التحليل الأسلوبي المعتمد على العلاقات القائمة بين العناصر اللّغوية في النصوص يفيدنا في

1- منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية، ص 215.
2- صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، ص 77.
3- المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص 157- 161.
4- صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته ،دار الشروق القاهرة ، ط 1998 ،ص 202- 203.

التعرف على أسلوب جنس ما. و بموجب النظر إلى البنى الأسلوبية المهيمنة، و مقاربتها على مستوى العلاقات اللسانية التي تتمخض عنها تلك البنى؛ سوف يتحدد مفهوم الأسلوب بوصفه كلية متموضعة في العلاقات بين الوحدات اللسانية.

و أنّ مفهوم الأسلوب لديهم قريب إلى مفهوم بنية النص[1]، فالبنى البلاغية ذات طبيعة وظيفية، و تتغير بتأثر النص في مقام التواصل، و يمكن لهذا المتغير الأسلوبي يكون مرغوبا فيه إذا كان الأسلوب وظيفيا، كما يمكن لهذا المتغير أن يكون تعبيرًا عن سياق إجتماعي، إذ الهدف ليس دراسة العبارات اللسانية (وصفها) و في النتيجة لن يدرس النصوص فقط بمصطلحات بناها؛ و لكن أيضا بمصطلحات وظائفها - ويمكن أن نعمق الجانب، أو البعد التداولي للجانب الوظيفي-

إن الأسلوبية الوظيفية (من خلال المقترب الوظيفي للأسلوب) تختزل المقتربات الأسلوبية[2] إلى:

1/ المقترب المعياري: و الذي يفترض وجود معيار كلي قبلي يؤدي إلى قبول بديل تعبيري (أ) ويفرض البدائل الأخرى، و المعيار الكلي معتمدا على ذوق واضعه و حكمه المسبق.

2/ المقترب الوظيفي: الذي يدرس اختيار البدائل، باعتماده على تنوع ظروف الاتصال اللّغوي، وعلى السياقات المختلفة (اللفظية، خاصة سياقات ما بعد اللفظ).

إنّ "الأسلوبية الوظيفية" إذن تبحث في تنوع السياقات لكي تفسر اختيار البديل (أ) في السياق (س)... ومن الواضح أن طبيعة الدراسة الراهنة لا تنحو المنحى الأول من الدراسة، بل تعمد إلى الثاني[3].

لكن فيما يخص أسلوبية مدرسة "براغ"؛ فإنها حاولت تبني موضوعية في دراسة الأسلوب، على أسس تتجاوز البنى اللسانية، إلى ما يحفها من ظروف اتصالية و معاينته لشكل اللّغة، فأسلوبية "براغ" بقيت محافظة على المبدأ الشكلي في دراسة الأسلوب، ذلك المبدأ الذي يماهي أسلوب النص ببنيته اللسانية، فرغم مساعي كل من "جاكبسون"، "تينانيوف"، و "موكاروفسكي"، و "تشلوفسكي"؛ فإنهم لم ينظروا إلى الفن باستقلاله عن شروطه الاجتماعية؛ و إنما نظروا إلى استقلالية الوظيفة الجمالية.

إنّ المنهج الجاكبسوني يختزل التحليل الأسلوبي إلى تحليل لساني، و سبب هذا الاختزال يكمن في تعريف الوظيفة الشعرية، بوصفها إسقاطا لمبدأ التماثل من الشفرة إلى الرسالة، فالمبدأ الشكلي كامن في صلب أسلوبية "براغ"و المماهات بين بنية النص و أسلوبه، متحققة بشكل فعلي،و لذلك عرفوا الأسلوب في ضوء المبدأ السابق إذ عرف " بوسلاف هفرنيك"(*Bohuslave Havanik*) ، الذي عرض الوصف المنهجي للتصنيف الأسلوبي لمدرسة "براغ" — أسلوب النص بوصفه التنظيم الفريد للنص في كليته، و من الواضح أن مفهوم الأسلوب في هذا المستوى قريب جدا إلى مفهوم بنية النص.

1- ينظر، حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ص 68- 70.

2- المرجع نفسه، ص 166- 170.

3- المرجع نفسه، ص 66- 70.

فنظرية "جاكبسون" لا تنظر إلى الرسالة الشعرية- بوصفها تكييفا لمتطلبات التواصل و بدلا من ذلك ينظر إلى إسقاط مبدأ التماثل على الرسالة بكيفية ما يوصفه، يحررها من المقام و يجعلها غامضة و غير تداولية (*Non Pragmatique*)[1].

وباستجلاء النقاط المضيئة في تراثنا العربي -البلاغي خاصة- سيتضح أنّ مرحلة الدراسة الوظيفية تمثل المرحلة الثالثة من ضمن المراحل(الوصفية التحليلية الشاملة- الدراسة النحوية المتخصصة)، و استوجب ذلك الانطلاق من الوحدة التي لا تنفصم بين" الشكل والمضمون"، لأنّ البنية اللّغوية لا تستقل عن وظيفة اللّغة الاجتماعية؛ لذا تميزت الآراء اللسانية العربية (البلاغية منها) منذ بداية تبلورها، بأنها لم تنطلق من منهج وصفي بحت، يعتمد على وصف الشكل و تحديد البنية الخارجية للظواهر اللّغوية، و ارتباطها بالوظائف التي تؤديها في الكلام[2].

و لا شك أن ما دفعها منذ البداية إلى الاهتداء إلى هذا المنحى الوظيفي هو النص القرآني، فبحثوا فيما جعله أرقى و أسمى، و بعدها أُكتشف أن السر في ذلك هو تلك المضامين التي يكتنفها من خلال التركيب اللّغوي و المضمون، لأنّ الدراسة تكون مركزة على توضيح كيفيات الاستعمال اللّغوي، و الحدود الضابطة له وعلاقته بالمعطيات السياقية، و التي تسهم في رسم "البعد الوظيفي"في كل تركيب لغوي[3].

- و قد تم الكلام في المدخل عن "سيبويه"، و باب الاستقالة من الكلام و الإحالة، إذ استطاع أن يكشف و بنجاح الخصائص المميزة لبنية اللّغة، و دورها في الوظيفة الإبلاغية التي تؤديها- كما لا ننسى النهج الذي رسمه" الجرجان"ي عبد القاهر، بتأكيده الوظيفة الإبلاغية التي تؤديها اللّغة، و ذلك بالدعوة إلى عدم فصل دراسة البلاغة عن النحو (علم المعاني)، و أنّ مسألة النظم مسألة لغوية ترتبط بالوظيفة الأساسية للغة، كوسيلة للاتصال بين الناس، و هي من صلب النظرية البنيوية الوظيفية الحديثة في علم اللّغة الحديث[4].

كما أنّ نظرية النظم تعكس البعد الوظيفي من زاوية أخرى، إذ تمثل محور الهوية الوظيفية، لأنه يجسد وظيفة الظاهرة اللّغوية، المتمثلة في أنها تعمل على كشف ما في الفكر من معانٍ و تصورات، فغايتها من الوجهة الوظيفية التعبير عن عملية التفكير لدى الإنسان، بما يفضي إلى تطابق التراكيب و المعاني النفسية[5].

و قد تبنى" السكاكي" في "مفتاح العلوم" المنحى الوظيفي نفسه، إذ طوره بكشف خصائص النظام اللّغوي

---

[1]- حسن ناظم: البنى الأسلوبية ، ص 69.

[2]- محمد العيد رتيمة: دراسات لغوية لمفهوم الآلية في القرآن الكريم، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه، إشراف: جعفر دك الباب، جامعة الجزائر سنة: 1993، ص 94- 96.

[3]- عبد الحليم بن عيسى: اللسانيات و النص القرآني، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، العدد الثالث3، جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة- نوفمبر 2003، ص 281.

[4]- جعفر دك الباب: نظرية عبد القاهر الجرجاني اللّغوية(النحوية البلاغية- و البنوية الوظييفية) في النقد الأدبي- حوليات جامعة الجزائر(مقال) العدد: 7-1993، ص204.

[5]- ينظر، عبد السلام المسدي: اللسانيات و أسسها المعرفية، ص 26- 27.

للعربية في مستوياته المتدرجة، الأصوات أولاً، و الكلمات المفردة ثانيا، و التراكيب من حيث سياقاتها اللّغوية رابعًا[1].

و على هذا فإنّ الاتجاه "الوظيفي" كان إلى جانب اتجاهات أخرى[*]، حيث نزعوا إلى النظر في النصوص لالتماس فنون البلاغة و استخراج شواهدها و توظيفها في المعالجة النقدية و التقويم الأدبي، و قد توزع كتب هذا الاتجاه منحيان تسايرا و امتزجا، فكان منهما من صرف إلى ممارسة النقد التطبيقي؛ إما في شعر شاعر بخصوصه في مثل "الوساطة" لعلي بن عبد العزيز الجرجاني"، و إما في كتب محضة لمعالجة الفنون البلاغية، من خلال النصوص: في مثل البديع "لابن المعتز"(و أكثر هذه الكتب في إعجاز القرآن) ، أما المنحى الثاني فقد كان ينطلق من نصوص أقرب منه إلى ولوج المدخل الفلسفي و النفسي؛ لأنه أكثر مباشرة للنصوص[2].

هذا باختصار وجوه الوظيفية المجسدة في تراثنا البلاغي.

أما العرب المحدثون؛ فإنهم تعرفوا في "الجامعات البريطانية"على الآراء الوظيفية التي قال بها عالم اللسانيات "فيرث" و انعكست آراؤه في كتابات: "إبراهيم أنيس" و "عبد الرحمن أيوب" و "تمام حسان"،و اهتم آخرون في إطار لسانيات التراث بالبحث عن أصول المنهج الوظيفي الحديث؛ محاولين الكشف عما يشابهه في الفكر اللّغوي العربي القديم، (كالمقارنة بين تحليل الجملة، و آراء" الجرجاني" النحوية و البلاغية من الوجهة الوظيفية).

و تكمن أهمية الدرس اللساني العربي الحديث في:

- إثراؤها النظري و المنهجي للدرس اللساني عامة (و الأسلوبي على وجه الخصوص، بإضافة إطار نظري جديد لوصف و تفسير بنيات اللّغة العربية).

- هي تحليل ملائم للجملة قادر على تبيان مقدار الدينامية التي تساهم بها كل جملة في عملية التواصل اللّغوي[3]خاصة في (النص المقدس).

إنّ طموح النقد الأسلوبي العربي الحديث، هو الوصول إلى دراسة علمية و موضوعية؛ و من أجل إنفاذ هذه الغاية يدرس الظواهر الأسلوبية في الخطاب الأدبي وفق محورين أساسيين هما: وصف الظواهر وصفًا علميا دقيقًا ثم تحليلها بما يناسب وظيفة الخطاب، فلا يتعسف في تأويلها، ولا يرغم الخطاب على قول ما لم يتضمن و لا تفرض عليه مقولات من خارجه لا تنسجم مع طبيعة تكونه، بالإضافة إلى سعيه لتحديد الكيفية التي تشكل بها الخطاب الأدبي، لأداء وظائفه التبليغية و التأثيرية. و عند دراسة ظاهرة التركيب الأسلوبي للخطاب فإنها تصف خصائص التركيب مستعينة بعلم النحو، و لا تكتفي برصد الجمل الاسمية و الفعلية، بل تسعى إلى

1- جعفر دك الباب: نظرية عبد القاهر الجرجاني اللّغوية(النحوية البلاغية- و البنوية الوظيفية)- حوليات جامعة الجزائر، ص 209.

* - لأنّ هناك الاتجاه "الأصولي"، و الذي ينزع إلى معالجة القوانين العامة للظاهرة الأدبية، و بيان أصولها. عبد العزيز مصلوح: الأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة ، لجنة التأليف و التعريب و النشر، الكويت، ط1 2003، ص 25.

2- المرجع نفسه ،ص 26.

3- مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 243- 253.

تحديد وظائـــفها و أبعادها الدلالية و تـــتجاوز الجملة إلى تركيب الخطاب كله(*)، باحثة عـــن خصـــائص انسجامه، و اتساق نظامه[1].

و لنأخذ هذا القول "لعبد السلام المسدي" يتحدث فيه عن التحليل الأسلوبي": « ... يبحـــث في الأنمـــاط التعبيرية التي استعملت من طرف معين لأداء ما للفكرة و العاطفة عند المتكلم الباث من صيغة حركية، كمـــا تتحدد مهمة التحليل الأسلوبي في دراسة الأثر الذي يحدث بصفة عفوية لدى السامعين، "المتلقي"، و تهـــدف الأسلوبية إلى كشف الغطاء عن بذور الأسلوب من حيث هي كامنة في أبسط أشكال التعبير[2]. و يلاحظ من خلال هذا القول ما يلي:

- الأنماط التعبيرية: إذ يقصد به القالب أو الشكل الذي ينطلق منه لإجراء الدراسة، لأنه أول من يوجهنا أثناء الاقتراب من النص الأدبي، مع عدم إغفال الروابط و الوظائف الداخلية، و هذا يدل على نقطة التلاقي بـــين المنحى البنوي و الوظيفي، و التركيز على مجرد الصورة الشكلية يستحيل الوصول معه إلى العمق "معنى المعنى".

- ظرف معين: و يقصد به الموقف أو المقام أو سياق الحال"*Context of situation*".

- عدم إقصاء الباث و المتلقي: و هنا تجسيد لعملية التواصل، إذ إنها تمثل المفهوم المركزي فيما أسماه الوظيفيون "ديناميكية التواصل"، و التي تحمل الجمل آثارها الواضحة. و هذا ما عبر عنـــه "الجـــاحظ" بعمليـــة الفهـــم و الإفهام.

- ربط الأسلوب بالصياغة و التعبير لأنه إحداث لتأليف و تسلسل على مستوى خطي (أفقي)، و عقد صـــلة بين شكل التعبير؛ لأنها حاملة لأسلوب معين على حسب التغيرات الكامنة داخل النسق العام للتركيب.

و إجمالا يمكن الحديث عن نمط جديد لدراسة و تحليل ظواهر الأدب انطلاقًا من الخارج باتجاه الـــداخل إحداثًا لتفاعل دينامي، ووتيرة متفاعلة بين المستويين (الشكل و المضمون)،و العلائق و الروابط على مســـتوى البنى الوظيفية و إحلال الاتجاه الوظيفي محل الوصف الصوري (التركيز على الصيغة و الشكل).

و إن كان موجودًا لدى الغرب، فإنه متأصل مستمر على خط مستقيم عند العرب، متجذر في ثنايا اللّغـــة العربية بناءً و تركيبًا، فدراسةً و تحليلاً، يفرضه واقع اللّغة كمادة ،و منـــهج الســـلف في التحليـــل اللســـاني و الأسلوبي خاصة.

---

* - علاقات أجزائه، ووظيفة تشكيلها، و كيفية أدائها لوظائفها، تفاديا للقصور في التحليل، إذ يجب تناول كل الوحدات اللّغوية المسهمة في تكوين الخطاب الأدبي، لأنها تساهم في التشكيل البنوي الوظيفي. ينظر، نور الدين السد: الأسلوبية و تحليل الخطاب،ج2، ص ص 8- 12.

1- المرجع نفسه،ج2، ص 8- 12.

2- عبد السلام المسدي: النقد و الحداثة ، دار الطلعة بيروت ، ط1 1983 ، ص 46.

II- منـــاهج التحليل الأسلوبي:

أ/ ما بين الأسلوبية و النقد:

إنّ مقتضيات الدراسة تدعو إلى تتبع الأهداف و الغايات التي ترمي إليها مباحث الأسلوبية، و ذلـــك إذا نظرنا إليها باعتبارها عملية إثراء للأدب بكل فنونه؛ فلا يمكن لباحث أو متذوق، أو ناقد أن يتصور وجـــود أدب بلا أسلوب، مما يؤكد اتصال البحث الأسلوبي بالأدب، و من ثم يدعونا ذلك إلى القول بأنّ ثمة اتصـــال أكيد بين الأدب و الأسلوب في النقد الأدبي[1]، لكن هل يقصد بذلك أنّ علم الأسلوب هو البديل الموضوعي للنقد الأدبي؟.

فهذا الإجراء قد يكون و قد لا يكون، لكن بحسب أن من الأمور التي ينبغي أن تكون موضـــع اتفـــاق لقربها من بداهة العقل "أنّ التفسير و التقويم" تاليان "للوصف و التحليل"، و علم الأسلوب من المنظور اللّغوي هو المرجو لأداء مهمة الوصف و التحليل على خير وجه ممكن، و إذن فلا يكن علم الأسلوب- من المنظـــور اللّغوي- هو النقد كل النقد؛ فهو أساس لابد منه لتقويم العمل الأدبي تقويما موضوعيا[2].

و يثبت "ستاروبنسكي" أنّ الأسلوبية هي رفع الحواجز بين اللّغة وتاريخ الأدب، و هي بموجب ذلك علم شامل للدلالات المكرسة في جهاز الأثر الأدبي، و يجزم "جيرو" بأنّ الأسلوبية مصبها النقد، و به قوام وجودها.

فقد استقرّ أنّ الأسلوبية هي نظرية علمية في دراسة الأسلوب، و أنها كبقية المناهج النقدية تسعى إلى بلورة نظرية في تعريف الخطاب الأدبي، و النقد باعتباره ميزان موازين في الأدب، قد عـــرف في تاريخـــه الطويـــل الصراع بين التاريخية و الآنية؛ إذ فيه وجهان لحقيقة واحدة ما هو خارج النص (قبله و بعده)، و ما هو مكون لذاتية النص، و لا تكون الأسلوبية إلاّ معيارًا آنيا، و هي لذلك تعدّ رافدًا موضوعيا يغذي النقد، فيمده ببديل اختياري، يحل محل الارتسام و الانطباع، كي تسلم أسس البناء النقدي[3].

ليس من الـــهين الإجابة الجازمة عن هذا التساؤل نفيا أو إثباتا، و السبب في ذلـــك تـــداخل المســـار بـــين اختصاصات متقاربة، حتى أنّ الطرق الأسلوبية كثيرًا ما تمتزج باتجاهات مـــغايرة تباعد بيـــنه و بين نوعيـــة مشاغله الأساسية.

و لا يمكن التأكيد على تعريف الخطاب الأدبي، و بالتالي تعريف عملية الإبداع الإنشائي بالاحتكام إلى ســـند الأسلوب، و هو معطى مقرر لا شك فيه[4].

---

[1]- محمد عبد المطلب: البلاغة و الأسلوبية، ص 351.

[2]- سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 33.

[3]- ينظر، محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 42- 45.

[4]- عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص 112.

ب/ مناهج التحليل الأسلوبي و أهدافها:

تقوم الأهداف العامة للبحث الأسلوبي على أساس نظرية علم اللّغة التطبيقي، مما يـدعوا إلى الاهتمام بالوسائل المنهجية المشتركة بينهما، و يصبح على البحث الأسلوبي أن يعنى في المقام الأول بتحديد موضوعه، و الهدف الأخير الذي ينشده إذ يمكن تطبيق إجراءات التحليل الأسلوبي بطرق مختلفة[1].

و يمكن التمييز بين مستويين (اتجاهين) في التحليل الأسلوبي: أحدهما يبدأ بدراسة اللّغة ببحث الصيغ (الكلمات)، فيدرس الجانب الصوتي للمفردات و التعابير، ليصل بعد ذلك إلى بحث الدلالات، و يبدأ الثاني بدراسة الدلالة ليصل إلى الصيغ و التعابير [2].

و لقد سلكت الأسلوبية في نموها سبيلين متوازيين؛ أحدهما سبيل الاستقراء، الذي أرسى قواعد ممارسة النصوص، فتألفت من ذلك مكونات "الأسلوبية التطبيقية"، و الأخرى الاستنباط الذي سوى أسس التجريد و التعميم، فاستقامت معه "الأسلوبية النظرية"، و لئن توحدت وجهات النظر نسبيا في حقل الأسلوبية النظرية، فإنّ مجال العمل في الأسلوبية التطبيقية تجاذبته مشارب عدة، حتى لا تكاد تتكاثر بحسب عدد الأسلوبيين التطبيقيين، و لكنها تتلخص– كما بدا "للمسدي"- من استقراء إجمالي في منهجين كبيرين.[3]

فمن أصناف التحليل الأسلوبي ما يتجه فيه أصحابه إلى الوقوف على كل حدث تأثيري يعرض إليهم في تتبعهم النص الأدبي، فيفضلون القول في مقوماته، بحثًا عن السمات التي حولت مادته اللّغوية إلى واقعة أسلوبية. فيكون التحليل آخذًا بأطراف البنى المكونة للسياق الإبداعي؛ من (صوتية، و مقطعية، وتركيبية، ودلالية) و يستوي في هذا التصنيف الشرح الملتقط للمقاطع النصية، في غير توارد، و الشرح المتقصي لأجزاء النص الواحد؛ إذ الخبرة المحركة هي دومًا تفسير السمة الإبداعية؛ في آنها و موضعها لإحلال التحليل و الاستدلال، محل الانطباع و الارتسام.

لكن هذا المنهج كفيل بأن يربط بين التناول اللّغوي، و التحليل الأدبي ربطًا ميدانيا؛ و لكنه سيبقى حبيس السياق الذي يعرض إليه،(كأنما يتخذ المحلل مجهرًا كاشفًا للسمات النوعية، بحسب مسافاتها)، و يسمى هذا المنزع في العمل التطبيقي بـ "أسلوبية التحليل الأصغر"، أما النمط المقابل، فيتمثل في الإقدام دفعة واحدة على الأثر الأدبي المتكامل؛ سعيا إلى استكناه خصائصه الأسلوبية، فيأتي البحث حركة دائمة بين استقراء و استنتاج، فينطلق الشرح حينًا من الوقائع اللّغوية ليربطها بزمام موحد؛ هو الغالب الأسلوبي الضابط لسماتها، ثم ينطلق أحيانًا أخرى من الخاصية التي يستخرجها الباحث، فينعطف بها على أطراف النص المترامية استقصاءً لما يدعمها بعد تمحيصها، عن طريق تحليل منتجاتها؛ (حيث يتوارد الإحصاء و المقارنات العددية، و ضبط المتواترات المميزة)، و هو ما يطلق عليه "أسلوبية التحليل الأكبر".

1- صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته، ص 188.

2- المرجع نفسه، ص 189. و محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 46.

3- عبد السلام المسدي: النقد و الحداثة ، 1983، ص 72.

إذن فالأسلوبية المرتبطة بالتحليل الأصغر، تسمى "أسلوبية السياق"، أمّا المقترنة بالتحليل الأكبر فتسمى "بأسلوبية الأثر"، و يبحث فيها عما جعل المادة اللّغوية وسيلة إبداع و تأثير، كما يمكن استبدال مصطلح "أسلوبية السياق" بـ "أسلوبية الوقائع"، و "أسلوبية الأثر" بـ "أسلوبية الظواهر"، و بين هذه و تلك مجال لتصور نمط جديد ينضوي تحت مجال الأسلوبية "التطبيقية"، إذ يمثل لقواعد العمل الميداني، و لكنه يسعى إلى إدراك محور الدوران بين الجزء و الكل، و هذا النمط لا يكون إلاّ تحليلاً عينيا يدور في فلك النص، ليشخص اختيارات الأنموذج الذي طبع عليه القالب الفني[1]، الذي سكب فيه النص، و هذه الأسلوبية "تطبيقية" تبحث عمّا يخلق الفعل الشعري (الأدبية) في سياق النص، و الذي تحولت مادته اللّغوية إلى نسيج فني، و هدفها تحديد بؤرة الإبداع، فهي ضرب من التحليل المخبري؛ إذ تفتح حنايا النص لتمسك بجهازه المتواري، وراء كتلة الظاهرة، ثم تعيد التأمل في تركيبته من خلال بناه المحركة.

و إذ بان أنّ المرام هو الكشف عن النموذج الأسلوبي؛ من خلال النموذج النصاني، و تسمى حينها "أسلوبية النماذج"؛ إذ تقوم معدِّلاً تطبيقيا بين أسلوبية الوقائع، و أسلوبية الظواهر؛ فتكون بذلك "أسلوبية النص"، مثلما كانت "أسلوبية السياق" و "الأثر".[2]

و قد تعددت طرق التحليل الأسلوبي و إجراءاته:" منهج الكلمات المفاتيح، منهج إمكانيات النحو، منهج النظم، منهج تحليل الانحراف والإحصائي ،و منهج المستوى الوظيفي و... إلى غير ذلك من المناهج .

1- منهج إمكانات النحو :

يرى هذا المنهج أنّ الأسلوب الأدبي يستغل "إمكانيات النحو"، لتوفير العنصر الجمالي، و من أشهر رواده: " ريتشارد أوهمان "(*R- Ohmnan*)، الذي يقول بالنحو التوليدي و مفهوم الأسلوب الأدبي. و عنده أنّ النحو التحويلي التوليدي يجسّد عبارة "بوفون": « الأسلوب هو الرجل»، و على البنوية التي تبدو مصدرًا للتشكلات المتنوعة للبنيات السطحية[3].

هذا مع الإشارة إلى أنّ الأساس المعتمد في التفسير هو الاتجاه الحديث، الذي يرى أنّ اللّغة تتكون من قائمة من الإشارات، و قائمة من القواعد الأساسية[4].

و من القواعد الأساسية الناظمة لتركيب هذه الإشارات، فتتطابق القائمة الأولى مع الكفاءة اللّغوية، بوصفها انتقادًا للنظام اللّغوي الحالي، و مع الأداء بوصفه للاستعمال الحالي لهذا النظام، أما القائمة الثانية فهي قائمة قواعد لبناء الإشارات و الرموز، قد تكون المكونات التبادلية "*kompomente, Fragmatis*" [5]

---

[1]- ينظر، عبد السلام المسدي: النقد و الحداثة، ص 73- 76.
[2]- المرجع نفسه، ص 75- 77.
[3]- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 47.
[4]- فيلي ساندريس: نحو نظرية أسلوبية لسانية، ص 195.
[5]- المرجع نفسه، ص 175.

و على اعتبار اللّغة قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة للتعبير، و من ثمّ فإنّ الأسلوب يمكن تعريفه بأنه اختيار "*Choise*" أو انتقاء "*Selection*"؛ و كونه اختيارا لايعني هذا أنّ كل اختيار يقوم به المنشىء لابد أن يكون أسلوبيا؛ إذ يجب التمييز بين نوعين من الاختيار:

أ- اختيار محكوم بسياق المقام" *Contaxt of situation*"، وهو نفعي مقامي "*Parragmatic selection* "[*].

ب- انتقاء نحوي " *Grammatical Selection* ": و المقصود بالنحو هنا قواعد اللّغة بمفهومها الشامل: الصوتية- الصرفية- الدلالية- و نظم الجمل؛ إذ يمكننا انتقاء كلمة أو تركيبًا على تركيب آخر. و يدخل تحت هذا النوع من الانتقاء كثيرا من موضوعات البلاغة المعروفة:" كالفصل، الوصل، التقديم و التأخير، الذكر و الحذف"و يتحدد الشكل النهائي للنص بهذين النوعين من الاختيار (إلاّ أنّ مصطلح الأسلوب ينصرف أساسا إلى النوع الثاني، أي الاختيار النحوي) ،و يمكن التمييز بين نوعين:ّ

فالاختيار يكون مقاميا حين يكون بين سمات مختلفة تعني دلالات مختلفة، و يكون أسلوبيا إذا مختلفة تعني دلالة واحدة (أي تعدد المبنى للمعنى الواحد)[1] ، وقد حاول "بارنرد شلنر" تحديد الاختيارات على النحو الآتي:

-اختيارات الغرض من الحديث: (الإبلاغ، الدعوة، الإقناع، غرض جمالي...).

-اختيار موضوع الحديث: (جواد، فرس،حصان...).

-اختيار الرمز اللّغوي: (الاختيار بين عدة لغات، لهجة ...)[2] .

-الاختيار النحوي: التراكيب النحوية كالجملة الاسمية، الفعلية ...).

-الاختيار الأسلوبي: و يعثر عليه المتكلم من بين الإمكانات الاختيارية المتساوية دلاليا.

و لكن يبدو أنّ "أندريج"(*Anderegg*)، كان أكثر شمولاً عندما جعل الاختيار مرتبطا بالقصد من الرسالة و السياق، و الموقف و القواعد النحوية و المعجمية.

لقد تمت معالجة عملية الاختيار بالدراسات اللّغوية الحديثة على أنها نظرية في الاتصال، و ذلك حسب ما جاء به "بوهلر" *(Buhler)*، و" موريس "*(Moris)* ، و "جاكبسون"[3].

و في كتب التراث شواهد كثيرة على أنّ الخطأ في التعبير المقامي المناسب يؤدّي في العادة إلى رد فعل عكسي لدى المتلقي، و يحول بين المنشئ و بلوغ ما يريد إحداثه من أثر[4]."فعبد القاهر الجرجاني" استطاع من خلال "النظم" أن يجعل المعجم و التراكيب داخلتين في عملية الاختيار؛ حيث يقول: « تتحدد أجزاء الكلام

---

[*] - ربما يؤثر المنشئ كلمة أو عبارة، لأنها أكثر مطابقة- في رأيه- للحقيقة، أو لأنه يريد أن يضلل سامعه أو يتفادى الاصطدام بحساسية تجاه عبارة أو كلمة معينة، انظر، سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 38.

[1]- المرجع نفسه، ص 38- 40.

[2]- ينظر، موسى ربابعية: الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، ص 30- 33.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 38.

و يدخل بـــعضها في بعض و يشتد ارتباط ثانٍ منها بأوّل، و أن تحتاج في الجملة، إلى أن تضعها في النفس وضعًا واحدًا، و أن يكون حالك فيها حال الباني(...)، و في حال ما يبصر مكانا ثالثا ورابعا يضعهما بعد الأولين، و ليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره، وقانون يحيط به» [1].

و يستنتج من هذا القول أنّ الاختيار عملية مقصودة من المرسل؛ لأنه يقصد الإفهام و الإبلاغ و التأثير في المستقبل، كما أنّ عملية الاختيار مفتوحة لا نهائية.

لكن دراسة الأسلوب على أنه اختيار، ليس بالسهل لأنّ التمييز بين سمات الصياغة التي تعني الدلالة نفســـها، و تلك التي تعني دلالات مختلفة، يبدو في كثير من الأحيان صعبًا، كما أنّ التنبؤ بهذه الاختيارات يقع خـــارج متناول البحث[2].

كما أنّ الناقد إذا ما حاول مواجهة نص من النصوص و تحليله، و دراسته من خلال تعريف الأســـلوب بأنـــه اختيار؛ فلابد له أن يحدد الظاهرة الأسلوبية، و إلاّ فإنه يجعل النص كله على أنّه اختيار. و لنأخذ هذا النموذج التطبيقي[3]:

يقول امرؤ القيس في معلقته:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَ مَنْـــزِلِ * بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدُخُولِ فَحَوْمَلِ [4]

فإذا كان الشطر الأول يمثل ظاهرة أسلوبية قائمة على اختيار الفعل "قفا" بصيغة الأمر، و"نبك" الذي صـــار جوابا لفعل الأمر، و ذكرى، حبيب، و منزل، كلها أسماء يمكن استبدالها، لكن الناقد لا يستطيع إجراء ذلـــك التغيير (لأنّ الشاعر يتعامل معها تعاملاً واقعيا و جدانيا). فهل يمكن أن تشكل أسماء المكان ظاهرة أسلوبية؟.

إذا نظر إليها على أنها مفردات مرتبطة بعضها البعض، لا يمكن أن تشكل ظاهرة أسلوبية، أمّا إذا اعتبرت تكيفا و تعدادًا للأماكن التي ترتبط بتجربة الشاعر، فيمكن حينئذٍ أن تمثل تلك الظاهرة الأسلوبية[5].

2/ منهج النظـــــــــم:

يرى أنّ الأسلوب الأدبي يتميز بما يوفره من نظم أجزائه، و تناسقها في إطار تركيب نموذجي،و عناصـــر التراكيب (الصوتية و النحوية و الدلالية) تؤلف شبكة من العلاقات المتناسقة؛ فالكلمة و العبارة و الشـــكل اللّغوي الدال تدخل في ألوان متنوعة من النظام لتشكل أنماطًا جديدة من البنى اللّغوية، ثم تتوزع الدراسة النقدية لأجزاء النظم. فبعضهم يهتم بالمستوى الأول (تناسق الأصوات، مخارج النطق، النـــبر، جماليـــة الإيقـــاع...) و آخرون ينظرون في المستوى الثاني (المعاني و ما بينهما من تماثل أو تباين)، و فريق ثالث ينظر في المســـتوى

1- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 77- 78.

2- سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 41.

3- موسى ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، ص 31.

4- امرؤ القيس: الديوان، دار صابر بيروت (د- ت)، ص 29.

5- ينظر، موسى ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، ص 31- 32.

التركيبي (توازن الجمل و العبارات، تناظر بناها، تواترها...)[1].

و إذا ما ميز بين علم الصيغ و علم النظم، جعل موضوع أحدهما صيغ الألفاظ، و موضوع الآخر بناء الجمل، يكون من التمييز المصطنع، و لا يمكن متابعة في التفاصيل، و لكم من مرة يتم التمييز بين علم الصيغ "*Morphologie*"؛ باعتباره العلم الذي يدرس بناء الصيغ النحوية، وعلم النظم "*Syntaxe*"، و الذي يتناول وظيفة تلك الصيغ[2]، و هذا تمييز منهجي لا طائل منه؛ لأنهما في النهاية يؤديان الخدمات نفسها، و من ثم كان هناك مجال يجمعهما في باب واحد من علم اللسان هو باب النحو "*Grammaire*"، و الذي يعد أدق علم الصيغ.[3]

و قد ركز "جاكبسون" اهتمامه على مبدأ النظام و النظم في اللّغة، و هو يركز على عنصرين: (الاختيار المعجمي- ثم عملية التركيب التي تقتضي قوانين النحو)، و تسمح لبعضه الآخر سبل تصرف الاستعمال؛ فالأسلوب يتحدد بتطابق جدول الاختيار على جدول التوزيع، مما يعزز انسجاما بين العلاقات الاستبدالية و العلاقات الركنية، و هي علاقات حضورية تمثل تواصل سلسلة الخطاب بحسب أنماط بعيدة عن العفوية و الاعتباط. كما اقترح "كوخ" (*Kock*) نوعين من التحليل:

أ/ نوع يعنى بالسياق: يرصد العلاقات القائمة في النص الشعري.

ب/ نوع يعنى بالشكل الأساسي لقالب التركيب، فيرصد ما حذف من عناصر النص[4].

و من أسلوبيي هذا الاتجاه "هاليداي" (*M.Halliday*)، و يرى أنّ الصبغة اللّغوية أو الشكل اللّغوي يتمثل في مستويين مختلفين، و لكنهما مرتبطان ارتباطا وثيقا (النحو و الألفاظ)، و اعتبر عملية وصف النحو و الألفاظ "وصفا للأنماط الداخلية ذات المغزى للغة، أي: الطريقة التي تتركب بها اللّغة داخليا للتعبير عن التباين في المعنى"[5].

و قد أخذ مبدأ التلاحم "*Cohesion*"، و هو علاقات سياقية تسلسلية تتحقق في التركيب اللّغوي بدرجات متفاوتة، و يمكن أن يكون في نوع من التكرار لبعض الكلمات. و بهذا يكون لعامل التلاحم و نقصه دورًا هاما في نغمة الأسلوب الأدبي[6].كما تبنى "هاليداي" مبدأ دراسة الألفاظ في استقلال عن التراكيب النحوية، و اعتبرها مستوى تحليليا قائما بذاته، فيتم تفصيل كل مستوى و مكوناته على حدي ، ثم تبحث دراسة العلاقة بينهما[7] - إن هذا المنهج لا شك في وجوده عند البلاغيين العرب، منطلقهم الرئيسي

1- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 48.

2- ينظر، لانسون ماييه : منهج البحث في الأدب و اللّغة، تر: محمد مندور، دار العلم للملايين بيروت ط2 1982، ص 111- 115.

3- المرجع نفسه، ص 111- 115.

4- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 48.

5- علي عزت: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب و تحليل الخطاب، أبو الهول للنشر القاهرة، ط1 1996، ص 21.

6- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا ، ص 48.

7- ينظر، علي عزت: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب و تحليل الخطاب، ص 40- 41.

و الأساسي عملية النظم، التي أخذت أشكالاً و ألوانًا عدة، و هي التي تمثل عمق المنهج الوظيفي المتكامل عبر الدراسة اللّغوية للنص المقدس، و عبر عنه بالتأليف و الرصف و الصياغة-

فأول ما يطالعنا في كتاب "أسرار البلاغة" "لعبد القاهر الجرجاني" حديثه عن النظم؛ إذ ليس للفظ مزيـــة دون المعنى و لا للمعنى مزية دون اللفظ؛ بل المزية للنظم الذي يحدثه اللفظ ومعناه عند الصياغة، و هو يقصـــد معنى اللفظ عند التركيب و الصياغة؛ و إن كان لا ينكر ما للفظ من خفة و استعمال و لكنها ليست المزيـــة المعنية و المقصودة في أمر النظر[1].

و إذا كان النظم يقوم على النحو فإنه لا يراد بالنحو بداهة، و إنما يراد به "المعاني النحوية" (كما هو مبين عند كل من :"تمام حسان" و" المسدي" و" عبد الرحمن أيوب"...)، و لنأخذ مثلاً للتطبيق قوله تعالى: « أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ »[2].

فموقع كلمة "تجارتهم" من الإعراب فاعلاً مرفوعا، و أنها كلمة مضافة إلى ضمير بعدها، لكن النظم الذي يقوم عليه علم المعاني سوف يتساءل عن معنى الفاعلية في كلمة " تجارتهم"، و هنا ندخل انطلاقا من دائرة المعـــاني النحوية إلى مبحث الجمال في التركيب الذي اكتسبته العبارة عن طريق المجاز - استغلال المعاني النحوية الخاصة لصالح المعاني النحوية العامة- المعنى الوظيفي لا معنى الباب النحوي في حد ذاته-

و قد رأى "الجرجاني عـــبد القاهر"، أنّ الفن البلاغي يمكن أن يتمّ فيه التشكيل و التعبير على نفس المستوى، فيصاغ نصان أدبيان من مادة لغوية متقاربة؛ لكن أحدهما بليغًا موجزًا، و يظل الآخر في وضع دونه. و الفرق بين الأمرين يعود أساسًا إلى قوة "الإحكام و التماسك" [3].

فطبيعة الإشكالية التي تبحث فيها النظرية اللسانية، مرتبطة بالعلاقات التي يمكن تحقيقها من خلال تعاقب وحدات الإنجاز اللّغوي، و التي ترتكز في جوهرها على ضرورة الانقياد لما تمليه قواعد اللّغة الخاصة، مع ضرورة مراعاة العلاقات اللّغوية المخصوصة، و التي تتحكم فيما بين الكلم[4].

و في هذا الشأن يقول "الفاسي الفهري":« إنّ أحد الإشكالات الأساسية بالنسبة لكل نظرية نحوية هو تخصيص العلاقة التي يمكن إقامتها بين صورة الجملة و معناها(...)أو بين العلاقات الدلالية التي يقيمهـــا المحمـــول مـــع موضوعاته، و التي نسميها البنية المحمولية، و بين بنية المكونات كما تنتظم في السطح، و التي نســـميها البنيـــة المكونية و يتم هذا التوافق بين البنيتين في النظرية المعجمية الوظيفية، بواسطة الوظائف النحوية»[5].

و هذا المنهج يمكن من التمييز بين مختلف النتاجات الأدبية، انطلاقا من مدى التماسك و الانسجام بين العناصر

---

[1]- ينظر، محمد رمضان الجربي: الأسلوب و الأسلوبية ، منشورات دار الهدى E.L.G.A ، ط2002،ص 78- 79.

[2]- البقرة: 16 .

[3]- أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث، ص 102- 105.

[4]- عبد الحليم بن عيسى: اللسانيات و النص القرآني، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، ص 284.

[5]- عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات و اللّغة العربية، ص 80.

النحوية مستغلين في ذلك (الصيغة و الموقعية، الوظيفة و توزيع الأدوار في ما بين الكلم المفردة) لنصل في النهاية إلى التركيب الكلي.

فالسياق إذن ليس مجرد امتداد خطي لتركيب المفردات؛ و إنما هو مظهر فاعلية النص البنائيـــة، الـــتي في بوتقتها تنتظم دلالات المفردات، و تنـــزاح الجمل عما توهم به عناصرها، فيتراجع نحوها العام عن ساحة إنتاج دلالاتها، وتندرج الجملة في نحو أوسع منه "نحو النص"، فلا وجود لمفردة دلاليا إلاّ داخل السياق[1]

لكن صعوبة هذا المنحى تكمن في عدم مقدرة التمييز بين ما هو نظم و ما هو كلام عادي (وتكلمنا عـــن هذه النقطة سابقا عندما تطرقنا لأنواع النظم الثلاثة)، بالإضافة إلى عمق البحث الناتج عن عمق الاتجاه ذاتـــه "النظم".

3/ منهج الكلمات المفاتيح[*1]:.

هو منهج تجريبي لتحليل الأسلوب، يعتمد على دراسة لمؤلف ما من خلال كلماته البـــارزة في الـــنص، تسمى بـــ "الكلمات المفاتيح"، و الكلمة المفتاح هي التي يصل معدل تكرارها في عمل أدبي معـــين، و لـــدى مؤلف معين إلى نسبة أعلى مما هي عليه في اللّغة العادية، و هي تقوم بدورها في علم الدلالة البنـــوي، و هـــذا المصطلح ليس حديثًا، بل قال به "سان بارت"؛ حيث ذكر أنّ لكل كاتب كلمة مفضـــلة تتـــردد بكثـــرة في كتاباته، و تكشف بطريقة غير مباشرة عن بعض نقاط الضعف و الرغبات الميتة، كما ذكر "بودلار" قول أحد النقاد، يدعو إلى ضرورة البحث في أعمال كاتب ما عن أكثر الكلمات دورانا في أعماله[2].

و يجب أن التميز بين الكلمات (الموضوعات[*2] ولمفاتيح)، و هذه الأخيرة تعتمد على معدلات التكـــرار النسبية لا المطلقة.

و يظل اكتشافها عملية حساسة؛ إذ إنها من الممكن أن تختلط بالكلمات السياقية، الـــتي يرجـــع الســـبب في معدلات تكرارها إلى الموضوع قبل أي باعث أسلوبي آخر، و أخذت بعض البحوث عنها(الكلمات المفاتيح) طابعا إحصائيا بحتا. فكلمة(المجد) مثلا هي الكلمة الرئيسة الكاشفة عن ذروة شواغل و هموم أبطال "كورني" و هذه الدراسة أضافت قيمة لتحليل عناصر الرؤية الشعرية عند الشاعر" بودلير" من خـــلال كلمـــة(الهـــوة) و الكلمات المرتبطة بحقلها الدلالي، و انتقل في الآونة الأخيرة إلى دراسة الحقـــول الدلاليـــة بمنـــهج بنـــوي لاستكشاف العناصر المستقبلة فيها و علاقات التبادل و التضاد بينها و تحليل شبكة علاقاتها من أجل ربطهـــا

---

[1]- محمد فكري الجزار: لسانيات الاختلاف الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة ، إيتراك للطباعة و النشر، ط2 2002، ص 101.

[*1]- المفاتيح تشير إلى الكلمات التي تفوق في ترددها المعدلات العادية لدى أمثال في الموضوعات نفسها، الأمر الذي يعطيها دلالة متميزة. محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 50.

[2]- ينظر، محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 49.

[*2]- الموضوعات: تشير إلى المصطلحات التي تتردد لدى كاتب معين بحكم الموضوعات التي يعالجها، محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 50.

بالنمط أو النموذج المثالي و اختصارها في معادلتها الأخيرة، قبل البحث عن تفسيرها الجمالي و الاجتماعي معا[1].

4/ منهج تحليل الانحراف:

إنّ مؤلفي "البلاغة العامة" قد حاولوا الغوص في أعماق مفهوم الانزياح من الوجهة اللسانية قبل كل شيء و قد اهتدوا إلى جملة من التقديرات الطريفة؛ أبرزها اعتبارهم أنّ الانزياح ضرب من الاصطلاح، يقوم بين الباث و المستقبل، و لكن اصطلاح لا يطرد، و بذلك يتميز عن اصطلاح المواضعات اللّغوية الأولى، فهو إذن تواضع جديد لا يفضي إلى عقد بين المتخاطبين[2].

فهذه الفئة ترى أنّ الانزياح مفارقة "*Departure* "، أو انحراف "*Deviation*" عن نموذج آخر من القول، ينظر إليه على أنه نمط معياري "*Norm*"، و مصوغ مقارنة بين النص المفارق و النص النمط، هو تماثل السياق في كل منهما[3].

و باعتباره مصطلحا نقديا (*)، فإنّ الدراسات النقدية و الأدبية الحديثة تركز على عنصر الاستخدام اللّغوي في النص، و يتجلى مثل هذا التركيز في الدراسات الأسلوبية و الألسنية على أنه لغة مستخدمة بطريقة مغايرة للمألوف و المعتاد، و هو واحد من أكثر المصطلحات إشكالية في الدراسات الأسلوبية خاصة و النقدية عامة.

و يبدو أنّ للانحراف أشكالاً متعددة، إذ وصف "ماركوز" الانحرافات المقبولة في النظرية الأسلوبية إلى خمسة أنواع:

1/ انحرافات يمكن أن تندرج- حسب درجة امتدادها في النص- في الانحرافات المحلية أو الشاملة، و يصيب الانحراف المحلي أو الموضعي جزءا محددا من السياق(الاستعارة انحراف موضعي عن اللّغة المعيارية)، أمّا الشامل فإنّه يصيب النص ككلّ (فتتردد وحدة لغوية معينة بكثرة غير مألوفة أو ترددها بندرة كذلك)، و هو عام يمكن تحديده إحصائيا.

2/ يمكن أن تتنوع الانحرافات بالنظر إلى صلتها بنظام القواعد الموجودة في المعيار اللّغوي (سلبية- إيجابية).

3/ يمكن أن تصنف الانحرافات على ضوء صفة المعيار البارز بالنص مجال التحليل؛ فتميز الانحرافات الداخلية (عندما تبرز وحدة لغوية عن المعيار الممتد في النص كله)، و أخرى خارجية (فأنه يحدث إذ انحرف أسلوب النص عن معيار اللّغة المعينة).

1- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 50-51.

2- عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص 105- 106.

3- سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 43.

* -الانزياح له أسماء عدة في الغرب: (الانزياح – التجاوز – الاختلال – الإطاحة- المخالفة- الانتهاك ...). موسى رباعية: الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، ص 35.

4/ تصنف الانحرافات بناءً على المستوى اللّغوي الذي تحدث فيه، و بهذا يمكن تمييز كل من الانحرافات (الخطية، الفونولوجية، الصرفية، الدلالية).

5/ و تتميز الانحرافات في النهاية على وجود أسس أخرى: كالوحدات اللّغوية، أو اندماجها بالمعنى الذي ورد عند "جاكبسون"، إنّ الانحرافات النحوية التركيبية التي تأتي في تتابع الرموز اللّغوية، تخل بنظم الاندماج (انحراف موقعية الكلمة عن المعيار).

أمّا الانحرافات الجدولية فإنها تدخل بنظم الاختيار عند انتقاء الرموز اللّغوية(كانحراف الأجناس النحوية مثل الصفة بدلا من المبتدأ)[1].

و يمكن عد الانزياح فجوة "*Gap*" بين الشكل النحوي و البناء الدلالي، و إنّ امتلاء الفجوة و استنطاق الانحراف اللّغوي عن دلالته، يبدأ من إقامة التلاحم الذي تم تفكيكه بين "البنى النحوية و الدلالية"، و ذلك بواسطة سياق يتمتع بفاعلية تتجاوز سطح التشكيل الحامل للانحراف إلى اقتناص العلامات المختلفة، و التي تتوزع هناك ليس عمقا و لا سطحا، و إنما هناك في الفضاء النصي حيث علاقات الغياب- مفعول الفجوة و الانحراف- بتبادل مع علاقات التشكيل الحاضرة فعلاً نصيا وحده القادر على بناء السياق، و بالتبعية إنتاج الدلالة، كما أنّ التجاوز يتمّ على مستوى الجملة و قوانين الربط الخاصة بتتابع الجمل في السياق، من فصل ووصل و استئناف و تعليق و إحالة[2].

و لعلّ قيمة الانزياح في نظرية تحديد الأسلوب اعتمادًا على مادة الخطاب تكمن في أنّه يرمز إلى صراع قارّ بين اللّغة و الإنسان: هو أبدًا عاجز عن أن يلم بكلّ طرقها و مجموع نواميسها، وكلية إشكالها كمعطى "موضوع ما وراء"، بل عاجز عن أن يحفظ اللّغة شموليا، و ما الانزياح عندئذٍ سوى احتيال الإنسان على اللّغة و على نفسه لسد قصوره و قصورها معا[3]. - أو يمكن عده عبثا لغويا-

إن ما يثير مشكلات معقدة في تحديد الأسلوب بوصفه انزياحا، فهو مسألة المعيار الذي يبرز الانزياح. فما هو المعيار الذي تتحدد في ضوئه الانزياحات؟ و كيف يتحدد هذا المعيار لتستجلي في النهاية اللّغة ذات الانزياح الأدبية و من ثم اللّغة ذات الأسلوب؟

لقد وجد في مشروع "جون كوهن" (*J-Cohen*) أنّ الذي يحدد الانزياحات بمختلف أنواعها؛ إنما هو عالم اللسانيات، في حين يحدد الانزياحات في مشروع "ميشال ريفاتار" إنما هو القارئ (القراءة).[4]

و بالنتيجة فإنه يمكن إجمال المشكلات التي يثيرها النظر إلى الأسلوب بوصفه انزياحا:

---

[1]- ينظر، موسى ربابعية : الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، ص 35- 36.

[2]- محمد فكري الجزار: لسانيات الاختلاف، ص 148.

[3]- عبد السلام المسدي : الأسلوب و الأسلوبية، ص 106.

[4]- ينظر، حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ص 44- 48.

1- كيفية النظر إلى نصوص ليس فيها انزياح عن قاعدة معينة.

2- يصعب تحديد كلاًّ من القاعدة و الانحراف بالدقة العلمية المنشودة.

3- كيفية تتبع الخواص النوعية للانزياح بتحديد الأسلوب بوصفه انزياحيا، إنما هو تحديد سالب.

4- كيفية النظر إلى انزياحات لا يترتب عليها تأثير أسلوبي.

5- إغفال هذه النظرية لعملية التواصل؛ إذ تركز على علاقة الظاهرة اللّغوية في النص بالقاعدة المنشقة عليها، و تغفل عن المؤلف و القارئ.

6- كيفية تطبيق نظرية الانزياح على مؤلفين يكتبون بأسلوب اعتيادي.

7- و لعلّ أخطر ما يترتب على تطبيق هذه النظرية في تفسير النصوص الأدبية، هو الاعتداد بالملامح الأسلوبية القليلة المميزة غير المستعملة عادة، و إهمال بقية ملامح النص الدالة و بنيته الأساسية[(1)].

وبالتالي فإنّ المصطلح- الانزياح- أو بعض مشتقاته ورد في بعض كتب النقد و اللّغة و البلاغة، و التأصّيل للمفهوم يستلزم ذكر بعض السياقات التي ورد فيها المصطلح بمعنى فني، مما يمكن أن يوضّح إلى أي مدى اقترب المصطلح و استعماله من المفهوم الحديث، فقد استعمل من طرف:" ابن جني"- "الفرابي "(ت 339هـــ)-" ابن سينا" (ت 480 هـــ)...وغيرهم.

وقد اصطلحوا عليه"العدول" ،وجميل أن نلقى المصطلح في النقد العربي القديم والحـــديث تحـــت تســـميات مختلفة[(2)].

ويتجسد هذا المنهج عند العرب من خلال الصراع بين اللّغويين والنقاد،إذ تعود النحاة توجيه لغة الشعراء فراحت الفئة الأخيرة ترفض وتهاجم حتى النحاة واللّغويين والنفور من مقاييس النحو، فالقضية اتخذت شـــكل مواجهة بين النحاة واللّغويين، وبين النقاد والأدباء استنادا إلى المعيار الجائز وغير الجائز،لكن البلاغيين لا تعنيهم إلى درجة بعيدة نقد المعيار [(3)].

وعلى هذا يعد وضع النحو المناسبة التي أتاحت بل تطلبت حديثا منظما يقابل بين الشعر والكـــلام مـــن حيث البنية اللسانية،و يعطى الشعر بسبب ذلك ما لا يعطى الكلام من حرية التصرف في البنيات التركيبية و الدلالية، مما يدخل في باب" ما يحتمل الشعر" أو ما يجوز في الشعر للضرورة[(4)] ؛ لذا فإن الاستعمال اللّغوي يحكمه صنفان من العلاقات اللّغوية:

---

[1]- ينظر، صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته، ص ص: 215- 216. و حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ص 46- 47.

[2]- أحمد محمد ويس:الإنزياح في التراث النقدي والبلاغي ،ص38.

3- ينظر ،عبد الحكيم راضي:نظرية اللّغة في النقد الأدبي مكتبة الخانجي القاهرة ،ط1 2003،ص15ـــــ12.

[4]- محمد العمري: البلاغة العربية؛ أصولها و امتداداتها، ص117.

- العلاقات اللّغوية العادية و المألوفة، المبنية على توالي الوحدات اللّغوية في طبيعتها الموضوعية و العقلية.
- العلاقات اللّغوية غير العادية(المنحرفة)، و التركيز هنا يكون على الانحراف اللّغوي أكثر، كما اعتمد بعض الباحثين العرب على مقياس الانحراف في دراسة الأسلوب كما هو عند" هادي الطرابلسي"؛ إذ إن المتحول عن اللّغة في الكلام عنده متعدد الأشكال : قد يكون تحولا عن قاعدة نحوية أو بنية صرفية أو وجهة معنوية ،أو في تركيب جملة، و هذا الطرح تحديد مقبول لظاهرة الانحراف الأسلوبية و تلخيص لمقولاتها[1].

و للباحثين العرب المحدثين موقف من الانزياح عند القدماء: فلقد ارتبطت أبواب المعاني عند العرب القدماء بفكرة الانزياح، فلا مجال للكلام عن مراعاة الأصل في باب المعاني، و إلاّ عد الكلام مكرورا، و صور الانزياح عندهم مقرونة بتقديرات البلاغيين وتخريجاتهم، و منها (التقديم و التأخير، الإيجاز و الإطناب، الالتفات...). و هذه النظرة للانزياح تثبت من وجهة نظر مخالفة محدودية الانزياح و خضوعه للتقنين المسبق، وعلى هذا اعتبر الأسلوب نسجا في منوال، بدل أن يكون نسجا لا سابقة له، لذلك سعى الدارسون العرب المحدثون إلى تجاوز هذه المصادرة، و التي ربطت الأسلوب بالأداء[2]، ويقول في هذا الصدد "شكري عياد":« و حين نحاول اليوم أن نبدأ دراسة المبدأ من جانب اللّغة، فإنما نعيد الأمر إلى نصابه، و لكننا نستبدل من علم لغوي(...) ينكر الواقع (...) علما لغويا يستمد قوانينه من الواقع ليعود أقدر على التأثير فيه »[3].

فقضية الانزياح استقطبت اهتمام الكثير من الباحثين، و ألم بها تنظيرًا و تطبيقا، كما لم يهملوا الإشارة إلى الباحثين الأسلوبيين الغربيين الذين قالوا بالانزياح مع تدعيمهم لهذه الآراء الغربية بإضافات، مع التأصيل له في النقد الأسلوبي العربي ، كما لا تكاد تخلو دراسة أسلوبية عربية من الإشارة إلى مفهوم الانزياح، و دوره في الخطاب الأدبي[4].

و على وجه العموم فإنّ التحليل الأسلوبي عند أصحاب هذا الرأي، هي المقارنة بين الخصائص و السمات اللّغوية في النص النمط، مرتبطة بسياقاتها و بين ما يقابلها في النص المفارق، و هذه المقارنة تنقسم إلى:

أ/ **مقارنة صريحة** "*Explicit Comparaison*": حين يكون النص نمطا متعينا.

ب/ **مقارنة ضمنية** "*Implicit Comparaison*": عند غياب النص المعين[5].

و أيا ما كانت نوع المقارنة فإنها تشكل الوسيلة المنهجية الأساسية، التي هي قوام التمييز بين الأساليب، و برغم الانتقادات الموجهة له ،إلاّ أنه من أهمّ العناصر التي تضفي حيوية و جمالية على السياق الذي ترد فيه، و لا يمكن

1- ينظر، صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته، ص 217.
2- جمال حضري: ظاهرة الانزياح في شعر صلاح عبد الصبور، جامعة الجزائر، ماجستير،2000، ص 9.
3- محمد شكري عياد: مدخل إلى علم الأسلوب، أصدقاء الكتاب- القاهرة ، ط3 1996، ص 21.
4- ينظر،نور الدين السد: الأسلوبية و تحليل الخطاب، ج1 ،ص 192- 195.
5- سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 43.

لباحث تجاوز الانحرافات الموجودة في النص لأنها علامات أسلوبية بارزة[1].

5/ المنهج الإحصائي:

البعد الإحصائي في دراسة الأدب، هو من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب، و تمييز الفروق بينها، و يكاد ينفرد من بين المعايير الموضوعية بقابليته بأن يستخدم في قياس الخصائص الأسلوبية، كائنا ما كان التعريف الذي تبناه الباحث للأسلوب ،أو الطراز النحوي الذي يستخدمه، و ترجع أهمية الإحصاء هنا إلى قدرته على التمييز بين السمات أو الخصائص اللّغوية: الأسلوبية منها و غيرها (عشوائية) و للكشف عن ذلك كله، لابد من إجراء القياسات الكمية الدالة، و لقد مرّ استخدام الإحصاء في دراسة اللّغة بمرحلتين:

أ/ اتجاه يهدف إلى قياس الخصائص العامة (أو المشتركة) في الاستعمال (*The Universals*) - وهذا الاتجاه يمثل المرحلة الأولى-

ب/ المرحلة الثانية: ساد اتجاه مقابل، هدفه التوصل إلى الخصائص الفارقة (أو المميزة) بين الأساليب، و ولى الدارسون هذا الاتجاه أكبر اهتمامهم؛ بينما تولى بعض المشتغلين بعلم اللّغة العام تطوير الدراسات في الاتجاه الأول، إلاّ أنّ الاتجاهين متكاملين.فما هي المجالات التي تستعين فيها الأسلوبية بالإحصاء؟

1. المساعدة في اختيار العينات اختيارا دقيقا؛ بحيث تكون ممثلة للمجتمع "*Posulation*" المراد دراسته.

2. قياس كثافة الخصائص الأسلوبية "*The Density*"عند منشئ معين، أو في عمل معين.

3. قياس النسبة بين تكرار خاصية أسلوبية، و تكرار خاصية أخرى للمقارنة بينهما[*1].

4. قياس التوزيع الاحتمالي " *Probabilstic Dixtribution*" لخاصية أسلوبية معينة (ذلك أنّ التوزيع الاحتمالي يصف الاحتمال أو التوقع) الذي تتكرر به ظاهرة ما في مجموعة من العينات).

كما يساعد في التعرف على النزعات المركزية في النصوص (فاستخدام الجمل الطويلة لا يعني انعدام الجمل القصيرة في نص معين).

و هذه الدراسة تفيد في معالجة عدد كبير من قضايا الأسلوب؛ فبالإضافة إلى المعايير الموضوعية الأخرى، فإنها تسهم في تمييز الأساليب، و تشخيصها على فرض تعاصر هذه الأساليب؛ أي ما يسمى بالدراسة السنكرونية " *Synchronic Stady* "، كما أنها تستخدم في تمييز التطور التاريخي للأساليب "*Diachronic* " و هذا المنهج جدير بأن يحتل في تاريخ الأدب مكانة خاصة [*2]كما تمتد الإفادة إلى منطقة تتصل اتصالاً وثيقا

---

[1]- موسى ربابعية: الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، ص 41.

[*1] - حساب النسبة بإحصاء عدد مرات تكرار الخاصية الأولى و الثانية، و قسمة حاصل جمع تكرار أحدهما، على حاصل جمع تكرار الأخرى، و يتم بذلك حساب الجمل الاسمية إلى الجمل الفعلية، أو نسبة الأفعال إلى الصفات. سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 58.

[*2]- إذ يتم تقسيم مراحله إلى فترات زمنية، تتحدد بقيام الدول أو سقوطها (باعتبار المكان)، و هذه التقسيمات تقوم على أساس مبدأ حكمي لا صلة له بتطور الأساليب أو الأجناس الأدبية في ذاتها. سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 62.

بنقد الأدب (معالجة لغة الأدب، و نقد الأسلوب، بتمييز خصائصه، كالتنوع و الرتابة و السهولة). و يتجاوز بذلك مجرد تشخيص الأسلوب (الأحكام الذاتية)، و إلى جانب مجالات كثيرة ذات أهمية في نقد الأدب[1].

و اللافت للانتباه أنّ الأسلوب الإحصائي هو مفهوم احتمالي "*a Probabilstic Concept*"، وقد وجدت هذه النظرية- الإحصائية الأسلوبية-في مصطلحات و مفاهيم النحو التحويلي ضالتها؛ لأنها خلفية ضرورية لأي نظرية أسلوبية. و يرتبط ذلك بأهمية تحديد الطراز النحوي، الذي يتخذ أساسا للدراسة الأسلوبية و ضـــرورة توافر شروط معينة في هذا الطراز، تعين الباحث على الوصف العلمي الدقيق لظواهر الأسلوب[2]؛ إذ بـــدأت بعض الدراسات الأسلوبية الإحصائية في الاعتداد إلى جانب ذلك بالظواهر النحوية (كقياس نســـبة الأفعـــال للصفات)، على الرغم من هذه الأهمية إلاّ أنّ هناك اعتبارات تدعو إلى الحذر في الاعتماد المطلق على المنـــهج الإحصائي، و منها:

1- يعد أشد غلظة و أكثر بدائية من أن يلتقط بعض الظلال المرهفة للأسلوب (شكلي)، كالإيقاعات العاطفية و الإيحاءات، و التأثيرات الموسيقية الدقيقة.

2- قد تضفي الحسابات العددية نوعا من الدقة، الزائفة على بيانات متشابكة أشد سيولة من أن تخضع لهـــذه المعالجة.

3- و من نقط الضعف الخطيرة في الدراسة الإحصائية للأسلوب، أنها لا تقيم عادة حسابا لتأثير السياق، ممـــا أدى بالبعض إلى إدخال التكنيك السياقي المقارن كشرط أساسي في الحساب الإحصائي للملامح الأسلوبية.

4- صعوبة واقعية، و تتمثل في عدم تمكن باحثي الأسلوب- معظمهم- من التكنيك الإحصائي.

5- لا تستطيع الإحصائيات أن تدل الباحثين في الأسلوب على الخواص الأسلوبية، التي تستحق القياس لأهميتها في تكوين الأسلوب، إذ يمكن الوصول إلى نتائج مهمة، دون حصر شامل لكل الخواص في جملة النص[3].

6/ منهج المستوى الوظيفي:

يعتمد المفهوم الوظيفي للأسلوب على فكرة قديمة، تصوره ابتدءا كعملية اختيار واعية أو غير واعية لعناصر لغوية معينة، و توظيفها عن قصد لإحداث تأثير خاص؛ هو التأثير الأسلوبي، إلاّ أنّ الكشف عن مـــدى هـــذا التوظيف و أبعاده، يقتضي من الباحث استخدام وسائل قياس دقيقة، تمنح له فرصة التعرف عليه و اختبـــاره، و ينطلق عندئذٍ من المبدأ الآتي:

يعتمد الأسلوب في نص ما على العلاقة القائمة بين معدلات التكرار للعناصر الصوتية والنحوية و المعجميـــة، و معدلات تكرار نفـــس هذه العنـــاصر في قاعدة متصلة به من ناحية السياق، على أن ألفتنا بمعدلات التكرار

---

[1]- سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 61- 62.

[2]- المرجع نفسه، ص 52- 53.

[3]- ينظر، صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته، ص 270- 271.

للعناصر اللّغوية في سياقات معينة، إنما هي جزء من الخبرة اللّغوية المكتسبة، بهذا فإنّ معدلات السياقات المناظرة الماضية تصبح في التحليل الأسلوبي احتمالات سياقية حاضرة، توازت بمجموعها النص الماثل أمامنا.
و تتضمن هذه الاحتمالات إحالة على قاعدة مناسبة مشروطة بالخبرة الماضية، مما ينتهي بأنصار هذا الاتجاه في البحث الأسلوبي إلى تحديد مبدأ آخر ينص على أنّ أسلوب نص ما، ليس سوى مركب الاحتمالات السياقية لعناصره اللّغوية و طبقا لهذا فإنّ الأسلوب: هو مركب معدلات العناصر اللّغوية في النص من وجهتين أولهما: كونه محصلة لأكثر من عنصر لغوي (لأنّ الأصل هو وجود نسق و صياغة للعناصـــر)، و الأخـــرى: كـــون التحليل الأسلوبي محصلة لأكثر من مستوى لغوي (و إن لا أصبح التحليل مجرد تقسيم فرعي لإحدى مراحـــل التحليل اللّغوي).

و بالتالي فإنّ التحليل الأسلوبي يرتكز على الاحتمالات السياقية بالإضافة إلى معـــدلات التكـــرار، - إذًا فعملية توزيع و توظيف العناصر اللّغوية و استثمارها تجعلنا أمام ثلاث عمليات: الاختيار (الانتقاء)، التوظيف و التوزيع، فهي كلها عمليات متداخلة متفاعلة، و تربط هذه الفكرة بما حدد سابقا؛ من كون الاتجاه الوظيفي مصب لعدة اتجاهات و دراسات، و كل هذه العمليات تسخر لتحقيق النفعية المتوخاة من الاستعمال اللّغـــوي البعد التداولي للغة حاضر في كل آن-.

و هذه العمليات كلها تجري على مستوى السياق؛ لذا انصب الاهتمام أكثر على سياقات الكـــلام (الســـياق اللّغوي على وجه التحديد)، فيما يعرف بالنظرية السياقية "*Theory Cotaxtual*"؛ حيث الوصول إلى معـــنى الكلمة يتطلب تحليلا للسياقات التي ترد فيها، فمعناها يتعدد طبقا لتوزيعها، و يتعدل تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها[1] ، لذا يقول "ستيفن أولمان":« إنّ كل كلماتنا تقريبا تحتاج على الأقل إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي، سواء أكان هذا السياق لفظيا، أم غير لفظي»[2].

و الملامح السياقية الخاصة بالسياق اللّغوي، هي:

- **السياق النصي**: و يشمل: الإطار اللّغوي، من (سياق صوتي، صرفي، نحوي،السياق المعجمي، السياق الخطي و الإملائي و الإطار التركيبي...) ، و استخدام هذا المصطلح "السياق النصي" تجنبا للعناصر غير اللّغوية، إذ إنّ سياق نص ما يفترض أنه أكثر التزاما بصيغة التصنيف الموضوعي اللّغوي للعناصر الاجتماعية أثنـــاء عمليـــة التواصل- تحفظ لأنّ هناك من يرى ضرورة إدراج السياق الاجتمـــاعي أمثـــال: "فـــيرث"، "مالينوفســـكي" و غيرهم، لماله من أهمية في الجانب الوظيفي للغة... و السياق الاجتماعي يشمل (المتكلم، المستمع و علاقتهما بالبيئة)، و على حسب ما أورد "صلاح فضل" قائمة من الملامح السياقية كنموذج قابل للتعديل و يتمثل في:

- **السياق الخارج عن النص**: و يشمل:العصر، نوع القول و جنسه الأدبي، المتكلم (الكاتب)، المستمع

1- محمد فكري الجزار: لسانيات الاختلاف، ص 98.

2- ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللّغة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب القاهرة ط 1985، ص 61.

(أو القارئ)، العلاقة بين المرسل و المتلقي من حيث الجنس و العمر و الطبقة الاجتماعية، سياق الموقف، و الظروف المحيطة)[1].

فالظرف الكلامي عدّ مهما جدا (خاصة بالنسبة للغة المنطوقة و لأسلوبها أيضًا)، و عدت المواقف الكلامية في هذا الظرف حالة مألوفة من التواصل الحواري وجها لوجه، فالظروف الموقفية(أي الموقف الكلامي)، تخلق تراكيب لغوية معروفة، على نحو يمكن للمرء أن يرى فيها سمات أسلوبية عامة للغة الشفوية، و هذا ما يمكن أن يوجز تحت مفهوم أسلوب المقام " *Situationsstil*"[2].

وبالرجوع إلى التكرار و التوزيع، فإن أهميتهما تبرز باتخاذهما منطلقا لتحديد اهتمامات كل من "علم اللّغة"، و "علم الأسلوب"؛ فبينما يهتم الأول بوصف الشفرة[*1] (*Code*)، فإنّ علم الأسلوب يهتم بالفوارق القائمة بين الأقوال المؤلفة اعتمادًا على قواعد هذه الشفرة، بينما استخدام معدلات التكرار واحتمالات التحول، قليلة الأهمية بالنسبة لعلم اللّغة، بينما هو محور "علم الأسلوب".

و هناك من ينطلق من "العامل الأسلوبي"، و يفسرونه موضوع الوحدة الأسلوبية، فالأسلوب من وجهة نظر هؤلاء"لم يعد مجرد وثيقة نفسية؛ بل أصبح من المكونات الجوهرية لأي عمل أدبي، تلك المكونات التي تقوم بدورها المتميز في بنية العمل من خلال سياقه"[3].

و إذا كانت الدراسة المستقصية للأسلوب ينبغي أن تعتمد على اختيار النصوص ذات العلاقات المتبادلة فيما بينها؛ فإنه ينبغي على الباحث معرفة التغيرات التي تستخدم في سياق معين، و ما هو السياق الذي يستخدم فيه هذا التعبير أو ذاك [4]؟

أما بالنسبة لمشكلة السياق فإنّ "صلاح فضل" قد اقترح تصنيفين جديدين، و هما: السياق الأصغر و السياق الأكبر[*2]، فنقطة الانطلاق العملية للتحليل الأسلوبي هي اختيار معدلات التكرار للعناصر اللّغوية في سياقات مختلفة تربطها علاقة ما، فإنّ المقارنات المبدئية تتزايد صعوبتها كلما كانت نصوصها شديدة التشابه أو بالغة التخالف .

---

[1] ينظر، صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته، ص244- 245.

[2] ينظر، فيلي ساندريس: نحو نظرية أسلوبية لسانية، ص 90- 92.

[*1] - لأن تحليل الأسلوب يتضمن أساسا تحديد و تقويم الأبعاد المختلفة التي تتميز بها تلك الرسائل. صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته، ص: 246.

[3] المرجع نفسه، ص: 246.

[4] محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 59- 60.

[*2]- فالسياق الأصغر تدرس فيه كيفية ترابط الكلمات و تبادلاتها، و توافقاتها (منهج شرح النصوص) في الدراسات التقليدية، و قد تكون ضيقة لا تسمح بالكشف عن التفصيلات الدالة، و المعدلات و التحديدات المهمة، (و لا نستطيع أن نستخرج منها نتائج تتصل بوظيفة عنصر ما في بنية عمل أكبر)، أما السياق الأكبر؛ فيبرز أمامنا مسألة أخرى تتعلق بحدود الخط الفاصل بين مستويات السياق. صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته، ص: 247.

إذا كانت هذه هي السياقات النصية فهناك سياق الموقف[1]- و قد ذكر سابقا أنّ حلقة "براغ" اهتمت بالنظر إلى النسق الأدبي لا باعتباره نسقا صلبا مغلقا، بل بالمرونة و الانفتاح، و حاولوا ربطه بالسياق الثقافي العام، ومن ثم البعد الاجتماعي، و كذا المدرسة البريطانية نيو فيرثية...- لأن الاقتصار على دراسة الأشكال أو الصيغ اللّغوية بمفردها و بمعزل عن السياق تعد ناقصة؛ فأي فهم عميق لمعنى اللّغة و وظيفتها في الحياة البشرية، هو عبارة عن فهم للبنية الشكلية للعبارات المختلفة، و علاقة هذه العبارات بالمواقف التي تستخدم فيها داخل مجتمع ما، فالصيغة تستخدم في إطار مجموعة من الأحداث؛ بل تحدث في مواقف معينة لتأدية وظائف لغوية معينة[2]، فالأسلوب في النهاية ليس سوى تعبير يشكل جزءًا من عملية اجتماعية معقدة، و يطلق بعضهم عليها "موقعة السياق الثقافي للنص"، وعملية تحليل الإطار "التاريخي و اللهجي" ضروري لتحديد مؤشرات المقام في الدراسة الأسلوبية؛ فعند الاختيار الأسلوبي لعمل أدبي يمكن أن نستخدم جميع المواقعات(*) الداخلية في النص أو الخارجية عنه، إضافة إلى ضرورة موقعة النص من الوجهة الأسلوبية، يشترط أن نكون على وعي بالامكانات اللّغوية التاريخية، التي يعتمد عليها لأنّ الشعر مثلاً ينجذب نحو هياكل نحوية ماضية.

و من الوجهة الوظيفية: هناك ثلاثة أبعاد متشابكة، يعتبرها بعض علماء الأسلوب أدوات هامة لإبراز فروق الاستعمال اللّغوي، التي لا يمكن التعرف عليها من خلال الفروق التاريخية و اللهجية: "المجال، الكيفية، الطابع".

- **فمجال القول:** لنص معين يتعلق بموضوعه و بالملامح اللّغوية التي يمكن أن تترابط معه (وتعتمد على هذا المبدأ – البعد- في اختيار اللّغة الأدبية).

- أما **كيفية القول:** فهي تمثل البعد الذي يتصل بالفروق اللّغوية الناجمة عن الاختلاف بين قول منطوق، و آخر مكتوب. كما يتعداه إلى المستوى النحوي و المعجمي.

وهي نتيجة للاختلاف بين المواقف التي يتعين على اللّغة المنطوقة أو المكتوبة أن تؤدي وظائفها فيها؛ و بالتالي فدرجة التنويع و التحول الكيفي الماثل في العمل تتوقف على مقاصد "الباث" (في الرواية مثلاً يمكن للمؤلف استخدام ببساطة الوسائل الخطية، و يمكنها أن ينتقي من شبكة كبيرة من العناصر الخطية و المعجمية و النحوية و ما يتلاءم مع مقصده)[3].

- **و طابع المقال:** هو الذي يتعلق بمدى الصيغة الشكلية التي تعكسها اللّغة في الموقف، ويتوقف عموما على العلاقة القائمة بين الباث و المستقبل؛ على أنّ هذا البعد ينبغي أن ينظر إليه على أنه عملية مستمرة لا يمكن تحديد النقاط الواقعة بين أقصى طرفية من الشكلية التامة، إلى انعدام الشكلية (ففي الأدب يستخدم تغيرات

---

[1] محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص 59- 60.

[2] -ينظر،علي عزت: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب و تحليل الخطاب، ص: 11.

(*) -يستطيع على ضوئها أن يموقع الحوار النحوي- الحدث الدرامي- الوصفة- الكيفية-و الإشارات الشكلية، مما يتيح لونا (من السياق الداخلي المتراكم). صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته، ص: 251.

[3]- صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته ، ص 252- 254.

الطابع من رسمي إلى غير رسمي لإنتاج تأثيرات معينة؛ فالشاعر يختار طابعا معينا بهدف تحديد علاقته بالقارئ، و ذلك مما يترتب عنه نتائج لغوية محددة. فالذي يحدد طابع القول بالنسبة للقارئ هو بعض الخصائص اللّغوية المتمثلة في النص (فتغير الطابع في الحوار انعكاسا لتحول العلاقات بين الشخصيات في المسرحية أو الروايـــة) فطابع القول محكوم بالموقف أو المقام، أو المؤشرات اللّغوية التي تتميز بها كل درجة من درجات هذا الطـــابع يمكن استخدامها لإثارة مواقف، و تحديد علاقات معينة. و هذه الأبعاد الثلاثة متكاملة، ذات علاقة متبادلـــة تؤثر في بعضها البعض.

و تأسيسا على هذا يقرر علماء الأسلوب؛ أنه من الضروري عند إجراء "موقعة النص" استخدام القواعد المحددة لربطه (بعصره و لهجته، و مجاله و كيفيته، و طابعه)، و التأكد من كل ذلك عن طريـــق المؤشـــرات اللّغوية المحددة، مع ضرورة المقارنة بالنصوص المشابهة.

و عند القيام بهذه الإجراءات بشكل دقيق؛ فإنّ الاحتمال الغالب عندئذٍ أنّ الأمر لن يتوقف علـــى مجـــرد تصوير الفرض الأول و تنميته؛ بل سيبرز بعض العناصر و الهياكل لأوضاع لغوية، يستحق أن تبحث على ضوء الوصف الذي يوضح الخواص الحميمة لأسلوب النص، و لهذا فإنّ مركز الاهتمام، سينتقل إلى وضع عناصـــر النص في علاقته مع قواعد الاستعمال[1] - و هنا نرجع لقضية الفرق بين اللّغة كأداة بحث، و اللّغة كاستعمال، أو للفرق بين النمط المحدد سلفا (قواعد)، و النمط الذي يفرضه الموقف أو السياق الاجتمـــاعي و الثقـــافي أو الفرق بين اللّغة المعيارية و الوصفية، و المنحى الوظيفي يسعى لعدم التقنين المسبق، إنما الحدث الكلامي هو الذي يفرض نسقا كلاميا معينا، و من هنا يربط الجانب الوظيفي بالبعد التداولي للغة، بجامع السياق بينهما-.

و اختيار هياكل الاختيار فيه من منظور تفردها المتميز مما يجعل العناصر المختارة بهذه الطريقة مجالاً للبحث المعتمد على وصف الاختيارات، دون إغفال أن هذه العناصر تشكل كلاً معقدا،و أنّ الاختيار التفصيلي لها قد يؤدي إلى ضرورة عناصر أخرى، و أنّ المستويات المعجمية و النحوية و الصوتية و الإملائية ينبغي أن تشارك في هذه الإجراءات.

كما أنّ الشرح الشامل و الواضح للأسلوب، يحتاج إلى عرضًا أكثر تشابكًا وتعقيـــدا لجملـــة العناصـــر المترابطة؛ فالأسلوب لا يمكن مطلقا في عنصر واحد مسيطر على ما عداه، بل يحتاج إلى الوصف المتأني إلى أن يأخذ في اعتباره العلاقات القائمة بين مختلف الأجزاء و يقارن بين مجموعة من هذه العلاقات، مع عدم إغفـــال أن أي عنصر من النص له دلالة خاصة؛ قد تتغير في علاقته بنظام آخر، كما أن طبيعة العناصر اللّغويـــة الـــتي يفترض أنها دالة هي التي تحدد نظام، أو المظهر الذي ينبغي وصفه، و لحسن الوصف أنّ العناصر النحوية تسهل الإجراء التحليلي، و اختباره بفضل الوصف النحوي للنسيج اللّغوي، طالما أتاحت المراتب النحوية، و درجات استخدامها فرصة تحديد الأنماط المختلفة للتعقيد و الكثافة في مستويات متعددة، داخل إطار الهياكل البنـــوية

---

[1]- صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته ، ص 254- 257.

التي تقدمها الوحدات المنتظمة في مراتب متدرجة[1].

و هذا يعيد من جديد للنحو (الذي كان ينظر إليه على أنه مجرد نسق نظري صوري)، ذلك أنّ النحو محصلة خواص معينة من البنية المجردة للعبارات، مضافا إليها الوظيفة الفونولوجية و الصرفية، و المورفولوجية و التركيبية، زيادة على هذه الخواص المعتبرة (في الشكل الصوري)، فإنّ النحو يقتضي أيضا تخصيص معنى البنية المرتبطة بالأشكال، و إن كان معنى العبارات المتلفظ بها بحاجة إلى الاستعمال (التداول)، كي ما يتحدد معناها (ليس للكلمة معنى إنما لها استعمال فقط)، و على هذا قد ردت التهمة عن النحو، و كان ينبغي أن تخصص أيضا، كيف أنّ التراكيب الشكلية الصرفية ترتبط بالبنيات الدلالية السيمانطيقية[2].

و بربط النحو و علاقاته الوظيفية بالجانب البلاغي، يمكن الحديث عن علم المعاني؛ و الذي يعتبر بكل بساطة المجاور و الممثل لما يطلق عليه اليوم "الأسلوبية الوظيفية"؛ لأنّ النحو ما هو إلاّ تراكم تركيبي لمستويات لغوية، و تطبيق لمحصلتها الأخيرة،فالمنحى الوظيفي جليّ بيّن فيما أنجزوه من دراسات على مختلف المستويات و الأبحاث البلاغية، و الأسلوبية على وجه الخصوص.

و إذا كنا في كل هذا قد عيّنّا الحدود، و المجال الذي تدور و تعمل فيه الأسلوبية الوظيفية على المستوى النظري؛ فإلى أي حد تجسد المنظور الوظيفي في الاتجاه الأسلوبي لدى" تمام حسان" في كتابه " البيان في روائع القرآن"؟

أهل هو مقترب وظيفي أسلوبي تراثي؟ و إن لم يكن كذلك فهل هو حداثي؟ و إن كان كذلك –حداثي- فما هي أهم المؤشرات المتوجة للتجديد و الحداثة يا ترى؟ و ما فعالية هذا المنحى الجديد القديم- إن صح التعبير- مقارنة بالاتجاهات الأسلوبية الأخرى؟.

و نجمل ما سبق فيما يلي:

- إنّ علم الأسلوب "*Stylistics*"، يهتم بدراسة و تحليل مظاهر التنوع في استخدام الناس للغة ما، و خاصة على مستوى اللّغة الأدبية و الفنية، و هو يطبق في هذه نتائج و دراسات علم اللّغة الصوتية و الصرفية و النحوية و الدلالية و رصد الملامح اللّغوية التي ينفرد بها كاتب معين، أو شاعر أو الأسلوب القرآني.

و بصورة عامة يعدّ البديل عن علم البلاغة التقليدي- إن صح التعبير- و لكن بطرق و مناهج تتصل بعلم اللّغة و مفاهيمه في التحليل[3]. و على هذا، فالناظر في الأسلوبية إجمالاً منذ نشأتها إلى آخر مطاف تطورها في العصر الحديث يقف على حقيقتين:

---

[1] - صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته ، ص 257- 258.

[2]- ينظر، فان دايك: النص و السياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت لبنان، ط2000، ص18.

[3]-حلمي خليل: العربية و علم اللّغة البنوي، ص 179.

أولـــهما: أنّ علم الأسلوب من حيث هو معرفة إنسانية قديم في تصوراته المبدئية، حديث في بلـــورة غاياتـــه و تشكيل مناهجه.

و ثـــانيهما: أنّــه علم ما فتئ يتطور جذريا، غير أنّ الحدود الزمنية بين تحولاته مائعة جدا، و المحرك الجـــدلي الذي يقوم خلف هذا التطور انتهى إلى الوقوف على نوعية شاذة، مدارها أن تربية المنهج قد كانت دوما تولد جدلية في المضامين، تلك فترات التحول في تاريخ الأسلوبية قديما و حديثا مرتبطة بتغيرات في مناهج العمـــل، و هذا التغير يتولد عن تغير في أصول التفكير الأسلوبي و الجمالي عموما، مما يبعث في الوقت نفسه تغيرات في التصورات المبدئية.

إن البنوية تنطلق من فكرة أن النص عبارة عن نسق ونظام ، إنه منغلق حول نفسه ضمن بنية تخضع إلى شكل محدد من التنظيم ، (تبدأ من النص وتنتهي به وفيه)دون اهتمام كبير بالمعنى ، مما جعلها عرضة لانتقادات كثيرة ، ومن أهمها ما قدمه " تدروف" *(tzvetan Todorov)*. للقراءة البنيوية خاصة من أنها لا يمكن أن تكون تفسيرا للجمال، وهذا – كما يرى – ما طرحته الشعرية المعاصرة عندما ناقشت قيمة العمل ، إذ إن أي تحليل يعتمد على مقولات الشعرية لوصف بنية العمل الأدبي وصفا دقيقا ، إلا ويواجهه بمسألة " تفسير الجمال" ويتساءل عن الفائدة المنتظرة من وصف البني النحوية ، والانتظام الصوتي لقصيدة ما ، هل يمكننا ذلك من فهم أسباب قيمتها الجمالية ؟

ويشير في موضع آخر إلى أن البنيوية يمكن أن تصف موضوعيا : عدد الكلمات أو عدد المقاطع والأصوات ولكن هذا لا يمكننا من المعنى بوصفه موضوعا للتفسير -لأن الوصف اللّغوي لا يتوقف عند السطح ، بل يسعى إلى فهم قواعد العمق، وتركيز البنية على الدلالة وليس على المعنى الدلالة-.

ولهذا أصبح ما يميزها –البنوية-هو سبب فشلها وتراجعها ، والانتقادات الموجهة إليها كانت تمهيدا لظهور اتجاهات فكرية ، ونقدية أطلق عليها:" ما بعد البنيوية" ونقصد تحديا الوظيفية [1]،ذلك أن الوقوف على حقيقة اللّغة عند الإنسان يستلزم معرفة وظيفتها ودورها في عملية التواصل اللّغوي اليومي ، لذلك اتخذ فلاسفة اللّغة العادية مقولة : " المعنى هو الاستعمال " وبذلك أصبح السؤال عن المعنى سؤالا عن الاستعمال اللّغوي في مقام محدود ، فمن الاهتمام بالطبيعة الدلالية للجمل من خلال وظيفتها انتقل اهتمام الباحثين من دراسة البنية للغة وحدها –التركيز على الدلالة –إلى دراسة العلاقة بين البنية اللّغوية ووظيفتها –أي التركيز على معنى الدلالة [2]

فبالرغم من أن التحليل اللّغوي لبناء النص الأدبي بمترلة مخرج مقبول ، يحقق مطلب النقد الأدبي ،فالمفارقة أن ذلك المخرج كان مقتل البنيوية ، بقدر ما كان منتقدا لها، فقد تمثل فشل البنيوية الجوهري في قدرتها المكتسبة الجديدة ، على تحقيق تحليل لغوي بنائي للنص ، مع فشل كامل-إن صح التعبير-في تحقيق معنى النص إذ كانت تركز على أدبية الأدب *literariness*، وليس على وظيفة الأدب ، أو معنى النص (أي الاهتمام في المقام الأول بتحديد الخصائص التي تجعل الأدب أدبا) ، ففي مقابل هذا الاتجاه ظهر منحى آخر يركز على البناء الداخلي للنص ودراسته من وجهة نظر فنولوجية ، ويرى آخرون مثل:"رومان جاكسون" *(R.Jakobson)* أنه على الرغم من استقلالية البناء اللّغوي للنص ، فإنه لا يمكن فصله فصلا تاما عن البنى التحتية التي تشكل الثقافة

---

[1] - ينظر، إ يناس عياط: إستراتيجية التلقي الأدبي في الفكر النقدي المعاصر كلية الآداب واللغات ، جامعة الجزائر (ماجستير)2000-2001 ص152-155.

[2] - مصطفى غلفان : اللسانيات العربية الحديثة،ص240ــــ247.

ووعي الكاتب أي لا يمكن دراسة أو تحليل العمل الأدبي بمعزل عن القوى " الاقتصادية والصراع الطبقي والاجتماعية خاصة [(1)].

وليس الغرض هنا التأصيل للوظيفة نفسها، بقدر ما نود إدراج إشكالية المفارقة بين منهج وآخر ، ومدى انعكاس وتمثل هذا المنحى الوظيفي في كتابات اللساني العربي " تمام حسان"[(*1)] وخاصة في كتابه " البيان في روائع القرآن[(*2)] .

والمتتبع لأهم مؤلفات " تمام حسان"اللّغوية ، بدءا من كتابه " مناهج البحث في اللّغة"،فإننا نرى جلاء المنحى الوظيفي من خلال ما أورده من أفكار وآراء ، وحتى إجراءاته ومعاملته مع المستويات اللّغوية تصب كلها في " الإطار الوظيفي " وتقول فاطمة بكوش: « ..ونقول في آخر عرضنا لكتاب مناهج البحث في اللّغة إن هذه الدراسة قامت على آراء النظرية الوظيفية إذ ركز " د.تمام حسان" على العلاقات الوظيفية التي تقوم بين الأصوات وإن كان ما يسمى النظرية التي اعتمدها بالنظرية الوصفية » [(2)]

ويظهر هذا المنحى الوظيفي خاصة (في المنهج الصوتي ، الفنولوجيا ، وظيفة الفونيم والمورفيم داخل الكلمة والبناء وفي منهج النحو كذلك إذ من الأولى أن يصرف الإعرب إلى المعنى الوظيفي ؛ ذلك أن هذا الأخير هو الذي يحدد وظيفة الكلمة في السياق ثم يحدد إعرابه ، ويصل إلى أن الإعراب فرع المعنى الوظيفي لا المعجمي أو الدلالي ، وكذا بالنسبة إلى الدلالة إذ النظرة الاستيتاكية " الوصفية السكونية " ***static*** يمثل لها برأي اللساني " فيرث"[(3)] إذ يقول: « والآن ننفض أيدينا من وجهة النظر التاريخية ، لننشي منهجا لدراسة الصيغة والوظيفية في اللّغة فنجعل الفكرة المركزية في هذا المنهج هي (الماجاريات) وهي تدل بأحد معانيها على مجموع

---

[1] - ينظر عبد العزيز حمودة : المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيكة عالم لمعرفة، طـ 1998، ص ص181ـ189.

[*1] - " تمام حسان " عمر محمد داود، ولد في السابع والعشرين من شهر جانفي 1918م، بقرية الكرنك ، بصعيد مصر ، بعث عام 1946م إلى جامعة لندن ، وبدأ يتعلم اللّغة الإنجليزية ، وهذا ما أثر في نشاطه العلمي (مجال التأليف –مجال المقالات-ومجال الترجمة، يضاف إلى ذلك حضوره ومشاركته العلمية ، وله من النتاج اللّغوي الكثير من المؤلفات ، أهمها :" مناهج البحث في اللّغة" سنة 1955-واللّغة بين المعيارية والوصفية 1958، اللّغة العربية ومعناها ومبناها سنة 1975، إذ أودع في هذا الأخير مجموعة أفكاره عن المنهج الوصفي البنيوي ، ومحاولة تطبيقه على العربية ، كما احتوى على أهم نظرياته، وكتابه الأصول سنة 2000، والبيان في روائع القرآن-والخلاصة النحوية 2000م، هو تطبيق لما أودعه في كتاب اللّغة العربية معناها ومبناها. ينظر عبد الرحمان حسن العارف. تمام حسان رائدا لغويا، ص13ـــ22.

[*2] - أما كتابه البيان في روائع القرآن : فقد وقع في قسمين : الأول دراسات لغوية من خلال القرائن اللفظية (البنية، النمط التركيبي للقران قرينة الرتبة ،قرينة الربط ،قرينة التضام ،قرينة الإعراب ،قرينة السياق،الرخصة في التركيب) ، والثاني دراسات أسلوبية ، إذ قسم كل قسم منها إلى فصول درس فيه أنواع القرائن في الأول ، ودرس في الثاني القيم الصوتية وأثرها ، والإيقاع والحكاية والفواصل ، والمناسبة الصوتية والأسلوب العدولي والترخص ، وإباء اللبس ، والهيكل البنيوي لبعض السور ،كما بين في مقدمة الكتاب المصطلحات اللّغوية التي استعملها (كالمبنى، المعنى الوظيفي المعنى المعجمي،القرينة الوظيفية ،القرينة المعنوية،قرينة السياق، الأسلوب العدولي) . ينظر عبد الرحمان حسن العارف: تمام حسان رائدا لغويا، ص47.

[2] - فاطمة الهاشمي بكوش : نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، إيتراك للطباعة والنشر،ط2004،ص44.

[3] - ينظر، تمام حسان : مناهج البحث في اللّغة دار الثقافة، ط 1986،ص163.

عناصر محيطة بموضوع التحليل، تشمل حتى التكوين الشخصي ، والتاريخ الثقافي للشخص ، ويدخل في حسابها الماضي والحاضر والمستقبل ، وهذا الاصطلاح بالنسبة لعلم اللّغة قصد به دائما سياق النص»[1] .

ويستنتج من كل هذا أنه يتكلم عن الوظائف المساهمة في تشكيل المعنى-باعتباره الأساس عنده-وكل وظيفة هي استعمال شكل أو عنصر لغوي معين في سياق. ذلك أن المعنى مركب من علاقات(المعجم ، الدلالة القراماطيقة، الماجريات)وهذه الوظائف:"الصوتية– والوظيفة النحوية"،كما أنه يرصد السياق بنوعيه: اللّغوي وسياق الحال.واختلاف مفهوم السياق بين القدماء والمحدثين خاصة عند" تمام حسان"وهي من أسس منهج التحليل الوظيفي للأسلوب–ويكتمل منهجه الوظيفي هذا في قوله:«اللّغة منظمة ضخمة من الأجهزة المتكاملة المنسجمة التي تعمل كلها في اتجاه واحد»[2] .

فالمستويات اللّغوية في علاقة تكامل وتفاعل دينامي ، وما يؤكد أن "تمام حسان " وظيفيا ، وقوعه في مفارقة بين الوصفية والوظيفية ، قوله : « أن نسمي هذا المنهج شكليا [3] أو وظيفيا ووجهة النظر الوظيفية ، لم تختر اعتباطا إنما جاءت من أن اللّغة تستخدم وسيلة ، من وسائل الاجتماع وأداة ذات غرض محدد». ولكنه ينطلق أساسا من الفراغ الوظيفي، وظهر هذا الاتجاه عنده أكثر في كتابه " اللّغة العربية معناها ومبناها"إذ حدد الغرض منه –الكتاب-بوصف نظام اللّغة من حيث بنائه ، ومن حيث وظيفة المعنى فيه واهتم بالمعنى وجعله الموضوع الأساس له ،إذ يقول : « لابد أن يكون المعنى هو الموضوع والأخص لهذا الكتاب ، لأن كل دراسة لغوية(...) لابد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى ، وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللّغة وهو المعروف وهو صلة المبنى بالمعنى ، وهذا النوع من النظر إلى المشكلة يمتد من الأصوات إلى الصرف إلى النحو إلى المعجم إلى الدلالة»[4].

فهو يقدم علاقة اللفظ بالمعنى من منظور وظيفي ؛ ذلك أن المعنى في حقيقته هو وظفية المبنى ، وأن المباني رموز للمعاني ،لا غنى عن الرمز في نظام كاللّغة ، هو في أساسه نظام رمزي-وهذه العلاقة بين اللفظ والمعنى، أو بين الدال والمدلول هي التي رأيناها سابقا عند :" الجاحظ " و"ابن جني" مثلما هو الحال عند "الجرجاني" كذلك أن هذه العلاقة بين العنصرين هي جدلية لا انفصام فيها- .

وهكذا يكون المعنى وظيفة المبنى ، ويكون المبنى عنوانا تندرج تحته "العلامة "ومن ثم أطلق الباحثون على هذا المعنى الذي تكشف عنه المباني التحليلية للغة اسم " المعنى الوظيفي " *Functional meaning*[5] ، وفي كل هذا وذاك اعتراف " تمام" لنظرية النظم التي صاغها " الجرجاني " وصلتها بالوظيفية مع بعض المؤاخذة وإعادة التصنيف –كما سنرى فيما بعد- وحتى كتابه " الخلاصة النحوية " والذي يعد تطبيقا لهذا المؤلف –اللّغة

---

[1] - تمام حسان : مناهج البحث في اللّغة ، ص 185-186.

[2] - المرجع نفسه، ص152.

[3] - المرجع نفسه ،ص 37.

[4] : تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها ،ص9.

[5]- المرجع نفسه ، ص 38-39.

العربية معناها ومبناها – هو الآخر يقوم على الإجراء الوظيفي انطلاقا من نظام القـــرائن بأنواعهـــا اللفظيـــة والمعنوية ، والتي يرى أنها البديل عن نظرية العامل النحوي ، بالإضافة إلى نظام القرائن الحاليـــة ودورهـــا في الكشف عن المعنى وسنرى فيما بعد مسار المنحى الوظيفي في كتابه" البيان في روائع القرآن" ، فماذا حشد هذا المؤلف لهذه المدونةمن قرائن وعلاقات تساهم كلها في إبراز المعنى وتوضيحه ، وتوظيف هذا البعد في العمـــل الأسلوبي خاصة في اتجاه منه " الأسلوبية الوظيفية " .

ففي الصفحات الأولى من "البيان " –يتعرض المؤلف للعديد من المصطلحات بالشرح ، وهذا إن دل إنما يدل على وعيه بأزمة " المصطلح اللساني العربي" –خاصة لأنه آفة القراءة والفهم –على حد تعبيره ، ففي بداية الكتاب يلمح إلى دور السياق في فهم المعنى ، حتى فيما يخص قضية فهم هذه المصطلحات التي أوردها فيقول : «...لأنه لو ترك مع المصطلحات ليستخرج معانيها بذكائه الشخصي من قرائن السياق إن وجدت لقـــرائن الدالة ... »[1] ، فمنذ البداية نلاحظ تأكيده على دور السياق في فهم المعنى وإدراكه لأنه معين وموجه.وأولى هذه المصطلحات هي :

1-المبنى أو (البنية) : وهي عند " تمام" كل ما أفاد معنى لغويا فهو مبنى –وهذا ما رأيناه سابقا-في كتابه اللّغة العربية معناها ومبناها ، أي الربط بين المبنى والمعنى ،وإن كان هذا المبنى حرفا زائدا، أو أن تكون حرفـــا مـــن حروف المعاني ، أو ضمير شخص أو إشارة أو موصول أو أداة ، أو صغة صرفية ، أو نمط من أنماط الجمل .أما ما زيد من حروف لغير معنى " كألف الفاعل ،وواو مفعول" فلا يعتبر مبنى، والملاحظ أن "تمام" لم يغض طرفه عن التراث النحوي العربي ، فالنحاة كذلك قد أضافوا المعنى إلى المبنى (لأن الزيادة في المبنى زيادة في المعـــنى) وتتضح هنا دينامية البنية فهي غير ساكنة ما دام هناك عنصر المعنى والتفاعل الوظيفي بينه وبين المبنى –إذ قـــال النحاة بتاء الافتعال وهاء التنبيه ، ونون التوكيد وسين الاستقبال ، وضمير الغيبة ، وصيغة المضارع ، ولم يفتهم وصف المبنى كقولهم « السين والتاء الدالة على الطلب –وانفعل الدالة على المطاوعة ..» إلى غير ذلـــك مـــن المباني التي تؤدي معنى[2] (صيغا، عبارات وجملا بأنواعها) والمهم من كل هذا أن كل عنصر حمل معنى فهو ذو وظيفة داخل التركيب ، أكان حرفا ،فونيما يحمل قيمة تميزية ،أم كلمة أو جملة، أداة)وهذا ما يؤكـــد عليـــه الاتجاه الوظيفي عند" أندريه ماريتينيه".

و"تمام" بمجهره الوصفي خالف القدماء في تقسيمه للجملة ؛ إذ تجاوز التقسيم الثنائي (اسمية فعلية) والذي يراه تقسيما قائما على المعنى ، بينما المحدثون يعتمدون على تصنيفهم على المبنى (وصف ما هو ظاهر)[*] .

---

[1] -تمام حسان : البيان في روائع القران ، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب القاهرة، طـ1993،ص5.

[2] - المرجع نفسه، ص5.

[*] - ذلك أن النوعين (فعلية واسمية) تحوي كل الأنماط ، فالاختلاف يؤول إلى ائتلاف عميق، كما هو الشأن في تقسيم أزمنة الفعل إلى ماضي ومضارع وأمر، لكن الأزمنة الأخرى مجال اكتشافها السياق الذي ترد فيه.

-هذا إذا سلمنا مع المحدثين بقابلية التصنيف الشكلي – لأن النحاة أدركوا أن هناك ارتباطا واضحا بين المبنى والمعنى ، والمبنى عندهم يبدأ من أصغر وحداته كما تمثل في الصوت أو الحرف، بينما تمثل الجملة أكبر هذه الوحدات ، أكبر خصيصة من خصائص التحليل الوظيفي كانت في أذهانهم ، أي ثنائية التركيب اللّغوي ويكونوا بذلك قد خرجوا عن دائرة الصواب والخطأ إلى فكرة النظام والتركيب[1]. وهذه العلاقة بين البنية والمعنى ، ستكون المدخل للمصطلح الثاني .

2-**المعنى الوظيفي** : ويقوم هذا المفهوم على أن النحو دراسة لهذه العلاقات من الناحية التركيبية ، وليس دراسة للكلمات نفسها لأن كل باب من أبواب النحو هو معنى وظيفي للكلمة [2] « فدراسة الجمل التامة من ناحية العلاقات "السنتيغماتية" *Syntagmatic*، أو السياقية في مقابل الصرف الذي يدرس العلاقات" البراغماتية" *paradigmatic Relations* أو "الجدولية"»[3] .كما أن هذا المفهوم هو الذي انطلق منه اللسانيون العرب المحدثون خاصة –فيما يخص الإعراب – انطلاقا من الموقعية ودور الكلمة في التركيب ، ووظيفتها ظنا منهم أن هذا المبنى سيجنبهم الوقوع في شباك نظرية العامل، فالأبواب النحوية والسياق كفيل بإحداث وإجراء هذه المفارقة –وسنعود فيما بعد لهذه القضية –ويشير "تمام" إلى أن النحاة قد حددوا ثلاثة أنواع من المعاني : أكبرها معنى الجملة (مفيد) –والمعنى المفرد(معنى الكلمة) –والمعنى الثالث (أي الشبه المعنوي) ،وهو معنى عام حقه أن يؤدى بالحرف .وكل معنى ينسب إلى هذه المباني فهو " معنى وظيفي " لا محال تؤديه المباني داخل السياق، فالغيبة والاستفهام والتوكيد والمطاوعة ...كلها معاني وظيفية تحققها المباني بسيطة كانت أو مركبة[4].والمقصود (بالبسيطة والمركبة) الأسس التي يبنى عليها النظام النحوي للّغة العربية :

أ- طائفة من المعاني النحوية العامة : كمعاني الجمل والأساليب.

ب- طائفة من المعاني النحوية الخاصة (معاني الأبواب المفردة) كالفاعلية و المفعولية ...وهذا كله يدل على تلك العلاقة الحميمية ما بين علمي " الصرف " و" النحو" لأن النحو لا يتخذ لمعانيه مباني ، من أي نوع إلا ما يقدمه له الصرف من المباني[5] ، إذن صعوبة الفصل بينهما ، فالنحاة القدماء كانوا على يقين وصواب فيما يخص مسألة ما أسماه المحدثون بالخلط ، إذ إنه فصل منهجي ليس إلا.

وخلاصة القول أن المعنى الوظيفي هو وظيفة الجزء التحليلي في النظام أو في السياق على حد سواء[6] ، أما الشق الثاني من المعنى والمصطلح الثالث من المدونة هو :

---

1 - حلمي خليل : العربية وعلم اللّغة البنوي ، ص9.

2 - فاطمة الهاشمي بكوش : نشأة الدرس اللساني العربي الحديث ،ص142.

3 - تمام حسان : مناهج البحث في اللّغة، ص299.

4 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص65.

5 - تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها، ص178.

6 - المرجع نفسه، ص28.

3- المعنى المعجمي : وهو المبنى المفرد للكلمة خارج السياق (في حالة الإفراد) وهو ثمرة تضافر الاشـــتقاق (الجذر) وصيغتها الصرفية ، ويعود مرة أخرى إلى المعني الوظيفي لهذه الصيغة ، لكن بشكل مختلف عما هي عليه داخل السياق ؛ ذلك أن المعنى الوظيفي المنسوب إلى الصيغة (فاعل مثلا دلالة على موصوف بالفاعلية) باعتبارها ركيزة المعنى المعجمي، عنصرا من عناصر المعنى المفرد للكلمة (قاتل) .

أما الركيزة الثانية (الجذر) وتتكون منه أصول ثلاث : "القاف –التاء –اللام" عنصر مشـــترك بـــين جميـــع مشتقات هذه المادة وسماهم "تمام" جرثومة معنى الحدث"[(*1)][(1)].

وما يمكن استخلاصه أن ليس هناك علاقة عضوية بين الكلمات المعجم في المقابل يمكن أن تكون بينها علاقـــة اشتقاقية معينة فهو على هذا ،ليس نظاما كباقي الأنظمة اللّغوية (أصوات ، صرف ، نحو) والكلمـــة خـــارج السياق يمكن أن تدل على أكثر من معنى (مفردة) ولكن إذا أدخلت في "مقال"[(2)] يفهم في ضـــوء " المقـــام " انتفى هذا التعدد ، و لم تدل إلا على معنى واحد .

4- القرينة اللفظية : فقد أكد "تمام" ما لها من أهمية في تحديد معاني الكلمات أو دورها (القرائن) التي غمطها –إن صح التعبير –النحاة حقها بسبب انشغالهم بقرينة واحدة (علامة الإعراب ، واسماها "تمام" بنظرية القرائن النحوية) *the sings théory* فالإعراب قرينة لفظية من جملة قرائن أخرى تتظافر لكشف العلاقات وتحديـــد المعنى النحوي[(*2)]، فيكون بذلك أول من أنشأ نظاما متماسكا للنحو العربي قوامه القرائن اللفظية والمعنوية[(3)].

-وتبقى القضية محل نقاش واختلاف، ونحن في غنى عن كل هذا لأن المهم هو دور القرائن في توضيح المعـــنى وتحديده- وهي عنده عنصر من عناصر الكلام ، يستدل به على الوظائف النحوية ، واسترشادا بها يمكن تحديد فاعلية أو مفعولية العنصر النحوي داخل السياق العام ، وفي كتابه "البيان" عدها خمـــس قـــرائن[(*3)] (البنيـــة الإعراب، الرتبة، التضام) وأضاف إليها كبرى القرائن"السياق" فهي متكاملة متضافرة[(4)].

5- القرينة المعنوية : ويمثلها "تمام" بالقفز العقلي من المبنى إلى المعنى إذا عجزت القرائن عن إيضاح المعنى ، والنحاة على وعي بقرينة الإسناد ، - باعتبارها من القرائن المعنوية - و لاحظوها بين المعاني النحوية داخل

---

*1- المقصود بجرثومة معنى الحدث (و لم يقل الحدث)، لأن هذا الأخير هو معنى المصدر ، أما الأصول الثلاثة فتكتب متفرقة لتصبح من العموم ومنها المصدر الذي لا يصلح بخصوصته الدلالية على الحدث ، أن يكون أصلا عاما للاشتقاق. تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ص7.

1 - المرجع نفسه ،ص7.

2 - ينظر، تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها ، ص312.

*2 - وفكرة القرائن فكرة محكمة الوضع ، متكاملة الجوانب ، هزت الدراسات الأصولية في النحو هزا عنيفا ، وحسب تمام أن التقط هذه الفكرة من التراث العربي ، فكانت أجرأ محاولة عرفت في العصر الحديث ، وحسبها من شرف السيادة والريادة أن أطلق عليها اسم مدرسة القرائن النحوية لتضع بذلك لبنة في صرح تيسير أصول النحو العربي . انظر عبد الرحمان حسن العارف : تمام حسان رائدا لغويا ، ص44.

3 - عبد الرحمان حسن العارف : تمام حسان رائدا لغويا ،ص ص44ـــــ30.

*3- وعدّ القرائن ثمانية وهي (العلامة الإعرابية ، الرتبة ، الصيغة، المطابقة ، الربط، التضامن ،الأداة ، النغمة) .

4- تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها ،ص 305.

الجملة الواحدة [1].(ومثل هذه القرائن علاقة الإسناد ،التعدية ،علاقة المصاحبة ،الغنائية، الظرفية ،الإخراج) كما أن إدراك العلاقة بين عناصر الجملة قرينة على المعنى النحوي المراد نحو قوله تعالى : « **وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً** »[2] فإذا عرفنا أن المصدر دع مضاف إلى فاعله أو مفعوله كانت هذه العلاقة قرينة على المعنى [3].

وهذه القرائن في جملتها (اللفظية والمعنوية) تعكس النظام النحوي الذي يتصل بوضع الكلمات وتركيبها داخل وحدة لغوية أكبر ، تسمى في النحو التقليدي –إن صح التعبير-الجملة وأقام "تمام حسان" تحليله لهذا المستوى النحوي على فكرة التعليق " والتي استفاها من " عبد القهار الجرجاني" ، أو العلاقات السياقية حيث تنشأ علاقات من التوافق والاختلاف (التناظر) تحكمها شبكة من القرائن تتحول فيها المورفيمات[*]، إلى نظام من العلاقات الرأسية والأفقية (السياقية) وكل ذلك يتصل بالمبنى أو ما أسماه" تمام " المعنى المقالي(لسياق النص)، " وهو يقابل السياق اللّغوي " *linguistique contesct* عند "فيرث" *Firth*، وهذه القرائن تؤدي عنده إلى فكرة تظافرها –القرائن- وهي كفيلة بتوضيح المعنى الوظيفي النحوي (المقالي)، ويمكن عدها البديل عن العامل النحوي ، كما أن هذه القرائن بنوعيها يمكن بالتحليل المورفولوجي الكامل للغة العربية أن تدخل في إطار المورفيمات بأنواعها الثلاث:فهي بمجموعها معاني وظيفية نحوية وصرفية ناتجة عن توزيع هذه المورفيمات وفق علاقات تركيبية[4] ، وعلى هذا فالتحليل النحوي عند "تمام"، كما هو عند " فيرث " شبكة من العلاقات السياقية (المقالية ، اللفظية) تبدأ من الفوليمات، ثم المورفيمات وتنتهي إلى التركيب، وهي تقوم على مبدأ توزيعي، تنشأ منه علاقة توافق أو اختلاف[5].

وفي كل هذا نلاحظ التركيز على المعني المقالي فقط أما الجزء الهام من المعنى ، لا يكتمل إلا بالسياق الاجتماعي وهو الشق الثاني من نظرية السياق عند "فيرث" وبه يكتمل المعنى [6] .

---

1 - تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها، ص193-194.

2 - الأحزاب: 48.

3- تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 7-8 .

*- المورفيم عند " تمام" هو اصطلاح تركيبي بنائي ، ووحدة صرفية في نظام من المورفيمات ، متكاملة الوظيفة ،ويضعه بإزاء مفهومين آخرين (الباب، العلامة) ، فهو إذن أصغر وحدة ذات دلالة في اللّغة العربية معناها ومبناها إلى مفهوم (المبنى) في ثنائية (المبنى والمعنى) وهو كذلك أقلى مجموعة من الوحدات الصرتية تؤدي معنى : انظر فاطمة الهاشمي بكوش : نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص124ــ126.

4 - ينظر ، حلمي خليل: العربية وعلم اللّغة البنيوي ،ص 235-236.

5 - المرجع نفسه ، ص243 ـــ264.

6 - المرجع نفسه، ص 237.

6- قرينة السياق[*]: وهي ما يكتنف السياق من قيود تركيبية أو أشراط إفادة ، أو هما معا[1]، وأشار إليها "أبو هلال العسكري"من فقهاء اللّغة في مصنفة " الفروق اللّغوية "؛ إذ تعرض فيه إلى الفروق الدقيقة بين الألفاظ التي تبدو مترادفة ، حيث يفرق "العسكري" في الباب السادس والعشرين بين كلمتين " الناس " و"الورى" فيقول : « إن قول الناس يقع على الأحياء والأموات ، والورى الأحياء منهم دون الأموات» [2]. وعلى هذا فهو يحد توزع الألفاظ في السياقات ويذهب علماء الدلالة المحدثون إلى التفريق بين ضربين من السياق:

الضرب الأول :السياق اللّغوي ، والثاني سياق الحال (الاجتماعي) وهو ما تلقاه "تمام" في التفريق الذي يقترحه بين السياقين ، ومن ثم فهو يقيم ما يسميه " بالمعنى الدلالي " (محصلة السياق اللّغوي والاجتماعي) ذلك أن إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي (صرفي، ظر في ، نحوي) وعلى المستوى المعجمي[3]لا يعطينا إلا المعنى الحرفي، وهو معنى فارغ من محتواه الاجتماعي (القرائن الحالية)[4]وبناء على هذا فإن كلمة السياق *conteescte*قد حملت مفهوم اصطلاحي اشتهر بين علماء الدلالة المحدثين ، لا مجرد مصطلح دلالي فحسب بل يوصفه نظرية" دلالية قائمة" *sence la théorie contesctuelle du*،والتي اقترنت باسم العالم الأنثروبولوجي " مالينوفسكي" ثم تبناها بعد ذلك البريطاني "فيرث "حيث طورها من الناحية المنهجية وأصبحت نظرية قائمة بذاتها تشكل نموذجا *Modél* لتفسير قضية المعنى في إطار نظريات المدلول[5] .

فبالرغم من أن "تمام " استقى مفهومه النظري لنظرية السياق من " فيرث" ومع هذا فإنه لا يكاد يختلف عن مفهوم السياق،كما هو في التراث العربي إلا من ناحية التنظير،والتراث هنا العربي عامة لا اللّغوي فحسب. ذلك أن نظرية المعنى وارتباطها بالسياق ، لم تكن بعيدة عن علماء العربية من لغويين وبلاغيين وفقهاء [6].

---

[*]- السياق : المهر ، قيل للمهر سوْق لأن العرب إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرجا ،لأنها كانت الغالب على أموالهم ،وضع السُوق موضع المهر.ابن منظور : لسان العرب المحيط مادة (س.و.ق) ج10 .

وفي الفرنسية تعني contecesseمشتقة من الكلمة اللاتينية contescte

"tesct consi dére dans son ensemble dans ce qui précéde au ce que suit léscpression cons idéreve par escemple :ensemble des circonstances qui accempagnent annévément "voir librarie larousse 1970 tome1-P735.

كما أن السياق عند جون دوبوا : هو المحيط أو الحيز وبهذا المعنى فانه الوحدات التي تسبق وتتبع وحدة معينة:

"l'environnenement cest –a-dir les unites qui novédent ét qui suivtent unité déterminée" Jean dubois et autres :Dictionnaire de linguistique P120.

1- تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص 8.

2 -أبو هلال العسكري : الفروق اللّغوية ، تحقيق أبي عمرو عماد زكي الباروي ، المكتبة التوفيقية (د.ت)، ص292.

3 - ينظر، تمام حسان: اللّغة العربية ومعناها ومبناها،ص337.

4 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص 337.

5 - جيلي محند ا لزين: أ أصول اللسانيات الوصفية ا لعزبية ا لحديثة (دراسة نقدية)، كلية الآداب و ا لعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري تيزي وزو (ماجستير)،1 200-2002 ، ص 217.

6 -ينظر، حلمي خليل: العربية وعلم اللّغة البنيوي ،ص 224-225.

- وسيتم الرجوع لهذه القضية فيما بعد – ويمثل "تمام"حسان لقرينة السباق اللغوي بالبيت الشعري التالي :

أَنَا ابْنُ أَبَاةِ الضّيمِ مِنْ آَلِ مَالِكٍ وَإِنْ مَالِكُ كَانَتْ كِرَامُ الْمَعَادِنِ.

من معاني "إنّ" أن تكون " نافية "، أو " شرطية "، أو " مخففة من الثقيلة" فلو جعلت نافية لحدث تناقض في البيت ، ولو جعلت شرطية لو رد عليها اعترض في التركيب، واعتراض من جهة المعنى[*] فلم يبق إلا أن تكون مخففة، - وإن كان " تمام" هنا قد اعتمد السياق اللّغوي ،إلا أننا سنلاحظ فيما بعد تجاوزه لهذا السياق إلى سياق الحال - كما أورد ذلك فيما سبق - حين صرح بأن المعنى المستفاد من التركيب والمعجم معنى حرفي فارغ من محتواه الاجتماعي-

7-الرخصة : وهي تركيب الكلام على غير ما تقتضيه القاعدة اتكالا على أمن اللبس ، فإن لم يؤمن اللبس ينسب الكلام إلى الخطأ لا إلى الترخص[1].

باعتبار اللّغة نظاما ، ولكل نظام ثوابته ومتغيراته، فالثوابت أطر دائمة لا غنى للنظام عنها، والمتغيرات لا تتصف بالدوام (إذ تخضع لظروف تدعو إلى تحولها في حدود أطر الثوابت وشروطها) ، وثوابت النحو العربي أمور ثلاثة :

أ- أمن اللبس في المعنى.

ب- طلب الخفة في المبنى.

ج- الطرد (الاطراد) وهو نتيجة لتحقق الثابتين الأوليين، وتتصف به القواعد[2].وإذا تحقق أمن اللبس وطلب الخفة، كلاهما نشأ عنها الطرد والاستصحاب ولكن كلاهما قد يكون بمفرده مبررا للعدول عن أصل القاعدة وأصل الوضع.

فللجملة عند النحاة مثلا ركنين (مسند ، ومسند إليه) وهذا هو أصل الوضع بالنسبة للجملة العربية ويضاف إليه ما يلي : الأصل الذكر فإن عدل عنه إلى الحذف ، وجب تقدير المحذوف من ركني الجملة ، كما أن الأصل الإظهار ، فإذا أضمر أحد الركنين وجب تفسيره....إلى غير ذلك .فأصل العدول عن أصل من هذه الأصول أن يؤمن اللبس فتتحقق الفائدة.

ومن هنا لا يكون الحذف إلا مع وجود الدليل ، ولا يكون الإضمار إلا عند وجود المفسر[3] ومرتكز الرخصة -ما سبق أن أشير إليه –تضافر القرائن ، فهذا التعدد يجعل إحداهن زائدة ، يمكن حينها الترخص،كما

---

[*] -الاعتراض من ناحية التركيب ؛إذ لو جعلت شرطية لتحتم بعدها تقدير فعل محذوف وجوبا لا يستقيم تقدير مثله (أي تخفيف إن) لأن الأصل ما لا يحتاج إلى تقدير أولى من غيره ، أما الاعتراض من جهة المعنى كقولنا (زيد منصف إن عدل) فيحمل إما الغاية (حتى إن عدل ، والثاني العنادية)"زيد منصف على رغم عدله" فالشيء لا يصلح غاية لنفسه ولا ضدا لها (كان المعنى فاسدا).تمام حسان: البيان في روائع القران ،ص8-9.

[1] - المرجع نفسه،ص8-9.

[2] - تمام حسان : الخلاصة النحوية ، عالم الكتب ، طـ1 2000، ص 15.

[3] - تمام حسان : الأصول دراسة استمولوجية (نحو، فقه اللّغة، بلاغة) ، ص 121-122.

أنها مرهونة بمحلها ، فلا يصلح أن يقاس عليها ، وبهذا يكون "تمام"-حسب رأي حسن العارف –أول من أبرز فكرة الترخص في القرينة عند أمن اللبس ، وربطها بالشواهد من كافة أنواع النصوص (قرآن ،حديث شعر...)[1].

وفكرة الترخص هذه عند " تمام " لدليل على انتحاء " تمام حسان " المنهج الوصفي ، بعدم إقصاء أي مستوى من مستويات الكلام حتى الشاذ و العدول مبرر ، هو المنحى الذي انتهجته مدرسة الكوفة كذلك ،أي اعتبار ما هو كائن.

8-الأسلوب العدولي : ربما يتساءل الواحد منا منذ البداية عن الفرق بين "الرخصة "باعتبارها عدولا عن الأصل ، والأسلوب العدولي ، والفرق كما أورده "تمام" أن الرخصة يعتذر عنها ولا يعتذر عن الأسلوب العدولي[2] ، ذلك أن الأصل في الاستعمال استصحاب الأصل سواء من حيث المبنى أو المعنى ، لكن العرب درجت على تصحيح حالات معينة من العدول عن الأصل ، وجعلتها في مستوى الصواب المعتمد على قاعدة ومن ظواهر الأسلوب العدولي :

أ- البنية : يعدل عنها بواسطة :" النقل،النيابة،تسخير اللفظ لتوليد المعنى ،التضمين.

ب- الإعراب:ويعدل عنه بواسطة إعراب الجوار.

ج -الربط: يعدل عنه بواسطة :" الالتفات،التغليب،حذف الربط،التقديم ،التأخير".

د -الرتبة: ويعدل عنها بواسطة:التقديم والتأخير .

ه-التضام: يعدل عنه بواسطة :"الحذف ،الزيادة ،الفصل،الاعتراض،تجاهل،الاختصاص "

و-المعنى الأصلي : ويعدل عنها بواسطة المجاز.

وعدم رد العرب لأي أسلوب من هذه الأساليب كلها، لدليل على اعترافهم به ، وهذا النوع من الأسلوب يعتبر مؤشرا أسلوبيا ، ومدخلا للأسلوب المتميز المعدول أو "المنحرف "، لذا لم يسميه "تمام" العدول فقط ، و لم يدرجه ضمن الرخصة،ولذا فهو يفرق بين مستويين من الاستعمال وهنا تتضح أهمية المبنى (وظيفته) و دينامية اللّغة إذ تستمد منها المعاني انطلاقا من المباني المختلفة ، وكذا أهمية المستوى النحوي المساير للدلالات ، والمحترم للمعاني ، فبقدر ما يضبط ويحدد فإنه ترخص يمنح ، ولأهمية هذا الأسلوب فقد انتبه إليه النحاة و البلاغيون العرب القدماء.

9- تعدد المعنى بحسب الأصل : إن فهم طبيعة عناصر التركيب العربي ، يتوقف على المباني التي يتكون منها ويتوقف عليها كذلك فهم الإطار العام للصرف والنحو العربيين، ذلك أن الصرف يتكون من نظام من المعاني التي تعبر عنها المباني .- أهمية الجمع بين المعنى والمبنى كالعادة – والمباني تتحقق بواسطة العلامات ، فالنحو لا يشمل من المباني المعبرة عن معانيه ، إلا بقدر ما يقدمه له الصرف من مباني.والفكرة العامة من كل هذا ، أن

---

[1] - عبد الرحمان حسن العارف : تمام حسان رائد ا لغويا ، ص30.

[2] - ينظر تمام حسان : البيان في روائع القران، ص10.

المعاني الوظيفية التي تعبر عنها المباني الصرفية ، هي بطبيعتها تتسم بالتعدد والاحتمال ؛ فالمبنى الصرفي الواحد صالح لأن يعبر عن أكثر من معنى واحد ، ويشترط "تمام حسان "شرطا ألا وهو (عدم تحقق العلاقة في سياق ما) وذلك أنها موجودة على محور الاستبدال،أو أنها تكون كلمة في معجم ، لكن إذا شغلت حيزا ضمن سياق لغوي فهي ذات معنى واحد محدد[1] –كما ذكرنا سابقا- وتعدد المعنى إذن إما أن يكون وظيفيا(لغويا وصرفيا) وتعدد السياقات المختلفة التي ترد فيها الكلمة يؤدي إلى اختلاف معناها،كصيغة " فاعل " التي تصلح لوصف الفاعل ، والصفة المشبهة التي تصلح كاسم مثل " سرير " أو وصفا " كبخيل" . أما تعدد المعنى المعجمي فيكون عن طريق : اختلاف استعمال المفردة لتعدد القبائل أو الخروج بها عن معناها الأصلي إلى معنى مجازي ،حتى يشيع ويستقر- أو تتطور الدلالة والاحتفاظ بالمصطلحين معا، وكلا النوعين من التعدد ، هو من قبيل الاقتصاد اللّغوي[*].

10-تعدد المعنى بحسب النقل: والفرق بينه وبين تعدد المعنى بحسب الأصل ، أن هذا الأخير لا يلزم فيه تغيير الموقع، ولا شروط التركيب ، ولا يلزم معه التحول من أقسام الكلام ، إلى قسم آخر ، أما الأول –تعدد المعنى بحسب النقل-وهو أحد طرق تعدد المعني الوظيفي ، وهو صورة من صور العدول عن الأصل فيما يتصل باستعمال البنية ومعناها في اللّغة ؛ إذ تخرج البنية عن استعمالها الأصلي إلى استعمال آخر لم ينسب لها في تقسيم الكلم ، فيتعدد معناها الوظيفي " كالأفعال الناسخة " التي نقلت من الفعلية ، إلى استعمال الأدوات (كان- ظن...) وكذلك الأسماء الجامدة التي تستعمل استعمال المشتق.

فنقل المبنى من استعمال إلى آخر يكون : إما بتغيير الموقع تقديما وتأخيرا ،وإما بتغيير شروط التضام أو بتغيير المعنى الوظيفي [2]

---

[1] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص 163.

- [*] ورد في مؤلف أندري مارتيني باسم economies linguistique إذ بين اقتصاد التغيرات الصوتية ، الذي يعد أعظم عمل قام به في " الفنولوجيا" الزمانية ؛ إذ لا يمكن حصر معنى الاقتصاد في معنى التقتير parcimonie بل إن الاقتصاد يشمل كل شيء بتقليص عمل تمييز غير مقيد وإظهار تميزات جديدة ، والإبقاء على الوضع الراهن (stat quo) فالاقتصاد اللّغوي هو التأليف بين كل القوى المتواجدة ، ويرى" مارتيني" أن الإنسان يعيش في الصراع بين حاجيات التواصل التي تؤدي إلى تطوير اللّغة من جهة ، وتحول الأعضاء ونزوعها إلى الاقتصاد في الجهد الذي تتطلب عملية التلفظ ، والتذكر من جهة أخرى. ينظر، أحمد مومن: اللسانيات نشأة والتطور ،ص 155.

[2]- - ينظر تمام حسان : البيان في روائع القرآن ص 10 ــــ 12.

المبحـــــــــــث الأول :قرينة البنية في التركيب القرآني :

إن الدراسة اللّغوية وهي القسم الأول من هذا الكتاب تتم من خلال موقف القرآن الكريم من القـــرائن اللفظية الدالة على المعنى النحوي ، وهي : "الإعراب ، البنية ، الربط ، الرتبة ، التضام ، وقرينة السياق" وهذه الأخيرة هي كبرى القرائن النحوية ، ثم ما يكون في التركيب القرآني من الترخص[1] ...

- وذكر"تمام حسان "هنا القرائن اللفظية ، أي كما رأيناها سابقا عنصر من عناصر الكلام يستدل بها علـــى الوظائف النحوية وكأنه تناسى القرائن المعنوية والسبب حسب استقرائي ، هو اعتماد" تمام حســـان" المنـــهج الوصفي الذي يعتمد على وصف البنية وينطلق منها، وكذا الوظيفي الذي يدرس علاقات الكلم فيما بينها من خلال ما هو مستقر وصولا إلى المعنى ، ويربط هذا بما قيل سابقا من أن القرائن اللفظية خاصـــة وبمختلـــف أنواعها تغني عن فكرة العامل النحوي ، فهو مجسد بشكل أو بآخر في القرائن المعنوية التي تعرف عليه النحـــاة وتماشيا مع بقيمة عناصر البحث سيظهر مدى تجسيده هذا الإجراء-.

والمقصود بالبنية هي دلالة صورة الكلمة على المعنى النحوي (الوظيفي) وإذا وضعت لفظة " قرينة" في مكان " الكلمة" دليلا عرف المعنى المقصود بقرية البنية ، ثم يتساءل " تمام حسان" ما البينة ذاتها؟

فالملاحظ هو الوقوف مرة أخرى بعدما تعرض لها في مواضع عدة من الكتاب ، ليتحدث عنها ، باعتبارها —أي البنية —الإطار الذهني للكلمة المفردة ، وليست هي الكلمة ذات المعنى المفرد ، وربما البنية مفهوم صرفي لا ينطق .وأن الكلمة مفهوم معجمي منطوق بالقوة ، واللفظ مفهوم استعمالي تتحقق به الكلمة بالفعل (بالنطق والكتابة) في محيط الجملة[*] [2]."فتمام حسان" قصد بقوله :" إطار ذهني مجرد" ، وهذا ما ذهب إليه "عبـــد الرحمن حاج صالح" من أن : البنية في حد ذاتها بنية صورية ، هي صورة وهيئة يمكن أن تنطبق على أية مادة أو ظاهرة ، فالبحث عن بنية الشيء هو البحث عن العناصر التي يتركب منها ، و عن المقياس الذي ركبـــت هذه العناصر على أساسه ، فالجديد في تناول اللسانيات الحديثة ، أنها عوض أن تهتم بالجزئيات و الأحـــداث اللّغوية منعزلة ، صارت تنظر إليها باعتبارها كلية (شبكة) تجسد كل وحدة لغوية مكانها فيها ، و يربطهـــا بالوحدات الأخرى علاقات صورية مبنية على أساس اتحاد و اختلاف الهويات[3] ،"فتمام" إذن يظهـــر مـــن خلال مفهومه للبنية المنهج الوصفي الذي صرح بانتمائه إليه، و بين مبادئه و أسسه انطلاقا من فكرة "سوسير "

---

[1] - ينظر ،تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص12.

[*] - مثل صيغة فاعل بنية عامة لعدد كبير من الكلمات و هي ذات معنى وظيفي صرفي .

- كلمة كاتب كلمة منطوقة بالقوة لا بالفعل المعجم هنا كاتب : لفظ منطوق أو مكتوب بالفعل

[2] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص 17-18.

[3] -خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ في اللسانيات ،ص 16 .

(النظام أو النسق) و قد تكلمنا فيما سبق عن هذه القضية ، لكن هذا لا يتنافى مع ماقيل كذلك عن منهجه الوظيفي ، و تذكرنا هذه الفكرة باختلاف مفهوم النسق عند البنويين و الوظيفيين "براغ " فبالرغم من التداخل العميق بين مفهوم الوظيفة و الوصفية إلا أن هذا لا يلغي مطلقا الوظيفية ، إنما احتوته و تجاوزته – إن صح التعبير – فإن كان الأول يركز على الجانب الميكانيكي من اللّغة ، فإن الثاني محور اهتمامه الجانب الديناميكي .

إذا كان ذاك هو مفهوم البنية ، فإن البناء علاقة صورية تتمثل في ربط لفظة بأخرى ، يتغير حكم كل واحدة منها (المبنية عليها و المبنية) و تكون الثانية تابعة للأولى و التي لا تتبع أي عنصر و ليست محمولة على أخرى[1] (ويقصد تحديد الحمل على اللفظ لا على المعنى) و بذلك يلتمس الفرق[*]. الموجود بين البناء المتعلق بالنظام الصوري و الإسناد الذي يرجع للإفادة و التبليغ ، فمصطلح الجملة ينبغي أن يفرد للتراكيب الإسنادية التي يحسن السكوت عليها ، لكونها تتمتع بالاستقلال (مبنى و معنى) أما التراكيب الإسنادية التي لا يسوغ السكوت عليها لافتقارها لذلك الاستقلال فتسمى وحدات لسانية وظيفية [2] (علاقة بنيوية صورية) و يظهر ذلك من خلال العلاقة الإسنادية التي وضعها النحاة العرب القدماء ،وخاصة عند النحوي البلاغي الذي فقه أصول النحو ، و تذوق المعاني البلاغية - الأسلوبية – " عبد القاهر الجر جاني " إذ بانت عنده فكرة " التعليق " و التي تجمع العلاقتين معا (البناء الصوري و الإسناد [3] و بالتالي المنحى الوصفي و الوظيفي معا.

ومنذ بداية تحليلنا لكتاب " تمام حسان " لا يخفى هذا التوجه ، و خاصة في تركيزه على عنصري " السياق " و المعنى الوظيفي إذ تشحن البنية بالمعنى . وبالتالي فإن مصطلح البنية (*Structure*) و الذي يعد الحجر الأساس في التحليل الوصفي ، فإن المصطلح خال من كل رواسب ميتا فيزيقية.إذ يدل في التراثين العربي والغربي على مجرد البناء ،و بعد هذه الإطلالة على البنية – تاريخها و مفهومها – نعود من جديد مفهومها و حدودها عند" تمام حسان "؛و ذلك من خلال استعراضه للشروط النحوية، و التي تشترط لصور الكلمات المفردة في الجملة مثل قول النحاة: « إن الاسم المرفوع لا يكون فاعلا إلا مع سبق الفعل له مبني للمعلوم ، و من شأن المبتدأ أن يكون معرفة و حق التمييز أن يكون جامدا .... »و إذا تحققت هذه الشروط للكلمة المفردة في حيز الجملة كان تحقيقها دليلا على المعنى النحوي الوظيفي الذي تؤديه الكلمة في الجملة - و هنا يظهر التركيز على النسق و السياق من جديد – و يعود " تمام" للحديث عن النحاة و منهجهم ليقول أنهم درجوا على استعمال كلمة " لفظ" استعمالا غير محدد الدلالة ، قاصدين الكلمة حينا و الكلام حينا آخر ،على

1- خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ في اللسانيات، ص 111.

* - لقد فرق "سيبويه " بين المسند و المسند إليه : و هما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر " . سيبويه: الكتاب ،ج1 ، ص 23 . أما البناء فشيء آخر غير الإسناد: « فالمبتدأ الأول و المبني ما يعود عليه، فهو مسند ومسند إليه»:سيبويه :الكتاب ،ج2،ص126.

2- " خولة طالب الإبراهيمي" مبادئ في اللسانيات، ص 111.

3- " رابح بومعزة " : الحد الدقيق للجملة و الوحدة الإسنادية الوظيفية في لغتنا العربية ، مجلة العلوم ، الإنسانية جامعة محمد خيضر بسكرة – الجزائر - العدد الثاني سبتمبر 2005 ، ص 253 .

ما بينهما من فارق إفراد و تركيب كقول " ابن مالك"[1] :

كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَاسْتَقِمْ * واسْمٌ وَفِعْلٌ وَ حَرْفٌ الْكَلِم[2]

و كذلك قول " الجزولي " : « الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع» ؛ إذ أن كلاهما نحا بـاللفظ منحى التركيب في مقابل ما شاع من جعل اللفظ مرادفا للكلمة عند الدارسين، و مغزى هذا التفريق أن معنى البنية معنى صرفي يأبى أن يختلط بالعناصر المعجمية المستعملة بالقوة (الكلمة) أو أن تكون مستعملة بالفعل جارية على الألسن (اللفظ)[3] .

و هذا الموقف الذي أخذه"تمام" عن النحاة ، يعود إلى خلفية نظرته للمنهج النحوي، و الـذي يتسم بالتحليل لا التركيب ، و بيان ذلك أن النحو قد صرف جل الاهتمام إلى مفردات النحو : من تقسيم الكلم ، مع بيان للعلاقات الدالة على كل قسم منها و الإعراب، و البناء ،و الأبواب النحوية ... إلى غير ذلك. مما هو واقع في حيز الجملة النحوية و المعروف على حد تعبيرهم أن هذا الجانب التحليلي من دراسة النحو لا يمس معنى الجملة في عمومه ، لا من الناحية الوظيفية العامة (الإثبات ، النفي ، الشرط) و لا من الناحية الاجتماعية التي تنبني على اعتبار الجملة بروابط فاصلة و معنوية ، ذكروها فرادى و لم يجمعوها في نظام كامل[4] .

فموطن الداء و الاعتراض ، هو كون بعض مفردات اللّغة ليست جميعا من ذوات الصـغة و الأصـول الإشتقاقية [*][5] ؛فالصيغ الصرفية مبان فرعية و أن أصولها هي المباني التقسيمية الثلاثة : "الاسم ، الصـفة ، الفعل ". فلا صيغة للضمير و لا للخوافي في عمومها و لا للظروف و الأدوات الأصلية [6]، حتى ما كـان على حرف واحد اتصل بغيره خطا (الأفقي، التركيب) و ما دام قائما في نظام اللّغة فهو يعد كلمة ، لأنـه يؤدي وظيفة الكلمة ، و يصدق هذا على بعض ما كان أكثر من حرف كذلك[7] فبيت القصيد هنا هو كل ما حمل معنى وظيفيا فهو مبنى كما قيل سابقا، اعتبارا للمبدأ الفنولوجي ؛إذ يعتد بالعنصر الحامل للوظيفة داخـل التركيب ككل لأنه يحمل وظائف تمييزية داخل التركيب " فأندري ، مارتيني " يعتبر *Monème* (مونيم) كلمة – و لا مجال لنا للحديث هنا عن التقسيمات المختلفة للمحدثين فيما يخص الكلمة ... -.

1- ينظر تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 18 .

2- ابن مالك : الألفية ، شرح ابن عقيل ، المكتبة العصرية صيدا بيروت ، ج1 (د ت) ، ص18.

3 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن : ص 18 .

4- ينظر "سعد مصلوح" في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات و مثاقفات عالم الكتب القاهرة ط1 2004، ص 208.

* -حروف، أدوات ، ضمائر ، ظروف جامدة ، فبعضها على حرف واحد و البعض الآخر على حرفين و بعضها على ثلاثة أحرف .تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص 18 .

5 - المرجع نفسه ،ص18.

6 -تمام حسان : اللّغة العربية معناها و مبناها ،ص 136 .

7 -تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 18 .

فالمشكلة أساسا في كل هذا تعود إلى التقسيم الثلاثي للكلمة، وهو ما درج عليه النحاة القدماء ، وهذه التقسيمات في حقيقة الأمر تقسيمات " معجمية " أكثر منها " وظيفية" لأن الأساس الذي بنيت عليه ؛ إنما مرده للكلمة المفردة ، قبل أن تنتظم في جمل لتعطي مدلولاتها الوظيفية كاملة[1].

وفي هذا الشأن يضيف "تمام" : " بأن النحاة وإن عرفوا الكلمة بأنها : " ما دل على معنى مفرد "، فإن الطعن الذي يتجه إلى تعريفهم أن هذه الطوائف المذكورة لا تدل على معان مفردة ؛ بل إنها لا تدل على معاني معجمية ، إنما تدل على معان صرفية ونحوية ، لا يتحقق إلا من خلال السياق المتصلب (التركيب)[2] —وهنا تحديدا يظهر الإجراء الوظيفي لدى" تمام حسان" — إذن فكيف يصرون على التركيب وهم يقصدون إلى التحليل ؟ يقول "تمام" "في كتابه اللّغة العربية معناها ومبناها" : « لقد كان النحاة من حيث المبدأ ينظروا إلى التحليل باعتباره طريقا للوصول إلى التركيب، ذلك أن المادة المدروسة تصل إلينا حين تصل في صورتها المركبة ، لكن الاعتبارات العملية لدراسة هذه المادة تفرض على هذا السياق المركب أن ينحل إلى أصغر مكوناته»[3].

بالتالي فإن نتائج النظر إلى السياق يفرض عناصر جديدة على المستويات التحليلية ، وهي حلول لما قد يكون بين السياق والنظام من تقارب أو هي معالم سياقية أو ظواهر موقعية لا وجود لها إلا في السياق المنطوق وبسببه، -أي عملية التوظيف والاستعمال اللّغوي وهنا يظهر البعد الوظيفي التداولي -ودليل "تمام" على ذلك دراسة النحاة لزمن الأفعال على المستوى الصرفي وهي في عزلتها عن التراكيب ، و وضعوا بذلك قواعدهم الزمنية ثم اصطدموا بأساليب الإنشاء ، و الإفصاح ، فنسبوا وظيفة الزمن للأدوات ، كما أقر بعدم تفطن النحاة إلى أهمية بقية الظواهر السياقية في تحديد المعنى النحوي[4] .-هذه وغيرها مجموعة الآراء والأفكار التي نادى بها دعاة الوصفية و لا تجب المصادرة على الموضوع منذ البداية ، فالنتيجة هي التي تثبت أو تنفي الفكرة ، وفي كتاب" البيان " يورد "تمام" طائفة من المعاني وأطلق عليها النحاة " المعاني العامة " ، وحقها أن تؤدى بالحرف[*] ومنها (معاني حروف الجر: كالظرفية والملاصقة وابتداء الغاية،ومعاني حروف العطف : كالجمع

---

[1] - أبو السعود حسن الشاذلي : الأدوات النحوية وتعد معانيها الوظيفية دراسة تحليلية تطبيقية ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، ط 1989 ص 14-15.

[2] - تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص18 .

[3] - تمام حسان : اللّغة العربية معناها و مبناها ،ص 17.

[4] - المرجع نفسه ،ص 17.

[*] - أي أنها إذا عبر عن أحد عنصر غير الحرف لحقه الشبه المعنوي ، وكان ذلك سببا ف بنائه . " تمام حسان: البيان في روائع القرآن ، ص 18

الترتيب والتعقيب،ومعاني إن وأخواتها : كالتأكيد ، التشبيه، التمني ، إلى غير ذلك ، فهي كلها معان صرفية ونحوية تختلف من حيث طابعها عن المعاني المعجمية المفردة المنسوبة إلى المشتقات ذوات الصيغ.

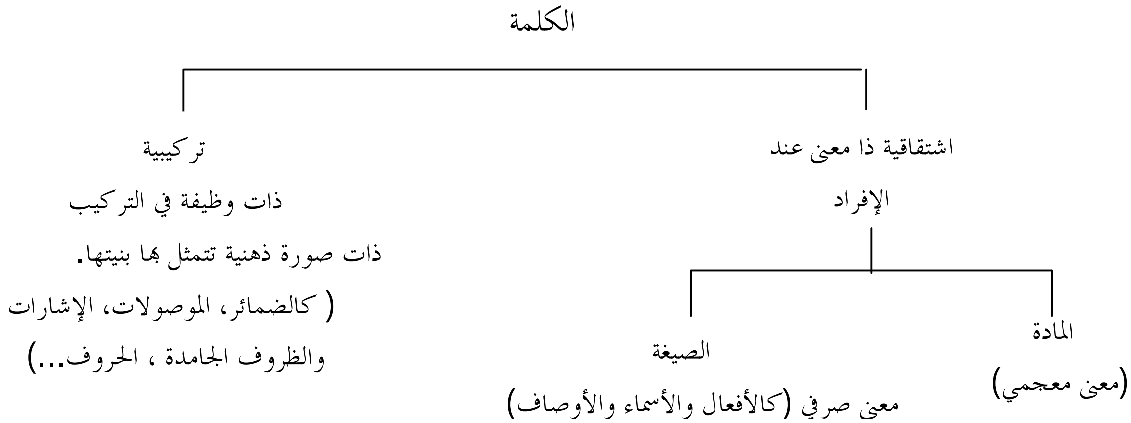
وبعد أن عُرِف مبنى الكلمة المشتقة وصيغها الصرفية فكيف تحدد معنى الكلمة الجامدة التي ليست لها صيغة صرفية ؟ في هذا الشأن يقول " تمام" : « إن مباني الجوامد هي صورها الذهنية»، وللتوضيح أكثر نسترشد بما قدم من بيان بشأن الكلمة المشتقة :

-الصورة الذهنية : البنية .

-الجامد المفرد : على صفحات المتون والشروح كلمة.

-الجامد في التركيب : لفظ منطوق أو مكتوب[1].

وبالتالي ي فإن الكلمات تقع على نوعين :



أنواع الكلمة بحسب الاشتقاق والجمود[2].

فمعنى البنية بنوعيها : معنى وظيفي عام " يختلف عن المعنى المعجمي المفرد"، والمعنى الوظيفي المذكور يحدد وظيفة بنية الكلمة، وعلاقتها بما يجاورها من المباني في السياق ، -فتسخير المباني وتوزيعها ووظيفتها داخل النسق خدمة للمعنى ، أو بمصطلح آخر التفاعل بين المبنى والمعنى وتحليله ، كله يصب في إطار التفاعل الفونولوجي كما يعكس سعيه لاستبدال نحو الجملة بنحو النص كما سنرى فيما بعد-فصور العناصر التركيبية[*] تعد إحدى القرائن الموضحة للمعنى النحوي، واللافت للانتباه أن المباني قليلة قياسا إلى المعاني

---

[1] - ينظر ، تمام حسان: البيان في روائع القرآن ،ص 18 -19.

[2] - ينظر، تمام حسان: الأصول دراسة إبستمولوجية ،ص115.

[*] - سواء صور الكلمات المعجمية المعروفة باسم : " الصيغ ، أو الصور الذهنية للكلمات التركيبية" . ينظر، تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص20.

أو الوظائف الصرفية والنحوية للغة –وهنا يلتقي مع وظيفية التحويلية والتوليدية إذ يمكن وضع عدد لا متناهي من الجمل ، من خلال جملة واحدة – معنى هذا أن لكل من أفراد القلة عدد من أفراد الكثرة ؛ فللمبنى الواحد عدد من المعاني الوظيفية يمنح لها هذه المزية السياق الذي ترد فيه أو بحسب وقعها من مجمل عناصره ، فلا غنى عن الوظيفة و الوظيفية في كل هذا وبعملية إحصائية –المنهج العلمي– يتضح أن سلوك اللّغة سلوك اقتصادي يوظف القليل من الوسائل للوصول إلى كثير من الغايات ، وبإلقاء نظرة على آيات الكتاب العزيز تتضح كيفية تعدد المعاني الوظيفية للمبنى الواحد أيّا كان نوع المبنى (معجمية ،تركيبية بصفة عامة).ويمثل لذلك بـــ :

- **"الــ"**التي يتعدد معناها الوظيفي بين (الجنس ،العهد،الربط،الموصولية):

أ-دلالة"الــ"على الجنس:ربما تدل عليه في كل آية قرآنية ورد فيها لفظ الإنسان والإنس بينما يطرد لها ذلك في اسم جنس جمعي لا واحد له من لفظه : (الناس ،الإبل ،النساء ...).

ب: العهد :تدلّ"الــ"على العهد في كل ما هو معروف معرفة تشع بين المتكلم والسامع ،إما لارتباطه في الذهن باهتمام خاص وقد نجد في الآية الواحدة دلالة **"الــ"** تتنوع بين الجنس والعهد[1]،كما في قوله تعالى:

« **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْـهِ** »[2] ، فالكتـــاب الأول معهود (القرآن بقرينة قوله إليك ،أما الكتاب الثاني فالمقصود كل كتاب سابق على القرآن الكريم)[*]

ج-أما دلالة "الــ" على الموصولية :فتتحقق عند اقترانها بالوصف؛ لأن الوصف مشتق (ويعد هذا من قبيـــل تعدد المعنى بحسب النقل لا الأصل كما ذكر سابقا) واقتران الوصف ب"**ال**"صلح أن يحلّ محله "الذي" أو"التي" ومع كل منهما فعل من مادة الوصف المقترن ب"**الــ**"، ويبقى لها عموم الدلالة الذي تتسم به الموصولات (و على هذا فإنها تقترب من معنى الجنس)كما في قوله تعالى : « **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** »[3] فهي تحمل دلالة العموم (كل المؤمنون والمؤمن هو الذي آمن لاقترانها بفعل من مادة الوصف .

أمّا على خصوص الدلالة الذي في الوصف فتقترب بها من معنى العهد كما في قوله تعالى : « **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا** » [4]

د-دلالة "الــ"على الربط:وتكون قريبة من الضمير في المعنى (ويصلح الضمير أن يحل محلّها).

1- ينظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن ،ص20 ـــ22.

2- المائدة : 48.

*- والوصف يقلل من شأن "الــ" في إيضاح المعنى : نحو قوله تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ** » . النساء : الآية 136.ودلالة الكتاب الأول القرآن بقرينة الوصف الذي ، الكتاب الثاني الكتب المنزلة قبل القرآن بقرينة الوصف أيضا .تمام حسان : البيان في روائع القرآن،ص22.

3 - البقرة :285.

4-الأنفال :74.

وتقترب حينها من العهد –وإن لم تكن لها دلالتها خالصة له –مثل قوله تعالى : « فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى » [1]فالمعنى في الحالتين هي"مأواه "،حيث حلّ الضمير "الهاء"محلّ"الـ"،أما قربها من العهد فيأتي من احتمال المعنى أن يكون "هي المأوى "الذي تعرفونه .

- تعدد معاني "إِنْ"مكسورة الهمزة، وقد وردت في القرآن الكريم في أحد معانيها وبمعاني أخرى كذلك:

أ-دلالتها على النفي:كما قوله تعالى : « إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا »[2] ويتضح من خلال السياق (قرينة الإعراب ،ثبوت النون،لأنه لو كان دلالتها غير النفي كأن تكون أداة نصب وتوكيد لنصبته بحذف النون).وكذلك قرينة التضام –علاقة اللفظ باللفظ في التركيب كما سنرى فيما بعد-وذلك لورود إلا"مصاحبة لها ،فما يدعونه من دون الله إلا إناثا من باب التعريض والرّد.

ب-دلالة إن على الشرط:وهي الصورة الغالبة التي يكون عليها في القرآن الكريم وقرينتها دائما الجواب مذكورا،أم مفسّرا بما سبقها ،كما يدل عليها الرّابط (إذا أو الإشارة أو الفاء).حين لا يصلح جوابها أن يكون شرط لها ، ومن شواهد ذلك قوله تعالى : « قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » [3]فقرينة شرطيتها الجواب ،ثم اقترانها بالفاء الرابطة –ونلاحظ في كل هذا دور القرائن ،وأقصد ما قصده "تمام" " اللفظية منها "في توضيح المعنى واستغل حينها حتى الحركات الإعرابية كالكسرة في"**إن**"والحروف والأدوات ،وحتى الجمل فيما يخص جواب الشرط ،وهذا ما أكد سابقا بخصوص عدم إقصاء كل ما هو وظيفي ؛فالنص وكل عناصر البنية تتلاحم لإحلال المعنى محل اللبس والغموض [4] ، فالمقصود من كل هذا نظرية المعنى ، ومن ثم الإيصال والإبلاغ فالوصفية ثم الوظيفية مع عدم إقصاء الجانب الجمالي كما سنرى فيما بعد." في الدراسة الأسلوبية " التي منطلقها لغوي تركيبي-

كما أن معني الحروف تتعدد ، وكذا الأدوات بحسب السياق الذي ترد فيه ، وفي هذا الجدول تلخص باقي المعاني التي تدل عليها " إن " داخل السياق :

1- النازعات : 37-41.

2- النساء : 117.

3- البقرة : 94 .

4 - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 22-24.

الصور التركيبية لـــ(إن).	المعنى الوظيفي.
١-إن +إلا (وما في معانيها).	النفي.
٢-إن+ل(وهي اللام الفارقة).	مخففة من الثقيلة.
٣-ما إن+ماض.	زائدة مؤكدة لمعنى الظرفية .
٤-ما إن +اسم أو فعل.	زائدة مؤكدة لمعنى النفي.
٥-إن+شرط+جواب.	رابطة شرطية جازمة.

- معاني "إِنْ"داخل السياق[1]

v **تعدد معاني "ما"**:(النفي الاستفهام،المصدرية،الشرطية،الزيادة..) و هلم جرا.

أ-دلالتها على النفي: كما في قوله تعالى : « **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** »[2].وقرينة ذلك السياق

ب-دلالتها المصدرية : كما في قوله تعالى : « **مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ** »[3] فالأولى نافية والثانية مصدرية والتقدير (ما أغنى عنهم سبق تمتعهم) .

ج-دلالتها على الاستفهام : كما في قوله تعالى : « **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى** »[4] وقرينة ذلك السياق ما بعدها ، وكذلك قوله تعالى : « **وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ** »[5] ، فالاستفهام هنا أولى من " النفي " لأن هذا الأخير –النفي –يفرض أن يكون في الآية تقدير (ليس لنا أن لا نومن) ، ولكن ما لا يحتاج إلي التقدير أولى .

---

[1] - أبو السعود حسن الشاذلي :الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية،ص87.

[2] - الكهف : 82 .

[3] - الشعراء : 207.

[4] - طه: 17.

[5] - المائدة : 84.

د-دلالتها على الشرط : قوله تعالى : « **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُــهُ** » [1] والقرينة هنـــا الجـــواب والرابط الفاء هو يخلفه**).**

أما في قوله تعالى : « **مَا نَنْسَخْ مِنْ آَيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا** »[2]

والقرينة هي جزم الفعلي الشرط (ننسخ /ننسها) والجواب نأتي **...**

هــ-دلالة ما على الموصولية : وهي من باب تعدد المعنى بحسب النقل –إذ تخرج من الحرفية إلى الموصـــولية كما خرجت " أن" فيما سبق-

v تعد معاني " لا ": من النفي ،إلى الدعاء،إلى النهي إلى الزيادة [3]**.**

أولا: النفي هو وظيفتها الأصلية ، والنفي بها له أشكال وصور عدة أهمها:

أ-أن تكون نافية للجنس [*]: فتعمل عمل (إن) وتختص بالاسم النكرة الدال على الجنس فيبني معها علـــى الفتح نحو قوله تعالى : « **قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ** » [4] "ضير" اسمها مبني على الفتح **.**

ب-كما قد تكون حرف جواب : فتغني عن جملة الجواب على نحو قوله تعالى : « **قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ** » [5]وهذا التوظيف لــ" لا " في هذا الموضع من السياق رائع جدا إلا أن تكرار " ما" يجعل الجملة المعطوفة ملبسة لمماثلتها التعجب والتقدير (وما أدراكم به **!)**

النص	**صورته التركيبية**	**المعنى الوظيفي**

1 - سبأ : 39.

2 - البقرة :106.

3 - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 24-25 .

* - تدخل " لا " النافية للجنس على النكرة فتنفيها نفيا عاما ، ويكون الاسم بعدها مبنيا على الفتح ، أو منصوبا ، وتعمل في المبتدأ (النصب) بشرط أن يكون نكرة (غير مضاف ولا يشبه المضاف) ويشترط ألا يتكرر فإن تكررت لم يتعين إعمالها و جاز وأن لا يكون مفصولا بينهما وبين اسمها بفاصل . ينظر : فاضل صلاح السمرائي : معاني النحو ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط 2000،ج1،ص361.

4 - الشعراء : 50.

5 - يونس : 16.

قال تعالى : « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ »(1)	لا+الفعل الماضي	الدعاء
قال تعالى : « فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى »(2)	لا+صدّق+لا صلى (التكرار)	النفي المحض
قال تعالى « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ »(3)	لا+مضارع مجزوم (تنهر)	النهي
قال تعالى : « فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ »(4)	لا(زائدة) +القسم+جواب القسم	زائدة –وقد قامت القرائن على زيادتها لأنها لو كانت نافية لوقع تناقض مع عبارة وإنه لقسم.

تعدد معاني "لا " داخل السياق (5)

ففي الجدول أعلاه لخصت باقي الحالات التي تتعدد فيها معاني لا ، وهذه المعاني من قبيل تعدد المعنى (لا النقل) كما يلاحظ في المثال الأخير زيادة حرف اللام ، وهذه الزيادة تنسب إلى النحو ولابد من رعايته في تحليل النص القرآني ،والملاحظ كذلك أن "تمام"يجري عملية مقارنة بين عدة نماذج متشابهة لإدراك الفرق الدقيق ما بين تركيب وآخر ، والسمة المميزة الخاصة بكل وحدة وصياغة ، وهذا الإجراء مكنه من الإستفادة بالإحصاء وكذا مس جوهر الوظيفة من خلال الموقع الذي تشغله الكلمة داخل السياق -.

v تعد المعاني الوظيفية لحرف " الواو" ، والتي تعتبر من حروف العطف ، (صيغتها العامة)، ولكن تكون:(الاستئناف ،أو لمطلق الجمع ،أو للمعية،أو المصاحبة ،أو الحالية ،أو القسم ،أو الزيادة...)(6)

أ-لمطلق الجمع ، فإذا قيل :" حضر محمد وخليل" ، فليس دلالة على أن محمدا حضر قبل خليل، كما يحتمل أنهما حضرا معا، وهذا لا ينفي ورودها بقصد" الترتيب"، وفي مواطن عدة من القرآن خاصة، وعلى هذا فهي لا تكون للترتيب دائما .ومن أحكامها :

- اقترانهما بـ"إما"،اقترانها بـ"لكن" ، اقترانهما بـ "لا" ،عطف العقد على النيف: نحو (أحد وعشرين) عطف مالا يستغني عنه وبهذا يختص من بين حروف العطف ، بأنها قد يعطف بها ، حيث لا يكتفي بالمعطوف

---

1 - البلد : 11.

2 - القيامة : 31-32

3- الضحى : 9-10 .

4 - الواقعة : 75-76

5- ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص25-27.

6 - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص27.

عليه (اختصم زيد وعمرو) ولا يقال (اختصم زيد) عطف الشيء على نفسه (مرادفه)، ويشترط في المعطوف زيادة فائدة - عطف العام على الخاص –عطف الخاص على العام[1].

ب-الاستئناف : نحو قوله تعالى: « **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** » [2] والقرينة أنها مسبوقة بالخبر(الآية ما قبلها) في قوله تعالى:« **إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** » [3] كما أن " الواو" متلوة بالطلب.

ج-عطف المفرد : في قوله تعالى : « **إِنَّ الصَّفَا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ** » [4]

د-دلالتها على المعية :قال تعالى « **أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ** »[5]

فالواو الأخيرة هي التي حملت معنى المعية .

هـ-دلالتها على المصاحبة : كما يحتمل العطف في قوله تعالى : « **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ** »[6].

1- دلالتها على العطف : كون الكبرياء لهما [7] .

2- دلالتها على المصاحبة : مصاحب للفتهم عن آلهتهم[*1]...

والملاحظ أن "تمام" قد ركز على تبيين المعنى الوظيفي للحروف وتعد معانيها بحسب السياق والبيئة اللّغوية ونود أن نشير هنا إلى نقطة هامة وهي استعمال " تمام" مصطلح " الحرف" كما هو عند " سيبويه" على الرغم من تفريق البعض بين مصطلحي " الحرف " و" الأداة".

بالإضافة إلى ما للأداة من وظيفة الربط بين الأبواب المفردة داخل الجملة ، كالذي رأيناه في حروف العطف (الواو نموذجا) والمعية ، وواو الحال ، و"ما" ،و"إن"، و"لا"...والمعاني التي تؤديها في سياقات مختلفة،أو من وظيفة أداء معنى صرفي عام كالذي رأيناه في أداة التعريف[8] .

فالأداة مبنى تقسيمي ، يؤدي معنى التعليق (والتعليق بالأداة أشهر أنواع التعليق في اللّغة العربية الفصحى)

---

1 -ينظر، فاضل صالح السمرائي : معاني النحو ،ج3،ص216-231.

2 - البقرة : 244 .

3 - البقرة : 243.

4 - البقرة : 158 .

5 - الأعراف : 127 .

6 - يونس : 78 .

7 - ينظر، "تمام حسان": البيان في روائع القرآن ،ص 28-29.

*1 - وقد يؤتى بالواو للدلالة على الاستمرار والتكثير ، وذلك في الأفعال خاصة ، نحو "هو يركض ويركض " كما تدل على الحال والقسم والزيادة .أنظر، فاضل صاح السمرائي : معاني النحو ، ج3،ص227.

8- ينظر، "تمام حسان": اللّغة العربية معناها ومبناها ،ص 125.

فالأداة وما بني للشبه المعنوي بها لا يؤديان المعاني المعجمية بها ، إنما يؤديان المعاني الوظيفية في السياق[1] .
وتجدر الإشارة إلى أن الخصائص و المميزات التي ذكرها هنا " تمام " في تحليله للحروف ومعانيها ، فهي تعود في الحقيقة إلى "المبنى والمعنى" ، أي يتصل بالناحية الشكلية[*2] والوظيفية ، (والمقصود بالثانية المعنى المحصل من المستوى التحليلي أو التركيبي) وأبرز خصيصة تتصل بالناحية الوظيفية " التعليق" ، وهو الوظيفة الأساسية للأدوات ، والتي تشارك في دلالتها على معان وظيفية خاصة بجانب المعنى الوظيفي العام-أي التعليق-وبهذه الدراسة التحليلية التطبيقية التي قام بها"تمام حسان" لبعض الأدوات التي لها أكثر من استعمال نحوي ، يلاحظ أن استعمال الأدوات في اللّغة –قسما منها-يتعدد معناه الوظيفي باتجاهين :
أ-تعدد المعنى الوظيفي بمبنى الأداة ، ضمن الإطار العام والوظيفة الأساسية التي تؤديها (التعليق).
ب-تعدد معناها الوظيفي: بخروجها عن الإطار العام، فتكون وظيفتها حينئذ بحسب السياق الذي ترد فيه تحدد القرائن.

و لم يغفل النحاة واللّغويون العرب القدماء –الأداة –وقد لقيت عناية خاصة من طرفهم ، حتى إذا ما أريد مقارنة دراساتهم بالدراسات الحديثة –مفهوم " ستيفن أولمن" (*S.Ullmann*)-للأداة –نجد أن مفهومها عنده يطابق مفهوم الحرف عند النحاة فقوله : « ليس لها معنى مستقل خاص بها» ، يرادف ويعادل قول النحاة عن الحرف : « ما دل على معنى في غيره» فدراستهم هذه أشبه ما تكون بمنارة عالية أضاءت الطريق لمن جاء بعدهم [2] .

v **تعدد المعنى بالنسبة إلى الضمائر** : (ضمائر الأشخاص ،الموصولات، الإشارات) .

1-ضمير الشخص : وقد يكون لمجرد الكناية عن الاسم ، أو الوصف ، وشرط الإضمار أن تتحقق المطابقة لفظا و معنى كما في قوله تعالى : « **وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ** » [3]

-وإذا تمت المطابقة في الفظ دون المعنى وجب الإظهار نحو قوله تعالى : « **وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ** » [4]-أي فقاتلوهم-.أما إذا تمت المطابقة في اللفظ دون المعنى (القصد) نحو قوله تعالى :
« **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ** » [5] ، فالناس الأولى غير الناس الثانية ولضمير الشخص معان كثيرة منها:

---

[1] - "تمام حسان": اللّغة العربية معناها ومبناها ،ص 123-125.

[*2] - الصورة اللفظية : منطوقة أو مكتوبة على مستوى كل جزء من الأجزاء التحليلية للتركيب الكلامي ، الخصائص التي تعد من المظاهر الشكلية تتجلى في الصورة الإعرابية أبو السعود حسن الشاذلي:الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية ، ص 43.

[2] - ينظر، أبو السعود حسن الشاذلي : الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية ، ص43-58.

[3] - ص : 24 .

[4] - التوبة : 12.

[5] - آل عمران 173 .

-الشأن : كما في قوله تعالى : « **إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ** »[1] " فالضمير " الهاء" تقدم على جملته وهو يعود على متأخر لفظا ورتبة (المجرمون) ، كما طابقه في التذكير كذلك .

الفصل: يساق لرفع لبس أو لتأكيد الإسناد نحو قوله تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** »[2] والتقدير بحذف الضمير (من قبل أن يأتي يوم ويأتي الكافرون الظالمون) ولا شك في إتيان الكفار يوم القيامة،

وهكذا يمكن أن يقوم التركيب ، فلا وظيفة ولا معنى للضمير –إلا أن يكون مؤكدا-وهذه النقطة تتعلق بالزيادة النحوية ، لكن من الناحية البلاغية شيء أخر ، لأن القول بمبدأ الزيادة ، يناقض القاعدة السابقة التي تنص على أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى ،وخاصة النص القرآني المعجز –وفي الشاهد الموالي أهمية الضمير وإن تكرر كما في قوله تعالى : « **وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ** »[3].

فحاجة التركيب إلى الضمير الثاني أشد من حاجته إلى الأولى، لأن عبارة " بالآخرة هم الأخسرون" أقوي نحويا من عبارة " وهم بالآخرة الأخسرون " لما في العبارة الأخيرة من فصل بالجار والمجرور بين المبتدأ والخبر ، ولا فصل بينهما في الأول[4].

2 -أما الموصول : فدلالته دائما على الغيبة (المختص منه والمشترك) ، ومع دلالته الدائمة على الغيبة يساق في ابتداء أو الجملة لإفادة العموم، نحو قوله تعالى : « **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** »[5].

- قال تعالى : « **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى** »[6] . اسم موصول (جمع مقدم +جملة الخبر): الخبر): نزع منها الخبرية ، وجعلها صلة له.

- قال تعالى : « **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى** »[7].اسم موصول(جمع+جملة الحال (الذي الثانية)) : صار نعتا لما قبله والجملة صلة الموصول له.

- قال تعالى : « **وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ** »[8]. اللاتي (جمع مؤنث +الفاء+الخبر (فاشهدوا) : إنه دل على توقف الخبر على المبتدأ ، أو يكون لخبره من الأحكام " ما" لجواب الشرط.

---

1 - يونس : 17.
2 - البقرة : 254.
3 - النمل : 5 .
4 - ينظر : تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 30-31 .
5 - البقرة : 39 .
6 - البقرة : 16 .
7 - الأعراف : 157 .
8 - النساء : 15 .

3- أما ضمير الإشارة (الحضور) لقد تصرف التركيب القرآني بعض التصرف خاصة في " ها أنتم أولاء"، إذ أعطى " هاء" التنبيه من تباين الرتبة ومن الإثبات والحذف ما يتضح في الآيات التالية :

النص	الصورة التركيبية	المعنى الوظيفي
-قال تعالى : « هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ » (1) -قال تعالى : « هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ » (2) -قال تعالى : « ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ » (3) - قال تعالى: « ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ » (4) (4)	ها+ضمير شخص +الإشارة(إثبات الهاء والأصل (ها +ضمير الإشارة) ها+أنتم+اسم الإشارة، والملاحظ تقديم رتبة الهاء. -ضمير –ها+اسم الإشارة -ضمير +اسم إشارة/حذف الهاء.	الربط

موضع ضمير الإشارة من بعض سور القرآن (5)

وكل هذه المباني تعد تصرفا أسلوبيا في النمط التركيبي –العدول عن النمط ، والذي لا يحتاج إلى تبرير عكس الرخصة-وتستعمل الإشارة استعمال ضمير الشأن ، ومن شواهد ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : « ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ » (6) الضمير:" ذلك" العائد عليه "النار"،كما يجوز وضع إنه موضع الإشارة الإشارة –في كل ما سبق –يتحقق المعنى نفسه بواسطة ضمير الشخص الدال على الشأن، كما في قوله تعالى : « وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ » (7)

ونزداد إيمانا بتعدد المعنى للمبنى الواحد من خلال قابلية " ضمير الإشارة "أن يستعمل استعمال "ضمير الشأن وكذا تدخل العلاقة الإستبدالية في قوله (ولو أنك وضعت إنه موضع الإشارة)،وكذا حرية الباث(المرسل) في اختيار ألفاظه وتراكيبه ،كما أن هذا التوظيف يجعل العنصر المستبدل حامل لمعن المستبدل منه ، بالإضافة إلى عملية التوزيع ، وكل هذا يدخل في إطار التصرف الأسلوبي –.ولا يخفى مع هذا كله أثر المنهج الوصفي ، الذي اعتمده "تمام" لإعادة وصف أقسام الكلم في اللّغة العربية(*)؛ فالاختلاف إذن ما بين

1 - آل عمران : 66.
2 - آل عمران : 119.
3 - البقرة : 85.
4 - طه : 149.
5 - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص32 ـــ34.
6 - فصلت : 28 .
7 - البقرة : 85.
* - إذ ألحقت أسماء الإشارة والموصولات بقسم الضمائر ، وهذا الأخير لا يدل على مسمى بالاسم ، وعلى موصوف بالحدث كالصفة ولا على حدث وزمن كالفعل ، وقد ألحقها تمام :" أسماء الإشارة –والأسماء الموصولات –والضمائر ، تندرج كلها تحت المورفيمات في نظرية اللّغوية

تصييف "تمام" وتصنيف القدماء يكمن في الطريقة والمنهج لا النص ، والدليل أن تمام كان ينادي إلى تقسيم جديد يقوم على المبنى والمعنى معا، إذ يقول : « لا بد أن يتضافر اعتبار المبنى واعتبار المعنى في التفريق بين قسم بعينه وبين بقية الأقسام»[1] .

ومثل المورفيمات *Morphème* الدالة على الضمائر والموصولات والإشارة والأدوات (مورفيمات مقيدة) لا تدخل في علاقات اشتقاقية وهي جميعا ليست مورفيمات صرفية (تتمثل في الأوزان والصيغ) إلا أن وظيفتها الأساسية لا تظهر إلا من خلال التركيب[2]-فهو لا يخرج في كل تقسيماته عن التصور الوظيفي.ونجد من المورفيمات الظروف:ودلالتها على الظرفية،هي وظيفة هذا النوع من المورفيمات فجعله"تمام"قسما قائما بذاته،قسمها إلى :

أ-الظروف الأصلية : (إذ، إذا ،إذًا ،لما ،أيان ،متى) للزمان (أين،أنّى، حيث) للمكان.

ب-الظروف الفرعية : تؤدي إلى النقل من أقسام الكلام ،حتى إن تعدد المعنى الوظيفي لها –ظروف الزمان مثلا-تختلف دلالتها على الزمن الماضي ، والمستقبل ، والمطلق ومثل ذلك قوله تعالى:« **وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** » [3]-الدلالة على الغائية-

وقوله تعالى : « **وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ** » [4]" إذ استفتاحية ، وبدراسة إحصائية قام بها "تمام" وجد أن :"إذ" بمعنى لقد وردت في القران الكريم في أكثر من ثلاثين موضع. ومن ذلك قوله تعالى « **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ** » [5]والتقدير لقد أخذنا ميثاقكم

-ونقل الظروف المذكورة إلى قسم الحرف ليكون (أدوات للشرط –الاستفهام) و الإ ستصحاب صورته كما في :" متى ، أيان" وإلحاق " ما" الشرطية بهما ، كما في " إذ ما" .

-ومن معاني إذا : الظرفية نحو قوله تعالى : « **يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ** » [6] وهي بمعنى عندئذ (وليس المعنى يشترط رجوعكم)، وهي هنا ظرف لما يستقبل من الزمن[*] .

الحديثة".أما القدماء فقد ألحقوها بالاسم : لأنها تحل محلها ، وتوزع في المواضع التي تظهر فيها الأسماء . ينظر ، تمام حسان:اللّغة العربية معناها ومبناها ص 90.

[1] - المرجع نفسه، ص90.

[2] -ينظر، حلمي خليل :مقدمة لدراسة علم اللّغة، ص98.

[3] - البقرة : 130-131 .

[4] - الأحقاف : 11 .

[5] - البقرة : 93.

[6] - التوبة : 194.

[*] - إذا ظرف لما يستقبل من الزمان مبني على السكون متضمن على الشرط (غالبا) خافظ لشرطه متعلق بجوابه، تختص بالدخول على الجملة الفعلية ويكون الفعل بعدها ماضي غالبا أو مضارع . ينظر، إميل بديع يعقوب : معجم الإعراب والإملاء ، دار الشريفة (د.ت)، ص49.

-كما تكون رابطة ومعناها المفاجأة كما في قوله تعالى : « فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ » (1) كما تعدد معاني إذا بعد تنوينها "إذًا" إما الجوابية ، وإما الظرفية .

v تعدد معاني الصيــغ الصرفيــة :

أ- الثلاثية غير الفعلية : شركة بين الأسماء والصفات ، والدليل على تعدد معاني الصيغ الصرفية التباس صيغه " فَعَلَ" بين الصفة والفعل نحو :" قَاتِلُو ا زيدًا وقَاتِلُوا زيدٍ" ، فلولا الإعراب لحدث اللبس ، فالأول (فعل أو مفعول به) والثاني (جمع مذكر سالم مضاف ، زيد مضاف إليه) .

ب- صيغة استفعل : يتعدد معناها بين الصيرورة كما في قوله تعــالى : « وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ» (2)، والطلب كما في قوله تعالى : « فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ » (3) بالإضافة إلى المطاوعة وقوة العيب (كاستكبروا) .

ج- **صيغة فِعَال** : تكون اسما " كسراج " ، ومصدرا حينا كما في قوله تعالى : « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ » (4).

وقد يصلح اللفظ لمعنيين ، وتدخل القرينة (5) –اللفظية طبعا- لتوضيح المعنى كما في قوله تعالى :

« يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ » (6)

فلباس الأولى اسم يدل على الكسوة (بقرينة موارة السوءة) واللباس الثانية مصدر يدل على الملابسة والمخالطة والارتباط (بقرينة التقوى ، إذ ليس لها لباس) -وفي الهامش سندرج باقي القيم ومعانيها (*1)

وهذا الأصل –الوضع –تعرف عليه النحاة ، إذ بعدما استقامت لهم الأصناف (الأبواب النحوية) بــدأوا في إنشاء هيكل نبوي مجرد يمثل تصورا ما "للتفاعل" بين الصور المختلفة لمباني اللّغة " ، وهذا التفاعل أطلق عليــه النحاة مصطلح" التغيير " أو " التأثير" ، وذلك حين رأى النحاة أن الحرف الواحد تتعد صوره بحسب موقعه مما

---

1 - يونس : 23.

2 - يوسف : 32.

3 - نوح : 10 .

4 - البقرة : 216.

5 - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 35ــــــ39

6- الاعراف: 26. الريش لباس الزنية ، أستعيره من ريش الطير أي أنزلنا إليكم لباسين :لباسا يواري سوءاتكم ولباسا يزينكم ، لأن الزينة غرض غرض صحيح ولباس التقوى لباس الورع والخشية من الله تعالى ، كما لا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى ، أو أن تكون إشارة إلى اللباس المواري للسوأة ، لأن هذا العمل من التقوى كذلك ، و بالتالي تفضيلا له على لباس الزينة .الزمخشري : تفسير الكشاف ، تحقيق وتعليق محمد مرسي عامر، دار المصحف ،طــ2 1988م ،ج1، ص103-104.

* 1- فاعل ⟵ المشاركة /أفعل ⟵ التفضيل/ افعل⟵ صفة مشبهة/فعيل⟵ اسما (الدلالة على مسما بذاته)/ فعيل⟵ صيغة مبالغة/فعيل⟵ صفة مشبهة/فعيل⟵ مصدر /فاعل⟵ اسم فاعل/فاعل⟵ اسما. ينظر،تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 39.

جاوره من الحروف ، فلجأو إلى تجريد أصل لهذه الصور ، أما المختلفة جعلوها عدولا عن الأصل (كالإدغام والإخفاء...) .وهكذا الشأن بالنسبة " للكلمة " التي تتغير صورها بحسب :" التصريف ،الإسناد ...والجملة تتغير ، ولا تبدو على نمط تركيبي واحد ، فاقترحوا إثر هذا أصل الوضع .

v تعدد المعنى بحسب النقل:

وظاهرة النقل أوسع في اللّغة مما يظن ، وقد اعترف النحاة بالنقل تحت أسماء مختلفة :" النقل،التحويل،والنيابة وكلامهم عن العلم المنقول ، واسم الفاعل ..، كما أنهم تخطو المباني إلى القول في نفس المعاني ، فقالوا بالنيابة عن الفاعل ، وبتحويل التركيب إلى مبنى بعينه(المصدر المؤول) فيما يخص التقسيم [*2]،ولنتعرف الآن على كيفية النقل من قسم لآخر :

1-نقل الاسم : [1*]

أ-نقل الاسم إلى الوصفية : كما في قوله تعالى : « **قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي** » [1]. فيوسف هنا حلت محل الصفة نحو (أنا طويل) .

ب-نقل الاسم إلى الظرفية : فيسمى ظرفا متصرفا (ما كان منها من الأسماء دالا باشتقاقه على زمان أو مكان أو دالا من المبهمات بمعناها المفرد على وقت أو جهة : كساعة ويوم ...)[2] وما أضيف إلى ذلك كعندي ولدي ، وحيال ، وإزاء ، وقبل....ونحوها،كما في قوله تعالى : « **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ** » [3]

2-نقل المصدر : ويعرفه " تمام" بأنه : اسم الحدث حين يبرأ الحدث من الزمن ، ويرىأن هذا التعريف أدق من قول ابن مالك:

الْمَصْدَرُ اِسْمٌ مَا سِوَى الزّمانِ مِنْ + مَدْلُولَيْ الفِعْلِ كَأَمْنٍ مِنْ أَمِنَ [4].

[2*] - التقسيم السباعي : اسم –مصدر –وصف –فعل-ضمير-ظروف –خالفة –أداة –(التعليق) وهو مقام على أساس المبنى والمعنى ، والشكل والوظيفة ينظر تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها ص86.

[* 1] - الاسم: مادل على معنى معين أو جنس بدئ بالميم، دالا على زمان ، أو مكان أو آلة ، أو كان من المبهمات : كأن يدل على عدد ، أو وزن أو كيل ، أو جهة ، أو يكنى به عن شيء مما تقدم. ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص41.

[1] - يوسف : 90.

[2] - ينظر،تمام حسان: البيان في روائع القرآن ، ص39ـــ44

[3] - البقرة : 85 .

[4] - ابن مالك : الألفية، ص216.

إذ يرفض "تمام" أن يلحق المصدر بالفعل وانطلاقا من تعريف المصدر أنه:"حدث غير مقترن بزمن[*2]وجهة " و النظر الوصفية هذه تؤول هي الأخرى إلى وجهة نظر وظيفية ، لأن "تمام" في هذه النقطة بالذات يذكرنا بما قيل منذ البداية ، من أن كل ما أدى معنى فهو مبنى (استقلالية وظيفية) –ويذكرنا كذلك بجدلية الأصلية للفعل أم المصدر والتي دارت بين البصرة والكوفة ، إذ يحاول أن يجعل كل قسم قائم بذاته ، ويحاول –إن صح التعبير –تجاوز الرأيين معا، فالنحاة تقسيمهم قائم على المعنى، و"ابن مالك" تقسيمه قائم على المبنى ، لكن "تمام" من خلال تقسيمه هذا أراد الخروج بنمط يجمع بين المبنى والمعنى (استقلالية كل مصدر وفعل ببينة ومعنى) .

أ-نقل المصدر إلى العلم: نحو قوله تعالى: « **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا** » [1].

ب-نقل المصدر إلى الوصفية : إذا كان الاشتقاق هو حكم الغالب ، هو أصل الحال ، وإن الأصل في الحال أن يكون وصفا ، فمن غير الأصل أن يكون مصدرا ، وإن تم هذا الأمر فهو من باب النقل فقط (من المصدرية إلى الوصفية) كما في قوله تعالى : « **ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا** » [2]."سعيا "حال، وهي مصدر والتقدير : (يأتينك ساعيات).

ج-نقل المصدر إلى الظرفية : فيكون كما كان في عرف النحاة ، ظرفا متصرفا ،كما في قوله تعالى : «**حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَ** » [3] فالمصدر بغتة نقل إلى الظرف (الزمان) ، وهنا احتمالان :

-دلالتها على الظرفية [4]: -وقد رأيناها-

-حالا: (أي مباغتة) ويعززه القرائن[*1] التي تثبت إرادة الحالية –وأشار تمام إلى قرائن ليست من نفس السياق اللّغوي للسورة أو الآية ، بل من سورة أخرى (الشعراء[*2])لأن القرآن يفسر بعضه البعض ، وتجاوز الجملة إلى السياق ، أو لنقل النص بأكمله –وهذا الاحتمال هو الأفضل.

د-نقل المصدر إلى معنى الإنشاء : (طلبي وغيره):نحو قوله تعالى : « **فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ** » [1]

---

*2- يرفض "تمام" أن يلحق المصدر بفعل ، ذلك أن المصدر لديه صيغه الخاصة التي تميزه عن ذلك الجزء الذي لا صيغة له إلا صيغة الفعل ، كما أن حدث الفعل ملابس للزمن (فحدث الفعل لا يستقل عن الفعل ولا الزمن)، أما المصدر فله مباني خاصة ، وله معنى مستقل عن الزمن مثل " العفو عند المقدرة ". ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 44.

1 - الأحزاب : 37.

2 - البقرة : 206 .

3- الأنعام : 31.

4 - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص44-45 .

*1- نكرة منصوبة بمعنى فجأة وتعرب حالا أو مفعولا مطلقا لمفعول محذوف تقديره بغت، والأفضل إعرابها حالا كما هو في الآية أعلاه ، ينظر إميل يعقوب : معجم الإعراب الإملاء، ص131.

*2- قال تعالى : « **فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** » : الشعراء202.

بعدا : من بعد يبعد إنشائي أي ما أشقاهم !.وتعسا لهم، ما أخسر صفقتهم ![2].

3-نقل الوصـــف [3*]:

أ-نقل الوصف إلى العالمية : كل وصف من الأوصاف التي ذكرت-انظر الهامش-صالحة للنقـــل إلى العالميـــة (كباسم ،محمود ،بسام،أشرف،كريم...) ومن القرآن الكريم قوله تعالى : « **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** » [3].

ب-نقل الوصف إلى الإسناد : إلى فاعل ، نحو قوله تعالى : « **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ** » [4] أراغب (اسم فاعل) وجاءت هنا مبتدأ في الجملة فأغنى فاعله عن (أنت : الضمير).

-وإن كان خبرا: كان الفاعل ضميرا يعود على المبتدأ نحو قوله تعالى : « **وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ** » [5]

" حِلٌّ" : والضمير يعود على المبتدأ أنت.

-كما يكون مسندا ، مسند إليه ، إذا وقع الوصف موقع الفاعل : « **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** » [6]ســـأل مسند (مسند)سائل (مسند إليه)،ثم إن سائل تحمل ضميرا فاعلا مستترا ،فهو مسند إلى هذا الضمير (وليس في أقسام الكلم ما يكون كذلك إلا الوصف) .

ج-نقل الوصف إلى الموصول:عند اتصاله ب"الــ"(فيكون موصولا وصلة نحو:"العظيم خلقه" (وهـــو محمـــد صلى الله عليه وسلم): الموصول" الــ" الصلة "العظيم "كما يعود الضمير" الهاء "على الصلة والموصول معا .

4-نقل الفعل:نقل الفعل إلى العالمية :يزيد ،تدمر[7] ...كما في قوله تعالى:«**وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** »[8]

أ- نقل الفعل إلى أداة ناسخة:فيسقط معنى الحدث مع بقاء الزمن(كان وأخواتها،كاد وأخواتها)،بالمقابل فهي -كان الناقصة-نقل إليها معنى"كان" التامة[1*]التي تدل على حدث وزمن –وهنا بالذات نؤكد علـــى أهميـــة السياق في تحديد المعنى والدلالة- وفي قوله تعالى: « **وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا** »[1] يسقط المعنيـــان (الـــزمن

---

[1] - المؤمنون : 44.

[2] - عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص552.

[3*] - الأصل في الوصف أن يدل على موصوف بالحدث ، عن طريق الفاعلية ، المفعولية ، المبالغة ، التفضيل أو الثبوت أو الدوام ، والأوصاف جميعها من المشتقات ذوات الصيغ الصرفية المحددة.

[3] - الصف : 06.

[4] - مريم : 46.

[5] - البلد : 02.

[6] - المعارج : 01 .

[7] - ينظر ، تمام حسان :البيان في روائع القرآن، ص 45-46.

[8] - نوح : 23.

[1*] - معاني استعمالاتها: فهي تكون للماضي وغيره.وأبرز معانيها :الماضي المنقطع –الماضي المتحدد والمعتاد :إذا كان خبرها فعلا مضارعا نحو(كان يقوم اللّيل)-توقع الأحداث في الماضي :نحو (كان محمد سيفعل هذا)-الدوام والاستمرار بمعنى (لم يزل)-الدلالة على الحال:نحو(كنتم أشرف الناس) الاستقبال :نحو قوله تعالى: « وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا »-الإنسان 7. بمعنى صار:نحو قوله تعالى: « وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ

والحدث) عن كان،ونقلت إلى أداة توكيد لأن الإنسان مازال وسيظل كفورا،ومثله قوله تعالى: « إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا » (2).

ومن شواهد دلالة كاد على المقاربة قوله تعالى : « وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ »(3) فالإسناد واقع بين اسم كاد "الواو" والمضارع بعدها "ليفتنونك"، والمشتمل على"واو"،وهي ضمير يعود على اسم كاد "الواو"، والتقدير"هم يفتنونك" ،والإسناد هنا قارب الوقوع فقط،لذا جاءت كادوا على صورة الماضي،لتدل على المقاربة .

فكاد وأخواتها تضيف علاوة على هذا ، معاني "المقاربة والشروع والرجاء" وهي جهات(1*) لفهم الحدث الذي في الخبر ، نحو :"كاد زيد يقوم"،فبالإضافة إلى إفادة الزمن-كاد-فإنها جهة لفهم القيام الذي أسند إلى زيد ،وليس المقاربة حدث أسند إلى زيد ، وموقع هذه المقاربة من الحدث موقع (الاستمرار ، والانقطاع والبعد،والقرب)من معنى الزمن.

5-نقل الضمير:

تقدم أن الضمائر كما اشتمل عليها التقسيم المعتمد في هذا البحث ،ثلاثة أنواع: ضمائر الأشخاص ،ضمائر الموصولات ،ضمائر الإشارات ومن حالات نقل الضمير ما يلي :

أ-نقل الضمير عن دلالته الكبرى إلى ضمير شأن: إذا يكنّى به عن مضمون الجملة التي بعده –كما قيل سابقا ،ويعود على متأخر لفضا ورتبة –نحو قوله تعالى : « إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ »(1).

أَبْوَابًا » النبأ :19-20- بمعنى ينبغي ،وبمعنى القدرة والاستطاعة نحو(ما كان له أن يفعله) قد تقتص على مرفوعها ،فتكون تامة بمعنى وجد ووقع –قد تأتي زائدة نحو(ماكان أحسن زيدا) .ينظر،فاضل صالح السمرائي :معاني النحو،ص210-219.

[1] - الإسراء :67.

[2] - النساء : 11.

[6]– الإسراء : 73

[1*] - ينبغي التفريق بين الزمن النحوي والزمان :فالزمن النحوي وظيفة في السياق ،والزمن بهذا المعنى يختلف عما يفهم منه في الصرف ،إذ هو وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق ،وإذا كان النحو هو نظام العلاقات في السياق ،فمجال النظر في الزمن النحوي هو السياق ،وليس الصيغة المنعزلة .فالاختلاف بين زمن وزمن هو في الواقع اختلاف في الجهة لا في :المضي ،الحال ،والاستقبال ،وهناك تسع جهات للماضي (البعيد المنقطع: /المتجدد : /المنهي بالحاضر /المتصل بالحاضر: /المستمر /البسيط: /المقارب /الشروعي / الحال العادي ،التجددي ،الاستمراري/المستقبل القريب والبسيط/ البعيد/لاستمراري.أنظر تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها ،ص246ـــــ248.

[1]- الأنعام : 21.

ب-خروجه إلى الفصل بين المبتدأ والخبر:كما في قوله تعالى:« **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ** »[1] فالاسم "الكاف"-الفاصل الضمير هو-الخبر أعلم-وغرضه توكيد إسناد الخبر إلى المبتدأ [2]هناك فرق ، في معنى بين الضميرين إنه :للشأن:يكون بلفظ الإفراد والغيبة (يعود على جملة بعده يفسرها)هو للفصل :يعود على الاسم السابق و يطابقه تذكيرا وتأنيثا وإفرادا وتثنية وجمعا وحضورا وغيبة.كما أن الشأن فيه معنى التفخيم والتعظيم (لا التوكيد) ،بينما ضمير الفصل يفيد التخصيص[3] .

ج-كما يكون لرفع لبس: كما في قوله تعالى: « **أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى** »[4] والتقدير من غير الضمير (الله الولي يحيي الموتى) ولكان المعنى غير المعنى مما يدل على وظيفة[*2] الضمير في أمن اللبس.

v ضمائر الموصولات:وهي قسمان مشترك ومختص .وينقل المشترك من الموصولية إلى الشرط والاستفهام.

أ-في الشرط: تزاد "ما الشرطية" التي نقلت عن الموصولية بعد"أي" لتصبح"أيما"،كما زيدت على بعض الحروف عند نقلها إلى الشرط مثل :"إذما"-"متى ما "-"أينما"،ومن شواهد نقل الموصولات المشتركة للشرط قوله تعالى: « **فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ** » [5]ومن قرائن دلالتها على الشرط هو السياق،والقرائن اللفظية :"جزم الفعل يعمل +جواب الشرط و"الرابط" ،فالسياق جعله يأخذ وظيفته في توضيح المعنى.وقوله تعالى كذلك: « **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** » [6]

ب-أما نقل الموصولات إلى الاستفهام:كما في قوله تعالى : « **وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ** » [7]من إستفهامية بقرينة السياق ،وكذا رفع الفعل المضارع بدل جزمه ومع تتبع باقي الشواهد التي ذكرت من مجردة وكأن دلالتها على الاستفهام الاستنكاري"،كما تركب مع"لا"نحو قوله تعالى : « **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** » [8]

ج-أما المنقولة من الموصولية إلى الاستفهام [1]:كما في قوله تعالى:« **قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ**[2]

الْمُرْسَلُونَ[2]

---

[1] - الأنعام :119.

[2] - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 48-49.

[3] - فاضل صالح السمرائي : معاني النحو ،ج1 ، ص58-60.

[4] - الشورى : 09.

[*2] - كما تنقل الضمائر إلى الحرفية مع الإشارات ، فيسمى كل منها خطاب في نحو : أرأيتك"

[5] - الأنبياء : 94.

[6] - البقرة : 215.

[7] - آل عمران : 135.

[8] - البقرة : 255 .

أما الموصولات الخاصة:لا تنقل إلى الشرط ولكن أعطيت ما تعطى الموصولات المنتقلة إلى الشرط في مجـــال الربط ،نتيجة المشاركة في مجال الربط ،نتيجة المشاركة في الموصولية والإبهام على نحو ما نجد في :"الذي ،التي ، الـــ،"أَنْ".كما قوله تعالى : « **وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** »[3]

فنلاحظ هنا وجود الرابط "الفاء" وكأن الجملة بعدها جواب الشرط ،إذا الرابط يلزم الجواب ،إذا لم يصلح الجواب أن يكون شرطا، ذلك أنها توقف وقوع خبر "الذي ".وتنقل (الظروف) الموصولات إلى وظيفة الـــربط (لأن "تمام" أدرجها ضمن الضمائر)وذلك نحو قوله تعالى : « **قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَـــمُ بِمَـــنْ فِيهَا** »[4] وربط ب "من"،والتقدير أعلم به من غيره .

فكلا من الضمائر الموصولة (المشتركة والخاصة) يستعمل للربط وإن احتفظت بافتقارها، وبرتبة التقدم على الصلة ، وبرجوع الضمير إليها ، وهي الشروط التي تتحقق بها الموصولية .

٧ -أما الإشارات (ضمير الإشارة):

-تنقل إلى الظرفية المكانية نحو : "هنا" ،"هناك"،" هنالك"، تصلح للنقل إلى الزمان والمكان ودلالتها علـــى المكان : قوله تعالى : « **جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ**»،[1]-موقع غزوة بدر -، أما دلالتها علـــى الزمان كما في قوله تعالى : « **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ** »[2] (أي وقت رؤية زكرياء لفضل الله عليه)، ذكر من قبل أن الإشارة تستعمل للربط –من أدلة كونها من الضمائر –كما تستعمل للشأن .

6-نقل الظروف : تنتقل الظروف (غير المتصرفة) من الظرفية إلى استعمال الأدوات "الاستفهام و الشرط" ويرى "تمام" أن النحاة ويحلوا لهم أن يبقوا لها معنى الظرفية[*] الإفادة أو الإحالة التي في الهامش ، تجسيد لإعادة وصف للغة العربية، كما يحاول "تمام" إجراء ذلك في كل مرة.

---

[1] - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 49-50

[2] - الحجر : 57.

[3] - محمد : 08.

[8]- العنكبوت : 38.

[5] - ص: 11.

[2]- آل عمران :38.

[*]- يقول "تمام": أن النحاة توسعوا في فهم الظروف بصورة جعلت الظرفية يتناول الكثير من الكلمات المتباينة معنى ومبنى ، وبرأيه أن الظروف مبان تقع في نطاق المبنيات غير المتصرفة ، فتتصل بأقرب الوشائج بالضمائر والأدوات ويمكن التمثيل لها على النوح التالي: ظرف زمان (إذ ، إذا، إذًا،لما ، أيان، متى)ظرف مكان (أين،أنى) لكن النحاة نتيجة تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد فعدوا طائفة عظيمة من الكلمات المستعملة

أ-نقل الظروف إلى الشرط[3]: في هذه الحالة تلحق بها ما الشرطية (شبيه الاتصال بما الاستفهامية لحرف الجر)، ما من " ، نحو قوله تعالى : « **أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا** »[4] فهي مركبة من أين +ما وبالتركيب أفادت الشرط.

ب-نقل الظروف إلى الحرفية- بعضها- : كما في قوله تعالى: « **وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** »[1]، إذ : حرف تعليل ، والتقدير (أي لأنه قال أسلمت) ، ومن مظاهر الإتجاه الوصفي عند "تمام" ، نقده للنحاة بإلحاقهم (إذ ما) ، الشرطية بحروف الشرط وحكموا لغيرها ، (إذ) الظرفية وعلى هذا "فتمام" يتسم منهجه بالنقد للتراث ، على الرغم من انطلاقه منه إنما الهدف والمشكلة في كل هذا هي إشكالية المنهج .

استعمال الظروف ظروفا مثل (طلوع ، مطلع،الآن، أمس ، مذ، منذ...) وهي من حروف الجر .ينظر تمام حسان :" اللّغة العربية معناها مبناها" ، ص 119-120.

3 - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص 50ـــ52.

4 - البقرة:148.

1– البقرة: 130-.131.

7-نقـــل الأدوات [1*]:

أ-نيابة حروف الجر عن بعضها البعض (وهذا ما اشتهر به النحاة)-"فتمام" يؤصل دائما ويربط القضايا بالتراث إما تقيما أونقدا –كنيابة " عن" عن"من"،كما في قوله تعالى:« **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ** »[2] "وعن"عندما غيرت ونقلت إلى معنى " من " ، لم يتغير قسمها (من أقسام الكلم) ، ولـــذا كان أولى بتعبيرها عن معنى ابتداء الغاية أن يعد من قبيل نعدد المعنى الوظيفي بحسب الأصل . كما اعتمد "تمام" على الإحصاء ، وهذا الإجراء يعد من صميم العلمية وينظر ذلك من خلال قوله (من تعداد، أحصينا، قارنا،ما يردفها من تتبع واستقصاء) وهذا النوع من الإجراء له مبرراته من الناحية الأسلوبية كما سنرى فيما بعد.

ويعود مرة أخرى " تمام" بوصفية ليرد على النحاة تصنيفهم لمثل : عسى وليس ضمن الأفعال الجامـــدة غير المتصرفة وتصنيفها ضمن الأدوات لأنهما خاليتان من الزمن والحدث ، فهما من النواسخ وعلى هذا فهـــي أدوات لا أفعال ناقصة- حسب ما أورد "تمام"-.

فمنهجه وصفي وظيفي ، كما هو الحال ، عند " الإمام عبد القاهر الجرجاني " على وجـــه الخصـــوص فالبنوية تظهر انطلاقا من محاولة وسعيه الدائم للتصنيف الدقيق للمباني ووصفها مع نقد التراث النحوي منـــه بمنهج جديد ، ووظيفي لتحميله دائما الحرف ، والبنية و الأداة... معاني تؤديها داخـــل الســـياق والعلاقـــة الوظيفية ضمنها أثناء ذلك التفاعل داخل النسق –.

ب-نقل الأدوات إلى الاسم: كنقل " الكاف"[2*]لتكون بمعنى " مثل" نحو قوله تعالى : « **أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ** »[3]،ونلاحظ أن الكاف هنا للتشبيه[4]وقد عاد عليها الضمير(الهاء) .

ومثلها"كأين".ويقول"تمام" أنها نقلت إلى الاسم[1*] – أينما في الأصل أداة– ومن ذلك قولـــه تعـــالى : « **وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ** »[1]والتقدير (وكم من دابـــة) –"فتمـــام" هنـــا وبمنهجه الوصفي نقل كأين من الاسمية إلى قسم الأدوات ، نقل "لما " إلى الظرفية عند دخولها على الماضـــي

1*-الأداة مبنى تقسيمي يؤدي معنى التعليق والعلاقة التي تعبر عنها الأداة إنما تكون بالضرورة بين الأجزاء المختلفة من الجملة وتنقسم إلى قسمين : (الأداة الأصلية : كحروف العطف ،الجر ،النسخ،وهي حروف المعاني) – الأداة المحمولة (ظرفية-اسمية ككم، وكيف –فعلية ككان وكاد – ضميرية : كنقل"من"و"ما" إلى معاني الشرط والإستفهام والمصدرية الظرفية والتعجب.انظر تمام حسان:اللّغة العربية معناها ومبناها ،ص119-120

2– التوبة :104.

2*-الكاف ذات معنى إعرابي ، وهي إما أن تكون : حرف جر غير زائد ،حرف جر زائد،اسم بمعنى مثل –وهذا ما رفضه " تمام" إذ لا تكون اسم بل أداة عنده-وحرف خطاب وضمير للمخاطب ، والتشبيه، وهذا الأخير هو الأكثر .ينظر،إميل بديع يعقوب:معجم الإعراب والإملاء، ص322.

3– آل عمران:.49

4–ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص52-.53

1*- لأنها لا تعود إلى أصل اشتقاقي ولا يمكن عند- تمام حسان-أن يقال أنها مركبة من (كاف التشبيه أي الاستفهامية ، أو الموصولة) لأنها لا تحمل جرثومة أي معنى من هذه المعاني فهي أداة نقلت إلى الأسماء المبهمة ككم وكيف . ينظر تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص54.

1– الغنكبوت :.60

.فتفيد معه الجزم ، وتصبح بمعنى " حين" أو " إذ" بينما كانت حرف جزم مع لم وذلك نحو قوله تعالى :« فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ »[2].

ج-كما تنقل هاء التنبيه إلى معنى " **المخالفة**"[2*]: وهي ما يسميها النحاة اسم فعل بمعنى "خذ" ، وتلحقها حروف الخطاب : كهاؤم ، وهاكم-نحو قوله تعالى:« هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ »[3].

د-نقل " وي" للتعجب إلى معنى الخالفة: فتصير " ويك " بإلحاق كاف الخطاب ثم تليها " أن" مترَوعة الحافظ وهو اللام متصلة بضمير الشأن ويصير التركيب كأنه ، أو " أي لأنه"، ونحو ذلك قوله تعالى : « وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ »[4] ويبقى بعد هذا أمور يجب الإشارة عليها ، أن الخوالف لا ينقل غيرها إليها ، كنقل " أَفْعُل " التفضيل إلى التعجب ، وصيغه " فَعُلَ " إلى المدح والذم ونقل الفعل الماضي "حب " إلى المدح مثبتا وإلى الذم منفيا (لا حبذا).

فتعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد يأتي بنوعين : تعدد بحسب الأصل [5]، وتعدد بحسب النقل.كما أن الهدف مما سبق ليس مجرد عرض للبنية من جانبها اللّغوي، بل كيفية استعمال القرآن الكريم لبنية الكلمة استعمالا فنيا في غاية الدقة والجمال ، ومن ذلك استعمال " الفعل " و" الاسم" وفي قوله تعالى : « يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ »[6]فاستعمل الفعل مع الحي (يخرج) واستعمل الاسم مع الميت (مخرج) ، لما في الأولى من تجدد وحركة (الحي) ، وما في الثانية من سكون (الميت).لكن في سياق آخر قال تعالى : « وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ »[7]بالصيغة الدالة على التجدد في الموطنين والسبب في ذلك : أن السياق في الأولى –آل عمران-هو في التغيير والحدوث والتجدد عموما بما في ذلك من إيتاء الملك ونزعه[1].

-ويستخلص كذلك مدى حيوية وخصوبة وديناميةاللّغة التي تحيا كلماتها بالموقف وبالسياق (اللّغوي والاجتماعي).

-منهج "تمام" القائم : على التراث ، إما نقدا ، أو إحياء أو تجديدا أو استمرارا وتقليدا.

2– يوسف: 88.

*2- الخوالف كلمات تستعمل في أساليب إفصاحية ، أي في الأساليب التي تستعمل للكشف عن موقف انفعال ما ، و الإفصاح عنه، فهي من حيث استعمالها قريبة مما يسمونه بالانجليزية *Exaclamation* وهي أنواع .أنظر تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها ،ص113.

3– الحاقة :19.

4– القصص:82.

5– ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 45-55.

6- الأنعام : 95.

7- آل عمران : 27.

1 - فاضل صاح السمرائي : التعبير القرآني ، دار عمان الأردن ، ط2 2002،ص 22-23.

-التقاء الوصفي البنوي مع الوظيفي ودمجهما معا لتكون الوظيفية (لأن المعاني وظيفة المباني وزيادة في المبنى وزيادة في المعنى) .- انطلاق "تمام" في تصنيفه لأقسام الكلم العربية ، وإعادة الوصف لدمج المبنى والمعنى الشكل والوظيفة ، ويبقى المعنى هو المقصود أولا وأخيرا في كل لغة ، لأن الهدف هو الفهم والإفهام ، وهذا الجانب لم تغفل عنه الدراسات البلاغية العربية منها والنحوية (الفهم والإفهام عند "الجاحظ" .

المبحث الثاني :النمط التركيبي القرآني .

قبل هذا وذاك لابد من الو قوف على مفهوم التركيب ، إن التراكيب تبحث في مستوى العلاقات القائمة بين الفونيمات ، داخل الجملة بغية لحظها وتحديدها ، وبين المورفيمات كذلك لتكوين كتلة لغوية منسجمة ذات دلالة ، تؤدي غرضا معينا ،ذلك أن المعنى لا يظفر باستقلال واضح ما لم يرتبط بفكرة التنظيمات الداخلية للألفاظ المستعملة في تشكله وتكوينه ، واللّغة بإمكانها أن تخلق معاني وارتباطات لم تكن مألوفة من قبل، وذلك بواسطة التراكيب التي تتفاعل فيها عناصر مختلفة والأصل في التركيب أن تعتبر الحروف بأصولها وحركاتها ، وانضمامها لحروف أخرى ، وانضمام الحروف في كلمات والكلمات في أنساق تؤدي موقعا من الدلالة المعنوية فيكون نسيجا من العلاقات التي تقوم بين الحروف والكلمات ، أي ما يسمى بالإسناد[1].

أما "تمام حسان" فإنه يقصد بالنمط التركيبي بناء الجملة ، بالرغم من إمكانية تسمية هذا النمط بالبنية لكن عدل عن المصطلح –مراعاة للفرق ما بين الكلم والكلام-دفعا للبس ما بين صورة الكلمة وبناء الجملة ومع هذا فهل تجاوز " تمام حسان" حقا نحو الجملة إلى نحو النص أم سار على هدي النحاة القدماء؟

مصطلح النمط التركيبي عند " تمام " يدل على بناء الجملة بركنيها ، وما عسى أن يكون ضروريا لإفادتها وهذا ما اشتهر عند النحاة [2]، فقد عرف"سيبويه " التركيب بأنه :« اجتماع كلمتين أو أكثر لعلاقة معنوية » [3] فالجملة العربية مكونة من ركنين (اسمان-أو اسم وفعل). مع دخول الروابط كالحرف ، وما قد يرتبط به من تكملة .

وبنظرة وصفية يقول " تمام" أن هناك جملا عربية لا يتضح تركيبها من ركنين إلا على تأويلات بعيدة (كجملة القسم، والنداء ، وبعض صور الدعاء (كغفرانك) ، وكل مصدر نصب بواجب الحذف، وبعض أسماء الأفعال [4] . فالمؤاخذة تعود دائما إلى تقسيم الجمل، ويرجع اهتمام الدارسين المحدثين بالجمة كونها الوحدة التي تمثل خصائص اللّغة .

ومن أهم الجهود التي بذلت لتحديد الجملة العربية محاولة تصنيفها (فمعظمهم يعرف الجملة بأنها كل كلام مستقل بنفسه ويؤدي معنى متكاملا) وبعضهم يشترط الإسناد ويجعله من مقوماتها ، لكن هناك فئة ترفض هذا الشرط –"كعبد اللطيف حماسة،-مثلا ، فكل كلام تم به معنى يحسن السكوت عليه ،وهو جملة ولو كان كلمة واحدة ، ومن المنظور الوظيفي فإن كلا من جانبي المبنى والمعنى لا يمكن الفصل بينهما أثناء تقسيم الجمل فالكلام الحسي أشكال وأنماط تركيبية مرتبطة ضرورة بدلالتها ولا يمكن تجريد اللفظ من دلالتها وهذه الدلالة

---

[1] - صالح بلعيد : التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الامام عبد القاهر الجرجاني، ص101-102.

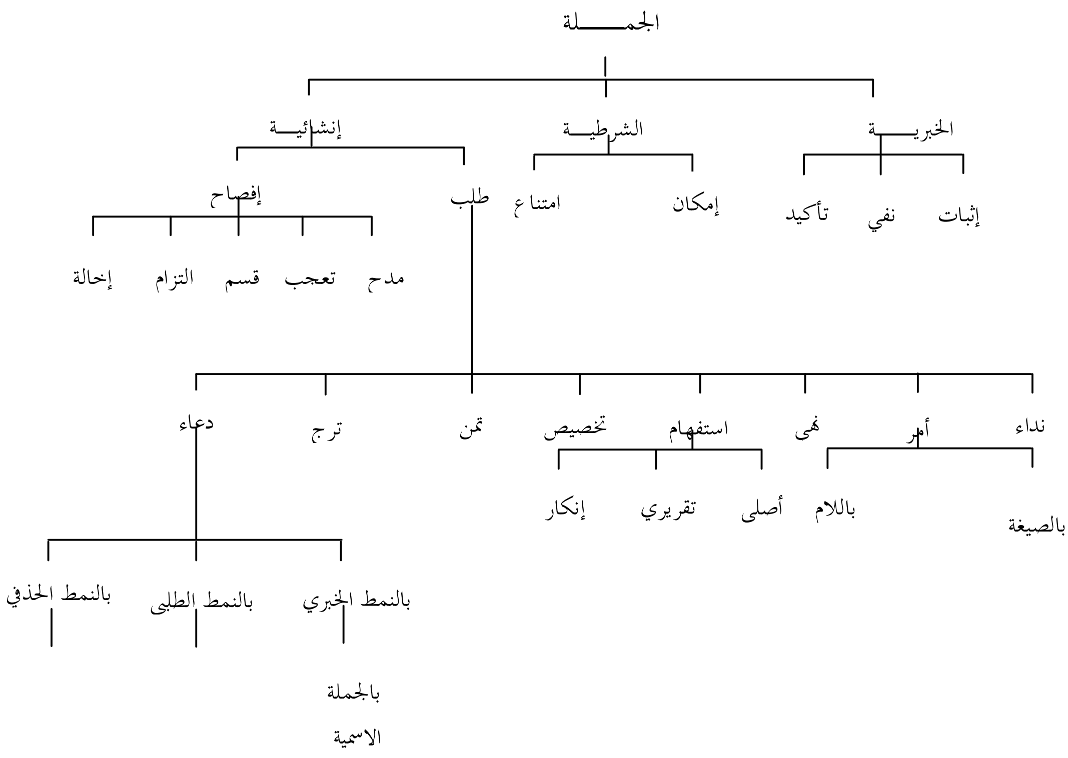
[2]- ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص 56.

[3] - سيبويه : الكتاب، ج 1 ،ص134.

[4] -ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص 56.

مستمدة من روافد عدة : " صيغة الكلمة موقعها من الجملة وربطها بما قبلها وبعدها ومضامينها لصيغ خاصة أو وظائف خاصة ، وعلاماتها الإعرابية وغير ذلك من العلاقات السياقية التي تتعاون في جلاء المعنى [1].

و"تمام" يرى أن الجملة لا يتضح من تركيبها النحوي إلا أنها اسمية أو فعلية، أما ما وراء ذلك فهو متعلق بقرائن مختلفة تتراوح ما بين " الأداة ، الإعراب ، الربط ، الرتبة ، النظام ، ثم السياق[2]"إضافة إلى كونها تساهم في إيضاح المعنى " ؛ذلك أن الإسناد شرط ضروري يجب توفره في المستوى النحوي الساكن من الجملـــة وأن النبأ المفيد هو الذي يجعل الكلام تاما (يحسن السكوت عليه) وهو من الأساسيات في المســـتوى الإخبـــاري (المتغير) و بالتالي لا يمكن الفصل بين المستويين ، ونقل النبأ هذا يتم عن طريق ربط (المسند بالمسند إليه) كما أن السبب في تمييز علماء النحويين المفهومين (الفاعل والمبتدأ) يرجع إلى اخـــتلاف في دورهمـــا الـــوظيفي[3] ويعرض" تمام " رأيه في تقسيم وصفي ووظيفي للجمل اعتمادا على ما ذكر من قبل من القرائن : ويضع" تمام " هذه الخطاطة :



الأمر والنهي وتخصيص وتمن

كالمصدر المنصوب ونحوه

1 – ينظر، عبد اللطيف حماسة :العلامة الإعرابية في الجملة بين القدامى والمحدثين، دار غريب للطباعة والنشر، ص

2 - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص 56.

3 - جعفر دك الباب : الموجز في شرح دلائل الإعجاز، ص 134.

4- ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص 57.

التقسيم الوظيفي للجمل (4)

وتظهر هنا قيمة الأداة –التعليق-في تخصيص عموم تركيبي للجملتين (الاسمية والفعلية) وهكذا تصبح الأداة قرينة على معنى زائد ، عن مجرد الاسمية والفعلية ، ويرى " تمام" أنه زائد على ما يعطيه الإسناد الخـــبري أو الإنشائي للجملة من معنى ، و"تمام" يسخر دائما الوصفي لصالح الوظيفي ، إعادة الوصف شكليا ظاهريـــا لكن المنحى الوظيفي دائما حاضر وعميق –ثم يفرق الإعراب بين تركيب وشبهه، وتدخل قرينة الربط مثلا بين ما يقصد به " الجواب"، وما يقصد به " الصفة" في مثل قوله تعالى : « **وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًـا آَخَـرَ لَـا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّــهِ** » [1]. فالجواب هو ما اقترنت به الفاء ، وجملة لا برهان له به" صفة" الإله المدعى ، أما اقتران الفاء بـــ" لا" النافية " للجنس ، فإنه سيحولها إلى جواب (والتقدير فلا برهان له به) ولأصبحت جملة (إنما حسابه عند ربه) استئنافية وهكذا تستبين الجملة التي لها محل المفرد ، والجملة التي قصد بها الإسناد.

ولا ينسى دور الرتبة أيضا في التفريق بين الجمل في نحو قوله تعـــالى : « **إِذَا السَّـمَاءُ انْشَـقَّتْ** »[2] إذ تفرق بين " إذا "[*] الظرفية ، وإذا الفجائية ، فلا يلي الظرفية إلا الفعل ماضيا أو مضارعا،"فالسماء"(هنـــا فاعل لفعل محذوف) وليست مبتدأ فالجملة فعلية لا اسمية .

إلى حد هنا فإن "تمام" لم يخرج عما قال به النحاة القدامى خاصة في هذه القضية ، فإنه عمد إلى التأويل (التفسير) في الفعل الذي يفسر الفاعل ، والرتبة هي الأخرى من المقدمات التي راعها النحاة والبلاغيون، ورغم هذا فإن هذا التقسيم لا يخلو من لمسة علمية جديدة قائمة على التقسيم الوظيفي التفصيلي للجمل ، ولـــيس التقسيم الشكلي العام –إضافة إلى هذا فإن الشاهد الأخير يوضح أهمية التضام (علاقـــة اللفـــظ بـــاللفظ في التركيب) ، أو علاقة "إذا "بالاسم بعدها ، أما الأداة فيكفي أن نعرف الفرق بين (هل قام زيد ،مـــا فقـــام زيد،هلا قام زيد) ويبقى أهم ما يفرق بين أنماط الجمل هو قرينة السياق –وسنرجع إليها فيما بعد-

---

[1] - المؤمنون : 117.

[2] - الانشقاق : 1 .

[*] - في الغالب تكون ظرفا في المستقبل و مضمنة معنى الشرط ، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية ، وقد تخرج عن الظرفية والاستقبال و معنى الشرط إلى : تخرج عن الاستقبال للمضي وتجيء للحال « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى» . النجم :1 ، وقد تتجرد للظرفية فلا تتضمن معنى الشرط نحو : «والليل إذا يغشى » الليل :1 . فاضل صالح السامرائي : معاني النحو ، ج2 ، ص206-208.

ويرى أن هذه القرائن اللفظية "– تغنينا عن نظرية" العامل النحوي العربي "،ونمط اللّغة (وظيفة التراكيب) يفتح بابا آخر لتقسيم الجمل ، والتعرف على كل أنواعها إضافة إلى الجملتين الفعلية والإسمية ،ويورد " تمام" ثلاثة عناصر كفيلة بالتقسيم وقد رأيناها من قبل :

تعدد المعنى للنمط الواحد بحسب الأصل (كما في نمطي الجملة المثبتة والاستفهامية).

تعدد المعنى بواسطة النقل (كنقل النداء إلى الاختصاص ، والتعجب والمدح والذم).[1]

أن المقاصد الأسلوبية قد تعمل عكس الاتجاه فيتعدد النمط للمعنى الواحد (كالدعاء والتعجب والأمر ، ونفهم من هذا أمرين هما:

أ-الأسلوبية: معنى واحد من مباني متعددة (التعبير عن الفكرة بصياغات مختلفة) .

ب-اللّغة : ومعاني متعددة مبنى واحد-إن صح التعبير-

- النمط الخبري للجملة(بحسب الأصل) ما يشمل الإثبات ، النفي، التأكيد.

1- بيان دلالات الصورة المثبتة للجملة من النمط الخبري :

أ-الشرط :قال تعالى : « **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ** » [2]"فالذي " من ضمائر الموصولات ، أفادت معنى الشرط ، عن طريق النقل .

ب-الأمر : قال تعالى : « **فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ** » [3] عليكم نقلت من حروف الجر إلى ما يشبه الأفعال (اسم فعل أمر) ، ونلاحظ تعدد المباني للمعنى الواحد ، إذ تأتي صيغة الأمر على مباني عدة ، وهي من المقاصد الأسلوبية.

ج-**الدعاء** : هو الآخر تعدد المباني للمعنى الواحد ومن شواهد ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: « **فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ** » [4] أي فليكن نصيبه جهنم .

د- العرض : كما في قوله تعالى : « **يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي** » [5]حرف العرض هنا " هؤلاء " وهو الطلب برفق ولين عكس التحضيض.

هـ- الالتزام: (وهو إنشاء لا خبر .من شواهد الالتزام وقوله تعالى : « **وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** » [6] ،أي نلتزم بما طلب منا فعلى الرغم من النمط الخبري في الجملة والزمن الماضي في الفعل ، إلا أن الغرض منها الإنشاء

---

[1] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص58.

[2] - البقرة : 274.

[3] - الأنفال : 72.

[4] - البقرة : 206.

[5] - هود : 78.

[6] - البقرة : 285.

لا الخبر –وهذه القضية تذكرنا بأهمية السياق ، والنمط التركيبي في تحديد المعنى –فالبنية السطحية توحي بالخبر لكن البنية العميقة تثبت عكس ذلك .

و- التعجب :قال تعالى : « **قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ** » [1] : أي تعجب لشدة كفره وقوله تعالى : « **إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ** » [2]وفي أية أخرى " لشيء عجاب " .

2-النمط الخبري المنفي : فإن لها من الطاقات التعبيرية الكاملة- للجملة الخبرية –والتي تتجاوز ذلك إلى آفاق دلالية أخرى ، خاصة عندما يتصل الأمر بصورتي " النفي" وحتى الإثبات كما رأينا سابقا ، فالنفي يحمل أعباء معان كثيرة غير مجرد النفي ،كما يبدو عند تأمل الشواهد الآتية :

أ-الدعاء [3]: قال تعالى : « **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ** » [4] لا نافية ، أسلوب إنشائي أي فلم يركب هذا المعاند العقبة ، فيقطعها ويجوزها .[5]

ب-الحصر : كما في قوله تعالى : « **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ** » [6] أصلها هنا النفي، لكن بقرينة التضام مع" إلا" أفادت داخل التركيب مع "لا" الحصر .

ج-التعميم : قال تعال: « **لَا ضَيْرَ** » [7] ، لا نافية للجنس ، وعموما يتمثل في نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها نصا ، نفيا عاما على سبيل الاستغراق .

د-النهي : وقد أشار النحاة "سيبويه "والبلاغيين القدماء : " إلى النهي والأغراض التي يخرج إليها وهي كثيرةومن ذلك قوله تعالى : « **فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** »[8] ففي هذه ا الآية تعددت اللاّم وبصورة النفي –والآية الكريمة لشاهد لما يمكن لنمط الصورة الشرطية أن تفيده لما يمكن لنمط الصورة الشرطية أن تفيده ، إذ يخرج شرط عن مجرد تعليق وقوع الجواب على وقوع الشرط ، أو امتناعه على امتناعه إلى معان أخرى ومنها :

---

1 - عبس : 17.

2 - هود :72.

3- ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص62-63.

4 - البلد : 11.

5- الطبري: مختصر تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل أيي القران إختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ، وصالح أحمد رضا ، مكتبة رحاب ،ج2 ، ط1991،ص540.

6 - آل عمران : 144.

7 - الشعراء 50 .والتقدير لا ضيَر علينا.الطبري: مختصر تفسير الطبري ،ص 122.

8 - البقرة : 197 .

-التعجب : قال تعالى : «**وإن تعجب فعجب قولهم أئـذا كنا ترابا أئنا في خلق جديـد** »[1]، فالتعجب والعجب [*]من إنكار المكذبين للبعث ، وإن كان يبدوا من القراءة السطحية للآية بأنه شرط لتـوفر أركانه المعروفة (الأداة ، جملة الشرط...الرابطة) .

-السبر والتقسيم : قال تعالى : « **وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ** » [2]

-موسى إما أن يكون كاذبا وإما أن يكون صادقا.

-فإن يكن كاذبا فعليه كذبه وإذا لا ضرورة لقتله.

-وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ، وبتالي ينبغي الحذر من إيذائه.

- **التمني** : وهو من الأغراض التي يخرج إليها الشرط ، ويستفاد من المبنى العام وتركيب الجملة ، ومن شواهد ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : « **لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** » [3] فتوجد هنا " لو" التي نقل معناها من الشرط (وجود القرينة الدالة على ذلك) إلى معنى التمني المستفاد من النمط التركيبي للجملة.وحسن تأويل هذه الأنماط التركيبية بالشرط الإمتناعي في الأصل، لأن مضمون الجواب قد ذكر بعـد الفاء ، في صورة المضارع المنصوب (بأن المضمرة) والتقدير:"لو أن لي لأحسنت "، وإن حذف ما بعد الفاء ، فإن النمط لا يصلح للتأويل بالشرط ، إنما يتمخض للتمني –وهذا المعنى الأخير مستفاد من النمط التركيبي ، والمعنى الوظيفي –والسياق الذي ما قبل الآية[*] .

- **الأمر** : وهو يرد بصيغ مختلفة متنوعة –من باب تعدد المباني للمعنى الواحد –ومن ذلـك قولـه تعـالى : « **وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** » [4] أي اشكروه واعبدوه ، فاشترط الشكر بعبادة الله : فالمعنى السطحي الشرط، لكن البنية العميقة بعد التحليل تبين عكس ذلك (الأمر بالشكر) .

-التسوية : نحو قوله تعالى : « **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** » [5]

أكان شاكرا أم كفورا ذلك أن :إن +(ما بمعنى كان) =إما.

3-أما نمط النداء : فقد يخرج عن طلب الإقبال إلى المعاني التالية :

---

[1] - الرعد : 05.

[*]- يحتمل أن معنى قوله :" وان تعجب " من عظمة الله وكثرة أدلة توحيده ، فإن العجب مع هذا الإنكار المكذبين وتكذيبهم للبعث وقولهم :" أئذا كما ترابا ،أئنا لفي خلق جديد " أي هذا يعد في غاية الامتناع في زعمهم . عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسر الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان ، مؤسسة الرسالة، ط1 2000،ص 413.

[2] - غافر : 28.

[3] - الزمر :58.

[*]- السياق هو قوله تعالى :"لو أن الله هداني لكنت من المتقين " الزمر الآية 57.

[4] - البقرة : 172

[5] - الإنسان :03.

أ-**التعجب** : نحو قوله تعالى : « **يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ** » (1) انتقل معنى النداء إلى معنى التعجب (نقل الأداة)

ب-**الندبة** : كما في قوله تعالى : « **وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ** » (2)

ج-**الاختصاص** : كما تعالى : « **ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ** »(3)

د-**التمني** : كما في قوله تعالى : « **يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ** » (4)

4-كما يخرج نمط الأمر عن الأمر إلى معاني أخرى منها (5) :

أ-**الشرط**: كما في قوله تعالى : « **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** »(6) والقرينة جزم المضارع (في جوابه)

ب-**الدعاء**: قال تعالى: « **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى** » (7) أمر " أرني " غرضه غرضه الدعاء .

ج-**النهي** : قال تعالى : « **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ** »(8) " اجتنبوه" فعل أمر ، لكن سياق الآية جعل معناها النهي بدل الأمر.

د-**العرض**: كما في قوله تعالى : « **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ** » (9): تعالوا

هـ-**التحدي** : قال تعالى :" قال تعالى : « **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** » (10)

5-ويخرج النهي أيضا عن طلب الكف إلى معان أخرى :

أ-**الدعاء** : قال تعالى : « **رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا** » (11)

ب-**الأمر** :" قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** » (12) "فاللام" هنا لا تفيد النهي عن الموت ، إنما أمر بالثبات على الإسلام حتى الموت.

---

1 - يوسف : 19 .
2 - يوسف : 84.
3- الواقعة : 51-52.
4 - القصص : 79.
5 - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص64ــــ69.
6 - غافر : 60
7 - البقرة : 206.
8 - المائدة :90.
9 - آل عمران :64.
10 - البقرة : 111.
11 - نوح : 26.
12 - آل عمران : 102.

ج-توكيد العكس : قال تعالى : « **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا** »[1] وتقدير العكس (أي إحياءه)

د-الشرط : وأداء معنى الشرط بنمط النهي شائع في الكلام نحو قوله تعالى : « **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** » [2]وقرينة الشرط هنا جزم جواب النهي (قرينة على أن أداة الشرط تحل محل أداة النهي وجزم "فتمسكم"[*]

6-ويخرج نمط الاستفهام عن معنى (طلب العلم) إلى معان منها:

أ-الإنكار: تأويله بالنفي نحو قوله تعالى : « **هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ** » [3]ولا يريد هنا الجواب بل ينفي أن يأمنهم على أخيهم.

ب-التقرير: وجوابه بلى، نحو قوله تعالى: « **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى** » [4]

ج-النهي : قوله تعالى : « **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ** » [5] أي لا تكفرون.

د-الأمر : نحو قوله تعالى: « **هَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ** ». [2]

هـ- السبر :وذلك بتقليب كافة الاحتمالات واستبعادها ، قال تعالى : « **أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** »[3].

و-المحاجة : الدليل الحجاج ، قال تعالى : « **هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ**» [4]

ز-التقديم لأسلوب آخر : قال تعالى : « **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ** »[5] فالأولى هل ...الشياطين تقديم لما بعدها (تنزل ..أثيما) .

خ-التوريط : قال تعالى : « **قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** »[6]

أي أن الأمر كذلك ،وإن لم يكن الأمر كذلك فماذا كنتم تعلمون.

ط-العرض : قال تعالى : « **هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى** » [7].

---

[1] - آل عمران : 169.

[2] - هود : 113.

[*] - على أساس إدغام السينين ، وتحريك ثانيهما بالفتح لالتقاء الساكنين ، وتجيز القاعدة فك السين وبناء الثاني على السكون.

[3] - يوسف : 64.

[4] - الضحى : 06.

[5] - البقرة : .28

[2]–المائدة:91.

[3]– النور:50.

[4]– الشعراء: 72-73.

[5]- الشعراء: 221-222.

[6]-النمل 84 أكذبتم بحججي وأدلتي ، و لم تعرفوها حتى معرفتها . الطبري:مختصر تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص73-77

ظ-التهديد: كما في قوله تعالى : « **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ** »[8].

ي-التعجب : قال تعالى : « **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ** »[9]

ك-التخصيص: قال تعالى : « **أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ** »[10]

ل-الشرط ودليله " إذا"الرابط بعد الاستفهام : كقوله تعالى : « **فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ** ». [11]

وقد يخرج العرض عن معناه إلى معان أخرى منها : [1]

أ-الدعوة :" قال تعالى : **أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** » [2]إلا هنا حرف عرض لا تحضيض

ب-التحضيض: قال تعالى : « **وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ** »[3]هل : أفادت معنى التحضيض .

ج-المحاججة :قال تعالى : « **أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا** »[4].

7-ويؤدي نمط التحضيض المعاني الآتية :

أ-التحدي :قال تعالى : « **لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى** » [5]

ب-اللوم :قال تعالى : « **وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا** »[6] وهو معنى مركب من : لم تفعل ، وليتك فعلت) ويجمع بين الاستفهام الإنكاري والتمني.

8-والرجاء " بعسى "أو " لعل" قد يتحول إلى معاني أخرى وهي:

أ-التعليل :كما في قوله قال تعالى : « **ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** »[7]

ب-التقليل: كما في قوله تعالى : « **لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا** »[8]

7– طه :120.

8- الأنعام :.46.

9 – القمر: 16.

10– المائدة:.74.

11- القمر: 24.

1– ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص69——— 77.

2 - النور:.22

3– الشعراء:.39

4 -مريم :67.

5- القصص 48.

6– النور:16. هلا حين سمعتموه قلتم : ما يحل ولا ينبغي لنا أن نتكلم بهذا .الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ص 94.

7- البقرة 56.

8-الطلاق 1.

ج-الأمر :كما في قال تعال: « **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** »(9)

د-الالتزام والوعد:قال تعال: « **عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا** »**هـ-الدعاء**:كما في قال تعال: « **فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ** » (10)

و-التهديد والوعيد :قال تعال: « **عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ** »(11) .

ز-الإنكار :قال تعال: « **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** »(12)

9 -وقد يخرج نمط التمني عن معناه الأصلي إلى معان وهي :

أ-الندم :قال تعال: « **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ** »(1)

ب-التبرم :قال تعال: « **يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ** »(2)

ج-التلذذ:قال تعال: « **يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ** » (3)

10-كما يخرج التعجب إلى معان أخرى منها :

أ-الذم :قال تعال: « **قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ** ».(4)

ب-التهكم :قال تعال: « **فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ** » (5)

ج-التهويل:قال تعالى: « **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ** »(6)

ومن الجدير بالذكر أن " تمام" يميز بين موقفين تجاه أنماط الجمل :

أ-موقف نظام اللّغة(7) :أي المقصود ما ذكر سابقا عن النظام النحوي الساكن ، والبنية –وهو ما قصده " سويسر" بـ *System* أو النسق –باعتبار اللّغة نظاما وجهازا –ويعبر " تمام وحسان" عن ذلك بأن اللّغة

9. - البقرة 179.

10. - الكهف40.

11 - التحريم5.

12. - الكهف6.

1. – الحاقة:25.

2. – الزخرف :38 .

3– يس 26 -27.

4- عبس 17، أي لعن الإنسان الكافر ما أكفره . الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص519.

5- البقرة :175.

6. - القارعة 3.كرر ذكر القارعة ، لعظمتها وهولها ، فتناسب هذا التهويل والتعظيم أن يذكر أن الجبال تكون كالعهن المنفوش ، والقارعة من القرع وهو الضرب بالعصا.فاضل صالح السمرائي : لمسات بيانية في نصوص التتريل ، دار عمان الأردن ،ط3 3200 ،ص199-198.

منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع ، فهذه المنظمة تشتمل على عدد من الأنظمة (الأجهزة)يتألف كل واحد منها من مجموعة من المعاني ، تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية " أو المباني " المعبرة عن هذه المعاني ثم طائفة من العلاقات التي تربط ربطا إيجابيا والفروق ، " القيم الخلافية" التي تربط سلبا ، كما أن المعاني الصرفية غير المعاني النحوية[8]،وهذا النظام اللّغوي يرصد للمبنى الواحد أكثر من معنى (للوفاء بكل أوجه التعبير عن المعاني) .

ب-موقف الإستعمال [*]: -وهذا المصطلح في تراثنا يقابله اليوم مصطلح التداول –والاستعمال موقف بلاغي لا نحوي؛ لأنه مرتبط بالسامع(المتلقي) ولذا ينبغي تقليب أوجه المباني على المعنى الواحد تحت الأنماط المختلفة

ويظهر من خلال هذين المستويين التمييز بين اللّغة والكلام (فالظاهرة الكلامية لا تتجلى بصورة واضحة إلا في الألسن الخاصة واستعمالاتها اليومية وعلى هذا الأساس اختار الوظيفيون الكلام المنطوق . فلربما تطرقنا فيما سبق إلى هذه النقطة لكن لا بأس من التذكير بها تدعيما لها .قال " تمام" في هذا الشأن : وهو أن اشتراك علمي النحو والمعاني في دراسة الجملة إلى أن للجملة جانبين متلازمين :

أ-الجانب المبنى : ويتمثل في مستوى البنية الصوتية للجملة ، ومن ترتب وتسلسل الكلمات المكونة للجملة ، والتنغيم التي يساهم في التمييز بين أنواعها - أي المقاطع التركيبية وما فوق التركيب ، وهي المركز الذي اعتمدت عليه المدرسة الوظيفية "لأندري مارتيني"-

ب-جانب المعنى : الذي يتمثل في مستوى البنية المعنوية للجملة : وهو مجال الدراسة الإبلاغية لها، ويعتبر مجلا متغيرا بحسب حال السامع ، ضمن السياق الكلامي والمقام ويشترط فيه الإفادة ، ويختص علم المعاني الدراسة الإبلاغية للجملة عن طريق تتبع أحوال المسند والمسند إليه، من أجل بيان كيفية ارتباط الإسناد بالإفادة داخل السياق[1] –والنحاة القدماء كذلك ميزوا بين المستوى النحوي الساكن ، والمستوى الإبلاغي ، لذا اشترطوا في الكلام الإفادة مراعاة للمستوى الأخير –

ويمثل " تمام " من القرآن الكريم ، للجانب المتعلق بالوجه الابلاغي :" تعدد المباني للمعنى الواحد بنمطي الدعاء والتعجب" :

- **-الدعاء** (الإنشائي و الطلبي) ، واللّغة لم تفرد له نمطا خاصا به ، إنما جعلته –الدعاء-شركة بين طائفة من الأنماط التركيبية فمن ذلك ما يلي :

---

7 - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ص 77ـــــ84.

8 - ينظر، تمام حسان : اللّغة العربية معناها مبناها ، ص34.

*- فالاستعمال اللّغوي يرضى بحكم التوسع ، أن يتم الإثبات بالاستفهام التقريري ، وان يتم الدعاء بالإثبات والنفي ، والأمر والنهي والتمني والترجي ،وبالمصدر المنصوب...و أن يتم التعبير عن الشرط بنمطي الآمر والنهي ، وأن يعبر عن الأمر بالإثبات والاستفهام. تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص 84.

1-ينظر،جعفر دك الباب : النظرية اللّغوية العربية الحديثة ، ص 154-155.

-قال تعالى : « فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »[2] نمطه التركيبي الإثبات ← غرضه الدعاء.
-قال تعالى : « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ »[3] ←نمطه التركيبي النفي المعنى الوظيفي الدعاء.
-قال تعالى : « وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ » [4] ←نمطه التركيبي الأمر ←المعنى الوظيفي الدعاء.
وهناك صيغ أخرى للدعاء (النهي،التمني، الترجي ،المصدر المنصوب: كغفرانك)[5]

v -**التعجب** :خصص نظام اللّغة للتعجب صيغتين (ما أفعله –أفعل به) ومن الأنماط الدالة على التعجب:
وهناك أنماطا كثيرة في اللّغة دالة على التعجب : " هل، كيف، مادة (ع.ج.ب) استعمال أ ي وما التعجبية...

يرى "تمام" أن السبب في استخدام هذه الأنماط المتنوعة للتعجب ، زيادة على الصيغتين الأصليتين هو أمن اللبس لأن الصيغتين ملبستين تحتاجان في الغالب إلى قرينة حالية ،وهنا يتضح تجاوز "تمام" لوظيفة النسق اللّغوي إلى الموقف الاجتماعي العام أو مقالية.

ومن شواهد التباس الصيغتين كما أورد "تمام" أن من المفسرين من أعطى لقوله تعالى : « وَمَا أَدْرَاكَ »[1] معنى الاستفهام لكن بالقرائن الحالية كما أوردها "تمام" من حالية و مقامية تشير إلى معنى التعجب[2].

وعلى هذا فإن الأساس المعتمد في تحديد وتقسيم أنماط الجمل عند " تمام حسان " "وظيفي" لا شكلي تصنيفي فقط ، فلا يحصر في نمطي الجملة الفعلية والاسمية (أي الاعتماد على المبنى والمعنى معا) .
-ودور القرائن الحالية و المحلية في الكشف عن هذا التقسيم .
-التفريق بين نظام اللّغة ونظام الاستعمال ، وأهميتها من التقسيم .
-و"تمام" يركز في تحديده للجملة على العلاقات السياقية وعلى مفهوم التعليق الذي أفاده من نظرية النظم عند " عبد القاهر الجرجاني " قي كتابه :" دلائل الإعجاز" ،والذي يعده أذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية في تاريخ التراث العربي،ويرى أن التعليق هو الإطار الضروري للتحليل اللساني ، إلا أن هذا المصطلح لم يأخذ مكانة الصحيح عند " عبد القهار الجرجاني " ،-كما يرى "تمام حسان"–إذ لا يكفي تفسير فكرة التعليق بأن(الكلمات) يأخذ بعضها بحجز بعض ، أو القول بأن لمعاني النحو الفضل في صحة نظم الكلام أو فساده بل إن المصطلح يجب أن يدخل في عنواني العلاقة السياقية *Syntagmatic Relation* " القرائن المعنوية"، وعنوان القرائن اللفظية ، " بناء على هذا الفهم الجديد لمصطلح " التعليق " ، أعطى"تمام" تعريفه الخاص لهذا المفهوم :
«إن التعليق هو إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية».

---

[2]–البقرة :10.أي في قلوبهم شك ،وقيل نفاق ، وقيل مرض في الدين لا في الأجساد فكان الجزاء من جنس العمل،وشرا إلى شرهم.ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ،دار الثقافة للنشر والتوزيع،ط1 1990،ج1،ص52.
[3]– البلد :3.
[4] – المومنون :118.
[5]– ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص 84- 85.
[1]– القارعة :1-2.
[2] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص85ـــــ88.

ويبدو أن مصطلح التعليق لدى"تمام" مختلف عنه لدى "الجرجاني" ، فأساس البيان عند هذا الأخير هو تجاور الكلمات وتعالقها ،وفي حين نجد أن أساس السياق عند "تمام" هو ترتيب الأبواب[3]. إذ يقول:«إن ما يجعــل السياق مترابطا ، إنما هي ظواهر في طريقة تركيبه ورصفه ، لولاها لكانت الكلمات المتجاورة غير آخذ بعضها بحجز بعض، في علاقات متبادلة تجعل كل كلمة منها واضحة الوظيفة فيالسياق»[4]والكلمة هي محور السياق أدى "الجرجاني" ، في حين ينطلق "تمام" من مفهوم الوظيفة (أي مفهوم الباب) فدراسته العلاقات بين الأبواب هي أساس دراسته النحو ، وليس العلاقات بين الكلمات[5]

المبحـــــــــث الثالث: قرينة الرتبة في التركيب القرآني :

وهي قرينة نحوية (قرينة على المعنى) ووسيلة أسلوبية ؛أي "مؤشر أسلوبي "ووسيلة إبداع وتقليب عبــارة واستجلاب معنى أدبي[1] ، وهي بين عناصر الجملة تتصل بفكرة الحيز ، إذ يقال بحسب الرتبة أن أحد العنصرين وقع في حيز العنصر الآخر إما حقيقة وإما حكما، وهي تختلف بحسب الدواعي الأسلوبية ، ومن هنا كانـــت مدخل البلاغيين إلى موضوع التقديم والتأخير[*][2] وهي نوعان :

أ-الرتبة المحفوظة : إذ يجب أن تأتي إحدى الكلمتين أولا ، والأخرى ثانيا لا عكس –تشغل حيزا محددا –وهي رتبة في نظام اللّغة وفي الاستعمال.

ب-غير المحفوظة : فهي رتبة في النظام فقط لا الاستعمال إذ يحكم هذا الأخير وجوب عكســها ، كتقــديم المفعول به على الفاعل ، ومن دواعي المحافظة وعدمها : خوف اللبس ، اتقاء مخالفة القاعدة ، أو الأصل .

و يقول "تمام حسان "، عن الرتبة (الترتيب) ، بأنها وضع العلامـــات المنطوقـــة ، أو المكتوبـــة في ســـياقها الاستعمالي حسب رتب خاصة تظهر بها فوائد التقديم والتأخير الذين كانا موضع عنايـــة فائقـــة مـــن عنـــد "الجرجاني" ، وكذلك يظهر بهذا الترتيب ما كان من الرتب محفوظا أو غير محفوظ[3] ، وكون الرتبة هي القرينة أوضح في الرتبة المحفوظة منه في غير المحفوظة، وإذا قيل" جاء زيد يركب الحصان الذي يزهو بـــه "وموقـــع "

3- ينظر ،فاطمة الهاشمي بكوش : نشأة الرس اللساني العربي الحديث ، ص 153-.154.

4 - تمام حسان : مناهج البحث في اللّغة ، ص .237

5 -ينظر ،فاطمة الهاشمي بكوش : نشأة الرس اللساني العربي الحديث ، ص 154.

1 - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص91.

* وتنقسم أحوال التقديم والتأخير إلى : أ- تقديم اللفظ على عامله نحو " خالدًا أعطيت "

ب-تقديم الألفاظ بعضها على بعض في العامل ، نحو قوله تعالى :« **وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ** ».البقرة: 173. فاضل صالح السمرائي ، التعبير القرآني،ص 49.

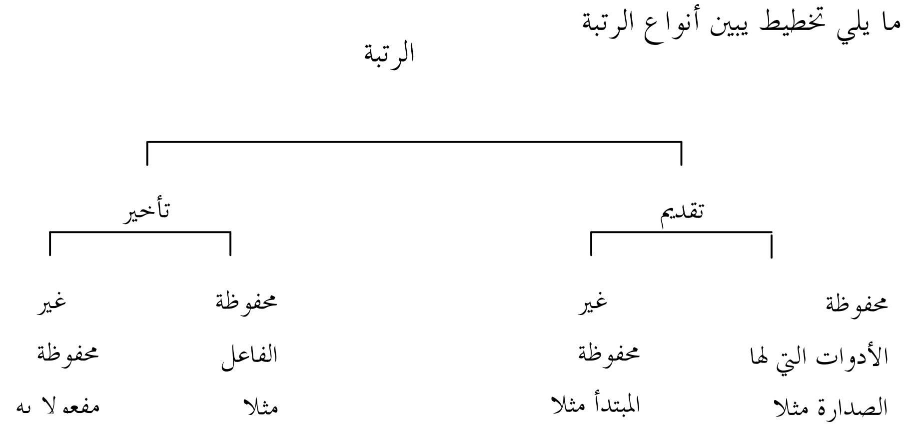
2 - ينظر، تمام حسان : الخلاصة النحوية،ص 83.

3 - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص91.

الذي" جعلها صفة للحصان لا لزيد وصلة الموصول ، هي "يزهو به" والرتبة هنا كانت قرينة على المعنى المـــراد أبدا(قرينة محفوظة)[1] .

-ونلاحظ هنا أهمية الرتبة في الجانب الوظيفي، إذ تشغل الكلمة حيزا ، لتأخذ معنى ودورا داخل "الســـياق " فعملها وجوهرها وظيفيا بالدرجة الأولى ، لأنهما من وإلى السياق ، والتفاعل الذي يحدث داخل البنية جـــراء هذا الإجراء الوظيفي للعناصر اللّغوية داخل النمط التركيبي -.

وفي ما يلي تخطيط يبين أنواع الرتبة



أنواع الرتبة[2]

هذه الأدوات التي لها الصدارة ، تحملت عبء الربط (خاصة في الجمل ذوات الأجوبة) ، فالأداة مـــن معالم الطريق في السياق –لأن موقعها الوظيفي ورتبتها ، أعطاها وظيفة مهمة داخل السياق "كحروف المعية " و " الجر" و" الاستثناء" ...-وحفظت رتبتها لأنها تكشف عن علاقة ما بعدها بالعناصر الأخرى في الجملة التي فيها ، كرتبة الجار من المجرور محفوظة وإن لم تحفظ رتبنها –الجار والمجرور معا- ببقية أجزاء الجملة .

1 - ينظر، تمام حسان : الخلاصة النحوية ،ص 83.

2 - ينظر، تمام حسان :اللّغة العربية معناها ومبناها ، ص208.

أما الرتبة غير المحفوظة : رتبة في النظام لا في الاستعمال لتعرضها لقواعد النحو (من حيث عود الضمير) ثم للاختيارات الأسلوبية كالتقديم والتأخير، ومن أمثلة الرتبة غير المحفوظة (رتبة المفعول من الفعل ورتبته من الفاعل ، ورتبته المبتدأ من الخبر ، ورتبة الظروف ...)[1].

وفيما يخص هذه الرتبة إذا اقتضت القاعدة النحوية بحفظها فإن ذلك من أجل :" أمن اللبس –أو اتقاء مخالفة القاعدة –"وفي هذه الحالة تحفظ الرتبة مثل:" ما رأيت إلا إياك " وجوب صدارة الأداة " أسلوب الحصر " فإذا لم يقع اللبس كما في :" أكلت الكثمري سلمى " " أكلت سلمى الكثمري" أمكن للمتكلم أن يلجأ للتقديم والتأخير.

وقد يدعو المعنى أو القاعدة إلى عكس الرتبة –ونلاحظ من خلال هذه العبارة تحكم المعنى والغرض والقصد من اللّغة ، وكذا عملية الإطراد من خلال أصل القاعدة في توجيه النمط التركيبي للجمل ، كما تظهر مرونة وديناميّة اللّغة إلى جانب نظام القاعدة – ومن ذلك قوله تعالى « **أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا** ».[3]

فالملاحظ هو تقديم المفعول به ، " نفسا" على سبيل الوجوب على الفاعل " إيمانها" (فالفاعل هنا في موضع لا يمكن تقديمه أو تأخيره) والملاحظة الثانية كذلك الفصل بين المفعول به " نفسا " ووصفة " لم تكن آمنت "...

أ-عدم تقديم الفاعل : لأن الضمير " الهاء" يعود حينها على متأخر لفظا ورتبة .

ب-سبب الفصل بين (المفعول به) و(الصفة) مع تأخير الذي يأتي الفاعل بحسبه ، يجعل الفاصل بين الفعل ينفع ، والفاعل إيمانا من الطول بحيث تضعف العلاقة الإنسانية والسياقية بين الفعل والفاعل ، والتقدير الذي يكون عليه النمط لولا الفصل والتأخير والتقديم كما يلي (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا) وهكذا يضعف ارتباط الفعل بفاعله .

على الرغم من الفصل بين الموصوف وصفته (بالفاعل) فإنه لا يمكن أن يتغير ترتيب الكلام ويقول "تمام" هنا : " ما أحسنه وما أوجبه"[2] – فهذه العبارة تعكس أهمية التوظيف اللّغوي لعنصر ما ، وموقعه من السياق حتى أنه من كثرة الحسن والرونق، أن يصبح استعمالا قارا واجبا ، كذا الأمر بالنسبة للأسلوب العدولي-

ويظهر أن بين الرتبة النحوية ، وبين الظواهر الموقعية رحما موصولة لأن الرتبة حفظ الموقع ، والظاهرة الموقعية هي تحقيق مطالب الموقع على رغم قواعد النظام[3].

وباستعراض أقسام الكلم يتبين أن الرتبة تتجاذب مع البناء أكثر مما تتجاذب مع الإعراب ، وتتجاذب من بين المبينات مع الأدوات والظروف أكثر من أي مبنى[1].بالإضافة إلى الرتبة النحوية

---

[1] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص92ـــ94.

[3]– الأنعام :158.

[2] - ينظر ،تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص94.

[3] - ينظر، تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها ،ص280.

- هناك الرتبة الزمنية –كما سماها "تمام"- إذ يحكم العقل لأحد الأمرين بالتقدم ، ثم لا يتوقف المعنى على تقديمه في الكلام ومن ذلك : «قوله تعالى : « **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ وَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ** »[4] والمعروف من سياق الآيات أن زوجة زكرياء كانت عقيما فالمعقول أن يتم إصلاح حالها ، ثم يترتب عن ذلك أن يأتي الغلام هبة من الله،وهذا المعنى لا يغيره ولا يخفيه عكس الرتبة ، إذا تقدم ذكر الهبة ، لأنها المظهر الأوضح للاستجابة ، و لم يكن دعاؤه ينصب على إصلاح الزوج بقدر ما هو منصب على " هبة الولد " وليس يساوي ذلك في الحسن أن يقال: (فاستجبنا له فأصلحنا له زوجه ووهبنا له يحيا)والاهتمام بأمر المقدم لأغراض بلاغية كما هو مبين عند "عبد القاهر الجرجاني ".

وقوله تعالى : « **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ** »[5]فبالرغم من مراعاة الرتب من (نوح ...الأسباط) لكن لم يعتمد على الترتيب التاريخي لشهرته ، والمغزى هنا : أن الواو لم تفد ترتيبات ولا تعقيبا ، وأن المتعاطفات قد خالفت في الذكر ترتيبها في الزمان بالرغم من وجود الواو.

فالواو هنا خرجت عن معنى العطف والتعقيب ، و لم تمنح دورها الحقيقي بقدر ما هو ربط عام ومعنى وظيفي منسوب لإتمام وظيفة النمط التركيبي ونزداد إيمانا بدور الاستعمال والبعد الوظيفي للنمط وللاستعمال اللّغوي.

- ومن ذلك تشويش اللف والنشر : كما في قوله تعالى : « **وَمِنْ آَيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ** »[1] فكان المنام خاصا بالليل والابتغاء بالنهار لكن الآية لم تحرص على الترتيب المعتاد لأنه قد تختلف العادة.

وهناك حالات يكون فيها تشويش اللف والنشر أمرا لا غنى عنه كما في كقوله تعالى: « **فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ** »[2] ،فلما كان البسط نوعا واحدا ، وبالتالي فإن عبارة "كيف يشاء " تشمل بسط السحاب وجعله مركوما على هيئة الكسف ، وبذلك تكون " الواو" بمعنى "أو"، ولكن وجعله كسفا يرتبط به أمر آخر مسبب عنه ، وهوخروج الودق من خلاله ، فلو فصلت

---

[1] - المرجع نفسه ،ص208

[4]- الأنبياء :90.

[5]- النساء:163-164.

[1]– الروم: 23.

[2]- الروم :48.

*- الكسف : كسفا سحاب ثخين قد طبق بعضها على بعض.

- الودق : السحاب نقط صغار متفرقة لا تنزل جميعا . انظر، عبد الرحمان ناصر السعدي :تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ،ص644.

عبارة كيف يشاء من " كِسَفا" ورؤية الودق،لكانت رؤية الودق سببا للبسط و الكسف (*)، وليس هذا المقصود ولو تأخرت " كيف يشاء" بعد روية الودق من خلاله ، ولاكان الضمير في الفعل يشاء عائدا على الودق لا إلى الله تعالى - فعدم حفظ الرتبة لا مفر منه لإحلال المعنى المنوط بالآية ، وقد طغى الاستعمال على النظام لدواعي الفهم والإبلاغ ، ويظهر بجلاء إعجاز النص القرآني ومراعاته المعنى وتوظيف المبنى ، وإجبار النظام على التسامح —

ونوع آخر من عدم حفظ الرتبة ، لإيفاء مطالب أسلوبية (من رعاية الفاصلة...) كما في قوله تعالى:« **فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا** » [3] فرعاية الفاصلة أثرت حفظ الرتبة في البداية ، مع عم حفظها في النهاية ، كما تكون لكسر الرتابة في الأسلوب (تحوير التركيب بين الجملتين الفعلية أو الاسمية) .

- وهناك ترتيب الأشباه : ويكون عند توالي النعوت والأحوال والأخبار والمتعاطفات والأشباه أفراد كل طائفة من هذه الطوائف حين تتولى في الكلام ، وتثور قضية ترتيبها والنظر إلى إليها أولى بالتقديم من سواه كما كان من أفراد الطائفة قصيرا أولى بالتقديم مما هو أطول منه ولا يصرفه عن هذا إلا أمن اللبس[4]
- ومن شواهد ذلك من القرآن قوله تعالى : « **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ** » [1]

ففي الآية توالت صفات بحسب القصر والطول مفردة (مؤمن) وشبه جملة (من آل فرعون) ، ثم الجملة (يكتم إيمانه) .

كل ما ذكره النحاة والبلاغيون عن الرتبة ، فإن "تمام" يرى أن " عبد القاهر الجرجاني" حين صاغ اصطلاحه ،" الترتيب" قصد به شيئين : أولهما ما يدرسه النحاة تحت " الرتبة " ويرى "تمام" أنهم لم يعنوا بها تماما ، وإنما فرقوا فيها بين " أبواب النحو" ، وثانيهما ما يدرسه البلاغيون تحت عنوان التقديم والتأخير ، ويرى أن دراستهم للعنصرين الأخيرين في البلاغة دراسة للأسلوب التركيبي (أي جانب الصناعة) ، لا للتركيب نفسه (يعني المنهج الوصفي الذي يتجه إلى البنية مباشرة) أي أنها دراسة تتم في نطاقين : أحدهما مجال حرية الرتبة حرية مطلقة ، والأخر مجال الرتبة غير المحفوظة، إذا فلا يتناول التقديم والتأخير البلاغي ما سمي في النحو باسم الرتبة المحفوظة ، لأن هذه الأخيرة لو اختلت لاختل التركيب ، ومن هنا تكون الرتبة المحفوظة قرينة لفظية تحدد معنى الأبواب المرتبة بحسبها . ونظرا لحرصه" —تمام-"على المعنى يشير لمشكلة -خطيرة عل حد تعبيره — في فهم المعنى ، وهي عدم إباحة النحاة بتقديم جملة الحال على عاملها ،كما قوله تعالى : « **وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ**»[2]و التقدير : بينما نوح يصنع الفلك سخر منه قومه كلما مر عليه ملأ

---

[3] - الأحزاب :26.

[4]– ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص94ــــ97.

[1]– غافر:28.

[2]– هود:38.

منه ، إذ تقدمت جملة الحال " ويصنع الفلك على عاملها[*] [3] هذا ويبقى أن الرتبة بكونها قرينة لفظية وعلاقة بين جزأين مرتبين بين أجزاء السياق، يدل موقع كل منها من الآخر ، على معناه (يبدو أن الرتبة فرع على التضام بمعناه العام ؛ إذ لا رتبة لغير متضامنين).

-إن الرتبة أكثر ورودا مع المبنيات منها مع المعربات.

-الرتبة بكونها قرينة لفظية تخضع لمطالب أمن اللبس وقد يؤدي ذلك إلى تنعكس الرتبة بين الجزأين المرتبين بها[4]. بالإضافة إلى أهمية الرتبة في الاستعمال ؛ لأنه وظيفي ، مدخل للتأويل ومؤشر أسلوبي ، ونمط يعطي النسق نفسا وحيوية أكثر .

المبحـــــــث الرابع : قرينة الربط في التركيب القرآني :

هذا العنصر المهم تعرفنا عليه أثناء الحديث عن وظيفة الضمير والأدوات وحتى الرتبة ، إذ أن كل هـذه العناصر النحوية تساهم في إحداث الربط في الجملة إضافة إلى مكوناتها (المسند ، المسند إليه) وينطلق "تمام" من عنصر الإفادة في الجملة –وهو منطلق النحاة القدماء كذلك-ويجعلها شرطا يضاف إلى الجملة العربية ، إذ يجب أن تكون مفيدة؛« لأن السعي إلى الإفادة هو سبب الاتصال اللّغوي ، وحصول الفائدة هو نتيجـه»[1]. ومصطلح الإفادة هنا نابع عن مصطلح التواصل الذي يعتبر أهم ما تركز عليه اللسانيات حديثا لما فيه من تحقيق لوظيفة اللّغة وهو البعد الذي ركز عليه الوظيفيون خاصة –مثلما رأينا عند " جاكوبسون " ، والتبليغ عند " أندري مارتيني " ...وغيرهم –وباعتبار اللسان أداة للتبليغ ، فاللّغة استعمال يومي مستمر متواصل ؛بـل لا تتحقق إلا ضمن هذا الاستعمال ، في تفاعل مستمر بين المتكلمين ؛ لذا يجب أن تعاد للظواهر الكلامية اعتبارها في الدراسة وينبغي تجاوزالتقابل " السوسوري" الذي أقصى من خلاله الكلام ، من دائرة اهتمام اللّغويين ذلك أن طبيعة اللّغة التبادلية تثبت أن للظواهر الكلامية دورا فعالا في تيسير كيان التبليغ ،والاتصال اللّغوي في المجتمع وحري إذن إعادة الاعتبار للظواهر الكلامية ، والكلام[2] - وهذا ما قصده "تمام" سابقا بتفريقه المعتمد بـين النظام والاستعمال-

---

[*]- تقدير يصلح لأن معنى الحال المناسبة، وإحدى طرق التعبير عن الملابسة أن يقال بينما يحدث كذا حدث كذا.

[3]- ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص97ـــ99.

4- ينظر ،تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها ،ص209.

1 - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص107.

[2] - خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ في اللسانيات، ص 157-158.

أهم المقومات المحافظة على عملية التواصل هي وظيفة النسق " كما هو مبين عنـــد " تمـــام " ، إذن مـــن الضروري لنمط الجملة أن تشتمل على قرائن تؤدي إلى المعنى[1] – لإحلال التماسك والترابط بـــين أجـــزاء التركيب فالانطلاق من المبنى ، ثم المحور الثاني لعملية التواصل : المقام ، وعلاقته بالبنية وظروف الاتصال–

والغاية من كل هذا هو التفريق ما بين اللّغة في مستواها الساكن، وبين الكلام فالتجربة قـــد أثبتـــت أن اللساني لم يكن بإمكانه أن يغفل ظاهرة الكلام ، بل على العكس من ذلك ، فهي التي ينبغـــي أن تســـتدعي الاهتمام ، لأنها تمكنه من ملاحظة الظواهر المحسوسة التي يدعمها التفاضل التبليغي ، والظواهر المحسوسة هـــي التي تمكن من استخلاص النظام .وهذه العاقة بين التركيب ونظام التواصل هو ما كان معروفا عنـــد العـــرب القدماء ، وتجسيدها للعلاقة بين النحو والبلاغة ، فإذا كانت هذه الأخيرة الكلام الذي يطلب فيـــه الإفـــادة والإصابة على وجه بديع ، والمعيار الذي تزن به الأسلوب على نحو يتحقق به غرض المرسل و المنشيء فهـــي دراسة في كيفية استعمال اللّغة (مادة وصورة) ، وعملية الإبلاغ هذه تخضع كلها لنظام خاص في تركيبـــها و الإبلاغ هو وظيفة مركزية للغة ،وعناصر السلسلة الكلامية التي لا يتأتى وجودها تلقائيا من خلال السياق أو من خارج النسيج الذي تظهر فيه ، هي وحدها مميزة لأغراض علم اللسان، ولكونها تقوم كذلك بوظيفتها الإخبارية، وعليه فالبلاغة تحمل مدلولات النحو، فدراسة الكلام في التركيب يقصد به ما نتج منها عن وعـــي فالبلاغة امتداد للنحو، لأنها تتناول القواعد عند استعمالها بالفعل إفرادا وتركيبا فتبحث في العلاقة بين الألفاظ من جهة، والمقصود من استعمالها من جهة ثانية.

وهكذا فإن النحو هيكل أساسي؛ لأنه متعلق بالأبنية التركيبية المؤلفة من الأبنية الإفرادية ، والبلاغـــة لا تكون إلا ضمن تركيب خاص لأن معنى التركيب هو الذي يفيد الغرض الذي يبتغيه المتكلم من استعماله لعبارة من العبارات ، ولأجل كل هذا عني "الجرجاني" بالدفاع عن النحو وبيان الحاجة إليه في التعبير والفهم لأنه يؤثر في البلاغة ،كما أن المعاني البلاغية التي تنتهي إليها السياقات والتراكيب، إنما تركز على التغييرات- وهنا قـــد تدخل أهمية الرتبة كمؤشر أسلوبي فالمقصود مما سبق أن "عبد القاهر الجرجاني " يدرس اللّغة في المستوى الصرفي النحوي ثم ينتقل إلى دراسة التركيب في السياقات الكلامية المختلفة[2].

وما تطرقي لهذا العنصر إلا من أجل تبيين خفايا الهيكل العام للنحو والبلاغة العربية وما تحويه من جوانب وظيفية ، فأكرر من جديد أن علم المعاني هو المدخل الحديث للأسلوبية الوظيفية، إذ حرس علم المعاني علـــى العلاقات الوظيفية داخل النسق اللّغوي وتجاوزها إلى وظيفة التواصل العام "أي الحيز التواصلي أو المقام".

بعد هذه الجولة في التراث نعود إلى مفهوم قرينة الربط في التركيب القرآني، فأهمية هذا الربط يدفع التفكك بين أجزاء الجمل (إذا طالت خاصة) فعلاقة الربط ووظيفتها إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق، بواسطة إحدى الوسائل اللفظية (القرينة) والأصل في الربط أن يكون بإعادة اللفظ ويحدث هذا النمط كثيرا في القرآن

[1] -تمام حسان : البيان في روائع القران ،ص107.

[2] -ينظر ،صالح بلعيد : التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص 41 ــــ44

الكريم نحو قوله تعالى:« وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ» [2] ذكر الكذب ثلاث مرات عوضا عن " لتفتروه ويفترونه" - وقد تكون إعادة الذكر لسبب فرعي يضاف إلى الربط كإرادة تأكيد الربط قال تعالى:« وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [3] تكرار الكتاب ولفظ الجلالة ثلاث مرات، مع تقارب المسافة وإمكان استعمال الضمير (لتحسبوه منه)، وقد يكون لأمن اللبس كما في قوله تعالى: « وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »[4] فلو وضع الضمير موضع ثاني لفظي الجلالة، لأصبح جملة حالية والتقدير:" نكالا من الله وهو عزيز حكيم ". ولكان المعنى أن كسبهما النكال مرتبط بحال عزة الله وحكمته تعالى عن تغير الأحوال. وقد تكون إعادة الذكر لاختلاف المدلول المذكور الأول عن الثاني نحو قوله تعالى : « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[1] الملك الأول معطى والثاني منزوع والثالث ملكوت الله، كما تختلف من "تشاء "دلالتها بين ملك متسلط وملك مخلوع وبين عزيز وذليل. كما قد يفي إعادة المعنى عن إعادة اللفظ (باب المبتدأ والخبر) نحو قوله تعالى :« خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ »[2] وقد صلح تعويض لفظ التحية بمعناها السلام.وصلح ذلك لربط الخبر بالمبتدأ لأن الخبر هو عين المبتدأ والخبر وصف للمبتدأ في المعنى .

وهناك التكرار (وهو نوع من إعادة الذكر لإنعاش الذاكرة وهو إعادة ذكر صدر الكلام بعد أن حال بينه وبين ما يتعلق به فاصل طويل جعله مظنة النسيان ، أو ضعف العلاقة بما يتبعه من (خبر أو فاعل أو جواب) وبإعادة صدر الكلام إلى الذاكرة اتضحت العلاقة . بما يليه وينتمي إليه، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ »[3] ،نلاحظ تكرار" لو شاء" لسببين:

أ- لتوقي توالي استدراكين بـ:"لكن" ، لا يدري ارتباط ثانيهما بعناصر الجملة .

---

[2]- النحل : 116.
[3] -آل عمران : 78.
[4]- المائدة : 38.
[1]- آل عمران: 26.
[2]– الرعد :23.
[3]-البقرة : 253

ب- إرادة التذكير بصدر الآية بعد أن بعد به العهد في الكلام.

كما يكون التكرار لأمن اللبس نحو قوله تعالى: « قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ »[4]فلو لم يتكرر الفعل "قالت" لظن أن عبارة (أفتوني في أمري) من كتاب سليمان ، وقد يكون التكرار مع غير طول الفاصل لإرادة التوكيد .

ومن أهم ما يغني عن إعادة الذكر الضمائر بأنواعها – كما رأينا سابقا- لأن الضمير إذا اتصل أضاف إلى " الخفة والاختصار " عنصرا ثالثا " الاقتصار" ويقول " تمام "-من جديد –أن هذه العناصر الثلاث من مطالب الاستعمال اللّغوي. ولنأخذ هذا الشاهد القرآني لنرى أهمية الربط بالضمير (الأشخاص)في قوله تعالى : « وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ »[5] فتنة وقعت على داو ود والضمير حل محله (استقباحا للإظهار) والجدير بالذكر أن الضمائر تصلح للربط ،إذا صح أن تحل محل ما نابت عنه،فهل يتحقق هذا الشرط "المطابقة" في كل الحالات يا ترى [6]؟

تحقيق المطابقة في اللفظ دون المعنى (القصد) نحو قوله تعالى:« قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ »[1] لذا استلزم التكرار [2] في (تؤتي الملك من تشاء وتترع الملك ممن تشاء)وهذا للتضخم والتعظيم[3] -إذن إقرار على وجود تكرار.

وقد يتحدد القصد لكن يوجد معنى إضافي يستحق أن يتضح كإرادة وصف المرجع، حينها يجب إيجاد وسيلة أخرى كأن تكون إشارة إلى المرجع – وموصولا يعود عليه- أو وصفا متصلا بـأل الموصولة أو اسما واصفا للمرجع، ويكون دليل الربط في كل واحدة منها، وصحة حلول الضمير الرابط دون تغيير المعنى-

ومن شواهد الربط بالإشارة) ([*1]) في القرآن الكريم قوله تعالى: « وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ »[4]إذ يصلح الضمير أن يحل محل الإشارة"أولئك"،كما في قوله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ »[5] (البرية + هم) .

---

4 – النمل 29-32

5 - ص:24.

6-- ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 109 ـــــ116.

1 - آل عمران : 26.

2 - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القران ،ص 116ـــــ119.

3- محمد على الصابوني: صفوة التفاسير، شركة شهاب الجزائر (د.ت) ج1 ،ص 197.

*1 - تنبغي الإشارة إلى أنه على الرغم من دلالة الإشارة على الحضور وإشارتها إلى مذكور سابق، وهناك امكانية الإطراد، و استبدال ضمير الغائب بها في كل موقع تربط فيه بين عناصر الجملة. ينظر ،تمام حسان البيان في روائع القرآن، ص 121 .

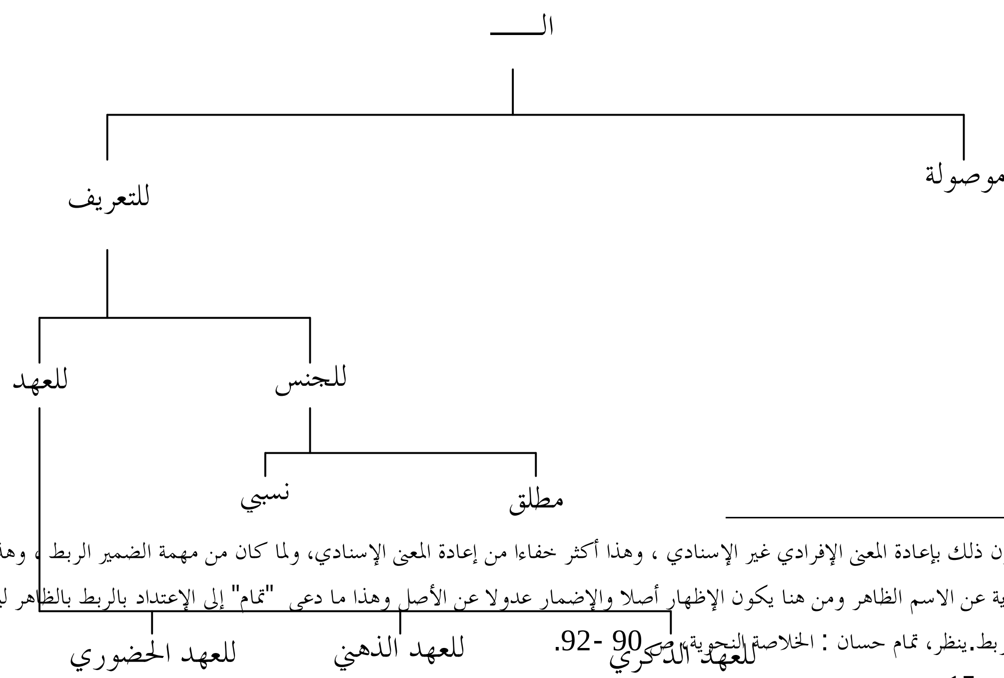
4– المائدة: 86.

5-–البينة :7.

- الربط بالموصول : ويكون عند إرادة وصف المرجع بصفة تدل على مدحه أو ذمه،ودليل صحة الربط بالموصول كذلك أن يصلح لضمير الغيبة أن يعاقبه في موقعه .وهي ما أسماه"البلاغيون " بالإظهار في مواطن الإضمار [*2] و"تمام" بوصفيته يعطي المسألة وجها تحليليا آخر لا يتعلق بمسألة الإظهار، ولا الا سم الظاهر؛ إنما هي اختيار ضمير موصول ليحل في موقع ضمير شخصي بسبب مطابقة القصد و اختلاف اللفظ، وكلا الضميرين(الموصول، الشخص) عوض عن إعادة الذكر ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى:

« **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآَنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ** » [6] أي قالوا:قال الذين، فصلح هنا أن يعوض ضمير موصول بضمير الغيبة "هم " (العدول عن الضمير المتصل إلى الضمير الموصول) وكما أنها " الذي " دلت على وصف المرجع، بصفة تدل على الذم —لا يرجون لقاءنا -

وقد يؤدي عدم المطابقة في اللفظ إلى الربط بلفظ فيه مدح أو ذم ولكنه لا يعد من الصفات المشتقة[7] كلفظ : " قوم " ،أئمة ..."ومن ذلك قوله تعالى« **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ** [(1)].[1]أي فقد مسهم [(*)]: لأن اختلاف اللفظ لإسناد ضمير المخاطب ليمسكم وضمير الغائب مسهم وتفاديا لهذا جيء بلفظ القوم ،وقد يكون الربط في بعض الحالات بواسطة "الـ"لتعريف ، وسنعرض البيان التالي لأنواع "الـ" ، لتمييز صور الربط من غيرها ودلالة كل نوع:



*2- ويكون ذلك بإعادة المعنى الإفرادي غير الإسنادي ، وهذا أكثر خفاءا من إعادة المعنى الإسنادي، ولما كان من مهمة الضمير الربط ، وهذا الأخير كناية عن الاسم الظاهر ومن هنا يكون الإظهار أصلا والإضمار عدولا عن الأصل وهذا ما دعى "تمام" إلى الإعتداد بالربط بالظاهر ليكون أصلا في الربط.ينظر، تمام حسان : الخلاصة النحوية، ص90 -92.

6- يونس : 15.

7- - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القران ،ص 119ـــــــــ127.

1– آل عمران:140.

* - فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرح ولكنكم ترجعون من الله ما لا يرجون . عبد الرحمان بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص150.

الربط بواسطة ال التعريف(2)

هذا البيان يذكرنا بالمبحث الأول –البنية– إذ يتعدد المعنى الوظيفي للبنية وبنوعيه (الأصل والنقل) أو باختلاف المعنى لنفس المبنى ، بحسب السياق الذي يرد فيه ، فيظهر من كل هذا دور الوظيفة التي يحملها المبنى أو العنصر النحوي إذ إن "تمام" ركز على وظيفة الباب النحوي داخل السياق والنمط التركيبي كما يستنتج ما يلي:

أ- "الـ"تربط إذا كانت موصولة أو للجنس النسبي أو للعهد الذكري.

ب- أما إذا كانت للجنس المطلق أو للعهد الحضوري –أو الذهن فهي لا تربط ، وذلك لإشارتها في هذه الأنواع الثلاثة –الأخيرة –إلى حقيقية لا تشير إلى كيان آخر ولا إلى ما سبق ذكره .

- الأنواع الثلاثة التي يربط بها في السياق في قوة ضمير الغائب (الموصوله، الجنس النسبي، العهد الذكري).

و ربما تقسيم الجنس إلى مطلق ونسبي ، ونسب الربط إلى الجنس النسبي(*) دون المطلق –فهو تقسيم غير تقليدي من تصنيف "تمام" ،فإذا دل المفهوم النسبي على الجنس صح أن تلحقه اللام الرابطة نحو قولبه تعالى :

« **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ** »(1) أي أرحامكم "الـ" هنا رابطة ،وإضافة إلى الربط بالضمير ، فان هناك قضيتين مهمتين لابد من ذكرهما :

أ-رتبة الضمير والمرجع.

ب-قرب المرجع وبعده .فهل من الضروري ذكر المرجع في الكلام ؟

2– ينظر ،تمام حسان: البيان في روائع القرآن،ص 129.

*- كلا النوعين من الكليات المنطقية ، فالنفس مثلا : كل نفس ، والرجل:كل رجل ، لكن النفس تنتمي إلى قسم من الأجناس لا يستقل بالوجود المطلق، إنما فهمه بالإضافة إلى أي نفس ، أما الرجل فهو مفهوم غير إضافي فلا يصح أن يقول : رجل فلان كنفس فلان ، والنسبة إحدى العلاقات العقلية تفهم الألفاظ في إطارها لحقولنا الزوج : يفهم بالنسبة للزوجة. تمام حسان : البيان في روائع القرآن،ص130

1– النساء : 1

المقصود بالمرجع عند " تمام" هو المرجع اللّغوي داخل النظام نفسه : لان المرجع الخارجي كما هو مــبين في نظرية المعنى عند كل من :" ريتشارد" واوقدن" *Recherd*و *Ogden*،لأن "تمام" يؤمن باعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول، فلا حاجة للمرجع الخارجي والربط بالضمير من القضايا المهمة التي عرفها النحاة –وأن"تمام" يؤصل دائما للنحاة-وهذه البصمة لا غرو عليها في كل ما سبق ، أنهم تعودوا على إرجاع الضمير إلى مصدر متصيد" من الفعل غير مذكور في الجملةنحو قوله تعالى : « **فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ** »[2] ، أي فتوبتكم خير لكم ، فاستعمل الفعل وأرجع الضمير إلى

مصدر فتوبتكم (غير مذكور)وقوله تعال: « **وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** »[3] أي فإخفاؤها وإيتاؤها الفقراء خير لكم، ففي كلتا الحالتين نلاحظ عودة الضمير الغائب " هــو" علــى المصــدر المتصيد "توبتكم –اختفاؤها –إيتاؤها"،وبالتالي فإن الضمير قد يكون له مرجعا " صريح" أو قد يكون له مرجع " متصيد" من الفعل ، وقد تدل عليه قرينة السياق العام للكلام نحو قوله تعــالى : « **فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُ لَقَوْلُ (القرآن الكريم) رَسُولٍ كَرِيمٍ (جبريل) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (محمد) وَلَقَدْ رَآَهُ(رأى محمد جبريل) بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ(محمد) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (قرآن) بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ (أي القرآن) إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ** »[4] "لقد تكرر ضمير الغائب في قوله (إنه –رآه-وما هو-إذ هو) دون تقدم مرجع عليه إنما علاقــة الترابط نتيجة التركيب داخل السياق فمعنى كلمة ما لا يتحدد إلا بما يجاورها –هو الذي دلنا علــى المرجــع كالإشارة إليه بعد الضمير (وما هو) : مجنون وقد لا يظهر مرجعه كما قوله تعالى : « **إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا** » [1] إذ لا تجد قبله ما يصلح مرجعا للضمير إلا لفظ الضمآن –وهي موجودة في الآية ما قبلــها وهذا دليل على أن القرآن يفسر بعضه البعض ، وتجاوز الشرح من خلال نظام القرائن داخل الجملة إلى السياق بأكمله-ويبقى سؤال آخر هل يتحتم عند ذكر المرجع أن يتقدم هذا الأخير؟

هناك عاملان يتحكمان في رتبة الضمير والمرجع (اللفظ –وأصل الرتبة)

-فالأصل أن يتقدم المرجع لفظا ورتبة ويتأخر الضمير ، نحو قوله تعالى : « **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** » [2] ، فهناك ضمير في "كان" يعود على قوم موسى وفي آتينــاه

---

[2]– التوبة: 3.:.

[3]- البقرة :271.

[4]– التكوير: 15-28.

[1]- النور : 40.

[2]- القصص : 76.

على قارون ...فكل المراجع هنا تقدمت لفظا ورتبة على الضمير –عكس ما رأيناه في ضمير الشأن-وهل يتحتم آن يعود الضمير إلى أقرب مذكور؟

-حتى هذا الأمر يحيل "تمام" الإجابة عنه إلى مبدأ عام ، يشمل جميع " العلاقات النحوية " ، وبهذا ألا يخرج عن معناه الوظيفي ، لأن نوعية العلاقة بين البنى والأبواب النحوية المختلفة داخل السياق ،هي الكفيلة بإجرتاء هذا النوع (القرب البعد) على حسب متطلبات النظام والاستعمال – فإذا أمن اللبس –الحفاظ على المعنى دائما- فإنه يمكن للمتكلم أن يمارس في شأنها قدرا من الحرية يباعد به بين طرفي العلاقة ، كعلاقة (المبتدأ بالخبر-الصفة بالموصوف) .فالفصل بين الصفة والموصوف مثلاكما في قوله تعالى : « قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ » [1]، إذ فصل جواب القسم "لتأتينكم " بين الموصوف (لفظ الجلالة) ، والصفة (عالم الغيب) .

كما يفصل بين الحال وصاحبه كما في قوله تعالى : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا » [2]وفصل بين صاحب الحال (الكتاب) بحال أطول منها(لم يجعل له عوجا) ، والحال الأخرى المقصودة (قيما)[*]...

-ومثل هذه العملية "الفصل" هي المقصودة بقرينة السياق لأنها تفرض نمطا معينا من الاستعمال يسمح بحرية التصرف إذا أمن اللبس بحسب متطلبات المعنى والاستعمال-

وهناك حالات يعود فيها الضمير إلى أبعد مذكور [3]كما في قوله تعالى : « لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ » [4]فالضمير الذي في قالوا يعود على الإخوة ،وذلك بقرينة لفظية " أبينا" مع أن السائلين أقرب إلى الضمير (لكن السياق على المعنى المقصود فحتى الرتبة لا تلعب دورا لأن السياق يحتويها جميعا ،ويستنتج مما سبق ما يلي :

1-الربط بالأداة :

كل أداة داخلة على الجملة لإفادة معنى ، فهي رابطة تقوي بها الصلة بين كل المفردات في حيزها ويصدق ذلك على النفي والأمر باللام والنهي والاستفهام والتعجب...

أ-الربط بأداة النفي :كما قوله تعالى : « فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ » [5]فحرف النفي هنا ينفي كل ما في حيزه ، " فلا" نفت حل كل واحد من هذه الثلاث ، نفيا يرقى

1- سبأ : 03.

2- الكهف : 1-2 .

* - كما يكون الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، وبين الجار والمجرور ومتعلقه.

3- ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 127ــــــ135

4- يوسف :7-8.

5- البقرة : 197.

إلى مستوى النهي مما يجعل الأسلوب الخبري هنا (خبريا في الشكل ، إنشائيا في المضمون)-أليست هذه النقطة وهذا التحليل هو المعتمد عليه في المدرسة التحويلية التوليدية من خلال البنية العميقة والسطحية.

ب-الربط بلام الأمر والمضارع : كما في قوله تعالى : « **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ** » [1]فتربط بين عنصرين الإسناد (فعل ينفق ، والفاعل ذو) لكن يتعدى ربطها هذا إلى ما يعرف باسم جواب الأمر وجوابه مثل " فليعرف كل امرئ واجبه يحمد".

ج-الربط بلا الناهية : كم في قوله تعالى : « **وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ** » [2]فلو حذفت "لا" لارتفع المضارعان والأصح استكثارا حالا لا جواب.

د-الربط بحرف الاستفهام : ويربط هذا الأخير بين عناصر الجملة حتى ليصبح كل ما في حيزه مشمولا بالمعنى العام ، الذي عبر عنه الحرف نحو : ما كان هذا ؟" أين كان هذا".

هـ-الربط بالشرط : إذ يربط الشرط بين الشرط وجوابه ، كما في قوله تعالى : وقوله تعالى : « **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا** » [3]فلولا وجود الأداة لتحولت "ما" إلى معنى المصدرية فإن " لو" ربطت بين عناصر الجملة.

و-الربط بالقسم : يربط بين القسم وجوابه (لا قسم إلا وله جواب) ومن ذلك قوله تعالى : « **فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ** » [4] فلو لم تكن أداة قسم لأصبح الضمير أنه عائد على رب السماوات والأرض ، لكن وجوده ربط بين القسم وجوابه (إنه لحق...تنطقون).

ن-الربط بأداة التعجب : كما في قوله تعالى : « **وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ** »[5]

ز-الربط بالأدوات الداخلة على الأجوبة ولها وظيفتان أساسيتان :

- الربط واتضاح أن الكلام يأخذ بعضه بجز بعض وهذه النقطة تزيدنا بقينا من اقتباس " تمام حسان" من التراث النحوي والبلاغي معا، وخاصة من لدن النحوي البلاغي " عبد القاهر الجرجاني ".

- **أمن اللبس** : يجعل الأداة الداخلة على الجواب ، قرينة على أن ما بعدها جوابا وليس غير ذلك إذا نظر إلى جملة جواب الشرط ، فإن دخول الرابط عليها وقاعدة ذلك تدخل تحت مبدأ المعاقبة إما أن يصلح الجواب أن يحل محل الشرط فلا حاجة له إلى رابط يتضح به أنه الجواب نحو قوله تعالى : « **إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ** » [6]فيمكن للجواب أن يكون شرطا كما في قوله تعالى : « **إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ**

---

[1] - الطلاق : 07.

[2] - المدثر : 06.

[3]- الأنعام : 107.

[4] - الذاريات : 23.

[5] - القارعة : 10.

[6] - محمد : 07.

لَكُمْ »[1]، أما جواب الشرط في الشاهد الثاني –الأخير-فهو جملة اسمية منسوخة ب"لا" النافية للجنس، فــلا تصلح لمعاقبة الشرط لذا وجب الرابط "الفاء" فبحذفها يتغير معنى الجملة والتقدير إن ينصركم الله فلا غالــب لكم لتصبح –لا غالب لكم –حالا. وفي هذا الشأن يقول " تمام" إذا كان الطرد علة من علل النحو ، يكفي أن يرد اللبس على بعض الحالات للقول ، بطرد اتصال الرابط بالجواب، إذا لم يصلح لمعاقبة الشرط-فهذه القاعدة إن صح التعبير هي عكس ما قال به النحاة القدماء (البصرة وعلى رأسهم"سيبويه") إذ الشاذ يحفظ ولا يقاس عليه لكن " تمام" يصرح بتحكيم الاستعمال وإن قل على القاعدة ، وهنا يظهر المنهج الوصفي الذي يدرس ما هو كائن وموجود ،ووظيفي لاهتمامه بمستوى الاستعمال (التداول) وهذه المفارقة بين القاعدة والاســتعمال كما هو الشأن عند اللسانيين العرب المحدثون ، هي التي أثارت جدلية الوصفية والمعيارية في النحو العــربي[2]، و تذكرنا هذه القضية بالقياس الذي عرفه اللغويون والنحاة ،والفقه وأصوله،وتمام لم يخرج عن دائرة القيــاس لكن قياس من نوع لآخر لا يحكم القاعدة بل الاستعمال (وهنا يظهر البعد الوظيفي وقيمته) وربما هذه الفكرة تمهيدا لما قاله في كتابه " الأصول" عن الفرق بين وجهين من وجوه القياس[*] : «القيا س في عرف النحاة إمــا من قبيل القياس الاستعمالي، وإما من قبيل القياس النحوي ، والأول هو انتحاء الكلام العرب ، وبهذا المعنى لا يكون نحوا بل تطبيقا للنحو ، وهذا القياس هو وسيلة كسب اللّغة في الطفولة –وهذا القياس هو المحمول به في المدرسة التحويلية التوليدية عند "تشومسكي " أما القياس الثاني فهو النحو كما يراه النحاة ، وإذا كان الأول هو الانتحاء فإن الثاني هو النحو»[3].

-وأخيرا تأتي الحروف الداخلة على المفرادات إذ لكل منها اتجاها الخاص في الربط بين مدخوله وعناصر الجملة الأخرى.

2-الربط بحرف الجر(وأوردنا في ذلك مثالا فيما سبق):

3-الربط بحروف العطف : من جهة (التشريك ، الترتيب ، التعقيــب ، التراخــي ، أو الاضــطراب، أو الاستدراك أو التسويف) وبعضها ربط بالإيجاب وأخرى ربط بالسلب، ومن آدائها لوظيفة الربط يتضح حين تتعدد احتمالات العطف ، لكن القرينة تحول دون ذلك كما في قوله تعالى : « **انْظُرُوا إِلَــى ثَمَــرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ** »[4]إذ يصلح "الينع" من الناحية التركيبية الصرف-أي داخل السياق لا المفردة، ويضيف كلمة

---

[1] - الأنعام : 107.

[2]- ينظر، تمام حسان: البيان في روائع القرآن ،ص 135ــــــ137.

[*] - يجري مصطلح القياس عند النظر في القواعد العربية في أصولها على وجوه كثيرة ، ولابد للقياس من أركان أربعة : أصل (المقيس عليه) ، وفرع (المقيس) وعلة (حكم وهو أقسام منها : قياس العلة ، قياس الشبه وقياس الترك ، وهذا الخير (هو الذي يوجد معه الحكم وتفقد المناسبة في العلة وهو عملية عقلية فطرية يقوم بها أفراد الجماعة اللّغوية وخاصة في عملية واكتساب اللّغة إذ تقوم على أساسه ، وهو عملية إبداعية ، من حيث أنه يضيف للغة صيغا وتراكيب جديدة ، ينظر،كريم زكي حسام الدين : التحليل الدلالي إجرءاته ومناهجه .دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، ج1، ط2000،ص19-23.

[3]- تمام حسان: الأصول دراسة إبستيمولوجية (نحو ، فقه اللّغة ،البلاغة) ص151.

[4] - الأنعام : 99.

كلمة الصرف تأكيدا على السياق ، وبالتالي يمكن أن يعطف على الثمر كما يصلح أن على ما أضيف أليه الثمر " ضمير الغائب " والقرينة من الاستعمال اللّغوي تثبت أن العطف عن الثمر ، والواو ربطت بين الثمر و الينع إذ يقال الثمر يانع ولا يقال ذلك للشجر –وسنرجع لشرح هذه القضية لحقا-

كما أن حروف أخرى تحمل معنى حروف الجر بواسطة النقل كما في قوله تعالى : « طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى » [1]،أي ؛ لكن تذكرة ، فـ"إلا" هنا كانت بمعنى " لكن".

4-الربـــــــط بالاستثناء : إذ تربط بين المستثنى والمستثنى منه على سبيل الإخراج نحو "لم يحضر إلا خالدا إذ ربطت بين المستثنى (خالدا) والمستثنى منه (الحاضرون).

5-الربط بالظرف : يربط بين ما أضيف إليه ، وبين متعلقه سواء أكان فرادا أم جملة كما في قولـــه تعـــالى : « فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ » [2] إذ ربطت " عند " بين المشعر ومعنى الحـــدث في" اذكـــروا" فجعلت الذكر في جوار "المشعر"[3].

6-الربط بالمطابقة : وكانت للربط بجامع الاشتراك بين العنصرين اللّغويين في محور واحد من محاورها،وهـــذا الاشتراك نوع من التصنيف يحمل في طيه دعوى ضمنية بانتماء كليهماإلى صنف واحد وارتباط أحدهما بالآخر إذ يعرف القارئ أين يضع حروف المضارعة ، وعلامات التثنية والتعريف..."ويظهر هذا من خـــلال إســـناد الضمير إلى الأفعال وتصريفها، و إلى الأسماء فبالرغم من أن دلالة الضمير ثابتة لكن في الاسم الظاهر مرونـــة بسبب ما يلحق به من هذه العلامات ، وفائدة هذه المرونة –مرونة النظام اللّغوي لحرية الاختيار والتصرف – والوصول إلى المطابقة التي تعد وسيلة من وسائل الربط.

ومسرح المطابقة هو الصيغ الصرفية والضمائر ، فلا مطابقة في الأدوات ولا في الظروف إلا في النواســـخ المنقولة عن الفعلية ، فإن علاقتها السياقية تعتمد على قرينة المطابقة ، أما الخوالف فلا مطابقة فيها (إلا ما يلحق "نعم" من تاء التأنيث)وتكون المطابقة في :" العلامة الإعرابية ، الشخص العدد ، والنوع ،التعيين [4] .

وهناك مطابقة بين الإشارة والبدل والنعت في(التذكير والتثنية والرفع والتعريف) ، ويضاف إلى ذلك ما بـــين النعت والمنعوت والمضارع من مطابقة في الغيبة .

ومن محاور المطابقة ما يكون نتيجة للمعنى المعجمي للكلمة المفردة كلفظ "عصبة" فهو يثنى ويجمع، لكن معناها المفرد يدل على جماعة ، لذا أجاز الإخبار به عن ضمير المتكلمين نحو قوله تعالى:« إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْـبَةٌ » [5] وهذا يدل على أن المطابقة والربط [1] لا تعـــبر عنـــها الضمائر والعلامات اللاحقة بكلمات فقط .

---

[1] - طه : 1-2.

[2] - البقرة : 198.

[3] - ينظر، تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص 137ـــــ140.

[4] -ينظر ،تمام حسان: اللّغة العربية مبناها ومعناها ، ص 211-212.

[5] - يوسف : 08.

ويجسد ما سبق في الخطاطة الآتية :

الربط

- ملفوظ
  - في جمـــلة
  - في السياق
    - 1-الإشارة إلى ما سبق
    - 2-إعادة صدر الكلام
    - 3-الإشارة إلى ما يلي
- ملحوظ
  - إدراك العلاقة بين الجملتين كعلاقة : التفسير- السببية-التفصيل- الإبطال-تقدير الحذف...)

[1] : ينظر تمام حسان 1ـــــ145.

الربط وأنواعه [1]

وهذه الخطاطة قد لخصت ظاهرة علاقة الربط بأنواعها المختلفة، وهي كلها تجري على مستوى السـياق والصياغة والسبك والربط ،كلها ظواهر تجري داخل التركيب فالإجراء الوظيفي لدى "تمام" لا يخرج عن إطار العلاقات النحوية (السياقية) *syntagmatic*، ووظيفة الباب النحوي داخل البنية اللّغوية وأهم نقطـة يجـب التركيز عليها هي تداخل كل بنية ؛ باعتبارها مبنى وشكل +الرتبة +النمط التركيبي+قرينة الربط، وعلىثقة من أن التالي من العناصر سيكون ذو صلة بما سبق وهذا ما يزيدنا إصرارا على وظيفية النحو العربي وتكاملـه ، إذ يشمل المستويات اللّغوية المختلفة ويربط بين المعنى والمبنى ، الشكل والدلالة .فكيف لأسلوبية تنطلق من نحـو وظيفي و علاقاته المختلفة لا تكون أسلوبية وظيفية.

المبحـــــث الخــــامس:قرينة النظام في التركيب القرآني:

---

[1] تمام حسان : الخلاصة النحوية، ص89.

يمكن فهم النظام على وجهين :

أ- التضام من الطرق الممكنة في رصف جملة ما،فتختلف طريقة كل منها عن الأخرى تقديما تأخيرا وفصلا ووصلا...وهلم جرا ويمكن أن يطلق هذا الفرع من التضام اصطلاح "التوارد".وهو بهذا المعنى أقرب إلى اهتمام دراسة الأساليب التركيبية البلاغية الجمالية منه إلى دراسة العلاقات النحوية .

ب- الوجه الثاني :يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصرا آخر على وجه الاقتضاء الوجودي أوالتنافي،عندما يستلزم وجود عنصر تحليلي ما انعدام عنصر آخر على وجه الاقتضاء العدمي ،فإن هذا الآخر قد يدل عليه بمعني وجودي على سبيل الذكر أو يدل عليه بمعنى عدمي على سبيل التقدير بسبب الإستتار أو الحذف[1]،لقد مهد"تمام حسان"لفصله هذا بنظره عامة على أهم اتجاهات الدرس اللساني الحديث:

أولهما : المدرسة"البنوية"،ثم المدرسة"التوليدية "والتي شهر روادها بإغراق النبويين الأمريكيين "بلوم فيلد" في تجاهل المعنى وتوجيه العناية الكلية إلى المبنى –وذكر هذا سابقا –وأنشأ التوليديون مذهبا خاصا يفرقون به بين بنية عميقة لا تصلح أن توضع في كلمات ؛لأنها فكرية منطقية خالصة وبنية أخرى سطحية ، وهي واحدة من إمكانيات التعبير عن البنية العميقة في عناصر لغوية.

وهاتين البنيتين هما اللتان تجسدان فكرة النظم عند "الإمام عبد القاهر الجرجاني"لأن النظم يضم السبك والالتحام ،فالأول شكلي والثاني معنوي- ويقول"تمام"أن النظرية النحوية العربية فيها من البنوية والتوليدية ما يغني عن التدليل ،وما بقي بعد هذين البعدين فهو من مميزات النحو العربي –معنى هذا أن النظرية النحوية العربية فها البنيوية والتوليدية "المعنى"،وفيها التوزيع وفيها الوظيفة ...و لذا فإن هذه النظرية من أهم سماتها التكامل[2] فمازالت البنوية تواجه بالنقد فهذا "دي بو جراند " ينتقد ما فعله الوصفيون ،من تفكيك أجزاء نماذجهم المثالية باصطناع وحدات صغرى ،يفرعونها من خلال التصنيف بحسب سماتها المميزة ،يجعلون كل مستوى من مستويات هذه الوحدات الصغرى نظاما من التقابلات المشتركة :"كالوحدات الصوتية ،والصرفية و تجاهل العلاج الشامل للمعاني ،ثم ينتقد التوليديين الذين بدءوا من القواعد النحوية ،بوصفها مجموعة من الضوابط التي تحدد ما ينتمي ،وما لا ينتمي إلى اللّغة،وأجلوا النظر في مسألة شمول قواعدهم ،بافتراضهم أن كل المركبات صالحة أن تستخرج من مكونات أبسط منها باستعمال الضوابط المناسبة لإنتاج جمل ،كما اعتمدوا على المنطق الصوري والرياضيات ،حتى وصلوا بعملهم إلى الطابع "المقالبي" الذي يتنافى مع زخم الإستعمال.

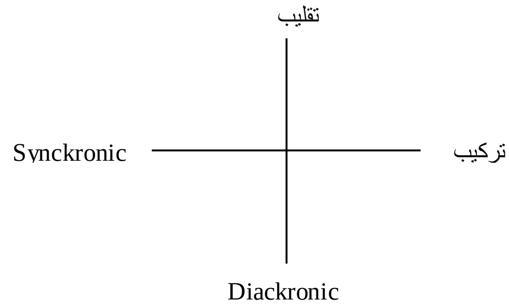
والبديل:النظر إلى المشكلة من وجهة نظر الترابط الوصفي (السبك) والترابط المفهومي (الالتحام)،وأن يكون موضوع الترابط المفهومي هو:"النحو الدلالي"وموضوع الترابط الرصفي هو:"الدلالة النحوية".

---

1 -ينظر، تمام حسان:اللّغة العربية معناها ومبناها،ص216-217.

2 -ينظر،،تمام حسان:البيان في روائع القرآن ،ص147.

وكان على المؤلف بعد ذلك أن يفرق بين :"النظام الافتراضي" و"النظام القائم"[1]



بداية يسوق "تمام "فكر البنويين ،فيما يخص محوري:

أ-المحو الرأسي:*Diackronic* أو المحور التقليب

ب-المحور الأفقي:*Synckronik* أو محور التركيب.

فالعلاقات التركيبية تمثل :الترابط بين المفردات الجمل وعناصر النص، أما العلاقات التقليبية تكشف عن التنوع داخل المصفوفة أو الجدول ، وقد ركز البنويون لإيضاح العلاقتين على أصول الأصوات"الفونيمات" (*Phonémes*) وفروعها "الألفونات" (*Allaphanes*) ، ومادام الاستبدال يندرج تحت محور التقليبات ،فإن البنويين جعلوا الفرق بين الأصل والفرع (الحكم على الصوت ما بالأصالة والفرعية) مرتبطا بصلاحه للإستبدال أم لا [2]،فالفونيمات من حيث هي أصوات ذات سمات وخصائص قادرة على التميز بين الكلمات لا من حيث إبدالها بفونيمات أخرى؛بل من حيث ترتيبها وموقعها في البنية اللّغوية ،وهذا الإجراء الأخير يشبه فكرة التقاليب (تقليبات)،والتبادل في الاشتقاق الأكبر (تقاليب مادة (ض.ر.ب) وهي الفكرة التي بنى عليها "الخليل بن أحمد"معجمه "العين"،كما استفاد "ابن جني"من فكرة التقاليب هذه، لكن لم يوفق لربطه بين تقاليب المادة ودلالة واحدة تربطهما والصوت يجب أن يكون له قدرة تميزية حتى يكون فونيميا (يؤدي إلى تميز كلمة عن أخرى)وإلا فهي تنوعات أي ألفونات لفونيم واحد .

وبناء على هذا المفهوم "للفونيم"ووظيفته اللّغوية ،وقيمته في التحليل .أقام علماء اللّغة والأصوات نظرية [*]كاملة فكان لها أبعاد على المستوى:

أ-الكشف عن التحليل الفونولوجي عن النظام،الذي تنطوي عليه وظيفة الصوت داخل النظام اللّغوي لأي لغة،وهي خطوة حددت معنى البنية تحديدا وظيفيا.

---

[1] - -دي بو جراند: النص والخطا ب والإجراء، ترجمة تمام حسان ،،عالم الكتب القاهرة ،ط 11998،ص7.

[2] -ينظر ،تمام حسان: البيان في روائع القرآن ،ص147، 148

[*] - حدد" تروبتسكي ":وهو ثالث ثلاثة وضعوا نظرية الفونام،على أسس وأصول موضوعية. -ينظر، حلمي خليل: مقدمة لدراسة علم اللّغة، ص69-73

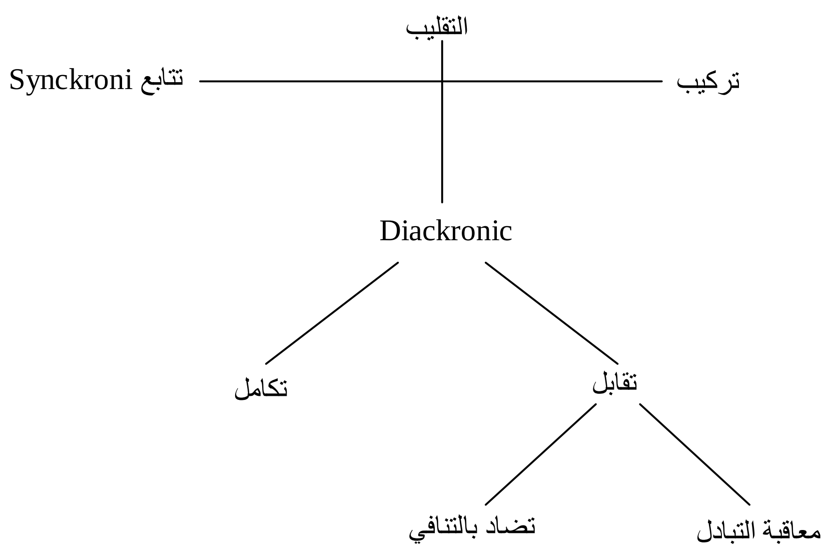
ب-تقديم فكرة أصلية للتحليل اللّغوي: وهي فكرة الملامح المميزة والتي تميز فونيما عن آخر ،وعلى هذا فـــإن الفونيم يؤدي وظيفتين:

1-وظيفة إيجابية :حين يساعد على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليها.

2-وظيفة سلبية حين يحتفظ بالفرق بين كلمة ما من حيث المعنى والكلمات الأخـــرى[1] كمـــا أن الفكـــرة منطلقها التوزيع الذي يقوم على فكرة الإبدال والإحلال .

(*Substituation*).حيث تستبدل وحدة لغوية محل أخرى في لبنة أكبر كاستبدال"القاف"في المورفام(قام)ب/ن/ (نام) ب/ح/ (حام)...[2]وتظهر أيضا هذه العلاقة التقليبية بين مفردات الجدول الإسنادي الواحد من علاقـــة رأسية بسبب تقليد الأصل(فعل) على مختلف الصور وذلك بإسناده إلى الضمائر (كتصريف الفعل الماضي مـــع جميع الضمائر)[3].

أما العلاقات التركيبية *Synckronic* فهي علاقة أفقية بين مفردات الجملة : كعلاقة"الإسناد التعدية ، الغائية " و يقول تمام أنه وجد في النحو العربي نظاما ينمي في داخله العلاقة التقليبية ، و يثريها ليعدل الشكل الإيضاحي السابق "– الخاص بالمحورين على النحو التالي :



1 - -ينظر، حلمي خليل: مقدمة لدراسة علم اللّغة،ص69ــــــ73.

2 -المرجع نفسه ،ص29

3 -تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص:149-150.

محوري التقليب والتركيب بعد التعديل [1]

على حسب المخطط فإن كلا من (المعاقبة-التضاد-التكامل)[*1] فروع على العلاقة التقليبية وجميع ذلك يقف بإزاء التتابع الذي هو مظهر العلاقة التركيبية ،أما قد وضح الجانب النظري لكل من:التقليب والتركيب راح"تمام" يكشف عن مجالات المعاقبة والتكامل و"التتابع "في النحو العربي:

1-**المعاقبة**:وذلك عند نيابة عنصر عن عنصر "كنيابة حروف الجر عن بعضها البعض "،بمعنى أنها تصلح للمعاقبة،وبالتالي :فهو يقع موقعه ويؤدي وظيفته ،وذلك ما يلمح في مفهومهات: كالإغناء،ومعاقبة الوصف للفعل.....[*2][2] إذ أن هناك بعض الاختلاف في الكلام الذي يستعمله صاحبه ؛ويتفنن فيه فقد يختار حرفا على حرف ، أو لفظ على لفظ ، لأداء أو دلالة معينة فالظرفية التي يستعملها " بالباء" تخلف عن التي يسعملها بــ "في " أو قد يخص الحرف باستعمال معين أو دلالة معينة مما استعملته اللّغة ، و هذا واضح في الإستعمال القرآني ، كما يخص اللفظ باستعمال معين " فالعيون " لفظ خص بالعيون الجارية " الأعين" خصها بمعنى الباصرة، و هذا الإستعمال الفني هو الذي يدفع اللّغة إلى الأمام فيجعلها أكثر نماء و غناء و دقة و تخصصا لا الاستعمال العادي [3] .

2- **التضاد** : و يتضح في التقسيمات الثنائية (كالخبر و الإنشاء - الجملة الاسمية و الفعلية العلامة الإعرابية و المحل الإعرابي الخفة و الثقل ، اللبس و أمنه) .

3- **التكامل** : و يكون بين أفراد كل مجموعة من المباني:(كمشتقات المادة ، و مفردات جدول الإسناد و مفرادت جدول التصريف ، و القرائن اللفظية ، كل أنواع التقسيمات) و على هذا فالتكامل من قبيل التقليب لا التركيب .

4- **التتابع** : و يفهم في ضوء العلاقات التي تقوم على السطر ، بين عناصر أنماط الجمل و المركبات ، و بين التابع و المتبوع و الضمير و مرجعه ، و الرتبة و الفصل و الوصل و الافتقار .... ، فالعلاقة تقوم بين كل هذه المواقع ، إنما تقوم بين عنصرين من عناصر النص أفقيا ، و لا رأسيا في الجدول [4]-و نلاحظ هنا أن " تمام " استخدم مصطلح النص بدليل قوله: (بين عنصرين من عناصر النص)،مثلما هو الحال عند النحاة القدماء و ذلك

---

[1]- تمام حسان: البيان في روائع القرآن ،ص 151.

[*1] -المعاقبة :(التبادل) وهو صلاحية العنصرين اللّغويين أن يحل أحدهما محل الآخر/ التضاد:وهو علاقة عنادية بين مفهومين إذا تحقق أحدهما امتنع الآخر/ التكامل:أن يتكون من مجموع الوحدات المتكاملة مجموعة يتمثل بها نظام فرعي من أنظمة اللّغة (في الجدول الإسنادي يمكننا التعبير عن تقليب الصيغ المسندة إلى الضمائر .

[*2] -معاقبة الجملة ذات المحل للمفرد-والمصدر المؤول للصريح .ومعاقبة الإظهار والذكر للحرف...

[2] -تمام حسان: البيان في روائع القرآن ،ص151ــــ153.

[3]- فاضل صالح السمرائي : معاني النحو ، ج3 ،ص 10 – 11.

[4] -ينظر،تمام حسان: البيان في روائع القرآن ،152-153.

من منطلق أن البحث في النظام الافتراضي يتجه إلى التحليل ، أما الاتجاه في دراسة الاستعمال فيكون إلى التركيب- وذكر هذا سابقا- فإن كلا الإتجاهين لا يلغي أحدهما الآخر ، فالاعتراف بالنصية لا يلغي الدراسات التحليلية -و العكس صحيح-و في تراثنا العربي ما يشير إلى ضرورة الجمع بين المنهجين " القرآن يفسر بعضه البعض و السنة تفسر ما في القرآن " كما أن الدراسات البلاغية تحاول الاعتداد بالتركيب رغم هذا إلا أن"تمام"ينقد كعادته بعد التأصيل للتراث، إذ يحاول النقد بمنهج و رؤية جديدة ، فالمنهج التراثي – إن صح التعبير – من حيث طريقة تناولهم النصوص (طريقة الشرح) فلم يكن ينظر لجمل النص لالتماس فهمه بوصفه وحدة عضوية؛بل كان الشراح يبنون شروحهم على مفردات ،ويغوص في الدلالة المفردة لهذا اللفظ على ندرة الانتباه إلى العلاقات العضوية بين أجزاء النص .ويقول" تمام":"حتى أن المفسرين للقرآن كانوا يفسرون على هدي هذا المنهج"[1].

فالنص على هذا نظام قائم أي يجمع من الوظائف التي توجد من خلال عمليات قوامها الحكم والانتقاء من بين عناصر النظام الافتراضي ؛إذ تبقى معرفة الإمكانات المتاحة بالإضافة إلى العلم بأولوية الاختيار بين الإمكانات ومعرفة أيها أصلح للاستعمال.

ويلاحظ في استعمال النصوص بصفة عامة والشعرية خاصة ،أن مرتكزات الإستعمال ربما أفضت إلى إنتاج نصوص مخالفة لشروط النظم الافتراضية ،بحكم الترخص.والضرورة الشعرية مما يؤثر على ثبات النظم الافتراضية[*]وهذا الأخير كرست اللسانيات جهدها منذ "سوسير"لدراسته –النظم الافتراضية -ومع هذا فلا تكفي معرفتها لمنح الثاني قدرة على الاتصال إلا بطريقة لا هي مباشرة ولا كافية ، وينبغي للناس معرفة الإمكانيات المتاحة إلى جانب عملهم لمعرفة الاحتمالات الأولى بالاختيار والأصلح للاستعمال في موقف بعينه ولغرض بذاته[2]-ويقصد البعد التواصلي الوظيفي مما له علاقة باللّغة والمجتمع والتداوليات *paragmatics*وهذا عن العناصر البنوية في النحو العربي (الوظيفية بالأحرى).-أما إذا انتقلنا إلى العناصر التوليدية التحويلية: فيكفي أن النحاة قد عدوا للغة سليقة-أي ملكة والتمكن كما هي عند" ابن خلدون"-

وأن بعض حالات الحذف ، لا يقدر المحذوف فيها إلا في ضوء فهم معين ، أقرب ما يكون إلى البنية العميقة –على ضوء التفسير-كما أن بعض البنى السطحية لا يفهم معناها إلا بعد تأمل وعمق نظر، وفهم البنى العميقة لها، وكذا قولهم: إن مفعولي ظن والثاني والثالث من مفاعيل "أعلم" و"رأى" ،أصلها المبتدأ والخبر :نحو "ظن الولد أباه مريضا" ،هذه و غيرها من الأفكار التي تقرب من أفكار التوليديين .

---

[1] -دي بو جراند:النص والخطاب والإجراء،ص ص4ــــــ98.

[*] -ومن ظواهر هذه النظم في النحو العربي :الاعتراف بواجب الحذف ،وعودة الضمير علىغيرمذكور،وتقدير العامل في الاشتغال ،وهي تقوم على الافتراض لا على الواقع النطقي ،ويقضي هذا النظام بأمور يفرضها على تفسير للاستعمال.

[2] - ينظر، دي بو جرائد: النص والخطاب والإجراء،ص8ــــــ89.

فالعلاقتان التقليبية والتركيبية كلتاهما ذوات صلة وثيقة بقرينة التضام والتي تعرف من خلالها إمكان التوارد والمعاقبة والتفافي (التضاد) والتكامل لكن "التتابع "هو المسرح الأصيل لقرينه التضام في السياق ولا يكاد يخلو باب من أبواب النحو العربي من ظاهرة التضام ،إما : في صورتها الإيجابية: (كالإفتقار والإختصاص والتـــوارد) إما في صورته السلبية :(كالتنافي أو التنافر).

والجدير بالذكر أن الإفتقار والاختصاص والتنافي،من ظواهر استعمال العناصر التركيبية، أما التوارد والتنافر من ظواهر استعمال الكلمات المعجمية ،وسيتم شرح كل عنصر على حدى:

أ-الافتقار: إما أن يكون للفظ بحسب أصل الوضع"متأصلا"وهو افتقار العناصر التي لا يصـــلح إفرادهـــا في الاستعمال (وإن صح ذلك عند لدراسة والتحليل) ومن ذلك افتقار حروف الجر إلى المجرور وحروف العطف إلى المعطوف ،والموصول إلى صلته ...[1]

أما في غير المتأصل :"كافتقار المضاف إلى المضاف إليه –والحال إلى حدث تلابسه والمبتدأ إلى الخبر –وهذا النوع يذكرنا بالفرق مابين السياق[*]لدى"تمام" و"الجرجاني" ويحملها "تمام"وظيفة البـــاب النحـــوي (وظيفة العنصر داخل التركيب).

ب- **الاختصاص:** وهو من صفات الحروف والأدوات ،لأنها تختص بالدخول على نوع معين من الكلمـــات (فتسمى مختصة) كاختصاص الجوازم بالدخول على المضارع ،واختصاص"إن" وأخواتها بالدخول على الأسماء وإما أن تصلح الأداة بالدخول على مختلف أنواع الكلمات ك("ما"النافية حروف العطف،وأدوات الاســـتفهام وتكمن أهمية هذه الظاهرة في كونها جعلت من أصول نظرية الإعراب (إذ لا يعمل الحرف إلا إذا كان مختصا)

ج- **التنافي** :(من ظواهر العناصر التركيبية).وهو عكس التضام وإن أدخل تحته باعتباره قسما للتلازم –وهو قرينة سلبية على المعنى يمكن بواسطتها أن تستبعد من المعنى أحد المتنافيين عن وجود الآخر .

ومن ذلك :استبعاد معنى الإضافة المحضة-واستبعاد النعت عن وجود الضمير[2] ...

-وبضم القواعد السلبية (التنافي) إلى جانب القواعد الجابية (الافتقار والاختصاص).عرف موقف النحو مـــن الكلمات التركيبية ،وهي أهم وسائل تركيب الكلام [3]-وهي ما أسماه "تمام "في كتابة اللّغة العربيـــة معناهـــا ومبناها "القيم الخلافية"وهي مهمة أكثر من الإيجابية في إيضاح المعنى لأن التماثل اللّغوي في كل المســـتويات يؤدي إلى الالتباس-وأكثر الكلمات دورانا في الجملة .

---

[1] - ينظر ،تمام حسان: البيان في روائع القرآن ،ص153-154.

[*] -لأن الافتقار غير منسوب إلى الجملة هنا ،لأن عند وضعها داخل التركيب للتعبير عن الباب ،لا يكون الافتقار لها بحسب الأصل ،إنما الافتقار يكون للباب ،فكل كلمة تقع في هذا الموقع، يفرض عليها الباب هذا النوع من الافتقار. ينظر ،،تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص154

[2]- المرجع نفسه، ص154.

[3] - تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها، ص221

4- **التوارد والتنافر:** من ظواهر المفردات المعجمية ،فمفردات المعجم تنتظم في طوائف يتواد بعضها مع بعض ويتنافى مع بعض آخر ،فالأفعال تتوارد وكل طائفة منها مع طائفة من الأسماء،ولكن تتنافر مع الأسماء الأخرى ،إذ يشترط عنصر المعنى والدلالة أثناء صياغة التركيب ؛أي ما يسمى عنصر القابلية "،فمن غير المقبول أن يقال "فهم الحجر المسألة"-وهذا شبيه بالمثال الذي وظفه"تشومسكي""الأفكار الخضراء" "عديمة اللون تنام بعنف". وللنحو شروط تضبط توارد طائفة مع أخرى ،لا يكاد يخلو منها باب من أبوابه ومن بـــن هـــذه الشـــروط المعجمية:

-يشترط للمفعول المطلق ،أن يشاك فعله في مادة اشتقاقه.

-لا يكون التوكيد لفظيا إلا مع تكر اللفظ.

-لا تدخل أن المصدرية على فعل لا مصدر له :"عسى"و"نعم"

-لا تبنى النكرة على الضم في النداء إلا مع القصد.

-وما يقع في حيز التضام :الحذف،الزيادة، الفصل،الاعتراض ،إدخال اللفظ علـــى غـــير مدخولـــه –ومنـــه التضمين(*)وإغناء أحد العنصرين عن الآخر والشروط التركيبية الضرورية لتأليف ألفاظ السياق .

1-**الحذف:** لا يكون إلا بديلا من بنية معهودة ،أو نمط معروف أو قرينة قائمة أو معنى في السياق، لا يستقيم إلا مع تقدير الحذف.

أ-حذف جزء من البنية المعهودة نحو قوله تعالى : « **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَـإِنِّي قَرِيـبٌ أُجِيـبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** » [1]إذا حذفت ياء المنقوص لغير التقاء الساكنين.

ب-حذفت الأداة (إما الداخلة على الجملةأو الداخلة على المفردة)،أو لأحد عنصـــري الجملـــة،(كحـــذف لو،ماذا، لم) وذلك نحو قوله تعالى: « **قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّـالِمِينَ** » [2]إذ حـــذفت همزة الاستفهام الداخلة على الجملة .وقوله تعالى: « **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ** » [3]حذف اليـــاء (في موقـــع المفعول به ،والتقدير لاتخزوني).وقوله تعالى « **كهيعص ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا) إِذْ نَـادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا** » [4]أي حذفت الكلمة المفردة والتقدير: هذا ذكر.وقوله تعالى : « **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِـي**

* - التضمين في البلاغة :ورد في قسمين"البيان (تضمين لفظ البلاغة معنى آخر) البديع(أخذ شاعر من آخر)وتناول القدماء التضمين البياني من حيث:"مفهومه – علاقته بالمجاز والحقيقة، والكناية مثل "قتل الله زيادا عني،إذ ضمن "قتل"معنى"صرف" وأورد كل من "النحاة "ورجال البلاغة مفهومها للتضمين وهو إشراب لفظ معنى آخر،بحيث تؤدي الكلمة مؤدي كلمتين). فهذا من"التضمين النحوي"،وإن كانت علاقة مابين المعنيين فهذا :من "التضمبن البلاغي . ينظر أحمد حسن حامد :التضمين في العربية (بحث في البلاغة والنحو) دار الشرق للنشر والتوزيع ،ط.2001 ص5——41

1 - البقرة : 186.

2 - البقرة : 124.

3 - الحجر : 69.

4 - مريم :1-3.

كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا » [1]حذف المظاف والتقدير (أهل القرية).إلى غير ذلك من حـالات الحذف المختلفة. [2]

إن الأمر في الحذف يرجع إلى متطلبات السياق-في التعبير القرآني خاصة ،وكل ذلك لغرض بلاغي ،تلحـظ فيه غاية الفن والجمال وهذه الآيتين كفيلتين بتوضيح أهمية مراعاة السياق ،وتأثيره على صيانة العبارة ومن ذلك قوله تعالى : « وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ » [3].أي لا يكن في صدرك ضيق مما قل فحذف النون من الفعل إشارة إلى ضرورة حذف الضيق من النفس أصلا .أما قوله تعالى : « الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ » [4]،فالسياق هنا سياق مجاجة في المعاد ،وهو مما لا يحتـاج إلى هـذا التصبير[5].

2-**الزيادة** (تنسب للنحو ولا تنسب للقرآن)والزائد هو زائد على أصل النمط ،وعلـى مطالـب الصـحة والإفادة لكن الزيادة في المبنى تأكيدا للمعنى وهذا ما اعترف به البلاغيون . وهي تكون في الحروف وفي بعض الضمائر ،ومن شواهد الزيادة في القرآن الكريم قوله تعالى: « مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ » [6]زيـادة "لا" والتقدير أن تسجد،وقوله تعالى : « وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ » [7]زيـادة الضمير والتقدير وهم بالآخرة يوقنون(للتأكيد)

3- **الفصل**:من ظواهر التضام وهو نوعان فصل "نحوي"،وفصل "بلاغي"ويرى "تمام"أنه من الممكـن وضـع مصطلحين لكل نوع ،لكن الخلط في الاصطلاح أيسر –هذا ينم عن منهجه الوصفي الذي يتدعي التصـنيف والتحديد الدقيق لكن ننبه إلى أن الاستعمال أو الضرورة "التخفيف"أغنت عن الفصل في التسـمية-.ويمكـن تعميم هذا الجانب على الدراسات اللّغوية العربية بصفة عامة كالتقسيم:للكلام ،وتصنيفهم للجمل فليس مـن الخلط أو عدم الدقة،إنما هو لضرورات تمليها ظروف وملابسات عدة ،يفرضـها لواقـع اللّغـوي والمنـهج وضرورات الاستعمال-

أ-**الفصل النحوي**:فالقضية هي قضية الحفاظ على قرينة التضام ، أن يحيط بالكلام لبس بسبب التـرخص في تطبيقها فكرهوا الفصل بين متلازمين بأجنبي – وليس هذا معناه قرب المرجع وبعده الذي رأينـاه في الـربط بالضمير – ومن الشواهد القرآنية على ظاهرة الفصل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا

---

1 - يوسف : 82.
2 - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 154ـــــــ158.
3 - النحل : 127.
4 - النمل : 03.
5- فاضل صالح السمرائي :التعبير القرآنيي ،ص ص 77،،49.
6- الأعراف 12. أي شيئ منعك أن تدع السجود لآدم ،والإستفهام للتقريع والتوبيخ ،الصابوني صفوة التفاسير ،ص438.
7 - النمل : 70.

الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا » [1] .

يلاحظ أن تركيب " الاستثناء " إلا عابري سبيل " قد فصل بين المعطوف وغايته "حتى تغتسلوا" .و من شواهد الفصل بين المتعاطفين[2] قوله تعالى : « قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ » [3]أي كفى بالله ومن عنده علم الكتاب للشهادة بيني وبينكم ، فصل بالتمييز "شهيدا " وما تعلق به من ظرفية بين المتعاطفين .

حتى في باب الاشتغال كما في قوله تعالى : « قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا » [4]فعلى الرغم من أن الفاعل جملة تامة التكوين ،لكن لم يستوف شروط الجمل المعرضة- خاصة شروط كونها أجنبية على السياق،ولا محل لها من الإعراب- ففصل بين فعل أمر "آتوني"،ومفعوله"قطرا" بجواب الأمر "أفرغ"،وبالتالي يكون جوابا ،لا اعتراضا ،كما يجوز أن يكون من قبيل التنازع ،لكن التقدير الأول أوضح لأ نه لا يحتاج إلى القول بالحذف.وما يقصده "تمام" أن ليس التعبير الأول هنا أولى من تعبير الثاني إنما هو بحسب القصد والمعنى ،لذا ينبغي النظر إلى هذا الأسلوب في ضوء قاعدتين:

-ما أعمل في الاسم الظاهر أهم مما عمل في ضميره (لأن الاسم الظاهر أقوى من الضمير) -هذا الاتجاه في التحليل هو عمق وجوهر الوظيفة لأنه قائم على مبدأ القصد-[5]

-ما ذكر وصرح به أهم مما حذف ففي قوله تعالى: (آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) ،فالاهتمام هنا بالإفراغ أكبر من الإيتاء ،فإن القصد من الإيتاء بالقطر ، هو إفراغه،فأعمل الإفراغ في صريح اللفظ ،لأنه المقصود،فجعل (القطر)معمولا للإفراغ ،لو جعله للأول لقال(آتوني أفرغ عليه قطرا)[6]

-وفي هذا الرأي الأخير "لتمام"نستقرئ منهجه الوصفي الذي ينطلق من وصف ما هو كائن ومستقر ،ولا حاجة للتقدير .لكن هذا المنهج الوصفي لم يكن البديل التام والذي يمكننا من تجنب كل تأويل أو حذف ،وهذا تأكيد على أن أي لغة –والعربية خاصة –فيها شيء من التفسير نتيجة البنية العميقة للجمل والتراكيب وهذا المنحى الثاني هو الملتفت إليه مؤخرا ،حتى أن "تمام"نفسه قال:"لا مندوحة عن التفسير ،وخاصة المنهج الوظيفي الذي يعمد إليه كثيرا وهو لا يناقض العلمية في الدرس اللّغوي .

ب- الفصل البلاغي:يقول"تمام"وإن كانت وسيلته نحوية ،لكنه يختلف عن الفصل النحوي –وهذا دليل على ما قيل في المدخل ،من أن الدراسات الأسلوبية (البلاغية).العربية قد انطلقت من الدرس اللّغوي لا العكس

---

1 - النساء : 43.

2 - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 172ـــ177.

3 - الرعد :43.

4 - الكهف : 96.

5 - ينظر ، تمام حسان :البيان في روائع القرآن، ص176ـــ178.

6 -فاضل صالح المرائي :معاني النحو ،ص145-146

وإبراز للعلاقة مابين النحو والبلاغة خاصة في علم المعاني-وأن هذا الفصل البلاغي له من خصوصية المقال مـــا يجعله يختلف عن مجرد الحذف النحوي –لذا لم يدرج مثلا حذف حرف لعطف في هذا الفصـــل ،في معـــرض دراسة الحرف-لأن الفصل البلاغي ينم عن موقف انفعال،كأن يكون :"خوفا ،استعجال ،تعجب..."نحو قوله تعالى: « وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ. غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ » [1]. الموقف :موقف غضب لغلوّهم ،وبتتبع النصوص القرآنية لوجد "الفصل" يتعـــدد بتعـــدد القصد من استعماله،ومرد الفرق بين الفصل لبلاغي والنحوي هو" المقام"[2] ،لأن فكرة المقام هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفي،وهو الأساس الذي يبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي ،من وجـــوه المعـــنى الثلاث : الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية ،التي تسود ساعة أداء المقال[3].

4- الاعتراض:هو اعتراض مجرى النمط التركيبي مما يحول مادون اتصال عناصر الجملة،بعضها ببعض اتصالا تتحقق به مطالب التضام النحوي فيما بينها ،ومن ذلك قوله تعالى : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا)مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُـــونَ » [4]الاعتراض هنا بالشرط بين عناصر مفسر الجواب،ولو كان ماذا يستعجل هو جواب الشرط لاقتران ب "الفاء " – كما قيل سابقا – لكون الجواب يبدأ بما والتقدير (قل أرأيتم الوعد ماذا يستعجل منه المجرمون إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا).

5-إدخال اللفظ على غير مدخولة : وعرفت هذه الظاهرة في النحو العربي بأسماء مختلفة (حذف المـــدخول الأصلي – نيابة الحرف عن الحرف –ومنها التضمين):

فمن حذف المدخول الأصلي ، إدخال اللفظ على غير هذا المحذوف كما في قوله تعالى : « وَإِنَّ كُلًّـــا لَمَّـــا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ » [5]، والملاحظ هنا دخول"لما "على غير الفعل المضارع " فدخلت علـــى الـــلام الموطأة للقسم –إذا نقض القاعدة القائلة بعدم دخول الحرف على الحرف – وأولوا النحاة ذلك على حـــذف الحرف مضارع مجزوم ب"لما" والتقدير (وإن كلا لما يوفوا أعمالهم " ، ثم الاستئناف بجملة "ليوفينهم " .

6-أما نيابة الحرف عن الحرف : فمبدأها ، المبدأ الذي يسمح للمبنى الوظيفي بتعدد معانيه-وفي متون النحو العربي الكثير من هذه القضية –نحو قوله تعالى: « كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَـــا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَهُدُوا إلى الطَّيِّبِ مِـــنَ

---

1 - المائدة : 64.

2 -ينظر ،تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص179-180.

3 -تمام حسان: اللّغة العربية معناها مبناها ،ص337

4 - يونس : 50.

5 - هود : 111.

الْقَوْلِ »[1]ولـ" من " الجارة هنا معاني مختلفة على الترتيب (ابتداء الغاية، السببية التأكيد ، التمييز ، البعضية...).

- ومن صور النيابية "التضمين" وهو يعني فروع أخرى بلاغية ونقدية ويعتبر نيابة الحرف من نماذجه؛ إلا أن التضمين أوسع ، وذلك نحو قوله تعالى : « **فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ** » [2]إذ تضمن " تصل " معنى " تمتد " ، لأن الأيدي لم تمتد حتى تصل ، أو تقصر دون الوصول[3]وقوله تعالى : « **إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي** » [4] والمقصود أني أحببت الخيل حتى سهوت عن ذكر ربي [5]–وهذا ما جعل الفعل الفعل أحب متضمنا فعل فضلت. فعد ي الفعل "بعلى" و هو يصل إلى مفعول به بنفسه.

7-إغناء أحد العنصرين عن الآخر : ويبدوا في عدة ظواهر في النحو العربي منها :

أ-إغناء فعل النداء عن الفعل: (ادعو ، لأن ما بعدها دائما منصوب أو في محل نصب)

ب-إغناء حركة عن حركة : كإغناء الفتحة عن الكسرة في إعراب مالا ينصرف ومن مظاهر التضام، ما أشير إليه باسم "الشروط التركيبية " ، والتيي يتضح بتحققها خصوصية السياق ، ومعناها التركيبي ومن صور ذلك :

-أن"أَنْ"إذا سبقها علم أو نحوه كانت مخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن محذوف، فإذا وقع المضارع بعدها جاء مرفوعا نحو قوله تعالى : « **عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى** » [6]

-إذا لم تكن جملة الخبر عين المبتدأ في المعنى : وجب اشتمالها على رابط يعود على المبتدأ [7] نحو قوله تعالى :

« **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ** » [8]،ويستنتج مما سبق ما يلي :

- أهمية المقاربة ما بين الأدوات التحليل الآن العرب ، والدرس اللساني الغربي .

-وأهمية التضام (المجسدة لمبدأ التجاور، التسلسل،والالتحام داخل السياق ، وبحسب "تمام"أن هذه الظاهرة ، تخرجنا من نحو الجملة إلى نحو النص)، والتضام بنوعيه " أي التزام ، أو التنافي" ، فهذا الأخير يفسح المجال للقيم الخلافية (التمييز).

-أهمية عنصري الاختيار الذي يجيء عل مستوى محور التقليب والذي يسمح بالتصرف اللّغوي طبقا للاستعمال.

---

1 - الحج : 22-24.

2 - هود : 70.

3 - ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص191-192.

4 - ص : 32.

5 -الطبري : جامع البيان عن تأويل أي القران، ص266

6 - المزمل : 20 .

7 - ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص192-194.

8 - النساء : 27.

-أهمية عنصر التتابع (على مستوى التركيب)هو المسرح الأصيل لقرينة التضام في السياق وأهميتـــه تكمــــن في تحققه على مستوى السياق في إطار وظيفة العناصر (الباب النحوي).

- و نلاحظ من جديد تعدد المعنى للمبنى الواحد، وكذا أهمية الاقتصاد اللّغوي من خـــلال" عمليـــة النيابـــة والحذف" وإغناء أحد العنصرين عن الآخر :وهذا المبدأ هو ما ركزت عليه المدرسة الوظيفية-

-وإذا ما عدنا لعنصر " الاستعمال" ، إذ الاكتفاء بوضع نسق قواعد يصور اطرادات صورية في العينات اللّغوية وتنسب إليه الواقعية في غياب نتائج التجارب المراقبة المجراة على إنجاز العمليات الكلامية ، وأن مثـــل هـــذا الإجراء والتوجه يمكن من تصور العلاقة بين المكونات النظرية والطريقة الـــتي تعمـــل بهـــا دعـــي بالقبوليـــة *Modularity* [1].

[1]- ينظر، في اللسانيات العربية : دود عبد احمد المتوكل ، مازن الوعر وآخرون ، جمعية الفلسفة بالمغرب ط1988،ص 14-15

المبحــــــث السادس : الإعراب في التركيب القرآني :

إن المفهوم الاصطلاحي للإعراب لم ينج من اختلاف أنظار الباحثين والدراسات ، فكان له من التفسير أو التعريف الكثير : فقيل : هو تهيؤ الكلمة لتغيير آخرها ، باختلاف العوامل عليها وقيل هو أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة، وقيل تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرا ، إلى غير ذلك مما قيل ، ودارت كل الآراء حول هذه الزوايا الثلاث[1].وبالتالي فإن العلامة الإعرابية " أوفر القرائن حظا من اهتمام النحاة ، فجعلوا الإعراب نظرية كاملة سموها نظرية " العامل" وتكلموا فيها عن الحركات ودلالتها ، والحروف و نيابتها عن الحركات ...ويقول "تمام ":« إن سبب الاهتمام بالإعراب : كونه حدث في وقت لم تكن العلامة الإعرابية أكثر من نوع واحد من أنواع القرائن؛ بل هي قرينة يصتعصي التمييز بــين الأبـــواب بواسطتها حين يكون الإعراب تقديريا أو محليا»[2].

ومن هذه الفجوة راح " تمام" ينتقد النحاة ويبرز دور تظافر القرائن في إيضاح المعنى ، و لم يكن الإعـــراب إلا قرينة متظافرة مع القرائن الأخرى " كالتضام ، الرتبة ، البنية ...)هنا في كتاب البيان يعرض "تمام" رأيـــين مختلفين – إن صح التعبير – ويعود الاختلاف إلى " منهج " التحليل الإعرابي وأدلته، ففريق يركز على المـــبنى وآخر يجعل المعنى نصب عينيه ، وهناك من لم يربطه بهذا أو ذاك؛ بل مجرد بهرجة وزخرفة و"لتمام" موقف من هذه القضية ورد على الفريقين معا:

فبالنسبة لمن قال بأن الإعراب سوى طلب للخفة وهروبا من ثقل الإسكان ، وإذ يرد عليهم بما يلي : أن ليس كل علامات الإعراب حركات ، لأن هناك إعرابا بالحروف " (كالرفع بالا لـــف والنـــون ، والنصـــب

[1] - ينظر،فخر الدين قباوة : التحليل النحوي أصوله وأدلته، الشركة العالمية المصرية لون جمان، ط2002،ص163.

[2] - ينظر، تمام حسان: اللّغة العربية معناها ومبناها ، ص205.

بالياء...)و لم يعترض أحد عل هذا – نزول القرآن معربا-الاعتداد بالحركة في القافية كان وراء تقسيمها إلى مطلقة ومقيدة، أما الفئة الثانية : (التي اعترفت بصلة الإعراب بالمعنى)حيث إنهم جعلوها قرينة الإعراب (النحو كله)- حسب رأي " تمام" - ويضاف إليه أصوات معظم اللسانين العرب الوصفيين المحدثين (أنهم بنوا على الإعراب هيكلا نظريا "العمل النحوي" وصيروا هذا الهيكل غاية تقصد إليها دراسة النحو، وينهي إليها فهمه وعدّها المحدثون من أوجه المعيارية في النحو ، لأنها مرتبطة بالتعليم " قل" أو لا "تقل" أي "نحو القواعد".

وبالرغم من هذه الأهمية المعطاة للعلامة الإعرابية إلا أن بعض الكلم ما يقبل التغيير الإعرابي (المعرب)وهناك المبنى أو المركب والذي يأبى التغيير ، وهذه الطوائف لا تظهر العلامة الإعرابية في آخرها فتنسب حينئذ إلى تقدير الحركة ا المحل ، لذا لا تعد قرينة[*] .

فإن كان هناك مبني إلى جانب المعرب ، حتى إن ظهور العلامة الإعرابية لا تعد قرينة كافية لبيان معنى الجملة فما الهدف الذي يرمي " تمام حسان" الوصول إليه ؟.

وأشد حجة يدافع بها "تمام"عن موقفه ، كون "المحل الإعرابي"لا ينتمي إلى قرائن الإعراب ، إنما هو نوع من استعمال فكرة "المعاقبة في الموقع"-أي التبادل وهو صلاحية العنصرين أن يحل أحدهما محل الآخر – وتحل الجملة الحال محل" الحالة"المفردة[1] ، ليصل في النهاية إلى رأي متميز -إن صح التعبير- ، ألا وهو عدم كفاية ظهور الحركة على أواخر القرينة ، لأن تكون وحدها قرينة على المعنى –فما مدار الأمر ، والبديل يا ترى ؟.

البديل في رأيه هو ما قد ذكر سابقا فيما يخص نظرية تضافر القرائن بأنواعها: "رتب ، ربط،افتقار، اختصاص "، لكن هذه القرائن -بحسبها أن تدل على المعنى الإعرابي (التحليلي) ولا تتخطاه؛إنما الضرورة وكما يرى إلى معنى التركيب في عمومه-أي الانتقال : «من نحو الجملة إلى نحوالنص "-فلكي يكتمل المعنى لابد كذلك من المناسبة المعجمية (والتي تعتبر قوام التوارد،ونوع من التضام قسيم للتلازم والتنافي)وهذه المناسبة هي التي دفعت النحاة إلى القول: «بأنه إذا أمكن العطف أمنع المفعول معه»[*][2].

ويرفض "تمام حسان"الإقرار -إن صح التعبير-أو المغالاة بوجود المعلامة إ ذيقول: «الحقيقة أن لا عامل؟ذلك أن وضع اللّغة يجعلها منظمة من الأجهزة وكل جهاز منها متكامل مع الأجهزة الأخرى ويتكون من عدد من الطرق التركيبية المرتبطة بالمعاني اللّغوية ، فكل طريقة تركيبية منها تتجه إلى بيان معنى من المعاني

---

[*] - لان من شأن القرينة أن تقود الفهم لا أن يخترعها وبالتالي فالقول بالمحل الإعرابي لا ينتمي إلى قرينة الإعراب إنما هو نوع من استعمال فكرة المعاقبة

[1] -ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص197-200.

[*] -مثال " أحب تلاوة القران وأذان الفجر فيصلح فيها العطف ،فارتفع تنافي المعية،إما قولنا " سار محمد بيمنى الطريق": ارتفع العطف ، وحل المفعول معه. تمام حسان: البيان في روائع القرآن ،ص 201.

[2] -المرجع نفسه ، ص200-2001.

الوظيفية »[1]- فكيف أن نقول عن لساني! قال هذا الكلام بأن منهجه وصفي بحت ؛ بـــل" تمـــام "يعتنـــق الوظيفية لا محال ،لأن نقطة تركيزه دائما(العلاقة التركيبية وعلاقة المعنى بالمبنى ...-

وفي رأيه أن التمسك " بالعامل"حال دون نظرهم إلى القيم الأسلوبية للجملة وهذا ما قال به " عبد اللطيــف حماسة": ومن آثار فكرة العامل في النحو العربي أنه شغل النحاة عن دراسة الجملة العربية دراسة أسلوبية(...) فإذا استعرضنا كتاب" سيبويه "نجده يضيف معالجة الفاعل والمفعول مثالا، من حيث دلالتهما على الوظـــائف الخاص في الجملة ؛بل من حيث ارتباطهما بعاملها[2]...

"ويورد"تمام"مثالا لذلك خاصة فيما يخص فهمهم للمصادر المنصوبة على "الإنشاء" التي عـــدوها النحـــاة منصوبة بواجب الحذف كما في قوله تعالى : « إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ » [5]. فقالوا إن نصب "سلاما " بالفعل المحذوف " سلموا" ، وبهذا التقدير يتحول المعـــنى مـــن الإنشاء إلى الخبر ، ولو كان خبرا لارتفع المصدر الأول مثل الثاني –باعتبار العامل –وبالتـــالي يكـــون الأول منصوبا على الإسناد ، والثاني مرفوعا على الإخبار.

-وهذه العملية- أي نصب المصدر على الإنشاء تجنب تحريف مقاصد الأساليب[3] –وهنـــاك مـــن يـــرى أن الاختلاف في صيغة التحية له دلالته ، ذلك أن التحية بالنصب " سلاما" هي جملة فعلية دالة علـــى الحـــدوث والتجدد (سلم ، سلاما) أما هو فقد حياهم بالرفع (سلام) جملة إسمية دالة على الثبات، والاسم أقوى مـــن الفعل ، فيكون بذلك قد حياهم بخير من تحيتهم[4] .

ومن أمثلة هذا التفسير قوله تعالى : « فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ »[3] المصـــدر "ضَرْبُ" في قوة فعل الأمر ، "فاضربوا الرقاب " ولا يحتاج إلى تقدير فعل الأمر ،والفقهاء كذلك يقوم المصدر عندهم مقام فعل الأمر رغم هذا إلا أن" تمام" لا يزعم إلغاء التأويل والتفسير مطلقا –" أي المغالاة في وصـــف الظاهر " ولكن يعترف بما هو قابل للتعليل والتدليل عليه بالقرائن، وأن إدراكه يعد مظهرا من مظاهر السياق – كما في قوله تعالى : « قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا »[4].

ويقوم اختلاف الضمائر بين (تأمرك أن نترك /أنت) و(تأمرك أن نترك /نحن) ونترك دليـــل علـــى المحذوف لأن أصل الأمر يتطلب أحد الاحتمالين –كما هو مبين في الأقواس –إما أن يتجه الأمر إلى شـــعيب ويكون التنفيذ منهم وذلك يحتاج إلى أن يقوم شعيب بعمل ما يؤدي إلى تنفيذهم للأمر وليس بوسع شعيب إلا

---

[1] - تمام حسان : اللّغة بين المعيارية والوصفية ،ص 57

[2] -بالتصرف ، عبد اللطيف حماسة: العلامة الإعلامية في الجملة بين القدامى والمحدثين ،ص181-.182

[5]- الذاريات :25.

[3] - تمام حسان : اللّغة بين المعايرية والوصفية ،ص 101-102.

[4] - فاضل صالح السمرائي : التعبير القرآني ،ص84.

[3]- محمد :4.

[4]–هود :87 .

الدعوة ومن هنا يمكن تقدير الآية على هذا النحو :" يا شعيب أصلاتك تأمرك (أن تدعونا) إلى أن نترك ما يعبد آباؤنا) .

وهناك أنواع من الحذف ، تقوم قرينة في السياق على توضيح الطرف المحذوف نحو قوله تعالى : « **لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا** »[5] أي لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل (من بعد الفتح وقاتل) أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد(ه)الله الحسنى —فوجود الهاء ضمير عائد ، وقرينة تدلنا على أداة التسوية المحذوفة (لأنها تقتضي أمرين يستويان أو يعين أحدهما ولظاهرة الحذف أغراض وميزات عدة منها [6]:

-**الافتقار** : نحو قوله تعالى : « **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ** »[1] أي إذا قيل لهم " ذلك أعرضوا" والقرينة (أن إذا تفتقر إلى جواب ولا جواب لها في الآية).

2-**الرتبة** : إذا وجد دليل على الجواب متقدما، و لم يذكر الجواب (متأخرا) ، فالجواب فيها محذوف فسره ما تقدم —يمكن التمثيل له بالشاهد أعلاه-

3-**الاختصاص** : إذا دخل اللفظ على غير ما يختص بالدخول عليه قيل بالحذف —كما في قوله تعالى :

« **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ** »[2].

4-**التقدير** : هو أوسع من تقدير العلامة الإعرابية ، أو تقدير المحذوف : وهو أنواع (تقدير بالزيادة ،تقدير بإضمار، تقدير مفسر) نحو قوله تعالى : « **إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ** »[3] السماء: فاعل يفسره الفعل الذي بعده

كما أن الإعراب يخضع لمطالب ظواهر موقعية كالتقاء الساكنين نحو قوله تعالى : « **لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ** » [4]إذ "لم يَكُنِ" جاءت مجرورة لفظا مجزومة محلا لمنع التقاء الساكنين، وأشهر ما يخضع له الإعراب من الظواهر الموقعية ظاهرة الوقف على السكون ، ويزاد على هذا قرينة الرتبة وأهميتها في الإعراب ،وهناك قرائن أخرى يمكن أن تقوم بما قامت به الرتبة في تراكيب أخرى ومنها:

أ-**عدم انتقال الفعل** أو علاقة المعاني المفردةبألفاظ الجملة نحو : " ضرب عيسى موسى "

5—الحديد :10 .

6 - ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص 202——204.

1.— يس :45 -46.

2.—هود: 111.

3- الانشقاق 1.

4 – النساء : 137.

5—النجم :22.

ب-مطابقة الفعل لفاعله : نحو ضربت هذا "هذه" فالفاعل هنا هذه بقرينة التاء المتصلة بالفعل

ج-القرينة الخارجية : (أي ما يسمى بالحالية لأنها دلالة خارج الكلام) .

د-الإتباع: بالنعت والعطف والبدل أو البيان مع وضوح الإعراب للتابع دون المتبوع نحو قوله تعالى: « **تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى** » [5] فبالرغم من عدم وجود العلامة الإعرابية على كلمة " ضيزى " لكن قرينة ما قبلها (المتبوع الرفع) فلزم أن يكون المتبوع كدلك مرفوعا .

5-قرينة السياق : وهي تصرف المعنى عن المفعولية إلى التبعية بالنسبة للموص في قوله تعالى : « **لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا** ».[6]لقد فصل هنا الفعل المنفي " ينسى " بين لفظ " ربي" (المنعوت) ، ونعته (الذي)وجعل هذا الموصول من حيث التركيب كأنه مفعول " ينسى" ولكن قرينة السياق حالت دون ذلك ، ولو صح أن يكون الموصول مفعولا به ، لأصبح المعنى (لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى دا ته) [1].

إذن فالعلامة الإعرابية تتمثل في التفريق الشكلي بين أبواب النحو ، من أية حركة إعرابية ، والمقصود من أية حركة هو الربط بينها وبين معنى وظيفي خاص ،فالعلامات الإعرابية قيم خلافية تميز بين أبواب النحو ، ولا يمكن لها أن تستقل بوظيفة النوع النحوي الواحد لأنها شركة بين معاني نحوية " [2] وعلى هذا كله فإن "تمام" قدم البديل :" تظافر القرائن اللفظية والمعنوية" -كما رأينا سابقا-

وعمله هذا من قبيل المزج بين المبنى " العلامة الإعرابية " والمعنى "العلاقات السياقية" ، ووظيفة الباب النحوي، فاتجة إلى التركيب مستخلصا العلاقات فيما بين العناصر النحوية ،و على هذا فإن نحو " تمام " نحو وظيفي " .وإن صح كل ما قيل سابقا فإن الإعراب هو التعبير عن الوظائف التركيبية والمعاني النحوية،والعلاقات الإعرابية لعناصر العبارة بالنسق والنمط والصوت ،أو هو الأصول التي تعرف بها :" أحوال تركيب كلام العرب "؛ إذ لا ينحصر في انفعال أواخر المفردات، إنما يشمل جميع الأصول التي تضبط سلوك المفردات والجمل وأشباهها ، حين تنتظم داخل التعبير ، والمقصود بكل هذا ،هو صياغة التركيب اللّغوي في الإعراب ؛ بحيث تحمل على كلمة أو جملة (عنصر تركيبي) ما يقتضيه في سياقه التعبيري من وظيفة أو معنى أو علاقة بما حوله ، فالمحل الإعرابي يعتمد على أدلة وقرائن حالية ومعنوية ولفظية وتركيبية ، تتميز العناصر الاسمية والفعلية والحرفية في النظم ، وتعيين وظائفها ومعانيها وعلاقاتها ، وقد تتضافر هذه القرائن أو بعضها للوصول بالعمليات الإعرابية إلى الدقة والصواب[3].

6-طه :52-53.

[1] - ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص208-209.

[2] - ينظر فاطمة الهاشمي بكوش : نشأة الدرس اللساني العربي الحديث ، ص 141-142.

[3] - فخر الدين قباوة: التحليل النحوي أصوله وأدلته، ص 164ـــ171.

فربما مفهوم " الوظيفية" كان المفهوم الأساس الذي انطلق منه اللسانيون العرب المحدثون في تفسير هـــذه الظاهرة ، وأنه المعيار المعتمد في تحليلها لكن "تمام حسان " على رأس الفئة التي تقول بوظيفيـــة الإعـــراب ، شريطة تظافرها مع القرائن الأخرى :" من سياق ، ورتبة ، وتقدير ، ومطابقة وإتباع ..." أي الاعتراف بمبدأ تظافر القرائن وموقفه هذا يمثل استمرارا ومدا للموقف القديم الذي ساد في المصنفات النحوية ، والذي يرى أن استعمالات مختلفة لا تخلو من اللبس ويأتي الإعراب مميزا لها منبها على ما ينويه المتكلم [1].

والدليل على قيل ما صرح به "تمام " :«من أن الإعراب وسيلة لتناول معاني وظيفة في اللّغة وأن النحـــويين العرب كانوا في منتهى الصواب حين قالوا أن الإعراب فرع المعنى وكانوا في منتهى الخطـــأ في تطبيـــق هـــذه القاعدة وهو يقصد بذلك أنهم صرفوا المعنى إلى المعنى المعجمي أو الدلالي» [2] و لم يصرفوه إلى المعنى الـــوظيفي ولا تكون الحاجة إلى المعاني المعجمية أو الدلالية إلا في حالة انفتاح النص على أكثر من احتمال ، حيث يضطر المعرِب إلى مراعاة ما سماه " تمام " بكبرى القرائن أي "السياق" فالمعنى الوظيفي في هذا الموقف يحـــدد الفهـــم صوتيا من حيث إن الحرف مقابل استبدالي –كما رأينا سابقا-وصرفي من حيث إن المبنى إطار شكلي يتحقق بالعلامة ، وأخيرا نحويا من حيث إن العلاقة السياقية تكشف عن ترابط المباني التي تحققت بالعلامات في سياق النص[3].

---

[1] - فاطمة الهاشمي بكوش : نشأة الدرس اللساني العربي الحديث ،ص 137ــــ140.

[2] - ينظر، تمام حسان :مناهج البحث في اللّغة ،ص 192-193.

[3] - فاطمة الهاشمي بكوش : نشأة الدرس اللساني العربي الحديث ، ص 140.

المبحـــــث السابع :قرينة السياق في التركيب القرآني :

تم التعرف على قرينة السياق، لكن لا بأس من التذكير بها لأهميتها في إيضاح المعنى ، بما أن اللّغة نشـــاط اجتماعي لها وظائفها تؤديها في إطار المجتمع الذي تستخدم فيه ، فالتركيب والأنماط اللّغوية التي تســـتخدم في التعبير عن هذه الوظائف مشتقة من متطلبات واحتياجات المجتمع(1).

لذا فإن الاختصار على دراسة الأشكال أو الصيغ اللّغوية بمفردها وبمعزل عن المعنى أو السياق تعد دراسة ناقصة وعلى هذا فإن الحقيقة الأولى في أية دراسة لغوية هي أن الحدث أو الفعل الكلامي ***Speek event*** يتكون مـــن شقين " الصيغة والمعنى " أي لفهم عميق لمعنى اللّغة ووظيفتها في الحياة البشرية ، وهو عبارة عن فهـــم للبنيـــة الشكلية للعبارات المختلفة ، وعلاقة هذه العبارات بالمواقف التي تستخدم فيها داخل مجتمع ما ، وهي ما يطلق

1 - ينظر، تمام حسان : اللّغة بين المعيارية والوصفية، ص15.

عليه " فيرث" *Contesct of situation*[1]وذكر كذلك أن السياق نوعين : لغوي واجتمـــاعي ، كلاهمـــا في تكامل لما من علاقة بين السياق والتراكيب والمقام.

في الفصول السابقة من كتاب – البيان- تعرفنا على الأسباب التي من أجلها يتعدد النمط (كتعدد معنى الأداة الصدارة للجملة ، تعدد معنى الصيغة –تعدد العلامة النحوية –تعدد احتمالات المعنى الوظيفي للجملـــة وافتقارها إلى ما بعدها-تعدد احتمالات المعنى المعجمي وكذا احتمالات الدلالة اللفظية أو الفوقية).

والملاحظ أن هذه الأسباب التي يتعدد من أجلها معنى النمط التركيبي للجملة ، فيصبح النمط بحاجة إلى قرينة يتبين بها المعنى المراد ، ولما كان تعدد المعنى يكشف عن عدم كفاية القرائن النحوية الدالة على الأبواب المقررة لذا أصبح النمط التركيبي بحاجة إلى قرينة من خارج لجملة (القرائن الحالية : وهي دلالة الصيغ السائد أثنـــاء التكلم) وتعرف باسم قرينة السياق وهي " كبرى القرائن النحوية".فقد تعتمد على شيء من القرائن النحوية المفردة (السياق اللّغوي) وتتجاوزها إلى أمور دلالية من العقل أو المقام ، وقرينة السياق تقوم على أسس:

1-القرينة المبنوية : (أي المتعلقة بالمبنى اللفظي) نحو قولـــه تعـــالى : « **وَإِنْ يَكَـــادُ الَّـــذِينَ كَفَـــرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ** »[3] " فَإِنْ " مخففة من الثقيلة بدليل من القرائن المحيطة بالتركيب لأن معنى السياق هنا هو التأكيد –وليس شرط وإن يكادُ " مرفوعا" وليس مجزوما ، وعدم وجود الرابطـــة في جواب الشرط؛ بل وجدت اللام في خبر " إن" إذن عدم وجود ما يصلح للشرط.

2-القرينة النحوية : (من القرائن التي يعتمد عليها قرينة السياق) نحو قوله تعالى[4] : « **وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ** »[5] إذن يمكن أن يكون " الغفور " هـــو "الخـــبر "وإما " ذو الرحمة " إذ اعتبر الغفور صفة للمبتدأ (ربك) أو أنها جملة " لو يؤاخذهم "، وإذا اعتبر الغفور وذو الرحمة صفتين لمبتدأ – لكن قرينة السياق دلت على أن الخبر هو جملة "يؤاخذهم " من علاقة الإضراب" "بل " وجاءت القرينة السياقية من الإضراب عن تعجيل العذاب إلى موعد مقبل ، في قوله تعالى : « **بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا** »

3-اعتماد قرينة السياق على المعجم : ويظهر ذلك من ضرورة تقدير الحـــذف كمـــا في قولـــه تعـــالى : « **أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ** »[1] ، فالملاحظ هو ضرورة الحذف (هذا سحر) وتأتي ضرورة التقدير من أن القول يفتقر إلى مقول ، ولا تصلح عبارة (أسحر هذا) لأنها اســـتفهام وهذا الأخير يدل على التردد ، (وهم في كفرهم أبعد ما يكونون عن التردد) والمحذوف خبرا مثبتا ينسجم مع

---

[1] -ينظر، علي عزت : الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ،ص.11

[3]- القلم:51.

[4]-ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص211-212.

[5]- الكهف: 58.

[1]-يونس :77.

اتهامهم للحق (أنه سحر) وخلاصة القول أن المعنى المعجمي للفظ (القول) يقتضي مقولا مقدرا ، إن لم يكن مذكورا ، وأهمية هذه القرينة تظهر خاصة في إدراك المعنى عند الجناس أو التورية.

4-اعتماد قرينة السياق على اللّغة : أي ما بين عناصر الكلام من مناسبة أو مفارقة في المعنى ، نحو قوله تعالى : « **انْظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إذَا أثْمَرَ وَيَنْعِهِ** »[2] ففي الآية يذكر نبات كل شيء وثمر هذه النبات والضمير في ينعه هل يعود من حيث التركيب على الثمر أو النبات ؟ لكن العلاقة المعجمية بين الألفاظ تكشف المناسبة بين الثمر و الينع فيقال " ثمر يانع ولايقال " نبات يانع " وهكذا تحكم قرينة السياق بعودة الضمير على الثمر.

5-كما تقوم قرينة السياق على أساس من المنطق [*]: أي من علاقات المعاني بعضها ببعض قال تعالى : « **مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ** »[3] ويلاحظ توالي أربعة ألفاظ معطوفة ، ويلاحظ "الفارق العقلي " بين الفريقين والعطف هنا عطف صفات لا إفراد ، ويجعل المعنى :" مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع " ومن ثم فالواوين زائدتين قبل(الأصم والسميع) ، كما أن الطباق بين السلب (الأعمى الأصم) وبين الإيجاب (السميع البصير) فالسلب والإيجاب من الأمور العقلية وينتهي الأمر بإنشاء تقابل ثنائي لا رباعي، تقتضيه قرينة السياق.[4]

6-كما يكون التنغيم[*] ***Intonction***قرينة على المعنى السياقي ، ولكن كيف يكون التنغيم مسندا إلى قرينة السياق ؟ باعتباره جزءا من النظام النحوي ، فلقد عد من الظواهر السياقية ؛ ذلك أن كل نوع من أنواع الجمل يتفق مع هيكل تنغيمي خاص يقف منه في إطار النظام النحوي موقف الصيغة الصرفية من "المثال" ، وهو مرتبط بالجانب الافصاحي من اللّغة ، يغلب عليه الطابع التأثيري ***exclamrtory***كالتعجب والمدح والذم خوالف الإخالة وخوالف الأصوات ...وكلها تتحقق في صور صيحات انفعالية تأثيرية ، وهذا حل لمشكلات النظام ، عند تطبيقه وتعارضه مع مطالب السياق.

7- الظروف الحسية والنفسية المحيطة بالنفس :ومن ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى :«**وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ** »[1] سأل

2- الأنعام : 99.

*- كقول الشاعر : أَنَا ابْنُ أَبَاةِ الضَّيمِ مِنْ آلِ مَالِك * وَإِنْ مَالِكُ كَانَتْ كِرَمُ الْمَعَادِنِ

لو كان المعنى على النفي لوقع التنافر ولو جعل الشرط لاصطبح الفخر بالبنوة مقيدا باشتراط الكرم من قبيل تحصيل حاصل بواسطة القيد وهو معنى فاسد : فكل من التناقض والتحصيل الحاصل من العلاقات العقلية .تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص 216.

3- هود :24.

4 - ينظر ، تمام حسا ن : البيان في روائع القرآن ،ص 212ـــ217.

* - مصطلح يدل على ارتفاع الصوت وانخفاضه في الكلام ،و من قرائن التعليق اللفظية في السياق والإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق وهو صيغ تنغيمية تتصل بالمعاني النحوية التي للجملة ، لا للباب المفرد ، فالجمل العربية تقع في صيغ موازين تنغيمة كالنفي ، الاستفهام ينظر، كل من : حلمي خليل: مقدمة لدراسة اللّغة، ص82 .وتمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها ،ص 266.

1 - الأعراف : 48.

(أصحاب الأعراف رجالا عهدت لهم سمتا الغنى والكبرياء في الدنيا (من المدركات الحسية)

فالسؤال هنا يحتمل معنى السخرية ، نتيجة الهوان في الآخرة ، فكبرياؤهم لم ينجهم من العذاب فجملة: " ما أغنى عنكم جمعكم " نفي ، وقرينة ذلك " يعرفونهم بسماتهم" مضمون النفي معلوم سلفا لهؤلاء الرجال ، مواصلة السؤال في الآية الموالية وقوله تعالى : « أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ » [1]

أما الظروف النفسية كما في قوله تعالى : « وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ » [2]وقد حذف حرف الجر عمدا أو ليعم التركيب حالتي الرغبة فيهن وعنهن ، ومراعاة الحالة النفسية حالت دون ذكر حرف الجر.والمحيط الاجتماعي هو متكأ لقرينة السياق.

ومن مرتكزات قرينة السياق العادات والتقاليد كذلك نحو قوله تعالى : « مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ »[3].

ومن خلال ما سبق يستنتج اتساع قرينة السياق واعتمادها على أسس وركائز عدة تبدأ باللّغة،السياق اللّغوي -الدلالات بأنواعها -المقام .إذن فقرينة السياق كبرى القرائن ، والفرق ما بين قرينة السياق والقرائن اللفظية كالفرق ما بين الاعتداد بحرفية النص والإعتداد بروح النص.[4]

وخلاصة القول أن قرينة السياق والقرائن الحالية هي مناط أمن اللبس عندما تتعدد احتمالات المعنى، أو تصلح أن تكون بديلا عن القرائن اللفظية عند غيابها[5] .

---

1 - الأعراف : 49.

2 - النساء : 127.

3- المائدة / 103. بحيرة هي ناقة يشقون أذنها ثم يحرمون ركوبها ويرونها محترمة .

سائبة : هي ناقة أو بقرة أو شاة : إذا بلغت شيئا اصطلحوا عليه ، سيبوها فلا تركب ولا يحمل عليها ولا تؤكل ، وبعضهم ينذر بعض ماله يجعله سائبة

حام : أي جمل يحمي ظهره عن الركوب والحمل ، إذا وصل إلى حالة معروفة بينهم.عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، ص246 .

4 - ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص218ـــــ221.

5 - ينظر، تمام حسان :الخلاصة النحوية ، ص 23-24 .

المبحـــث الثـــــامن : الرخصة في التركيب القرآني :

أهم نقطة أشير إليها سابقا فيما يخص الرخصة أنها يعتذر عنها ولا يعتذر عن الأسلوب العدولي ، وأنهـــا تركيب الكلام على غير ما تقتضي به القاعدة اتكالا على أمن اللبس ، بالإضافة إلى هذا وذاك فـــإن المعـــنى النحوي –ويضيف "تمام" الوظيفي بين قوسين، على سبيل التحديد للعلاقات بين الكلم وليس المعنى السطحي الشكلي ؛ بل ذلك المعنى الذي يتضمن تلاحم المبنى والمعنى معا ودور تظافر القرائن في إيضاح المعنى ، ويكفي أن تكون إحداها موضحة للقصد دون بقية القرائن ، وهكذا تصبح القرينة غيرالمعتمد عليها محـــلا للتـــرخص بشرط وضوح المقصد ، ومن أصول النحاة " أن الرخصة مرهونة بمحلها فلا يقياس عليها" ومن شروطها :أن يؤمن معها اللبس ،وأن تكون من الفصيح في عصر الاستشهاد ، أما ترخصنا نحن في قرائن النحو يقع من قبيل الخطأ[1]، وذلك عملا بقول" ابن فارس ": « ...ليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قـــالوه أو أن

[1] - ينظر ،تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص223-224

نقيس قياسا لم يقيسوه؛ لأن في ذلك فساد اللّغة وبطلان حقائقها ، ونكته الباب أن اللّغة لا تأخذ قياسا نقيسه الآن نحن »[1] .

وهذا القول و الحكم الذي تبناه " تمام حسان" يعتبر سقوطا في شباك المعيارية لا الوصفية باعتبار القاعدة عنده جهة اشتراك بين حالات استعمال مختلفة ، وإذ حكم الاستعمال دون القاعدة فهذا الأمر يجوز ،ولكن هذا الموقف الصادر منه يزيدنا إصرارا على أصالة البحث لدى" تمام حسان" وتشبعه بالموروث النحوي، إلا ما كان تفصيلا أو تفسيرا أو قراءة أخرى بمنهج جديد-

لكن الترخص –حاليا-يجوز للضرورة الشعرية والتي ينظر إليها بمنظار الحسن والقبح ، لا الصحة والخطأ وبالرغم من أن القرآن الكريم ليس بنص شعري ، لكن الترخص شائع فيه ، لا بسبب الضرورة ؟ إنما لأسباب جمالية (كرعاية الفاصلة ، والمناسبة الصوتية) وسيوضح فيما يأتي كيفية الترخص في القرائن النحوية :

1- **الترخص في قرينة البنية** : ويتم الترخص فيها بـ (تغيير هيكلها أو حذف حرف أو زيادة) ومن ذلك قوله تعالى : « **مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ** » [2] إذ الأصل يختصمون أدغمت التاء في الصاد " يخصمون " أي تغير الهيكل، و مثله قوله تعالى : « **وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا** » [3]

- أما الترخص بالزيادة أو الحذف:-فقد رأينا سابقا الكثير من أنواع وأشكال الحذف والزيادة.

2-**الترخص في قرينة الرتبة** : والتركيب القرآني يتسم بحرية اللّغة لا بقيود النحو فيتحدى قواعد النحاة عند أمن اللبس ، وذلك لأغراض بيانية ، ويتضح أن اللّغة أوسع من النحو لكونها تحوي المطرد ، إلى جانب الشاذ والقليل والنادر ، والرخصة والعدول –والشاذ لا ينافي الفصاحة عند النحاة أنفسهم-

أ-**الترخص في لرتبة المحفوظة** : ومنها التشويش كما في قوله تعالى : « **وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ** » [4] أي كلما مروا عليه وهو يصنع الفلك سخروا منه .

ومن أنواعها كذلك تأخر رتبة الأداة : كما في قوله تعالى : « **وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ** » [5] (أي ولا الذين امنوا وعملوا الصالحات والمسيء).

ب-**الرتبة غير المحفوظة** : فالتقديم والتأخير فيها محكوم بمقياس الأسلوب لا بمقياس النحو .-وهي رتبة في نظام اللّغة لا في استعمالها –ومن شواهد الترخص في هذه القرينة قوله تعالى : « **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ** » [6] والأصل في التركيب يؤتي من يشاء الحكمة...

---

[1] - ابن فارس : الصحابي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ،حققه وضبطه وقدم له فاروق الطباع ،مكتبة المعارف بيروت ، ط1 1993 ،ص67.

[2] - يس : 49.

[3] - نوح : 22.

[4] - هود :28.

[5] - غافر : 58.

[6] - البقرة : 269.

3-**الترخص في قرينة الربط** : فالربط إما أن يكون بالإحالة* أو بالمطابقة ...وقد وضح فيما سبق ما يتعلق بالربط وألحق ذلك بخطاطة توضح أنواعه كلها –ويكاد الترخص في الإحالة يكون مقصورا على الربط بالضمير لأنه أكثر وسائل الإحالة دورانا (ويكون الترخص بحذف الضمير ، أو في مرجع مذكور ، أو الترخص في أقرب ما يصلح أن يكون مرجعا له ويعودالضمير على بعيد).

أ-**حذف الضمير**: كما في قوله تعالى : « **ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** » (1) (أي يبشر به)

ب-**الترخص في مرجع مذكور**: كما في قوله تعالى : « **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ** » (2) الضمير يعود على الأرض ولفظ "دابة "قرينة لأن الأرض مرتبطة بالدابة.

ج-**الترخص في أقرب ما يصلح أن يكون مرجعا له**(3) : نحو قوله تعالى : « **لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** » (4) الضمير في تسبحوه يعود على مرجع بعيد" الله".

د-**الترخص في المطابقة**: وهو أوسع من الترخص في الإحالة ؟ إذ تتعدد مسالكه بتعدد محاور المطابقة، وإذا كانت الرخصة في الشخص (المتكلم المخاطب الغيبة) فإن هذا ما يعرف بالالتفات –وسيكون موضوع كلام في قسم لاحق من الدراسة الأسلوبية – و من أوجه الترخص في هذه القرينة قوله تعالى: « **وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ** » (5) فالمطابقة بين الفعل المضارع " تجهلون " وضمير المخاطب في " أراكم " ونحويا يصح أن يقال : " لكن أراكم قوما يجهلون" .بمطابقة الفعل للقوم .

هـ-**الترخص في العدد** : نحو تحوله تعلى : « **قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** » (6) فالرخصة هنا في العدد والنوع ويتضح ذلك عند وضع " قالتا " " بإزاء " طائعين " (الجمع) ، والتذكير إيزاء التأنيث.

و - **الرخصة في مطابقة التعريف والتنكير** : كما في قوله تعالى : « **وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ** » (7) ، المطابقة هنا بين الهمزة والذي ، جاء الترخص في مطابقة التعريف بينهما ، إذ أن " هُمَزَةٍ " نكرة ، ولما كانت همزة وصفت بنكرة مثلها " لمزة" فإن ذلك يقربها من المعرفة ويغلب على هذه المعرفة أن تكون موصولا (كما رأينا سابقا) .

* -والمقصود بالإحالة أن يشتمل اللاحق على ما يشير إلى السابق ، وذلك بإعادة ذكر أو بإعادة معناه ،أو الإضمار له بالإشارة إليه أو صفه بموصول أو صفة أو إلحاقه باللف واللام نيابة عن ذلك.تمام حسان : البيان في روائع القران، ص 229.

1 - الشورى : 23.

2 - النحل : 61.

3 - ينظر ، تمام حسان : البيان في رائع القرآن ، ص 225ـــــــ229

4 - الفتح : 09.

5 - هود : 29.

6 - فصلت : 11.

7 - الهمزة : 1ـــ3.

ن-**الترخص في الربط بالأداة :**

-الترخص في النواسخ : وذلك بحذفها ، مع وجود قرينة تدلنا على الحذف ، كما في قوله تعالى : «**حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا** »[1]أي إما أن يكون العذاب إما أن تكون الساعة ، كل من الساعة والعذاب خبر"كان" منصوب ، هي واسمها مقترنان (والقرينة الخبريين المنصوبين).

إلى غير ذلك من حالات الترخص (كحذف أداة الاستفهام وتعويضها بنغمة أو قرينة) أخرى،الترخص في الأدوات الداخلة على الأجوبة : كحذف اللام رابطة الجواب وحذف " واو" ما قبل الحال.

وهناك شواهد كثيرة على الحذف يكاد أن تتجاوز الوصف بالترخص إلى مرتبة الاختبار الأسلوبي تحكيم الشيوع والاستعمال ، وهذا المبدأ ما عمل به النحاة والبلاغيون العرب القدماء كذلك ، ومن شواهد نزع الخافض من قبيل الترخص قوله تعالى : « **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا** »[2] أي من قومه ،وهناك نوع آخر من الترخص (في نزع الخافض) من قبيل الأسلوب العدولي بسبب اطراده[3] نحو قوله تعالى : « **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا** »[4] فالفعل المضارع " يرسل يرسل " منصوبا ، إما يدل على " أن" مقدرة متروعة الخافض فيجري المصدر الصريح " بوحي " مجرى المصدر المؤول " أن يرسل" فنزع الخافض الداخل على "أنَّ" و"أن" من قبيل الأسلوب العدولي كما يكون الترخص في حرف العطف بالحذف .

ومهم أن نشير بأن "تمام" يفرق بين الهدف الذي (ينشأ عنه الفصل البلاغي وهو أسلوب عدولي ينم عن موقف انفعال) وبين الحذف الذي لا يستقيم المعنى منه إلا إذا قدر المحذوف (من قبل الترخص) ،وفي هذه النقطة يتحدد أكثر الفرق الدقيق ما بين الرخصة والأسلوب العدولي،"فتمام" نجده يعطي نماذج من شواهد قرآنيه هي من قبيل " الأسلوب العدولي " لا " الترخص"،(لأنها مألوفه مطردة). وذلك نحو قوله تعالى :

« **فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا** » [5]، أي فقالت (حذف الفاء مألوف وليس ترخصا) بالإضافة إلى هذا فإن هناك فرق بين الاطراد وارتهان الرخصة بمحلها وعدم جواز القياس عليها –ويلاحظ عودة "تمام"للحديث عن القياس من جديد –

4- **الترخص في قرينة التضام :** وتعرفنا على هذه القرينة وما يتعلق بها ، وهو كمصطلح يعد قديما،ولكن معناه كما يقول "تمام " " من وضعنا " [1].

---

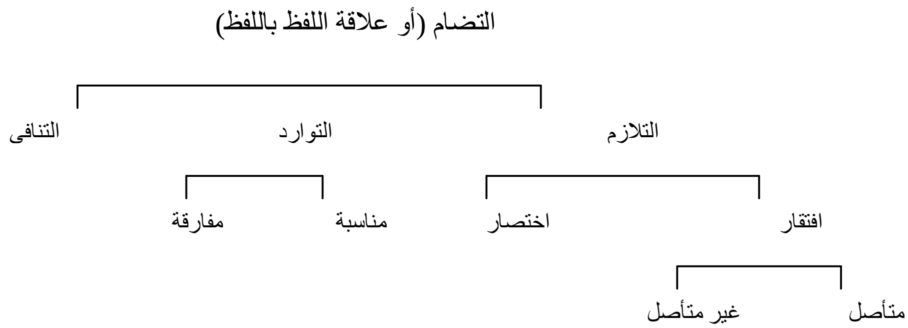
[1] -مريم : 75.

[2] - الأعراف : 155.

[3] - ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص 229ــــ237.

[4] - الشورى : 51.

[5] - مريم :23.



التضام وعلاقاته (2)

أ- **الترخص بالافتقار** : ويكون بالحذف سواء بالافتقار المتصل وغيره ، ويكون في الاختصاص بإدخال اللفظ على غير ما اختص به ، وفي المناسبة بالمفارقة وفي التنافي بالزيادة ، والجمع بين المتنافيين ، وينبغي التمييز هنا بين حذف (الرخصة) ، والحذف (الأسلوب العدولي) لأن التصرف في الأساليب اللّغوية كيرا ما يجعل الحذف وسيلة أسلوبية فنية ، مما يجعل حذف (المضاف أو المضاف إليه ، حذف الصفة والموصوف حذف المفعول به ، مع ضرورة وجود قرينة تدلنا كعلاقة التعدية) –لأن الترخص إسقاط لإحدى القرائن مـــع تكفـــل القـــرائن الأخرى بتوضيح المعنى –كذكر الأداة المفتقرة إلى الجملة دون ذكر الجملة إتكالا على ما سبق ، ورأينا هذا في قوله تعالى: « **أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ** » (3)حذفت جملة "هذا سحر" وهذا من قبيل الأسلوب العدولي الذي يهش له الاستعمال ، ويخف إلى تأويله النحو ، وتقوم على أمن البس فيه القرائن ،ولا تعد من الرخص لكثرة شيوعها واستعمالها ، فيمكن القياس عليها-وهذا الموقف يدفع إلىإعادة التركيز علىالفرق ما بين لنظام الافتراضي الذي يجبر على الاعتذار ، وما بين النشاط اللّغوي ، والذي يحكمه الاستعمال ،كالفاصل البلاغي الذي يستوجب مراعاة المقام ولحالة النفسية ، وهو مرتبط بالتداول والاستعمال ، وبالتالي فلا مفر من وظيفة اللّغة ومسايرتها المواقف والسياقات المختلفة .

- **الترخص في التضام** :بإسقاط هذه القرينة"التضام"تحديا للقاعدة النحوية ولا يحتاج النحو إلى تأويل الرخصة مع وضوح المعنى لوجود القرائن البديلة ومن حالات الترخص:

---

1 - ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن، ص237ـــــ244.

2 - المرجع نفسه، ص244.

3 - يونس : 77.

أ- الترخص في الافتقار : وقد رأيناه في الآية السابقة من قوله تعالى : « وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ » [1]فيلاحظ افتقار لماإلى فعل مضارع ، وحاجتها إليه تنفيذ إانتفاء الفعل في الماضي ، لكن المنفي مع " لما " نفي مقيد يتوقع الحدوث في الحاضر (الفعل يتوقع حدوثه في أي لحظة) فـ"لما" تفتقر إلى المضارع لتدل معه على عدم الوقوع في الماضي (حذف الفعل) ،والتقدير مع الحذف (لما يوفوا أعمالهم)قرينة جملة القسم ...[*]

ب- الترخص في الاختصاص : كحذف متعلق الظرف " إذا" واستعمالها أداة للاستفتاح والتأكيد نحو قوله تعالى : « إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » [2] أي لقد .

ج- الترخص في المناسبة : ويكون بالمفارقة وهي نوعان :

- نوع منها يستعصي على التبرير ، عندما لا يكون للكلمة مع أختها معنى .-نوع منها يأذن للتبرير (المجاز) نحو قوله تعالى : « أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى » [3]فالعلاقة الفنية الفردية التي أنشأها المتكلم علاقة مشابهة (الأسلوب العدولي) لأنه يقاس عليه ، وصار من المطرد في اللّغة على الرغم من المفارقة المعجمية.

د- الترخص في التنافي : ومن ذلك "الـ" الموصولة تكون صلتها صريحة ؛ أي الصفة بمعناها الصرفي " المشتقة " لا بمعناها اللّغوي العام ، وفي الشعر العربي شواهد قليلة على إدخال "الـ" هذه على المضارع (يتنافى معها بحسب الأصل) مثل اليجد صود الحمار ، و لم يرد في القرآن الكريم مثل هذا النوع من الترخص .

5- الترخص في الإعراب : ومن شروط ذلك أن لا يتوقف عليها المعنى مع أمن (كالمبنيات ، والمقصور والممدود ...) ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : « أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ» [4]يجر لفظ الرسول –عليه الصلاة والسلام –وقد خرجها بعضهم على القسم أي وحق رسوله ، وهو معنى لا يدعو إليه المقام ، وقد أمن اللبس هنا بالمفارقة بالسياق البراءة وبين الرسول ، مع عدم جواز صحة عطف الرسول على المشركين)ومن ثم فالرسول معطوف على لفظ الجلالة .[5]

ومن كل ما سبق يلاحظ أن في الكتابات اللسانية الوصفية العربية دعوة صريحة لاعتماد البنيانية الوظيفية،باعتبارها عنصر تجديد في الدراسات اللّغوية العربية –كما نلاحظ جمع "تمام" بين التحليلي التوريعي ، والذي يهتم بالجانب الشكلي لمستويات التحليل اللّغوي –ورأينا هذا في كذا موضع مما سبق –وبين تصور

---

[1] - هود : 111.

[*] -كما تفتقر أداة الشرط إلى شرط وجواب نحو قوله تعالى :" ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ان الذين جاؤو بالافك عصبة منكم " إذ حذف جواب الشرط وذكر في الآية بعده " لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " النور 10-11-14

[2] - البقرة : 30.

[3] - البقرة : 16.

[4] - التوبة : 03.

[5] -ينظر ،تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص245ـــــ251.

"فيرث" *firth* الوظيفي القائم على اعتبار اللّغة نشاطا لسانيا مرتبطا بالثقافة ، التي تندرج فيها هذه اللّغة (إذ أن "فيرث" وأتباعه ، يرفضون النظرة البنوية القائمة على تجزئة اللّغة إلى مستويات ، اذ أن هنالك تداخلا بينهما ، ولا اعتبار للمستوى الواحد ، دون اعتبار للمستوى الذي يعلوه.

- -تجاوز " تمام حسان " أصول اللسانيات الأمريكية ، القائمة على رفض الحديث عن الوظيفية ، إذ جمع بين ما هو صوري (أو وصفي بنوي) وما هو وظيفي[1] .

-بحثه الدائم عن الحلقة التي عدها كثير من الباحثين مفقودة ، وهي ربط التراث النحـــوي واللّغـــوي العـــربي بالنظريات الحديثة ، والدليل ما رأيناه سابقا ، في فصل التضام ، إذ بين الجوانب البنوية والتوليدية الموجودة في النحو العربي .

تعرض "تمام" لبعض القضايا بالنقد أحيانا وبالنقض ، لكن مدار هذه القضـــايا كلـــها " منـــهج البحـــث لا النصوص"[2] وهذا ما رأيناه سابقا في اعتراضه على تقسيم الكلم ، وتقسيم الجمل لدى النحاة القدماء .

-كما أن هذا الأساس التوزيعي في التقسيم السباعي والذي يقترحه "تمام" واضح في الدراســـات التوزيعيـــة الأمريكية ـــ[3].

إن إدراك" تمام لحقيقة المعنى ـــ وتشقيقاته (الوظيفي ،المعجمي ، السياقي) وهذا المفهوم هو المجسد والمحـــدد لنظرية النظم —ووفق هذا التشقيق في المعنى —مع الإشارة إلى العلاقات المختلفة بين المعنى الوظيفي ، والمعـــنى المقامي ، وذلك في قول "الجرجاني" : « وإذا عرفت أن مدار النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه (...) ثم اعلم أن ليست المزية بواجبه لها في أنفسنا ، ومن حيث هي على الإطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها لكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض[4]مباشرة.

---

[1] - ينظر، مصطفى غلفان : اللسانيات العربية الحديثة ،ص 181ـــــ183.

[2] - ينظر ، عبد الرحمان حسن العارف : تمام حسان رائدا لغويا .ص 328ـــــ331.

[3] - ينظر ،حلمي خليل : العربية وعلم اللّغة البنيوي ، ص 224-225.

[4] - الجرجاني : دلائل الإعجاز ،ص 60.

مفهـــــوم البيـــان :

دفعتني الرغبة للتعرف على تطور مدلول لفظ "البيان" ،وتتبعه في دلالاته العامة عند اللّغويين والبلاغيين و الأصوليين ،إلى إدراج هذا العنصر وما ذلك إلا محاولة استقراء مفهوم البيان كما هو عند العرب القـــدماء (اللّغويين والبلاغيين) وعند"تمام حسان"،ولما اختاره عنوانا لكتابة ،دون فروع البلاغة الأخرى :من بديع وبيان ومعاني.علما أن بحثه –كما رأينا في الفصل الثاني -كان مركزا على" المعاني "لا" البيان" .

أ- مفهوم البيان عند اللّغويين(*):

إن علم البيان ربيب اللّغة،نشأ في حجرها وتغذى بأفكارها ،وامتدت جذوره في تربتها ،فمكانه من فقه اللّغة كما كان علم المعاني من النحو ،لأن اختصاص جمل من فقه اللّغة ،وعلم البيان باللفظ المفرد ،ينظر إليــه فقه اللّغة من حيث علاقاته اللفظ والمعنى والاستعمال ،وينظر إليه علم البيان من حيث علاقاته بمعنـــاه فقـــط والدليل على متانة الرابطة بين العلمين ،أن "أبا عبيدة" حين جعل عنوان كتابه "مجاز القرآن"على هذه الصورة كان يرى عمله جزءا من الجهد الذي يقوم به اللّغويين ،علما أن علم البلاغة لم يكن قد ظهـــر في عصـــره[1] أما"ابن فارس"في باب القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها، يرى أن الله –جل ثناؤه-ذكر البيـــان على جميع ما توحد بخلقه وتفرد بإنشائه من شمس،وقمر، ونجم،وشجر،وغير ذلك من الخلائق المحكمة والنشا يا المتقنة ويقول" ابن فارس": « بأن البيان قد يقع بغير اللسان العربي(....)الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على آثر مراده ثم لا يسمى متكلما ،فضلا عن أن يسمى بينا أو بليغا ،وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانـــة اللّغة العربية فهذا غلط (.....)وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب »[2]فبالنسبة لصـــفات الســـيف المختلفة واستخلاص الأسماء منها لدلالته على النظر إلى علاقة اللفظ بالمعنى والاستعمال ،ويمكن المقاربة بين هذا الرأي، وما ذكره "تمام حسان" عن الاستعمال (الجانب الوظيفي للغة) وعلاقة اللفظ بالمعنى :

ب-البيان عند البلاغيين:

أول ما يصادفنا في هذا المقام ،تعريف "الجاحظ" للبيان :بأنه «اسم جامع لكل شيء كشف لك قنـــاع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير ،حتى يفضي السامع إلى حقيقته ،ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلـــك البيان ،ومن أي جنس كان الدليل،لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ،إنمـــا هـــو الفهـــم والإفهام ،فبأي شيء بلغت الإفهام ،وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع ،وجميـــع أضـــاف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء (...)أولهم اللفظ ،ثم الإشارة ،ثم العقد ،ثم الخط،ثم الحال

* - البيان : الفصاحة واللسن ، وكلام بين فصيح ، و البيان ، الإفصاح مع ذكاء ، والبين من الرجال : الفصيح ، السمح اللسان ، الفصيح الظريف العالي الكلام ، وفلان أبين من فلان أي أفصح منه ، و الجمع أبنياء ، صحت الياء لسكون ما قبلها .ابن منظور : لسان العرب المحيط ج13 ، مادة (ب.ي.ن) .

[1] -تمام حسان :الأصول دراسته ابستمولوجية، ص325

[2]- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللّغة ،وسنن العرب في كلامها، ص43 -44.

التي تسمى نصبة»[1] تلك هي أنواع أو صنوف البيان عدا"الجاحظ" ،وهو في إحصائها يوافق رأيه في معنى البيان ،وغاياته التي هي الكشف عما في النفس،لتحصيل الفهم والإفهام وأن المعنى اللّغوي للبيان ،هو الـــذي كـــان يخايل"الجاحظ"وهو يتوسع في معنى البيان (بإدراجه الإشارة والنصبة) على أن هذا التعميم في معنى البيـــان لا ينفي أن الدراسة البيانية أفادت بما عرضة من فنونها في ثنايا دراستها المستفيضة للأدب والأدباء وأثارت دراسته للبيان جماعة من العلماء المعجبين منهم ،والناقدين له.[2]

فما مدلول كلمة البيان التي أطلقها "تمام حسان" على كتابه ؟ هل ذهب مذهب "الجاحظ" فيه، أم أتـــى بمفهوم مغاير؟ قبل هذا لابد من التعرف أكثر على مفهوم البيان عند "الجاحظ"إذ لا يجري هذا المصطلح عنده على معنى واحد،فمفهوم البيان عنده [*] يتدرج من العلامة مطلقا، إلى العلامة اللّغوية بمستوييها العادي والأدبي وأن هذا المعنى يهتم بالغايات لا بالوسائل ،وبتعدد بالوظيفة لا بالبنية والشكل،مما جعله خلوا من الأبعاد الفنية والبلاغية ،ولا هم لصاحبه إلا الوقوف على الوسائل التي تضمن التواصل وخلوه من البعد الفني لا يعني انفصاله عن نظريته اللّغوية والبلاغية العامة فالركيزة الأصولية التي تدعم هذا المعنى الأول،وهي وظيفة الفهم والإفهـــام ستبقى قاسما مشتركا أعظم بين كل مستويات التعبير وطرقه،على أساسها تضبط جل خصائصه ،عاديا كان أم فنيا كما أن نظرية الجاحظ هذه مكتسبة من الانتباه إلى الفعل اللّغوي،الذي يقوم على ثلاثة عناصر تمثل الحـــد الأدنى للبيان اللّغوي:"المتكلم، السامع الكلام" وكل تحليلاته اللّغوية ومقاييسه البلاغية ترتكز على ما بين هذه العناصر من تفاعل وتلاحم .

وعلى هذا يمكن اعتبار اتجاهه هذا فرقعة لنظرية التواصل –كما هي عند جاكبسون- لذا يكـــون قـــد اهتدى في وقت مبكر من تاريخ العلوم اللّغوية والبلاغية إلى ما يحف بظاهرة الكلام من ملابسات . وجـــد في تراثه نظرية متكاملة تقدر أن الكلام هو المظهر العلمي لوجود اللّغة المجرد ،ينجز بالضرورة في سياق خاص يجب أن تراعي فيه[3].

ولربما كانت جل مبادئه اللّغوية العامة ،وجملة تصوراته البلاغية، ومقاييسه الأسلوبية مســـتمدة مـــن هـــذا الأصل[4].

فخصائص الخطاب ومواصفاته هي حصيلة تفاعل جملة المعطيات الحافة بإنجاز الخطاب،خاصة الغاية التي يجري إليها كل من المتكلم والسامع:" الوظيفة " أو هي في مصطلحه (الغاية أو مدار الأمر)ويتنزل الحديث عنها منزلة

---

1 -الجاحظ :البيان والتبيين"، ج1 ،ص76.

2 -بدوي طبانة :علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، مكتبة الانجلو مصرية ،ط2 1967 ،ص18-19

* - ينبني المفهوم العام للبيان عنده على جملة من المنطلقات الفلسفية والعقائدية حددت بدورها نظريته اللّغوية وأثرت تأثيرا عميقا في ضبط وظيفتها وتتنزل المخلوقات عنده منزلة الدوال لمدلول اسمي سرمدي يهتدي إليه بالتعقل ،وتأويل الرمز وهو حكمة العالم والكون. حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب، ص158.

3 -ينظر، حمادي صمود :التفكير البلاغي عند العرب، ص 157ـــــــ 162.

4 - المرجع نفسه، ص182ــــ 200.

المقدمة والمدخل للإحاطة بتفكيره البلاغي ،فمن خلال هذه الوظيفة الرئيسية –الفهم والإفهام –تقوم الوظائف الأخرى[1]، هذا وتبقى وظائف الخطاب ،ومجاري استعمال الظاهرة اللّغوية أكثر استعصاء على الضبط في تراث "الجاحظ" وذلك لتداخل مفاهيم البيان ،وعدم استقلال مسائل البلاغة عن المسائل اللّغوية العامة .

وعلاوة على مفهوم البيان عند"الجاحظ"، هناك من يرى أن هذا العلم يقال فيه "علم المعاني"،ويقال"علم البيان" ويقال : علم البيان والمعاني جميعا ،وكل هذه الإضافات جارية على ألسنة علمائه في الاستعمال :فالمقصود بعلم المعاني المقاصد المفهومية من جهة الألفاظ المركبة من جهة إعرابها.

فعلم المعاني المقصود به علم البلاغة على أساليبها وتقاسيمها ،والمفهوم من علم البيان هو الفصاحة ،وهي غير مقصورة على الكلم المفردة ،دون المركبة، وكلا العلمين يرجع في الحقيقة إلى علم البلاغة والفصاحة .ومنشأ هذه الحيرة هو محاولة التقسيم والتحديد –على الرغم من التداخل الوظيفي بين العلمين ؛ بل بين العلوم الثلاثة وهذا السبب في أن بعض العلماء أطلق على تلك العلوم الثلاثة "علم البيان "، وعللوا ذلك التعميم بأنها جميعا تتعلق بالبيان ،وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير ، "وهذا ما ينبغي أن تسير دراسة البيان في هداه.

ومعادلة التقييم هذه أمور غير مسلمة على إطلاقها على حد تعبير "بدوي طبانة" فإن كان علم المعاني هو الذي يحترز به عن الخطأ تأدية المعنى المراد ،وبه يعرف ما يطابق الكلام به مقتضى الحال، وبه تعرف المعاني التي يصاغ لها الكلام وهي المدلولات العقلية.

و"علم البيان": يحترز به عن التعقيد المعنوي ،وبه مزيد تعلق بالوضوح والبيان من حيث إن يعرف به اختلاف طرق الدلالة في الوضوح والبيان ، وتدبر هذا الكلام يؤدي إلى إدراك التداخل بين العلمين فالأول يهتم بالمعاني التي يصاغ لها الكلام :المدلولات العقلية ، ولكن هذه المعاني لا يمكن التعرف عليها،ولا تقديرها والحكم عليها إلا عن طريق صياغتها في أسلوب أو كلام منظوم وإدراك التفاوت بينها لا يكون إلا بإدراكها في ثوبها الذي برزت فيه"،وهذا القول لم ينكر أن هناك بعثا في الفكرة(المعنى) وبحث آخر في الصورة والأسلوب ،لكن هذا البحث يوجب اقتران الدراستين ،إذ يتناول فيه الأسباب التي توجد بها الفكرة –وتطرقنا لهذه الفكرة فيما سبق إثر بحث العلاقة ما بين الشكل والمضمون وعدم الفصل بينها لضرورات أسلوبية-.

والبيان في عرف الكلام أتم من كل واحد من الفصاحة والبلاغة ؛لأن كل واحد منها من مادته،وداخل في حقيقته الاتصال ،وأخيرا فإن علم البيان على حد تعبير البلاغيين ،هو العلم الذي يبحث في تأدية المعنى المراد بأساليب مختلفة في وضوح الدلالة على المعنى المراد، ومعنى هذا بعبارة واضحة أن "علم البيان"هو"علم الأساليب"التي يستعملها الأدباء للإبانة عن معانيهم [2] .ومن خلال ما سبق ذكره يمكن استنتاج الأسباب التي من أجلها يسمي "تمام" كتابه البيان في روائع القرآن بـ"البيان" .

---

[1] - بدوي طبانة :علم البيان دراسته تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية ،ص23 ـــــ27.

[2] - المرجع نفسه،ص36.

أ-كون البيان أعم من الفصاحة والبلاغة لتعلقه بعنصر الإفهام.

ب- ولربما إحياء وتأصيلا لفكرة :"الجاحظ" المتصلة بمفهومه لمصطلح البيـــان والمجســـدة لنظريـــة التواصـــل –الوظيفة-

ج- إن علم البيان هو علم الأساليب (وهذه العناصر الثلاثة تم ذكرها سابقا كما أن مصطلح البيان "يحمـــل دلالة وظيفية كونه يشمل الشكل والمضمون ،وبذلك يتجاوز البلاغة التي تهتم بالمعنى (أن يبلغ المعنى من نفس السامع مبلغه) على نحو يربط فيه بين المبنى (الأسلوب)والمعنى (الفكرة) فيربط مفهوم البيان بالأسلوبية ،التي ترى ضرورة الجمع بين العنصرين وهذا ما يذكرنا بفكرة علاقة البنية بالوظيفة ،وبالمعنى في المبحث الأول من الفصل الثاني،وكذا ربطه بين المبنى والمعنى بشكل وظيفي.

- أما البيان عند "تمام حسان" كما هو موضح في كتابة الأصول ،فقد ربطه بقضية تعدد المعنى بالنسبة للمباني

- تكريس مبدأ لاقتصاد اللّغوي –ويجعل هذا الباب النحوي منفذا لظاهرة "النقل "والتي تعد أوسع مما ظنـــها النحاة.

إذن منطلق "تمام" لغوي أيضا و لم يتجاوز المستوى النحوي إلى البياني مباشرة-وظاهرة النقـــل هـــذه في البيان،لها عدة مظاهر يستعمل فيها اللفظ المفرد بغير معناه الحقيقي (كالاستعارة والمجاز المرسل والكنايـــة)وإن معنى اللفظ قد يعرض له ما يخصص دلالته ويعممها ويغيرها.

وهذا النقل البياني "المجاز ".علاوة على هذا يعترف "تمام" بدور النقد الأدبي في تكوين الصورة النهائيـــة لعلـــم البيان لكن من جهة أخرى يرى أن النقاد على جليل قدرهم وجميل صنعهم لم يستطيعوا أن يخطوا بهذه الدراسة الناشئة[1].خطوات ذات بال في معارج الضبط ؛لأن مصطلحاتهم في الأغلب تستعمل بدلالاتها اللّغوية العامـــة المتعددة والمحتملة (فمصطلح البيان عند "الجاحظ" مثلا يراه، أنه موضوع لمعان متعددة كإيضاح المعنى،الإتيـــان بالكلام المبين كما يجعله مساويا للبلاغة(...).

ومن جهة أخرى فإنه يأخذ بتعريف "القزويني "للبيان والذي نصه :"علم يعرف به إيراد المعنى الواحـــد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، وربما زاد بعضهم :"مع مطابقة كل منهما لمقتضى الحال .ويقول "تمام"في هذا :"لولا أن المعنى الوارد في عبارة إيراد المعنى الواحد هو معنى اللفظ المفرد ،وليس معنى النسبة ،لكان هـــذا التعريف أحسن ما يعرف به الأسلوب .

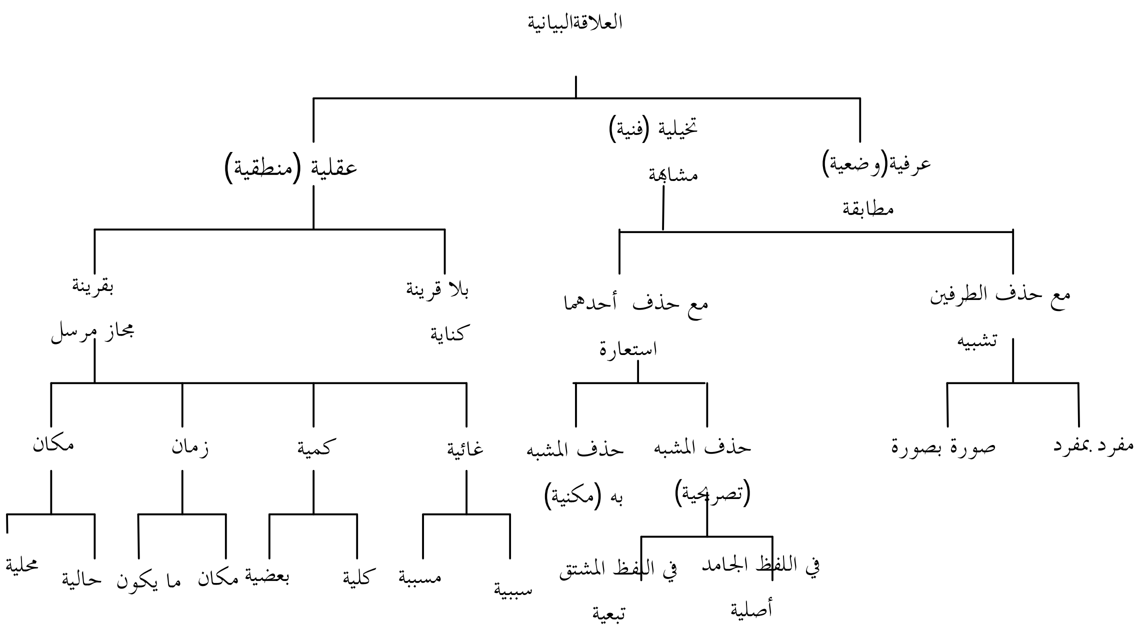
ويستخلص من هذه الفكرة سبب اختياره مصطلح البيان لمؤلفه .وتذكرنا كذلك بإشكالية طرحت سابقا إذ تتجاوز الأسلوبية المستوى الإفرادي إلى التركيبي ،إضافة إلى كونها تمهيدا لإشكالية أخرى ،وهي العلاقة أو المفارقة ما بين علم البيان والمعاني.

---

[1] -تمام حسان: الأصول دراسة إبستيمولوجية، ص324 -325

وما دام موضوع البيان هو اللفظ العربي من حيث التفاوت في وضوح الدلالة بعد رعاية مطابقته "مقتضى الحال" وبالتالي فإن المعنى البياني مفردا في طابعه لهذا السبب فقد عدل البيانيون عند فهمهم لتشبيه التمثيل والتشبيه الضمني والاستعارة التمثيلية عن اعتبار الكلام المتصل المؤلف من عدد من الألفاظ إلى اعتبار صورة مفردة (حالة مفردة) حاصلة من التركيب وهذا الحال عندهم –على حد تعبير "تمام"-تصور مفرد مهما تعددت أجزاؤه وألفاظه ، أما المجاز العقلي فإن المكان المناسب له "علم المعاني" وليس"علم البيان " وذلك بحكم التعريف:"إسناد الفعل ،أو ما في معناه إلى غير من هو له لعلاقة مع قرينة والإسناد يقتضي تعدد الألفاظ.مع كل هذا فـ"تمام " لم يخرج عما قال به القدماء فيما يخص مفهوم البيان –على الرغم من النقد الوارد أعلاه –خاصة فيما يخص التداخل بين علم البيان والمعاني ،في المجاز العقلي، إذن عدم الدقة في التقييم والتحديد- [1].

وكذلك انطلاقه في إعطاء مفهوم للبيان من وجهة وظيفية ،من خلال "النقل" تعدد المعنى للمبنى الواحد ومبدأ الاقتصاد اللّغوي ،وإصراره على ربط البيان بالتركيب ،لا بالمعنى المفرد (وهذا يعكس تصوره الوظيفي إذ لا وجود لكلمة مفردة)،ويعرض "تمام" تصوره للعلاقة البيانية بين اللفظ والمعنى على النحو الآتي :



العلاقة البيانية بين اللفظ والمعنى[2]

---

[1] - تمام حسان: الأصول دراسة إبستيمولوجية ،ص 326- 327

[2] - المرجع نفسه ،ص 328.

وهذا البيان يوضح الروابط العضوية بين عناصر موضوع البيان —والمقصود بهذه العبارة الوجهة الوظيفية —ويقول"تمام" أن البيانيين بعدما سلموا العلاقة الطبيعية بين الرمز والمعنى إلى علم المعاني ،وبعض مباحث البديع فقد استخرجوا من الاستعمال الأدبي للألفاظ علاقة أخرى وهي العلاقة الفنية ،أو التخيلية

أو التشبيهية (*) وهي غير عرفية ،تتفاوت بين الوضوح والخفاء بحسب القرب والبعد ثم مجال العلاقة العرفيـــة (دلالة بحكم أصل الوضع ،ولا ينظر إليها بحكم الوضوح والخفاء لعرفيتها).

ومن دلائل وجهته الوظيفية في تحليل البيان :قوله في العلاقة التخيلية من أنها في جانبها النحوي "وظيفة" أو معنى وظيفي تأدية "الكاف" و"كأن"،ومعاني معجمية لكلمات (مثل-شبه) وقد تفهم هـــذه العلاقـــة بـــلا أداة[1]،ويرتبط ذلك بتراكيب نحوية معينة منها المبتدأ أو الخبر نحو (زيد أسد) ويصرح "تمام" أن همـــه متصـــل بالعلاقة ذاتها باعتبارها وظيفة نحوية دون النظر إلى اختلاف الأساليب بين التشبيه والمجاز-بمعنى اللجوء إلى عمق البنية والتغلغل زمن الأسطح الحسية للأشياء،ويلتقي هنا مرة أخرى مع التوليدية التحويلية ،ومع" الجر جاني" في البنية السطحية والعميقة ومن ثم تجاوز البنوية ،فلا ينظر في الأساليب كالتشبيه مثلا،من خلال الحكم الخارجي العام بل يتجاوز ذلك إلى وظيفة الأداة وبنية التركيب ،وعلاقة العناصر النحوية فيما بينها ،وقد رأينا هـــذا في الفصل السابق ، مما يزيدنا تأكيدا على ارتباط المباحث الأسلوبية (البلاغية بالدراســـات اللّغويـــة ،والنحويـــة منها)كما أن نظرة "تمام" الوظيفية للبيان من وجهتين:

- البعد التواصلي (الإفهام كما هو عند"الجاحظ")

-تمسكه بعلاقة اللفظ بالمعنى (الأسلوب والصياغة ،بالفكرة والمعنى والمعنى الوظيفي) والاتجاه إلى التركيب (أي السياق).

ج-البيان عند الأصوليين (الشافعي) :

إضافة إلى جهود اللّغويين والمتكلمين والنقاد والمفسرين في بناء صرح البلاغة ،هناك فئة الأصوليين ولكن هؤلاء تعرضوا لكثير من مباحث المعاني والبديع والبيان ،والمتقدمون من الأصوليين وما ذكروه من المقدمات في كتبهم أولو فيها أقسام البيان وهو:"بيان للقرآن ،وبيان للسنة ،وبيان للاجتهاد "[2] ويقول "الإمام الشـــافعي" -رضي الله عنه- :« إن البيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول ،متشبعة الفروع،فأقل ما في تلك المعاني المجتمعة المتشبعة،أنها بيان لمن خوطب بها ممن نزل القرآن بلسانه متقاربة الاستواء عنده، وان كان بعضها أشد تأكيـــد بيان من بعض مختلفة عند من يجهل لسان العرب » [3] .

---

* -وهي فرع على العلاقات الذهنية ،وفصلوا القول في نطاقها ،حول التشبيهات والاستعارات ،كما أن كناية بعلاقات ذهنية أخرى نوهي علاقة اللزوم (أو الدلالة على لازم المعنى)علاقة الغائية والكمية والزمان والمكان .تمام حسان :الأصول ،ص329

1- ينظر، تمام حسان:الأصول دراسة استمولوجية. ،ص329- 332.

2- المرجع نفسه ،ص46-48.

3 -الشافعي :الرسالة ، بيروت دار الفكر بيروت ،(د.ت) ،ص21 .

أ- ما أبان الله لخلقه في كتابه مما يقيدهم به(نصا على لسان نبيه).
ب-ومنه ما سن الرسول –عليه الصلاة والسلام- مما ليس فيه نص حكم.
ج-ومنه ما فرض الله على خلقه ،الاجتهاد في طلبه [1].

فالبيان عنده أهم من الدليل أو الدلالة ،وانه اسم جامع لكل ما يوضح المعنى وحدده بأنواع متعددة *

بالتالي فإن"الشافعي" –رضي الله عنه- قد أفصح لنا أساليب اللّغة في التعبير وحدد أنواع الدلالة بحيث يستطيع الفقيه أن يصل إلى فهم الأحكام واستنباطها من النصوص ،وأن البيان اسم جامع لأمور مجتمعة الأصول متشبعة...-ووجه الشبه بين البيان كما هو عند اللّغويين والبلاغيين وفئة الأصوليين :هو الكيفيات والأساليب المختلفة والتي يستخدمها اللّغويون للتعبير[2].

---

[1]- الشافعي :الرسالة ، ص21-22.

*- زيادة على ما قيل سابقا ،لابأس أن نورد بعض الآيات من القرآن الكريم ،والتي وردت فيها هذه الكلمة نحو قوله تعالى :" **هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ** " آل عمران 138 ./ وقوله تعالى : **فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**". القيامة 18- 19 .كما ورد في السنة القولية :"إن من البيان لسحرا ومن الشعر لحكمة".

[2] -محمود سعيد :مباحث البيان عند الأصوليين والبلاغيين ،ص23.

المبـــحث الأول :تأملات في القيم الصوتية في القرآن الكريم :

يقصد"تمام حسان" بالقيم الصوتية ،تلك الخصائص التي تتمايز بواسطتها الأصوات،ويتعلق بها نوع مـــن المعاني يسمى "المعاني الطبيعية " (لا توصف آثارها) بأنها عرفية ولا ذهنية ،لأنها مؤثرات سمعية انطباعيـــة ذات وقع على الوجدان[1] إذ اعتبر اللسانيون اللّغة نظام يتصف بالاعتباطية "*Arbitrary*" على مســـتوى الـــدال والمدلول أي الكلمات والمعاني ،فاللّغة اعتباطية" [1*]وهذه الرموز يجب أن تكون مخصصة بحسب التعارف ، لا بحسب الطبيعة والمنطق أي أن العلاقة بين الكلمة وبين مدلولها علاقة اعتباطية غير مسببة"[2]،وهذه الاعتباطيـــة تعم الكلمة أو الدال ،والمعاني والمدلولات .

فالدليل (*signe*) اللّغوي عند "سوسير" كيان واحد لا يتجزأ (ذو وجهين متصلين وملـــتحمين التحـــام وجهي الورقة)وهو يتكون من الدال *signifie* والمدلول *signifiant*. فالدال هو الصورة الأكوســـتيكية([2*] *image acoustique*) ، أو الصوتية ،التي يتضمنها كل دليل أما المدلول (هو المتصور الذهني) المعنى قديما، لكن هذا الفصل بين الدال والمدلول على ما فيه من براعة ينطوي على غموض.بمثله مفهوم (الصورة الأكوســـتيكية) فليس التصويت في حد ذاته؛ إنما هي الصورة الذهنية التي يمكن أن تحصل من جراء أصوات دليل مـــا دون أن يتلفظ المتكلم بتلك الأصوات تلفظا فعليا [3].

فا لمقصود بالاعتباطية عند "سوسير" أن لا وجود لعلاقة ضرورية ولا منطقية ولا سببية بـــين المفهـــوم والسلسلة الصوتية التي توافقه، بمعنى أن الرابط بينهما ،أو العلاقة التي تربطهما غير معللة منطقيا أو ماديا ناتجا عن تلازم طبيعي[4] .

ويدعم "تمام حسان" هذه الفكرة بقوله:«فكيف يصل كل مجتمع إلى اختيار كلمـــة ليـــدل بهـــا علـــى المعنى؟الجواب: بالتعارف ،فما هو أساس التعارف ؟الجواب:الاعتباط والمنطق ولا الطبيعة ».ويستشهد بعد ذلك بقول" الجر جاني" بخصوص الاعتباطية –إذ التأصيل حاضر في قراءته للتراث ،سواء في اللّغة والنحو أو البلاغة

---

[1] -ينظر، تمام حسان: البيان في روائع القرآن،ص257.

[*] [1]-Le lien unissant le signifiant au signifie est Arbitrary ; ou encore ;puisque nous entendons par signe le total résultant de l'association d'un signifiant un signifie nous pouvons dire plus simplement:le signe linguistique est arbitrer. Ferdinand de sraussure ; cours de l'inguistique générale essai ouvrage présenté par dalila morsly ; El-Aniss ;collection sciences Humaines dirigée par ali El-Kenz .Eneg / edition ;1990 .p:110

[2] - تمام حسان: مناهج البحث في اللّغة، ص63.

*2- Le signe linguistique unit non une close et un nom ;mais un concept et le son matériel .chose purement physique de ce son

-le signe l'linguistique est donc une entité psychique a deux faces ;qui peut être représentée par la figure :ces deux élemement sont intimement unis est une image acoustique .cette derniere n'est pas est s'appelent l'un l'antre francoire Gradet; saussure une sience de la langue ;presser Universitaire de France. Paris 1987. p:30-31

[3] -سوسير :دروس في الألسنية العامة ،تعريب صالح القرمادي،ص 361__363.

[4] -جيلي محند الزين : أصول اللسانيات الوصفية العربية الحديثة (دراسة نقدية) كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة مولود معمري (ماجيستير) ص 187-188.

—ونعود مرة أخرى للقيم الصوتية،فيقول "تمام" بإمكانية نسب عدد من هذه القيم إلى الأسلوب القرآني وهـــي كالآتي:

أولا - الإيقاع :

في مطلع الحديث عن الإيقاع وشرحه ،رفض "تمام" التصور التقليدي الذي يربط بين مصطلح الإيقـــاع و(الشعر الموزون) ومن الحري أن يقال عنده إيقاع الشعر ويقصد به" تمام" وزن الشعر، ويقول أنه لم تدركـــه تقاليدنا الفكرية —التراث-وكان مغلفا بالمجاز مذ قالوا:"إن له لحلاوة وان عليه لطلاوة" ، يرى أن هذه الطلاوة والحلاوة تأتيه مما تحسه الأذن (الذوق أو الحكم القيمي ،أو المعياري) والبديل لدى تمام ،هو الكشف العلمـــي من خلال نوع من الوصف ،ليكون الكلام عنها من قبيل الحقيقة (ما هو كائن)لا من قبيل المجاز —وهذا الكلام ليس جديدا علينا إذ عهدناه من" تمام "وباقي اللسانيين —واعتمد في دراسته لهذه القيم الصوتية على المقاطع [*] اللّغوية العربية المختلفة الكميات وما يتصل بذلك من قواعد النثر في الكلام .

و أول ما قام به هو تحديد مقاطع العبارة المشهورة والموضوعة من طرف العروضيين ، وهي :"لم أر على ظهـــر جبل سمكة". ويرى أنهم لم يحددوها ،على الرغم من أن أغلب ألفاظ العبارة مكون من أكثر من مقطع والتقطيع الذي يقترحه هو: "لم-أ-ر ع —لا ظه-ر-ج-ب-لن-س-م- ك- تن.

ثم يعرض" تمام" الشروط اللازمة لدراسة المقاطع العربية ومنها:

1-كل حرف متحرك ،فهو بداية مقطع (إذ لا يبتدئ بساكن ،ويمكن أن يفتتح به).

2-كل صوت ساكن بعد حركة ،أو مد فهو نهاية مقطع موقد يشدد هذا الساكن عن الوقف.

3- هناك مقطع بحسب الأصل .ومقطع بحسب الاستعمال ويتصل هذا التفريق في الغالب بهمزة الوصل.

4-يقول تمام بأنه معني في هذه الدراسة بالمقاطع الاستعمالية لا التنظيمية؛لأن موضوع الإيقاع هـــو ظـــاهرة استعماليه[1] -هذه النقطة تذكرنا بتفريقه السابق بين النظام والاستعمال ،وهذا الموقف الذي يتبناه "تمام" ،هو الذي نجده عند الوظيفيين؛ إذ انطلقوا في دراستهم من اللسان البشري وليس من اللّغة ،مع عدم تباين العلاقة ما بين اللسان الكلام ،لما من قدرة لهذا الأخير في إيضاح الظواهر المحسوسة ،الذي يدعمها التخاطب التبليغي،ومن هذه الظاهر يمكن استخلاص النظام، فالوظيفيون يعتمدون المنطوق أو الملفوظ من الكلام (لغة التخاطـــب) ثم ينسخونه نسخا علميا صوتيا ،ثم يقومون بعملية التحليل[2]-وهذا هو الاتجاه الذي ارتضاه "تمام"لنفسه بصورة أو بأخرى ،وهذا الاستعمال مرتبط بالوظيفية (التواصل والإبلاغ)مع عدم تناسي البعد التداولي- ويعود تمام

---

* - المقاطع تغييرات عن نسق منظم من الجزيئات التحليلية ،أو خفقات صدرية أثناء الكلام ،أو وحدات تركيبية ،أو أشكال وكميات معينة،ويقول "تمام"بإمكانية خلق نظلم رمزي للمقاطع طبقا لكل واحدة مما سبق ذكره .تمام حسان :مناهج البحث في اللّغة .ص170

[1] - ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن، ص257-259.

[2] - سعدي الزبير :العلاقات التركيبية في القرآن الكريم دراسة وظيفية(دكتوراه) ص23.

لتوضيح الفكرة التالية-النقطة الثالثة من الشروط- وذلك لتحديد طبيعة اتصال التفريق بين الإيقاع وبين نوعي المقاطع .

أ-اعتراف نظام اللّغة العربية بإمكان افتتاح الكلمة العربية بحرف ساكن لا الابتداء به، في مثل "انطلقوا"، حتى بالألف للابتداء بها لأن أول حروف الكلمة ساكن وذلك لضرورات النطق والتخاطب -"كما رأينا أعلاه- وأصبحت المقاطع الاستعمالية أي الصوتية لا الكتابية والتشكيلية على النحو التالي ء ن- ط- ل- قو-،أما إذا كانت "النون" في وسط الكلمة فيتكفل الحرف ما قبل النون الساكنة ،بالحركة التي كانت للألف ،ويكون هذا الحرف مع النون مقطعا واحدا ،نحو :"فانطلقوا" فهذه الدراسة للمقطع تنطلق من كونه وحدة تركيبية داخل سياق تحكمه علاقة المجاورة-فالدراسة في أساسها وظيفية من منطلق الموقع والوظيفة والاستعمال،ومن ذلك أيضا واو الجماعة من "انطلقوا"،فالألف التي بعد الواو دلتنا على أن الواو للجماعة ،وليست للجمع وتظهر فائدة هذا الأخير في التفريق بين "قاتلوا زيدا" و"قاتلو زيد" ،فالواو الأولى للجماعة، والثانية للجمع ويقول " تمام" عما سبق "الشرط الثالث" لا غبار عليه عند النظر إلى الاستعمال ،الذي يأتينا بمقاطع صوتية ،بل إن المقاطع الصوتية هي المطلوبة في الدراسة.

ب-فالحديث عن التأصيل النظري بحسب نظام اللّغة لا الاستعمال في ضوء الشرط الثاني (كل صوت ساكن بعد حركة أو أمد ،فهو نهاية مقطع) فالنون إذا في "انطلقوا "نهاية مقطع، فأين بدايته بحسب أصول اللّغة؟.

من حيث التأصيل لا بداية له ؛بل له بداية في الاستعمال على هذا النحو فالنون مقطع تأصيلي بدأ وانتهى به المقطع ،ويحسن أن يسمى مقطع الوصل(*)[1]

-وانتبه إليه" ابن مالك" -انظر الهامش-وتدعم هذه الفكرة بما عرضه في مناهج البحث: «ومن الضروري أن نعترف بنوعين من أنواع المقاطع :أولهما هو المقطع التشكيلي والآخر هو المقطع الأصواتي ،أولهما تجريدي مكون من حروف وثانيها أصواتي محسوس مسموع مكون من أصوات ،وهذه الثنائية في التناول نتيجة حتمية للاعتراف بالحقيقة القائلة ،إن ما هو تقعيدي. لا يتحقق دائما في النطق بالضرورة» [2] .

في كل هذا يقصد"تمام "إلى التفريق بين ما أسماه "*phonétique*"،والنظام الصوتي،"*phonology*" "فالأول هو دراسة للجوانب الفسيولوجية والمنطقية والسمعية من خلال الملاحظة والتسجيل والوصف دون النظر إلى وظائفها داخل اللّغة إذ قال من قبل "وأن نخصصها بنوع من الوصف".

---

* - مقطع وصل لأنه تأصيلي لا يوجد إلا في الذهن التجريد العقلي) لا وجود له في الاستعمال ،ويأتي هذا المقطع ذو الوجهين في أسماء بعينها (أداة التعريف والماضي الخماسي والسداسي، وأمرهما ومصدرهما ،وأمر الفعل الثلاثي ،ويقول ابن مالك في هذا الحر ف تعريف أو اللام فقط . أي أن اللام فقط مقطع تأصيلي مستقل .تمام حسان:البيان في روائع القرآن ، ص209

1 - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص258-259.

2 -ينظر ،تمام حسان : مناهج البحث في اللّغة ،ص173.

أما النظام الصوتي هو دراسة الأصوات من حيث هو نظام داخل لغة معينة، ولها وظائف مميزة ويستخدم مصطلح الحرف للدلالة على الفونيم *phonème* أي الوحدة الصوتية على مستوى النظام الصوتي ،إلا أنــه لا يعتبرها جزءا من دراسة الأصوات بالنسبة للنظام الصوتي، وهو الرأي الذي نادت به مدرسة براغ الوظيفيــة حينما اعتبرت الدراسات الفونيتكية أقرب إلى العلوم الطبيعية منها إلى اللّغوية[1].

ويرى تمام ضرورة عرض صور المقاطع الاستعمالية الصوتية للغة العربية وهي عنده ستة مقاطع:

المقطع	صورته	المثال	اسمه	رمزه
1	صوت متحرك وليس بعـد حركته حرف ساكن	ضرب/ض-ر-ب	مقطع قصير	ص ح
2	صوت متحرك بعد حركتـه صوت ساكن	لم يكتب/(ل+م)(ي+ك)	متوسط مقفل	ص ح ص
3	صوت صحيح يتلوه مـد ، وليس بعد المد سكون	وافاني ، فكل مـن (الـواو، متوسطة ، والفـاء ، والنـون بعدها مد ليس بعده ، سكون	متوسط مفتوح	ص م
4	صوت يتلوه المد ،أو بعد المد سكون	ضالين –طامة(ضال- لين)-طام-مه	طويل المد	ص م ص
5	صوت متحرك بعد الحركـة صوتان ساكنان	قبل(أوقوفا عليها)	طويل التسكين	ص ح ص ح
6	صوت يتلوه مد ةوبعد المـد صوتان ساكنان (عند الوقف) مرهون بوقع معين	حاج – ظال	مقطع الوقف	ص م ص ص

المقاطع الاستعمالية الصوتية للغة العربية [2]

1 - ينظر، حلمي خليل : العربية وعلم اللّغة البنيوي ،ص227-228.

2 ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن، ص260-261.

والعنصر الذي يمكن التركيز عليه هنا ، استبعاد المقطع التأصيلي التجريدي والذي لا يتحقق في الاستعمال . ولنرى الفرق في صورة المتوسط المقفل (ص ح ص)فالساكن الموصول بالهمزة خاتمة المقطع الصوتي "لم"، تكون على النحو التالي:

ص= همزة الوصل أو آخر الحروف من الكلمة السابقة.

ح= الحركة: (اللام).

ص= الساكن الذي توصلنا إلى النطق به بواسطة الهمزة (آخر الكلمة السابقة فالمعول عليه هو المستعمل فعلا (الصوت) الوظيفي منه لا التشكيلي .فهو مجرد وسيلة كتابية ،وإذا كان في وسط الكلمة لا تعترف به اللّغة [1]. والجدير بالذكر أن علماء الأصوات يختلفون في نظرتهم إلى المقطع[*]،بالرغم من كونه قد استقر منهجا من مناهج التحليل اللّغوي –شأنه شأن الكلمة وما أحدثته من ضجة –زيادة على مفهوم المقطع لدى تمام فهناك من يراه وفي أبسط أشكاله وصوره عبارة عن تتابع عدد الفونيمات في لغة ما ،حيث تتكون البنية المقطعية التي تختلف من لغة إلى أخرى.

وبشكل عام فهناك اتجاهين في تحديد مفهوم المقطع وماهيته وهما:

أ-**اتجاه فونيتيكي**: وأهم تعريفاته:

1-أن المقطع تتابع من الأصوات الكلامية له حد أعلى أو قمة إسماع تقع بين حدين أدنيين من الأسماء.

2-أصفر وحدة مركبة في الكلمة.

3-وحدة من عنصر ،أو أكثر يوجد خلالها نبضة صدرية واحدة ،أو قمة إسماع تقع بين حدين أدنيين من الاستعمال.

ب- **اتجاه فونولوجي** :إذ يعرف المقطع من حيث هو وحدة تختلف من لغة إلى أخرى (تتابع الصوامت الصوائت وملامح النبر والتنغيم) غير أن وصف الصوت بأنه مقطعي أو غير مقطعي دون وضعه في سياق محدد،يعد ضربا من اللغو.

فالمقطعية ليست صفة ملازمة للصوت ،إنما هي صفة ناشئة عن مجاورة بأصوات بعضها ببعض ،ومقارنتها بالأصوات أخرى داخل البنية اللّغوية ،ولذلك تختلف المقاطع باختلاف اللغات وفكرة التتابع هذه هي ما عبر عنها "تمام" بالمجاورة في السياق [2]:"فليس كل حرف صالحا لأن يجاور كل حرف في المقطع ،وشكل المقطع ومخرج الحرف المجاور وصفاته، والملحقات الصرفية وغير ذلك هي العوامل التي تحدد ورود حرف بعينه ،في

---

1 -ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 261.

* -فهناك من يحدد مقاطع فقط ،وتمام يعدها ستة مقاطع.

2 -ينظر، حلمي خليل ،مقدمة لدراسة علم اللّغة ،ص 74-76

موقع بعينه أو عدم وروده..."[1] –فيكفي هذا الدليل لتعزيز ما قيل في الفصل الأول من أن منهجه وظيفي بدءا من الأصوات إلى التركيب-.

وأثناء الحديث عن المقطع ،تحدث"تمام"عن التنغيم ذلك أن الكلام لا يجري على طبقة صوتية واحدة ؛بل يرتفع عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيره (وهو ما يعرف بالتنغيم)وبه يرتبط معنى الجملة إثباتا وتأكيدا أو استفهاما[2]..

أما النبر[*] -يعد صوتيا لا تشكيليا –وعلى هذا فهو ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع ،عن بقية ما حوله من أجزائها [3] وذلك نحو فَعَلَ ،فاعل- فعيل (فأوضح الأصوات في الصيغة الأولى وكل ما يأتي على مثالها فتح الفاء،وفي الثانية ألف المد وفي الثالثة ياء المد وفي حالة التثنية تصبح فعلان، فاعلان ،فالنبر انتقل إلى المقطع الأخير (ألف التثنية)ويستنتج من هذا أن مواقع النبر في الكلمات تخضع للتبديل ،بحسب اختلاف البنية المقطعية للكلمة [4] ويرى أن الفرق ما بين النبر في الكلام هو فرق ما بين مقررات القاعدة ومطالب السياق ويصبح النبر في الكلام هو ظاهرة موقعية لأنه نبر الجمل المستعملة فعلا ،أما النبر في نظام الصرف فهي نبر الكلمة المفردة ،وهو نبر صامت صمت القاعدة نفسها ،وصمت اللّغة ،فنسب إلى كلمات خارج السياق (نسبة إلى نظام الصرف ، اقتضاها التحليل فقط) ويضيف أنه لا يمكن ادعاء وضوح سمعي في كلمات وصيغ صامتة[5].

وبالتالي فإن النبر في السياق ،ربما اختلف عن النبر في الإفراد ،إذ تحكمت مطالب أخرى هي مطالب (الإيقاع) في السياق المتصل .فالبروز والجهارة خصائص صوتية تظهر في الكلام المتصل ، والارتكاز-كما أسماه "محمود السعران"-يستعمل استعمالا وظيفيا للتفريق بين المعاني ،(فاللغات اليابانية والصينية وبعض لغات أواسط إفريقيا)[6]وعلى هذا فوصف الأصوات تركيبيا غير كاف ،فلا بد من مقاطع ما فوق التركيب .

وعلى هذا فالدرس الوصفي الفونيتيكي غير كاف ،فلا بد من إلحاق الدراسة الصوتية للأصوات بالصوت ووظيفته والحرف ووظيفته ،والموقع ووظيفته والمقطع ووظيفته ويصدق ،على مجموع المعاني التي يؤديها كل من (الصوت الحرف،الموقع، المقطع) اصطلاح المعنى الوظيفي ،لأن لكل واحد وظيفة منوطة به ويساهم بأدائها في

---

1 -تمام حسان : مناهج البحث في اللّغة ، ص 163.

2 -تمام حسان :البيان في روائع القرآن ، ص 262.

* -النبر هو ما اسماه بالارتكاز ،وهوعنده درجة النفس التي ينطق بها صوت أو مقطع . محمود السعران :علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي ،ص189.

3 -تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها ، ص 170.

4 -تمام حسان: البيان في روائع القرآن ، ص 262.

5 -تمام حسان :اللّغة العربية معناها ومبناها ،ص 170-171.

6 -ينظر، محمود السعران : علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي ، ص 125

بيان المعنى العام ووضوحه [1] .ثم نعود لنرى صورا من النبر على الرغم من قلتها إلا أن قواعدها أثبت اطرادا من قواعد النحو-على حد تعبير " تمام" و أورد قواعدها كالآتي :

1-وقوع النبر على المقطع الأخير من الكلمة المفردة إذا كان هذا المقطع طويلا (أكان من المقطـع الرابـع : ص م ص ، أو الخامس :(ص ح ص ص) ، أو السادس :(ص م ص ص) وذلك نحو: مَفْعُول ،يَفْعَلَانْ،فَعَلْـتَ البارْ تسكين الآخر .

2-يقع النبر على المقطع ما قبل الأخير نحو:

أ-كُتُب ،صُوَر،انطلق لأن ما قبل الأخير قصير ،والأخير متوسط أو قصير.

ب-علم، استوثق ما قبل الآخر متوسط (فاستوثق :ء س-تو-ثق) فـ"تو" مقطع متوسط [2]

ج-ضالّه-طامّه: ما قبل الآخر طويلا واغتفر فيه التقاء الساكنين (ضالْ،طامْ)والآخر غير طويل (مَهْ ،لَهْ).

د-علّمك ،علّمكمن بينكم، نظرة، ابتسامة :وقع النبر هنا على المقطع الذي سبق ما قبل الآخر (كالسـين في ابتسامة والنون في بينكم...الخ).

-اذا كان المقطع قصيرا او متوسطا بين قصيران أو قصير كابتسامة مثلا: ء ب-ت-سا-م-تن فبعـد "سـا" مقطعين صغيرين.

-ضربك- يرثني- تعدهم- وجدك نكرهم :يقع النبر هنا على الثالث مما قبل الآخر ،اذا كان الآخر قصـيرا أو متوسطا قبله ثلاثة قصار نحو:"الرّاء"في ضربك والعين في تعدهم ،ولا يقع النبر على مقطع قبل ذلك المذكور أخيرا.

وكل هذا الأنواع من نوع الكلمة المفردة(إملائيا)لا يعتد به عند "تمام حسان" إذ الاسـتعمال اللّغـوي يتطلب الاتصال اللّغوي ،لتحقيق الإفادة لأنها مطلب الاتصال- إذ تم في سياق لغوي مركب ذي علاقات نحوية ومعان دلالية ،وقرائن يتوصل بها إلى الفهم والإفهام.

فالنبر الذي يقصده"تمام"هو النبر السياقي لا الإفراد –كما رأينا سابقا -بالإضافة إلى تذكيره إيانا بقضية السياق اللّغوي ،والمجاورة الوظيفية طبعا وكذا ارتباط البنى والتراكيب بعملية التواصل والإبلاغ ،وهذا كله يعززه فكرة الوظيفية والسياق اللّغوي مما يتولد عنه من انسجام وحميمية واتساق –وتمام يقسم النبر إلى نـوعين: صـرفي ودلالي ثم قسم النبر الصرفي إلى نوعين:

- أولي وهو ما شرح سابقا-أعلاه -

-نبر ثانوي: عندما تتعدد مقاطع كلمة (فتصبح توازي كلمتين قصـيرتين مثـل: مسـتقيم= جـاء أمـس مست،قيم.وبأن النبر هنا على الأول (مست) ليوجد توازنا بين أجزاء الكلمة.

---

1 -تمام حسان : اللّغة بين المعيارية والوصفية ،ص120

2 -ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص262- 263

ومن خصائصه أنه أكثر قبولا في الذوق وإراحة للأذن ،على الرغم من هذه السلاسة التي يولدها ،إلا أن "تمام"يصر على النبر السياقي وينتصر له[1] .والنبر الثانوي يخضع لقواعد أقل[*] مما سبق .

النبر في السياق : أو من ذلك مثلا كلمة يستغفرون " ،" ويستخرجون " ، إذا طالت لتتكون من ستة أحرف ثم أسند إلى ضمير متصل ذي حرفين (وإن ، وعطف بالفاء زاد على حروفه حرفا ، ليصبح فيستغفرون تسعة حروف ، كما تحف باللفظ عناصر الزيادة في أوله، عطفا وتنفيسا) والضمائر المتصلة (خطابا وغيبة) نحو: " فسيكفيكهم " ، ويدرج هنا " تمام " ملاحظة هامة ، أن الحروف والضمائر قل ما يصدق عليها النبر كالكلمة على الرفع ،من هذا فهي جزء من السياق لا يمكن تجاهله في الاستعمال (أي الأداء الفعلي للكلام) –ورأينا ما يتصل بهذه الفكرة في المبحث الخاص بالبنية ، وما تضمنه من حديث حول أقسام الكلام ، ولو لم تكن صلاحيتها للنبر –قلما –لكن دخولها في السياق يفرض عليه توزيعا جديدا للنبر إذ تقسم أصوات السياق إلى دفعات ، كل دفعة منها توازن كلمة عربية حتى وإن امتدت هذه الدفعة إلى نهاية كلمة وبداية ما بعدها .

فنمزج نهاية السابقة وبداية اللاحقة ، في خفقة واحدة من خفقات النفس عند التكلم –أي عند التصويت للشكل الكتابي –وتوالي هذه (الخفقات) غير المرتبطة بحدود الكلمات المفردة وهو ما يعرف به إلا أنه ناتج للاتصال الوظيفي ، ما بين عناصر الكلم[2] ومثال ذلك قوله تعالى : « وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا »[3] ، "فصَابِرُوا" كلمة مفردة يقع النبر على ألف المد من مقطعه الأول .

لكن عطفه بالواو غير خطة النبر فاشتمل على نبر ثانوي على حركة الواو ونبر أولي على الراء.

هذا بالإضافة إلى أن النبر الذي يقع على كلام متصل يلاحظ فيه تشابه أو تقارب بين النبرين وهذا ما يمنح الأذن إحساسا بالإيقاع ، ويقول " تمام" أنه بإمكان منشئ النص أن يمنحه من رشاقة الإيقاع ما لا يستطيعه المتكلم العادي وهذا ما يمتاز به نص عن نص آخر –" فتمام " يقف مثلما وقف نقادنا القدماء على مستويين من الأداء اللّغوي : النمطي والفني للأسلوب هذا بالإضافة إلى عملية المقارنة بين أساليب متنوعة (الجاحظ –طه حسين –الزيات) فتختلف أساليبهم ، من الناحية الإيقاعية [4] –لأنها مجال الاهتمام هنا- ونشير إلى أن حديث " تمام " عن النبر السياقي وعدم حصر دراسة الأسلوب في مجموعة من الملاحظات الصوتية

---

[1] -ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص263- 264.

[*]- قواعد النبر الثانوي : أولي القوعد رأيناها سابقا وقع النبر على المقطع الأول في مستقيم ، 2يقع على المقطع الثاني مما سبق النبر الأول ، إذا كان هذا الثاني متوسط / والذي بينه وبين النبر الأول قصيرا أو متوسطا نحو مستقيم كذلك عاشرناهم ، ويقع على المقطع الثالث مما قبل النبر الأول نحو بقرتان (الراء).

أ-أن هذا الثالث بينه وبين النبر الأول قصيران

ب-أو كان متوسطا بينه وبين النبر الأولي +قصيران نحو يستبقون(التاء-الباء) محترمان (التاء –الراء) :ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ص64.

[2] -ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 265-266.

[3] - آل عمران: 200.

[4] - تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 266- 267 .

والمعجمية فقط بل؛ يجب أن يتم الاتصال من خلال السياق اللّغوي: علاقات نحوية ، قرائن من كل نوع ،فهذا المبدأ الذي يتبعه أنصار" الاتجاه الوظيفي " في البحث الأسلوبي،لأن الأسلوب هو محصلة لأكثر من عنصر لغوي ، لأن رصد قوائم غير سياقية بالعناصر المفردة ليست له أي أهمية أسلوبية ، كما أن عملية المقارنة بين الأساليب المذكورة سابقا يقوم على أساس معدلات التكرار للعناصر اللّغوية في كل نص –هنا الإيقاع – ومقارنتها مع ملامح نص آخر أو مجموعة من النصوص (طه حسين – الجاحظ –حسن الزيات)ثم قوله : «حتى إذا ما قرأت هذا النص أحسست له خفة على اللسان وقبولا في النفس... وبهذا يمتاز نص عن نص »فتحليل هذه العبارة انطلاقا من اللفظ (في طوق)قبولا في النفس: يحيلنا إلى المقترب الوظيفي لدراسة الأسلوب-كما رأينا في الفصل الأول فيما يخص الأسلوبية الوظيفية –إذ يمكن اختزاله إلى مقتربين :

أ –في طوق: وهي المقترب المعياري الذي يفرض وجود معيار كلي قبلي يؤدي إلى قبول بديل تعبيري وهو يعتمد على ذوق واضعه ، وحكمه المسبق .

ب-قبولا في نفس : المقترب الوظيفي الذي يدرس اختيار البدائل ، باعتماده على تنوع ظروف الاتصال اللّغوي (الاهتمام بالمستقبل ، ولهذا فإن الأسلوبية تبحث في تنوع السياقات لكي تفسر اختيار البديل).

وبعد هذا الفاصل الذي رأينا من خلاله كيفية تطبيق المقترب الوظيفي للأسلوب لدى تمام حسان ، نعرض الآن تفريقه بين النبر الأولي والثانوي .

1-فالنبر الأولي *Primary Stress*: مطلب صرفي مسرحه الكلمة المفردة ، أما النبر الثانوي فيتحقق في إحدى بيئتين (الكلمة التي طالت بنيتها ، وبيئة السياق التي تدعو الحاجة فيها إلى الإيقاع بسبب ما يعرض له من إرباك نبر الكلمات بسبب اللواصق والحروف والأدوات التي تعرض في السياق.

2-المسافة بين النبرتين بمقدار كلمة عربية نحو " يستغنون " فالنبر الأولي في المقطع الأخير " النون " ، والثانوي في " بين " ، وكمية ما قبل النبر الأول (يستغني) بمقدار كلمة يرتقي .

3-النبر الثانوي أضعف جهدا من الأول (ضعف ضغط الحجاب الحاجز).

4-اختلاف الإيقاع في اللّغة العربية ، لاختلاف كميات الكلمات ، وذلك دفعا للرتابة والملل، تجسيدا لأهمية مبدأ القيم الخلافية في اللّغة ، ويفرق" تمام "بين الإيقاع في " نطاق التوازن " وإيقاع في " نطاق الوزن " (فالوزن للشعر والتوازن في الإيقاع للنثر ، وفي القرآن الكريم الإيقاع متوازن لا موزون).

5-كل من الوزن والتوازن ، من صور الإيقاع ، وهما من القيم الصوتية ، التي تصلح أن تكون مجالا للفن والجمال –يقصد "تمام" أهمية التوظيف الأسلوبي ، للتشكيل الصوتي ، وبواسطته يتم الكشف عن الدور البلاغي للأصوات ، وهذه الخاصية تمنحه الجاذبية ، لفت الانتباه... (1)

1- ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص268ـــــ270.

ومن قاعدة الائتلاف والاختلاف يتحدث عن تقارب أو انتظام اختلاف المقاطع عن بعضها ومن صور ذلك من القرآن الكريم ما يلي قوله تعالى : « **أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ** » [1] .من خلال هذا الشاهد القرآني ، نرى كيف يحدث الإيقاع من خلال تقارب الأطوال بين المسافات ، أو انتظام إئتلاف .

أوك-صيب-من الســ- ماء-فيه-ظل-مات و-رعد و-برق-يجع-لون-أصا-بعهـم-في آذانهـم- مـن — الصـ-وا عق-حذر الــ-موت-وا-لاه م-حيط-بالكا-فرين.

فبين النبر الأول والثاني مقطع واحد (ك)، وبين الثاني والثالث إثنان (يب) وبين هذا والذي بعده من السماء إثنان هما (ن،السـ) وهكذا مع باقي مقاطع الآية ، ويصدق على غيرها من آيات القرآن ، بالمناسبة فإن هذا الإيقاع (التوازن) هو مصدر رشاقة الأسلوب عامة ، والقرآن خاصة ، مما يؤدي إلى (الارتياح) بالإضافة إلى الإيقاع الترتيلي ، وهو طارئ من خلال الأداء والقراءة .

ثانيا - الفاصلة القرآنية:

إن دراسة التشابه بن الفاصلة وبين القافية الشعرية جعل الكفار ينسبون القرآن عند سماعهم له إلى الشعر وإلى سجع الكهان لكن القرآن في تراكيبه (طريق التأليف والنظم) وأسلوبه لم يكن واحدا من هذه الأنواع[2] وهنا يظهر إعجاز القرآن في رصفه ونظمه في قليله و كثيره ، وهذا النظم يشمل كل حروف القرآن إذ يتم رصف الحروف في كلمات أو لنقل اختيار كلمات على أحرف مخصوصة ،ومن ثم يقع الإعجاز والتحدي فالمقصود بالإعجاز الصوتي للقرآن مجيئه على هيئة خاصة من جهة البناء الصوتي ، أو التشكيل الصوتي أيضا للجمل والكلمات ، على المستوى الموسيقي أو الإيقاعي ، ومدا تلاؤم كل هذا مع المعاني والمقاصد (العلاقة بين الأصوات ودلالتها).

فلمعرفة ماهية الفاصلة القرآنية ، يجب وضعها مقابل مصطلحات أخرى : كالقافية الشعرية والسجع ، فما الفرق بينهما يا ترى ؟.

إن تقفية الشعر تعني تطابق خواتم الأبيات من الناحية الصوتية ، وجعل الالتزام بها جزءا من عمود الشعر ومن أوجه الفرق بينهما ما يلي :

1-تتطلب القافية التطابق التام بين عدد من الحروف ، في آخر كل بيت[3] ومن ذلك قول الشابي:

يَنْقَضِي الْعَيْشُ بَيْنَ شَوْقٍ وَيَأْسٍ * وَالْمُنَى بَيْنَ لَوْعَةٍ وَتَـــأْسِ
هَذِهِ سُنَّةُ الْحَيَاةْ وَنَفْسِـــي * لاَ تَوَدُّ الرَّحِيقَ فِي كَأْسِ رِجْسٍ[4].

---

1 - البقرة : 19.

2 - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 270ــ273.

3 - عبد الوهاب هنداوي : الإعجاز الصوتي في القران ، الدار الثقافية للنشر القاهرة، ط1 2004، ص 13.

4- أبو القاسم الشابي: الديوان ، إميل بنا ، دار الجيل بيروت ، ج1،ط1 1997،ص 152.

فالتقفية تحتم انتهاء أواخر الأبيات بحرف السين ، حتى في شطري مطلع القصيدة (التصريع)أما الفاصلة القرآنية فلا تلزم شيئا من ذلك ، إذ سرعان ما تتحول من نمط إلى آخر[1*] .

أ-ما يقوم على النمط مقصورا على حرف كما في قوله تعالى : « **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** »[1]، الفاصلتين " عظيم " و" مؤمنين" ، ولا يصلح في الشعر أن تقفو إحداهما الأخرى .

ب-وقد يقوم النمط على صفة الحرف في الفاصلة كصفة الضيق[2*] بالنسبة للواو والياء (عظيم ،مؤمنون يشعرون) موجودة في آخر آية بعد الآيتين[2] السابقتين في قوله تعالى : « **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**» [3] وبعملية إحصائية قام بها" تمام" لبعض سور القران الكريم - ورأينا هذا الإجراء في أكثر من موضع مما سبق - وذلك عندما يتصور الأسلوب على أنه محصلة معدلات تكرار الوحدات اللّغوية القابل للتحديد الشكلي في صياغة النص ، فهذه الوحدات يمكن إحصاؤها ، وبهذه العملية يتم إحصاء الفوارق المميزة للخصائص الأسلوبية في نص ما[4]، وهذا الإجراء يمكن اعتباره مقابلا للإجراءات التقليدية ، والتي تعتمد على التذوق الشخصي في وصف الأسلوب ، وكان" تمام" قد لمح لهذه الفكرة خاصة عندما قال:" نحاول أن نكشف عن الظاهرة كشفا علميا ...ولكن "شهاب" الخفاجي لم يستطع تحديدها» ومن الدوافع الأساسية لاستخدام الإحصاء في الدراسات الأسلوبية ، هو إضفاء موضوعية معينة على الدراسة نفسها ، ومحاولة تخطي عوائق تمنع من استجلاء مدى رقة أسلوب معين أو حتى تشخيصه[5] ،ومن ذلك الإحصاء للفواصل الواردة في سورة الحج[3*] ، وتوصل إلى أنها لا تحمل شبها بالتقفية وهي تجري على النحو التالي [6]:

" عظيم –شديد-مريد-سعير-بهيج- قدير-القبور-منير-الحريق-للعبيد-المنير-البعيد-العشير..." وبتتبع السورة حتى آخرها ، جاءت " الياء" في سبع وخمسين فاصلة ، وجاءت الواو " في عشرين ، و"الألف " في فاصلة واحدة (ما شاء) ولم تلتزم حرفا واحدا بعد الياء والواو ، بل تنوعت بين (الراء –دال-نون-قاف)

1* - الفاصلة القرآنية عددا من الأبنية ، من حيث حروف الروي أو الوزن ، أو طول القرينة ، أو طول الفقرة ، أو من حيث موقع الفاصلة، أو مقدارها من الآية ومدى تكرارها . محمد الحسناوي : الفاصلة في القران، دار عمان للنشر والتوزيع، ط2 2000، ص145.

1 - البقرة : 07-08.

2* - بتقريب جزء من اللسان ، من الحنك الأعلى أثناء النطق.

2 - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص276.

3 - البقرة :9.

4 - صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، ص 265-266.

5 - حسن ناظم : البنى الأسلوبية، ص48.

3* - ثم أحصى فواصل سورة الرعد ، وتبع هذا التباين في سور عدة من القران الكريم (آل عمران، هود، إبراهيم، عبس...).

6 - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص277ـــ279

والمغزى من كل هذا أن مطالب الفاصلة تختلف اختلافا تاما عن شروط القافية ؛ فالفاصلة تضفي على النص قيمة صوتية منتظمة –التوزيع الوظيفي داخل الآية – فتتظافر الفاصلة مع الايقاع لينتج عن ذلك أثر جمالي ، كالذي يحس في وزن الشعر وقافيته ، لكن الفرق بينهما أن الوزن الشعري خاضع لأوزان وقيود ، بينما الثاني حر من تقاليد الوزن وقافيته مما يوحي بالسلاسة والعفوية والانسياب والحلاوة.

ومن هنا تظهر أهمية الوقوف عند الفاصلة ، فهي بمثابة محطة لتزويد القارئ بنفس جديد ، ومن جهة أخرى إحساسه أثناء الوقوف عندها ، بأنه يقف لدى معلم من معالم السياق المتصل ، ورائق الإيقاع ، وروائع المعنى من كل باب-وهنا امتداد لربطه الوظيفي بين المبنى والمعنى –وهذه الأخيرة تعم جميع الظواهر اللّغوية فيما ذلك المستوى الصوتي وبعدها يتم دراسة اللّغة من الخارج أو من الداخل ،(التشكيل الصوتي ثم الدلالة)[*] لذا نجد تمام منذ البداية إقرارا بهذه العلاقة ، بأن الأصوات تتعلق بها نوع من المعاني .

ويمكن أن تكون الفاصلة جزءا من تركيب الآية ، مكملا لبنيتها نحو قوله تعالى: «وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آَمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ» [1]

وهكذا إلى قوله تعالى : « جَاثِمِينَ»[2] فالفواصل مرتبطة دلاليا مع الآيات ، ومع التراكيب ككل(وحدة عضوية) من حيث التركيب الاتساق (وظيفي بنوي) ، ومن حيث الأسلوب (الجمال) ويضاف إلى هذا أنه إذا كانت القاعدة مرتبطة في مدلولها العام بالعلاقة بين الخاصيتين الصوتية، والحاسة السمعية فإنها تأخذ بعدين آخرين : أولهما متعلق بتحسس الجمال واستكناه أسراره - لفظ الأسلوب أعلاه - وثانيهما متعلق بإصابة المعنى في العملية الإبلاغية ، وهذا جانب وظيفي (لفظ التركيب) وكلاهما يحقق ما يعرف بالجانب الانفعالي في اللّغة من خلال النص الأدبي عامة ، والقرآن على وجه الخصوص .

وكل من الشاعر والقارئ للنص القرآني يلتزم إظهار المعنى ، بل إن القارئ أحرى به أن يركز على المعنى ، لأن النص القرآني رسالي بالدرجة الأولى[3]-مستوى الإيصال والتبليغ ، ويحمل متطلبات الخطاب وبعدا وظيفيا تداوليا-وقد تكون الفاصلة تذييلا كالتعليق ، أو التعقيب على محتواها نحو قوله تعالى : « إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا

[*] - وهو ما عبر عنه ابن جني :" حد اللّغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".ابن جني : الخصائص ، ج3 ، ص 33.

[1] - الاعراف74-76.

[2] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص279- 280.

[3] - صلاح يوسف عبد القادر : الصوت والدلالة في النص القرآني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد الثالث ، نوفمبر 2003، ص 47-48

فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ »[1]، وباقي فواصل الآيات والله عليم بذات الصور –إن الله غفور حليم ...) يلاحظ انسجام وتآلف بين مضمون الآية ومضمون التذييل[*] –لكل مقام مقال.

لكن أحيانا تكون الفاصلة دون تمام المعنى كما ، في قوله تعالى : « **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** »[2] فالذين يؤمنون بالغيب صفة للمتقين ، فالمعنى يتم عند الفاصلة الأولى " المتقين" بأن أصبح موصوفا ، وهو عام يحتاج لتخصيص.

مجددا يقف" تمام" على التراث وقفة المتفحص الناقد ليقول أن لا أحد منهم جعل أغراض التقديم والتأخير الانتفاع بجرس اللفظ ، فلربما أدت رعايتها إلى تقديم عنصر أو تأخيره ، فهذا وجه بلاغي للفاصلة ففي قوله تعالى : (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)رتبة مشوشة ، والأصلية(وينفقون مما رزقناهم) ، ففهم التقديم والتأخير مرتبط بقيمة الفاصلة في إطار النظم الصوتي القرآني ، ومن أهم الأسباب التي تدعو إلى إعادة النظر في مناقشات القدماء (بلاغيين ومفسرين) لمسألة الاختصاص في بلاغة القرآن.

فيكون" الزمخشري" قد بالغ-إن صح- التعبير في النظر إلى التقديم والتأخير في ضوء الاختصاص ، وبالتالي إعادة النظر في لغة القرآن ، على الأقل إن لم يكن للبحث في الاختصاص بصفة عامة .

ما دامت للفواصل هذه القيمة فتعديل الكلام ، وحسن النظم[3] ، ومن ذلك أيضا قوله تعالى: «**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ**» [4]فتقديم الجحيم من الصلية تقديم للمفعول به على الفاعل ، لم يكن الاختصاص ، إنما للفصيلة السجعية.

فالفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة جمالية ، تستحق الرعاية ، ولو تعارضت رعايته مع بعض أنماط التراكيب النحوية ، ويكون العدول عن الأصل ، أو الترخص في القاعدة لرعايتها ، نحو قوله تعالى : « **قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ** »[5] بدلا من :" أم لا تهتدي" .

ومما سبق نستنتج ما يلي :

إن الصلة غير مطردة بين الفاصلة وتمام المعنى –دائما-ومن ثم تصب وظيفتها في القرآن غير نحوية ولا دلالية فأغلب الظن أن غرضها جمالي ومع هذا فلا يمكن إنكار توافقها مع "تمام"المعنى- كما رأينا سابقا-

---

1- آل عمران : 153.

*- ولكن الفواصل مع ذلك توقيفية بل فقد يتحقق للفظ تمام المعنى ، وحروفا الفاصلة ، ولكنه مع ذلك فلا يعتبر فاصلا نحو قوله تعالى :« **مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ**»آل عمران 92.

2 - البقرة : 2-3.

3– محمد سليمان العبد : من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ،تحقيق محمد خلف الله ،محمد زغلول سلام،دار المعارف،ط4،ص98-99.

4 - الحاقة : 30-31.

5- النمل : 41.

-تميز القافية في الوزن الشعري والسجع.

- الفرق ما بين الوزن والتوازن ، فالأول للشعر ، والثاني للنثر ، وللقرآن[1].

- النظام في الفاصلة هو أحد قوانين الإيقاع السبعة ، وهو أولها ، ويتجلى في اطراد الفاصلة في القرآن كلــه ، اطراد لا يحتاج إلى برهان .

- التزامها الوقف ، لا سيما الوقوف على السكون وهو معظم فواصل القرآن[2] .

ويختم هذا العنصر بتوضيح الفرق بين السجع والفاصلة إذ يقول" الرماني " : « أما القوافي فلا تحتمل ذلك لأنها (أي البلاغة) ليست في الطبقة العليا من البلاغة ؛وإنما حسن الكلام فيها إقامة الوزن ، ومجانسة القوافي فلو بطل أحد الشيئين خرج عن ذلك المنهاج،وبطل ذلك الحسن الذي له في الأسماع(...) والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع ، وتحسينها الكلام بالتشاكل ، وإبداؤها في الآي بالنظائر»[3] .

ثالثا -الحكــــــاية :

يعدد "تمام حسان " للحكاية أكثر من معنى ، زيادة على المعنى الاصطلاحي لها .

1-حكاية اللفظ المسموع : كما سمع ولو تعارضت صورته المحكية مع حالته الإعرابية نحو:" قابلت اليوم زَيْدًا " ثم تسأله :" من زَيْدًا " ← والأصل في السؤال أن نقول " من زَيْدٌ " على الرفع لا النصب.

2-حكاية الجملة بعد القول ن على صورتها عند سماعها ، بلا تغيير ولا تبديل (جملة مقول القول)

3-حكاية الصوت للمعنى ، لما في جرس أصواتها من إيحاء بالمعنى[4] ، أي ما أسماه "ابــن جــني" :"إمســاس الألفاظ أشباه المعاني" .أي " محاكاة بالصوت والجرس ، لصوت الفعل أو الحدث [*]—إذن يلتقي الجرس —عند العرف على مصادقة ومحض اتفاق ، وبهذه الإشارة فلا وجود لعلاقات ضرورية بين الصوت والمعنى ، إذا سلم بالاعتباطية.ويستدرك أن انتقاء اللفظ بقصد استعماله يكون تعمد وحسن اختيار ، وهذا مفارقة ما بين اللّغة في مستواها المعجمي ، والاجتماع العرفي ، وبين اللّغة باعتبارها استعمالا وتصريفا واختيار (أو لجانب الفردي لها) وهذه الفكرة وطيدة الصلة بما ذكر سابقا عن التحليل الوظيفي للأسلوب إذ إن المفهوم الوظيفي لهذا الأخير يعتمد على فكرة تصوره ابتداء كعملية اختيار واعية أو غير واعية لعناصر معينة ، وتوظيفها عن قصد لإحداث تأثير خاص (التأثير الأسلوبي).

فالأسلوب إذن يتمثل في الهيكل الاختياري الذي يتكون من مجموعة من العناصر الممكنة عند كاتب معين (وهنا النص القرآني) عندما يقوم بدور المؤشر ، وما تركيز البلاغين في تعريفا تهم للبلاغة على عنصــر تخــير

---

[1]- ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص279ـــــــ285.

[2] -محمد الحسناوي : الفاصلة في القرآن ، ص 177.

[3] - الرماني : النكت ضمن رسائل ثلاث في أعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله محمد زغلول سلام ، دار المعارف، ط 4 ،ص 98-99

4 - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص285-286.

* - بالمقابل هناك محاكاة بهيئة ناطق ، وهي محاكاة بالفعل لا بالصوت ، أي محاكاة هيئة إعطاء النطق وكيفية تحريكها عند النطق ما بين فتح وضم وكسر ، وإغلاق الرفع .عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصوتي في القران الكريم، ص69.

اللفظ إلا لأهمية الاختيار التي تمثل في الغالب نوعا من العدول ، فالاختيار في حقيقته عدول عن المستوى النمطي أو إلى المستوى الفني من الكلام ، عدولا داخليا العدول السياقي عند " ريفاتار"[1].

4- أمر رابع عرف في عرف اللّغويين : بالألفاظ السلسة"، وفي عرف النقاد بالكلمات الشعرية ، وإن لم يعرف باسم الحكاية ووقع فيه اختيار الكلمات لجرسها ، ومن شواهد الحكاية في القرآن الكريم ما يلي :

قال تعالى : «حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا»[2]

(ادَّارَكُوا) أصلها تداركوا قلبت التاء دالا وأدغمت في الدال [1*]، لكن الدال جلبت الألف سهولة النطق [3]والدرك اسم في مقابلة الدرج ، لأن الدرج مراتب اعتبارا بالصعود ،والدرك مراتب اعتبار للهبوط ،لذا اعتبر من منازل جهنم بالدركات ومعنى الآية أن لحق كل بالآخر[4]—والتشديد هنا يوحي بتداعيهم في النار واجتماعهم متزامنين ، ويظهر هنا أثر التشكيل الصوتي ، و أثره الأسلوبي وعلاقة الأصوات بالمعنى ، والإدغام هنا ليس بسبب الثقل كما هو معروف إنما تجاوزهما ليكسب الآية حسن الجرس (وهذا مرتبط بالنوع الثالث من الحكاية)[5] .

و هذا النوع من الحكاية ، ليس حكاية لصوت الحدث ، أو ثقلا به ولكن فيه نوع من المناسبة الصوتية، والملائمة للمعنى المعبر عنه ، وهو عنده أكثر فنية من الأول لأن واديها يختلف عن وادي الأصوات والألفاظ ومحاولة وضع صوت مناسب لها أدق وألطف مثل " ضِيزَى" "إِثَّاقَلْتُمْ "[6].

يرى " تمام حسان " أن هذا شبيه بإيحاء التكرار [2*] ، كما في قوله تعالى : « فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ» [7] وهذا نوع من التكرار بحسب الصوت ، تكرار الكاف والباء ، وما يوحي بتكراره "كب "

---

1 -عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصوتي في القران الكريم، ص78.

2 - الأعراف : 38.

1* - حيث وقع إبدال ، وذلك بإبدال التاء الساكنة دالا ، ثم أدغمت في الدال بعدها وأدغمت التاء والدال لقربهما في المخرج. ينظر ، تمام حسان: البيان في روائع القرآن ، ص 287.

3 - المرجع نفسه ، ص 287.

4 - الفيروز أبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ،المكتبة العلمية بيروت (د .ت) ، ج 2 ،ص594-595.

5- ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص287

6 - عبد الحميد هنداوي : الإعجاز الصوتي في القران الكريم،ص 68-69.

2*- للتكرار أنواع (بحسب نوع الأصوات : كتكرار حرف –أو تكرار الحركة إذ تكرر مقطع ، تكرار كلمة وبحسب صفة الأصوات ، تكرارا الهمس ، وللجهر والإطباق والقلقلة . الفيروز أبادي : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ص287 .

فواصل الصورة (ق) بحسب كيفية التكرار، متتابع (أمم ممن معك) أو منفصل |بحسب درجة التكرار القوافي " ملتزم " وهناك غير ملتزم" |بحسب القيمة الفنية : مطابق (ما كان متفق السياق –بليغ متفقا مع السياق جرائد غرض بلاغي) –متكلف : ما كان متنافرا مع السياق. عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصوتي في القران الكريم، ص 105.

7 - الشعراء: 94 . بمعنى رمى بعضهم فوق بعض في الجحيم منكبين على وجوههم. الطبري:جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، ص 21.

كب أهل النار فيها ، وتواليهم في دركات الجحيم وهذا يأتي منسجما مع سياق الوعيد والتهديد كما أن تكرار صوت " الباء " لما فيه من قلقلة انفجارية مناسبا لمحاكاة تردي تلك الأفواج في النار ، وأن احتكاك " الكاف" و" الباء" وتكراره يؤدي باحتكاك تلك الأفواج ، ووقع بعضهم فوق بعض[1] .

ولا ينسى " التفخيم " وما يحمله من إيحاء لما يعزره من إحساس بالمبالغة في الحدث أو الصفة[*] ، ومن ذلك قوله تعالى : « الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ» [2] فطوبى مفخمة وهي مؤنث أطيب.

وقوله تعالى : « وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى» [3]" الحسنى " مؤنث أحسن، وكلتاهما أفعل تفضيل لكن لما عبر في الرعد" بطوبى " ، وفي الكهف " بالحسنى " ، أحال " تمام حسان " الإجابة عن هذا إلى السياق طبعا، وقد عهدنا هذا منه سابقا ، إذ مركز التحليل الوظيفي دائما " السياق " فالسياق في صورة " الرعد" يدور حول الذين آمنوا ــ وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، وفي درجة فوق العمل الصالح (الذي يبلغ درجة الاطمئنان فكان جزاؤهم أعظم ، لذا اختير لفظ " طوبى " دون " الحسنى"المختار في سياق آية " الكهف " والذي كان يقارن بين من ظلم فاستحق العذاب ومن آمن وعمل صالح استحق " الحسنى "

وتعددت هنا الدلالة الصوتية لتشمل السياق (سياق الموقف) إذ تم التركيز في مثل هذا التحليل على موقعه السياق الثقافي للنص ، ورأينا سابقا كيف أن لمجال وكيفية القول وطابعه أهمية في هذا التحليل، فمجال القول لنص معين يتعلق بموضوعه ، وبالملامح اللّغوية التي يمكن أن تترابط معه (كما نرى هنا المناسبة بين السياق والألفاظ المختارة " طوبى والحسنى" أما كيفية القول : فهي البعد الذي يتصل بالفروق الناجمة عن الاختلاف بين المواقف التي يتعين على اللّغة أن تؤدي وظائفها فيها (ورأينا هذا أعلاه) وكذا طابع القول : المتمثل في الصيغة الشكلية التي تعكسها اللّغة في الموقف وهو يتوقف دائما على العلاقة بين الباث والمتلقي (لذا اختير مصطلحي " طوبى " في السياق الأول ، و" الحسنى " في السياق الثاني، فالوجهة الوظيفية تعتمد على هذه الأبعاد الثلاثة متشابكة .

المحسنات البديعية اللفظية[4] :

هذا النوع من التحسين هو تسخير واع لما يمكن للقيم الصوتية وظاهرة الحكاية أن تثيره في نفس المتلقي ويصدق ذلك على :

---

[1] - عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصوتي في القران الكريم،ص 107.

[3*] - من ذلك كلمة " ضيزى" : في قوله تعالى : « تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى»النجم 22

[2] - الرعد : 29.

[3] - الكهف :88.

[4] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص287-290.

الجناس تاما كان أو ناقصا ، وعلى المشاكلة في اللفظين (وهو من الظواهر اللافتة للنظر في ظـاهرة التكـرار الصوتي) ومن ذلك قوله تعالى : « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» [1] فالاتفاق لفظا ، والاختلاف معنى (سيئة بمعنى الذنب والسيئة الثانية بمعنى الجزاء ، فيتفق اللفظ ويختلف المعنى وصولا إلى المشاكلة ، وهو من الجناس التام وقوله تعالى : « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ» [2] جناس ناقص ، لا صلة بينهما في المعنى .

فالقيمة الصوتية ترقى إلى حكاية معنى عرفي ، رصده المعجم للفظ ، أو المعنى طبيعي مما تستوجبه النفس ، ولا تستطيع وصفه (ربما يكون الذوق والإحساس والإيحاء نتيجة التأثر [3] .

وبالنسبة للعلاقة بين الصوت والدلالة ، فإن الدلالة الصوتية تأتي مصاحبة ومتظافرة في الوقت نفسه مع الدلالة المعجمية الصرفية والنحوية ، وفي كل هذه توضيح لأهمية استعمال أو توظيف حكاية الصوت ، للوصـول إلى أغراض إيحائية بالمعاني الطبيعية والتي تضيف إلى المعاني العرفية للألفاظ أبعادا (إضافة إيحائية) [4] –ومصـطلح الطاقة الإيحائية والتأثر، وتشبيهه باللحن الموسيقي الذي يطرب له - هذه الفكرة قد مهد لها في الصفحة الأولى من الكتاب حينما قال : « متجها إلى الغايات العلمية التي أملت عليه أن يغشى ساحة القرآن متـأملا بعـين اللّغوي وقلب الأديب ، ما اشتمل عليه النص القرآني من مبادئ اللّغة ومعاني الأدب» [5] وذلك يعني أن كل من يتصدى للبحث الأسلوبي أن يترك هذا العمل يمارس تأثيره الكلي والعميق عليه ، فالدراسة العملية المحضة لابد أن يرافقها نوع من الذوق والإحساس ، إلا أن الشعور الذاتي لا يصلح دائما أن يكون أساسا للعمل العلمي ، وهذا لا يمكن جحوده فبالإضافة إلى جانب الكفاية العلمية لابد من قلب وعين ونفس حساسة قادرة علـى الاستجابة ، مع العلم أنه ليس على حساب النتائج ، فإن كانت النتيجة واحدة ، فما الهدف إذن من استبدال البلاغة بالأسلوبية –كما يزعم البعض –وعنصر الإثارة هذا رأيناه عند " داما سو ألونسوا" سابقا إذ الدال قد يكون مشحونا بأكثر من تصور ذهني ، مما يحرك الانفعالات.

كما أن الطاقة الإيحائية للصوت ، تتضح في إبداع القرآن لفظا أو تحويل ألفاظ عن معانيها إلى معاني أخـرى تتناسب إيحاءً مع أصوات الألفاظ ، ومن ذلك قوله تعالى : « لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا» [6]

---

[1] - الشورى : 40.

[2] - الأنعام 26هؤلاء المشركون المكذبون ينهون الناس عن القرآن وعن إتباع محمد عليه السلام ويبعدون عنه . ينظر، محمد علي الصابوني :صفوة التفاسير، ص 385.

[3] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص-290-292

[4] - عبد الحميد الهنداوي الإعجاز الصوتي في القران الكريم،ص 35.

[5] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص03 .

[6] - النبأ 24- 25 حميما بمعنى ماء أغلي حتى انتهى حره ، فهو كالمهل يشوي الوجوه " غساقا " السائل الزمهرير الجامع مع شدة البرد نتن الرائحة مختصر تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص513.

" غسق " اشتق من مادة (غ س ق) ففي القرآن"الغسق "، "الغَاسِق" ، و"الغسَّاق" والدلالة المشتركة بينهما أمور كريهة أما " الغسَّاق " ففيه تسخير للتشديد على السين ، أفاد توكيد الكراهية المستفادة من حروف المادة أما الحميم فهو طباق للبرد ، والغساق طباق للشراب، مما يوحي بالتضاد بين الشرب والغسَّاقُ والحميم والبرد وبالتالي "فالغسّاق" لا يشرب ، وهذا نوع من تحويل الألفاظ عن معانيها.

-وهناك إيحاء من نوع آخر : لا يعود إلى أصوات الكلمات ، إنما يعود إلى الدلالات الهامشية للألفاظ والعبارات فما كان من ذلك الإيحاء حسنا ، حرص النص به على الألفاظ، وما كان سيئا ممجوجا أطرح النص مما يؤدي إليه من ألفاظ أو عبارات –دائما مراعاة السامع والموقف وسياق النص - و تجاوز الإيحاء العادي إلى الفني وأهمية شحن الألفاظ والعبارات بالمعنى و أهمية عملية الاختيار - ومن ذلك قوله تعالى: « **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ**» [1]

للفعل" شرى " معنيان ضدان (بمعنى اشترى[1*]، وبمعنى باع) وهو المعنى المقصود والقرنية لفظ "ثمن " ولفظ "زاهدين" ؛ لأن الزهد في الشيء يتنافى و الشراء ،لكن يتوافق مع بيعه والآية الكريمة ، وتكريما لنبي الله يوسف -عليه السلام- لم تعبر عن بيعه بلفظ البيع والذي يكون للعبيد، إنما جيء بالضد ، مراعاة لنفس النبي.

رابعا - المناسبة[2] :

ما يعد في الذوق العربي ذوقا أيضا –باعتبار أن هناك مظاهر أخرى كالوقف والتأليف...-كراهية التنافر ما يسمونه بظاهرة المناسبة *vowel larmony* [3]ويقصد بها أن يكون الصوتان المتجاوران ، أو اللذان يفصل بينهما حاجز غير حصين ، أن يكونا على صورة لا يرد فيها تنافر أحدهما مع الآخر لا في الأداء ولا في السمع وتخضع بعض صور المناسبة الصوتية في اللّغة العربية للتقعيد ، ويظل بعضها الآخر للاختيار الأسلوبي الفردي الفني–وقضية التنافر والتلازم هذه ، هي ما تحدث عنه "الجاحظ"- ومما يخضع للقاعدة [2*]:

-تفخيم لام لفظ الجلالة وترقيقه بحسب الصوت الذي يسبقه.

-تحريك الغيبة بحسب ما يسبقه.

-كسر المناسبة قبل ياء التكلم ــ عند الإضافة وياء المخاطبة.

---

[1] - يوسف : 20.

[1*]- ومن ذلك قول عنترة .حِصَانِي كَانَ دَلاَّلُ المَنَايَا * فَخَاضَ غِمَارَهَا وَشَرَى وَبَاعَا (عا)

عنترة بن شداد :الديوان يوسف عيد ، دار الجيل بيروت، ط1 1992،ص136.

[2] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص297ـــ301.

[3] - تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها، ص273.

[2*] - المناسبة بحسب القاعدة لا فضل في رعايتها لأسلوب على آخر شجاعة الصياغة في عدم رعايته نحو قوله تعالى : «**وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**» الفتح 10.إذ جاءت الهاء من " عليه " مضمومة على الرغم من الياء الساكنة قبلها. ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص301.

-بناء الماضي والأمر على الضم لمناسبة واو الجماعة (أكلوا ، لعبوا).
-تحريك آخر كل فعل بالفتحة إذا أسند إلى الألف.
-الفتحة الدالة على الألف المحذوفة في نحو: يسعَون ، يرضَون.
-الجر بالكسرة لما دخل عليه حرف الجر الزائد.
-إتباع العين للفاء فيجمع المؤنث السالم من الثلاثي نحو : سَجَدَاتٍ أما الجانب الأسلوبي الفردي الاختياري من المناسبة فقد اشتهر منه أمران :

1-**إعراب الجوار:** مع إطراح الإعراب بحسب القاعدة –أي الترخص في القرينة الإعرابية .

2-**الإتباع على اللفظ** : وهو يتم بإيراد لفظين بينهما شبه تقفيه (المناسبة الصوتية الموسيقية) ، ما لم يعطف أحدهما على الآخر وذلك نحو " حيص بنص " " شذر مذر "-ودائما "تمام " في هذا المستوى من الاستعمال والتصرف لا النظام، يعطي لمنشئ النص حرية الاختيار والممارسة (أي سلطة الكاتب على النحو).

ومن مظاهر المناسبة الفنية التي تحكمها القاعدة منها :

الفاصلة القرآنية (وهي أشهر مظهر قرآني) ما دامت المناسبة الصوتية تعتمد على الانسجام لا المطابقة فالمناسبة الصوتية إذن هي المبدأ الذي تقوم عليه الفاصلة القرآنية ، وعلى هذا فالمناسبة حرية وانطلاق و اختيار أسلوبي ، لكن المطابقة تقييد(ضرورة أحيانا) .

3- **الإمالة:** (ظاهرة نجدية) وارتباطها بالمناسبة تحكمه بيئات صوتية خاصة تصبح الإمالة بها ظاهرة موقعية ولا يمكن عد هذا الارتباط قاعدة من القواعد اللازمة في القرآن الكريم[1].

ومعنى كون المناسبة سبب الإمالة :

أن الألف تمال المناسبة بينهما وبين الياء أو الكسرة مثل " قال " تنطق أحيانا وبالإمالة "قيل" وهذه المناسبة غاية أسلوبية صوتية[*] ، وتكون ملابسة الألف للكسرة على إحدى الصور الآتية :

-إبدال الآلف من ياء متطرفة كما في رمى و هدى .

وتمنع إمالته الألف ، كأن يتصل به حرف يستحق التفخيم،فالتفخيم يدفع الإمالة والكسرة تأذن له-لذا قيل عن الإمالة أنها من المناسبة الصوتية.

---

1 -ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص300–303.

* - وهو فرع من علم الأسلوبية يهتم بالجانب الصوتي والفنولوجي ، حيث يساعد في كشف التوظيف الصوتي ، شارحا أبعاد التكرار أو التقابل والتوازي، في مستوى الأصوات المفردة ومستوى السياق الصوتي ، تتابعا وتطويرا ، معتمدا على مصطلحات كل من علم الأصوات"phonétics " وفنولوجي ، أول من استخدم اصطلاح phnostylisticهو "نيقولاي تروبتسكيي"في كتابه "أصول الفنولوجية" ، ظهر أول مرة في ألمانيا عام 1936م في مطبوعات جماعة " براغ" ؛إذ يرى فيها أهمية هذه الناحية ووجوب تنميتها في دراسة تسمى بالأسلوبية الصوتية . انظر محمد صالح الضالع : الأسلوبية الصوتية ،دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، ط2 2002 ،ص15-16.

-**وهناك مناسبة صوتية تحكمها القاعدة** ، فهي تركيبة وليست أسلوبية (لا تتصل بالاختيار) وهذا هو العرف الملاحظ سابقا بين الرخصة والعدول ومن ذلك الثلاثي الساكن العين :" كسجْدة " " خدمه"، فهي أسماء غير صفات ، إذ جمع بالألف والتاء (سجدات) وحركت عينه بمثل حركة الفاء وإيجاز(تسكين العين) في مكسور الفاء ومضمومها ، لم يجز في مفتوح الفاء إلا إتباع حركة العين ، حركة الفاء للمناسبة ، نحو قوله تعالى : « **فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ**» [1].

وقوله تعالى :" **وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ**» [2]لأن الفاء مفتوحة ، أما ما يتصل بالاختيار الفردي اتباع الحركة أختها في ألفاظ مفردة كما في قوله تعالى: « **وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ**» [3]فجاءت كل من اللام والراء (ل،ر) مجردتين معا، وقد تدعو المناسبة إلى وصف اللفظ ، بصفة مادة اشتقاقه كما في قوله تعالى : « **وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**» [4]"مناسبة صوتية وإضافةمعنى التراكم .

-المناسبة بإخضاع حركة البناء لما جاورها ، كما في قراءة حمزة في قوله تعالى : « **فَلِإِمِّهِ الثُّلُثُ**» [5] من إخضاع الحركة الإعرابية بكسر همزة " إم" ومن إخضاع الحركة الإعرابية لمناسبة في قراءة « **الْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**» [6].

خامسا : حسن التأليف[7]

لاحظ اللّغويون منذ القدم ، عند النظر في "تأليف الكلمة العربية "من أصولها الثلاثة (الفاء-العين-اللام) أن هذه الأصول يجري تأليفها حسب أساس ذوقي و عضو ي خاص يتصل بتجاور مخارج الحروف الأصول التي تتألف منها الكلمة أو بتباعدها بالنسبة إلى أماكنها في الجهاز النطقي ، وإذا أريد عند القدماء أن تكون الكلمة فصيحة ، فلا بد من تناسق حروفها ، وهذه الفكرة هي الأساس في اللّغة العربية الفصحى ، فبحسبها تتجاور الحروف في الكلمة أولا[8]-وهذا ما رأيناه في المناسبة ، من أن الأسلوبية الصوتية تهتم بالفونيتيك والفنولوجيا وأضاف " تمام" هنا مصطلح حسن التأليف ، لم يقل التأليف فقط وذلك ليبين أبعاده الفنية الجمالية (الأسلوبية). وأثره في المعنى وليس لحسن التأليف في متن اللّغة قواعد محددة ، ويقول " تمام":« لذا جعلناه ظاهرة أسلوبية لا تركيبية »وتظهر أهمية الكلام في حسن التأليف بالنظر إلى حقلين من حقول الاستعمال اللّغوي :

---

1 - فصلت : 16.
2 - الرعد : 06.
3 - الحج : 05.
4 - آل عمران : 04.
5 - النساء : 11.
6 - الفاتحة : 02.
7 - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 303ـــ306.
8 - تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها ، ص265ـــ269.

الأول : حقل الكلام في الفصاحة (مبدأ النقاء اللّغوي) فقد نسبت هذه الأخيرة إلى القبيلة ، فيكون من قبيل " علم اللّغة الاجتماعي " ومرة إلى الكلام ، فتضيف بذلك قدرا من طابع النقد ، ومرة إلى الكلمة ، فتكون من فقه اللّغة (أو من اللّغة) ويرى " تمام " أن قولهم -القدماء - عن الكلام فصيحا ، إذا خلا من التعقيد اللفظي والمعنوي ، وعلى هذا جعلوا صفة الكلام سلبية لا إيجابية للإيجاز(*).

-أما فصاحة الكلمة فقد ارتبطت بخلوها من تنافر الحروف ، ويرى "تمام"أن هذا الخلو السلبي يمكن أن يتحول إلى الإيجاب.

-من خلال القول بحسن التأليف ، لتصبح الكلمة الفصيحة ، هي التي حسن تأليفها تناسب أجراس حروفها الأصلية بحيث لا يكون في نطقها عسر أو ثقل[1] ،ككلمة " مستشزرات" في مدونة " امرئ القيس" ومرجع ذلك هو الذوق الذي يتجه إلى كراهية التضاد أو التنافر.

فإذا كانت اللّغة العربية تكره توالي الأضداد ، وتكره توالي الأمثال ، فما الذي يرتضيه ذوقها ؟ كل من النظام اللّغوي –الاستعمال السياقي خاصة-يحرصان في العربية الفصحى على التقاء المتخالفين (الحرص على التخالف و يكرهان التماثل ، والذي يؤدي إلى اللبس أو التنافر (لأنه ينافي الذوق العربي) ولهذا فإن الظواهر الموقعية التي ترد في السياق –الموقعية دائما-تتجه إلى الاختلاف (القيم الخلافية) وهذا يجري على كل مستويات اللّغة لا الأصوات فقط[2].

الثاني : حقل الكلام في الألفاظ الشعرية وغير الشعرية : وهذا الحقل أوسع ليشمل أصوات الكلمة في عمومها متجاورة كانت أم غير متجاورة ،ويشمل أحيانا الحكاية (حكاية الصوت للمعنى) والمقصود بالحكاية هنا ما عرف عند النقاد باسم :" الكلمات الشعرية " أو " الألفاظ السلسة " عند اللّغويين ومن المذاهب النقدية والإبداعية الحديثة ، تذهب إلى جدوى تجاهل المعاني العرفية (المعجمية للكلمات/واستنباط دلالات من جرس الألفاظ لا عرفها).

ويرى" تمام "أن نقاد العرب من السلف ، قد أشاروا إلى حلاوة اللفظ وطلاوته وسلامة الأسلوب ، لكن لم تتجاوز مجرد الانطباع –وهذا ما قيل سابقا -، من أن الانطباع على الرغم من أهميته فهو غير كاف.

ويتجه " تمام" من جديد إلى التراث (المتأخرون من البلاغيين) إذ يرى أنهم ربطوا بين حسن التأليف ، ومخارج الحروف فربما اختيار " تمام" لأعمال هذه الفئة يعود إلى قربها من الدراسة الوصفية ، لما أجرته من دراسة للمخارج وعلاقاتها ، بحسن التأليف.

* - كتعريفهم للحرف بالسلب (ما ليس كذلك) وعرفوا المفرد بالسلب أيضا ما ليس مثنى ولا جمع.

1 -ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص307.

2 - تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها ،ص264-265.

ومن ذلك ما قاله " السبكي "حول رتب الفصاحة فهي متفاوتة والكلمة تخف وتثقل من حرف إلى حرف لا يلائمه قربا أو بعدا. [1]

وتعليق "تمام" على هذا القول هو :

-إن قول "السبكي" بخفة وثقل الكلمة فيه ربط حسن التأليف ، بطلب الخفة لكنهما يلتقيان ويفترقان (كالقاف والنون ، فقد يعد التقاؤهما لحسن التأليف ، لكن طلب الخفة ، يدعو إلى إجراء صوتي ينأى عن مخرجها الأصلي لتخفى قبل القاف(لتبقى الغنة) .

-كما أن حسن التأليف لا يتعلق بالمخارج ، إنما يتعداها إلى صفة الحروف كذلك فالاستعلاء (اللام) لا ينسجم مع الاستفال الصفير (ص) ،والتفشي(ف) واللّغة لا تتخلى ولا تتسامح عن التناسق في مخارج الحروف لكن الاستعمال سيد الموقف إذ : « لا حيلة لمنشئ النص للتغلب على ما يشبه الضرورة في الاستعمال» وتتضح الحاجة إلى الترخص في هذه الحالات :

1-**الالتزام ببنية الصيغة الصرفية** : كما في قوله تعالى : « **وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ**» [2] التقاء الواو والضمة في الفعل المبني للمجهول (وُقِفُوا)، وهما بمقياس التأليف متنافران (الثقل، بالإضافة إلى الضمة على الواو والكسرة على القاف ، ولو قلبت الواو (فاء الكلمة) إلى همزة يكون أثقل لوجود الكسرة عكس كلمة " أُقِّتَتْ" ، لقرب المخرجين وتوالي حركتين عدوتين (الضمة والكسرة).

2-**الالتزام بخصوص الزوائد في الكلمة** : إن كلام" السبكي" لا يصدق على غير الأصول الثلاثة للكلمة،أما الزيادة فهي تزاد على الكلمة كما تقضي القواعد الصرفية، بغض النظر عن الصوتين المتواليين ومن ذلك قوله تعالى : « **وَإِنْ تَتَوَلَّوْا**» [3] توالي التاءين.

وقد تحذف إحداهما ، نحو قوله تعالى :« **وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ**» [4]

3-**الالتزام بخصوص اللواصق**[*] : ومن ذلك قوله تعالى : « **لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ**» [5] الفعل ليكونن دخلت عليه نون التوكيد الثقيلة، فتوالت ثلاث نونات (ن) أما إذا دخلت إحدى النونات من

---

1 - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص308ــ309.

2 - الأنعام : 27.

3 - محمد : 38.

4 - الحجرات : 11.

* - اللواصق : هي العناصر الصوتية التي تلصق بأول الكلمة أو آخرها ، لتضيف إلى الكلمة معنى صرفيا ،وتأتي أسماء هذه اللواصق على صورة تركيب إضافي ، المضاف هو اللاصقة ، المضاف إليه معناها : كأقول، قالت، مثلها حروف الزيادة ، ينظر تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص212-213.

5 - فاطر : 42.

غير بنية الكلمة ، فتحذف نحو قوله تعالى : « **لَتُبْلَوُنَّ** »[1]ومن ذلك أيضا مجاورة الاستعلاء للاستفال في قوله تعالى : « **فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**». [2]مجاورة الطاء و التاء.

4-الالتزام بالضمير المتصل ، وخصائصه الصوتية :قال تعالى : « **لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ**» [3] توالت طاء الكلمة (اللام)، والتاء.(ضمير مخاطب) فالاستعمال يحكم بتجاورهما- والملاحظ دائما تحكيم الاستعمال ومراعاته ، وهذا هو الوجه الوظيفي من اللّغة ، ومن المداخل التي اتخذتها الوظيفية لنقض البنيوية-

5-الالتزام عند مفصل[1*]الكلمتين بتكوين كل منهما :

كما في قوله تعالى : « **وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي**». [4]التقاء الذال والتاء ، (حكمهما في الكلمة الواحدة الإدغام) كما في قوله تعالى : « **وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ**» [5] أي "إِذْدَكَرَ" مخرجهما متقاربان وهنا لا يمكن الإدغام، لأنها ليست كلمة واحدة فتجاورتا وكذلك التقاء الدال والضاد كما في قوله تعالى: « **قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**».[6]

ومن كل ما سبق يستخلص ما يلي[7] :

- فقول "تمام" (إلى حقلين تطبيقيين من حقول الاستعمال اللّغوي) أي ما هو متداول ، مستعمل وما هو وظيفي محقق على مستوى اللّغة ، ويعود هذا إلى تفريق "تمام" المتعمد بين اللّغة والكلام، كما أن رأيه فيما يخص فصاحة الكلام يذكر بما قال " الجر جاني " إذ لا فصاحة بلا بلاغة والعكس ، يعني نفي فصاحة الكلمة خارج التركيب ، أي عدم الفصل بينهما ، وليس كما قال البعض الفصاحة للألفاظ والبلاغة للتركيب . وما ذلك من " الجر جاني" و" تمام"إلا تقريرا بمبدأ التلاحم الوظيفي الفنولوجي للأصوات والمعاني " الإفادة و"الإبلاغ".

الحديث عن الترخص من جديد هو من باب رعاية الوصول إلى المعنى (لأن أهم ما تحرص عليه اللّغة هو الوصول إلى الإفهام) ولا دليل على دينامية اللّغة ، كما نلاحظ تفريق "تمام" بين الصوت والحرف ، إذ الفرق واضح بين العمل الحركي الذي للصوت ، وبين الإدراك الذهني الذي للحرف (ما بين محسوس ومعنوي) ورأينا هذا في "انْطَلِقُوا" كون النون بداية مقطع ،ولا يخفى أن الظواهر الصوتية التي عالجها " تمام" هنا ، هي من قبيل الظواهر الموقعية (كالنبر السياقي،التنغيم،الفاصلة ،التأليف ،المناسبة،المفصل...) وتجري داخل السياق.

---

[1] - آل عمران : 186.

[2] - البقرة : 217.

[3] - المائدة : 28.

[*] - المفصل : هو سكتة خفيفة بين عدة كلمات أو مقاطع ، بقصد تحديد مكان انتهاء الكلمة أو المقطع ، وبداية كلمة جديدة ، أو مقطع آخر .

انظر حلمي خليل : مقدمة لدراسة علم اللّغة، ص48.

[4] - المائدة : 110.

[5] - يوسف : 45.

[6] - الأنعام : 140.

[7] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص309ـــــ315.

وهذه الظواهر تحل مشكلة تطبيق نظام هذه الظواهر [1] في كل من [*] النحو بالنسبة للتنغيم ، والنبر بالنسبة للسياق ، والمناسبة بالنسبة للأصوات.

-الضبط العملي الدقيق من خلال محاولته الجمع بين الفونيتيك والفنولوجي على غرار الوظيفيين.

من خلال رصد الوظائف الجمالية للأصوات والألفاظ ، ثم عملية امتلاك طاقة النص وفهم مغزاه ، وأن البحث الفنولوجي كما مارسه " تمام" يدلنا على التركيب الباطني في اللّغة ، فمناط الصياغة الشعرية للعبارات كامن في الجزء الكامن من المعالجة الفنولوجية [2].

---

[1] - تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها ،ص 73ـــــ 264 .

[*] -ونجد تمام في كتابه اللّغة العربية ومبناها قد أدرج هذه الظواهر تحت فصيلتين النظام الصوتي ، لا الأصوات ، والظواهر السياقية مما يعني أن لا مفر من الوجهة الوظيفية عنده

[2] - محمد صالح الضالع : الأسلوبية الصوتية ،ص 200-202

المبحث الثـــــاني : ألفاظ وعبارات مختارة :

إن أهم المحاور التي يجري على أساسها اختيار اللفظ ،وهو ما يعتمد عليه المفهـوم الـوظيفي للأسـلوب خاصة:

أ-محور الأصل الاشتقاقي : من حيث الجرس الذي يولد قبولا أو نفورا من استعمال لـبعض الصـيغ ، ورد بعضها الآخر ، كما أن استعمال الصيغ يخضع لعلاقات المعاني الوظيفية للصيغ الصرفية والمعاني النحويـة في السياق –وما هذا الإقرار منه إلا محاولة ربط أهم عنصر تقوم عليه الأسلوبية " الإختيار "، (الألفـاظ هنـا) بالوظيفية والملائمة للسياق والبنية اللّغوية ، على نحو يحمل فيه المبنى " الصيغة الصرفية") وظيفته ، مع عـدم الفصل بين "الصرف ، النحو الصوت (الجرس) والسياق" وهو ما ذكر في الفصل الأول، مـن أن دراسـة الأسلوب لا ينبغي أن تظل قاصرة على مجموعة من ملاحظات صوتية ، معجمية ، ونحويـة ،و إن لا أصـبح الأسلوب مجموع تقسيم فرعي لإحدى مراحل التحليل اللّغوي .لأن المقصود هو وصف شبكة العلاقات الـتي توحد الطبقات، ومكوناتها في كلية من التناغمات والتراتيبات والتعارضات ، لأن المقترب الوظيفي للأسلوب لا يؤمن بتجزئة النص ، ما دامت غايته تنصب بشكل أساسي على البحث عن الوحدة المتناغمة ، والتي يمكن اكتشافها من خلال الربط بين مستويات التحليل بشكل عام.

ب-الصيغة الصرفية (الأوزان) :يقول " تمام" بأنها معان وظيفية كذلك (تعدد المعنى للمبنى الواحد) وسبق رؤية ما يتعلق بهذا العنصر في مباحث سابقة.

ج-المعنى المفرد: (لا يفيد نسبة اسنادية أو غيرها) متعدد ومحتمل يفتقر إلى قرينة السياق ، ويفتقر إلى قرينة أخرى غيرها ، توضحه إذا عرض له جناس أو لاحتماله معنيين قريب وبعيد-أي تعدد القرائن لإيضاح المعنى-.

د-الجرس وعلاقة الألفاظ ببعضها البعض : وعليه تبنى الكثير من الأحكام القيمية على شخصيات الأفراد ، كدراسة أسلوب كاتب ما انطلاقا من الألفاظ ، عملا بمبدأ " بوفون" الأسلوب هو الرجل نفسه ، كما قامت صلة منذ الزمن الأول بين المبنى والمعنى ، واختصرها " تمام" في لفظ الحكاية ، بدل (حكاية الصوت والمعنى) ، واعترف النقاد والشعراء بتفاوت المفردات من حيث الجرس [1].

هـ-علاقة الألفاظ ببعضها البعض (المشاركة) : إن هذه المشاركة إذا كانت تامـة فهنـاك أطـراف في استعمال الألفاظ ، إذ يجب الاقتصاد ، ويجب رصد منطقة الاختلاف في المعنى بين اللفظين ، وعلى هذا الأساس يلغى الترادف في اللّغة.

و- أما اختيار العبارة : يقوم على محاور تتفق أو تختلف مع بعض ما ذكر سابقا ،وتختلف مع بعض آخر .وهي تختار لسبك تركيبها (السياق اللّغوي) ووضوح معناها ، واتجاهه إلى الصراحة أو التلميح .ومناسبتها الغـرض منها إيجازا وإطنابا ،وحقيقة ومجازا – على ما يوجد في هذه الفكرة من دعوة إلى ربط الكلام بالسياق "المقام"

---

[1] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص317ــــ319.

الذي يرد فيه فإذا كانت دراسة الأسلوب تعتمد على النصوص ذات العلاقات المتبادلة فيما بينها (وظيفة السياق اللّغوي)لكن يجب أيضا معرفة التغيرات التي تساق في سياق معين وما المقام الذي يوظف فيه التعبير أو ذاك ؟.

فبالرغم من انطلاق الأسلوبية الوظيفية من العلاقات ،و البنى المتلاحمة والمتراصة والمسبوكة إلا أن هذا السياق اللّغوي يجب أن يعزز بآخر "سياق الموقف" ،بشكل تنسجم فيه التعابير مع المواقف ،لنتمكن من التبليغ والإبلاغ وهو المقصود .ولحسن جرسها كالإيقاع ثم لانسجامها مع بيئتها ، وتفضيل بعض المفردات على بعض،ولا تخفى كل هذه المعايير في تراثنا البلاغي خاصة لدى "الجرجاني" حينما يربط بين العبارة والتغييرات التي تطرأ عليها من تقديم وتأخير وفصل ووصل .... وعلاقة كل ذلك بالمقام ،وكذ "الجاحظ" و"السكاكي"...

1-الألفاظ: وفي القرآن الكريم دقة اختيار الألفاظ "اعتبارا لحسنها ،ومن ذلك ما مر بنا في دراسة القيم الصوتية في المبحث السابق، واتضح كيف أن جرس بعض الألفاظ القرآنية التي لا وجود لمعظمها خارج النص القرآني :"ضيزى غسلين، غساق ،زقوم". نحو قوله تعالى: « **ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ**» [1] فهذه الألفاظ حكاية للمعنى بواسطة الجرس ،فلفظ زقوم مثلا يلاحظ فيه :

أ-القاف والميم شركة بين لفظين "الزقوم واللقمة"

ب-الزاي رخوة (إحتكاكية والقاف شديدة " انحباسية " تواليهما يوحى بتكلف إدخال القمة محتكة بالفم ففيه معنى الزّق).

ج-وفي كلمة من حروف الحلقوم كالقاف ، ثم إن الواو والميم من طول الأولى وإقفال الشفتين في الثانية، ما يوحى بتوقف اللقمة عند الحلقوم لصعوبة ازدرادها.

د- أصول الكلمة هي أصل اشتقاق طائفة من الكلمات تتصل بالطعام ،فالطائر يزق فرخه وزقم :لقم وأسقمه: وأزقمه أبلعه وازدقمه—ابتلعه، وأخيرا الزقمة:الطاعون.

ه-وفي تشديد القاف إطالة اتصال الأعضاء في مخرجها ، مما يوحي ببقاء اللقمة محتبسة في الحلقوم مدة طويلة وفي هذه المحاكاة للأصوات،محاكاة من نوع آخر من"تمام" "لابن جني"(*)فيما يخص هذه القضية —ويظهر هنا دور القيم الصوتية- ومن ذلك قوله تعالى : « **كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** »[2] يلاحظ هنا الطباق في اللفظ حال بينه وبين الامتداد إلى المعنى عبارة " إلى عَذَابِ السَّعِيرِ" فلما اختير لفظ يهديه دون لفظ يسوقه أو يدفعه[3]؟.

---

[1] - الواقعة : 51-52.

* - فهذا النوع من التحليل هو ما آجراه ابن جني إثر تحليله للفظتي قضم وخصم.

[2] - الحج 4 قضي على الشيطان أنه يظل أتباعه ، ولا يهديهم إلى الحق ، ويسوق أتباعه إلى عذاب جهنم . الطبري : جامع البيان عن تأويل أي القران ، ص64.

[3] - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 219ـــــــ226.

أ-إرادة السخرية كما في قوله تعالى : « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» [1]

ب-من شأن الدعوة أن تكون إلى الهدى لا إلى الضلال ، فيحقق ذلك باللفظ وإن فاته المعنى (فجاءت السخرية من مقابلة للتحقق والفوات في لحظ واحدة) .

2-العبارات : سبق وأن رأينا في الفصل الثاني ، أنه إذا قصد معنى الشرط عند الإخبار (بالمد والألف واللام) اقترن الخبر بالفاء، وإن لم يقصد معنى الشرط فلا يقترن الخبر بها ، كما في قوله تعالى: « وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ» [2]فمعنى الشرط غير وارد في هذه الآية إنما المقصود مجرد الإخبار.

أ- استعمال لفظ التسوية كما في قوله تعالى : « سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ» [3]

ب- الأمر : وقد عطف عليه النهي كما في قوله تعالى: « اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُــمْ» [4] إلى جانب العطف ، فتعدد المبنى للمعنى الواحد ، وهو الوجهة البلاغية (الأسلوبية) .

ج- وفي العبارة القرآنية يوجد ما يسمى بالتعارض (بين المصدر الصريح في موضع المؤول، والعكس صحيح) كما في قوله تعالى : « لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ» [5] أي لا يحب الله أن يجهر إلاّ من ظلم.

د-ويعبر القرآن عن المعاني الإنشائية للمصادر المنصوبة ، والتضمين ، واستعمال " أم" لمعادلة الهمزة المتقدمـــة عليها إلى غير ذلك من أنواع وأسباب الاختيار ، وفي الفصل الثاني الكثير من هذه الصور وأنماط الاختيار .

فعملية الاختيار سواء للألفاظ أم للعبارات مرهونة بوظيفتها موقعا ومعني ومبنى وفيها من حرية وتنفيس للغة ، أو للكاتب تؤدي إلى الرشاقة داخل النص ، وسهولة عملية التواصل والإبلاغ ما دام عنصر الاختيار قائما[6]

---

[1] - آل عمران : 21.

[2] - الشورى : 16.

[3] - البقرة : 06.

[4] - التوبة 80، أم ومعه الخبر أي سواء يامحمد استغفرت لهؤلاء المنافقين أم لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم ، وبينهما طباق السلب وقد خرج الأمر في حقيقته إلى التسوية . انظر محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير، ج1،ص 552ـــــ556

[5] - النساء : 148.

[6] - ينظر، تمام حسان البيان في روائع القرآن، ص323ــــــ344.

المبحث الثـــالث : الأسلوب العدول (أو المؤشرات الأسلوبية) :

إن هذا العنصر رأيناه في أكثر من موضع –من المبحث –مع عدم تناسي الفرق بين الرخصة والأسلوب العدولي إذ يعد هذا الأخير مؤشرا أسلوبيا.

أول ما يستوقفنا منهج " تمام حسان " ؛ إذ يربط مرة الأسلوب بالاختيار ذلك أن الكلمات تحمل شخصـــية صاحبها فهذا تركيز على العلاقة بين المنشئ والنص،وكذا الاهتمام بالعلاقة بين النص والمتلقي فيلتمس مفاتيح الأسلوب في ردود الأفعال والاستجابات ، وهذا ما رأيناه فيما يخص تأثير الأسلوب القرآني وإيحاء الأصـــول ويرى أحيانا أخرى أنه خواص منظمة في سمات لغوية تتنوع بتنوع البنية والسياق من خلال : السبك ،التأليف و الرصف، ويرد الرأيين الأخيرين إلى وصف النص لغويا (أنصار الموضوعية) وهنا يقول بالأسلوب العـــدولي وما هذه الجولة في الآراء التي احتشدها "تمام" إلا رغبة في التلميح إلى منهجه التكاملي - إن صح التعبير –

افتتح "تمام" هذا المبحث بحديثه عن " استصحاب الأصل " وهناك حالات لا تستصحب في الاستعمال ، فالفعل "قال" و"مد" أصلهما :قَوَلَ - مَدَدَ ، عكس ضرب التي يستصحب فيها الاستعمال بحسب الأصـــل، فالفعل قال فيه عدول عن :

أ-المستوى الصوتي : إذ قلبت الواو ألفا متحركة وانفتاح ما قبلها.

ب-أما على المستوى الصرفي : من خلال المفارقة التي بين " فعل" وهو وزن الأصل ، وقال وهو ما آل إليـــه الفرع - كما أن هناك عدولا عن أصل القاعدة في القواعد(*) –وهذا العدول ليس ساحة للتمرد؛ إنما يجب دائما الحفاظ على الإفادة ، لأن أمن اللبس أغلى ما تحرص عليه اللّغة مع التسليم بأن الإفادة هـــي المطلـــب الأول لاستعمال اللّغة في أغراض الاتصال[1].

وهذا ما يذكر بإسهام علماء الأسلوب في "مدرسة براغ " في تطوير الأساليب الوظيفية ، منذ وقـــوفهم على الوظيفة الاتصالية للغة و" جاكسون" كذلك إذ تساهم هذه الفكرة في دراسة الأسلوب لجميع الأنمـــاط الوظيفية، والتي ترد في سياق اتصالي ، ولا حاجة إلى التأصيل لهذه الفكرة في تراثنا اللّغوي ، والبلاغي العـــربي وما تحمله كلمة البيان من هذا البعد.

وفيما يلي بيان لطرق العدول الأسلوبي عن الاعتداد بها:

أولا – البنيـــة :

1-ويعدل عنها –أصل البنية-بإجراء تصريفي : يتوقف هذا النوع من العدول عند كل من: كراهيـــة تـــوالي المثلين والمتقاربين والمتعارضين (في المبحث الصوتي) وكذلك سعي اللّغة إلى طلب الخفة اقتصادا للجهد ، ومن هذه الإجراءات العدولية (الإدغام ، الإخفاء ، الإعلال ، الإبدال ، النقل ، القلب ،الحذف و المناسبة) ورقى

* - هو كالعدول عن أصل القاعدة ، إما مطردا أو غير مطرد ، ومن أمثلة هذا العدول تقليب الخبر على المبتدأ ، إذا كان المبتدأ يشمل على ضمير يعود على لفظ يشتمل عليه الخبر ، وإن لم يتم الإجراء ، يحدث اللبس . ينظر تمام حسان: الأصول دراسة اييستمولوجية، ص 130.

1 - ينظر، تمام حسان البيان في روائع القرآن ، ص345-346.

بهذا العدول إلى مستوى التقعيد(*) ، ففي الجملة مثلا يعدل عن أصل الوضع ، بالحذف والإضمار أو الفصل والتشويش كما تحكم المناسبة بتفخيم اللام وترقيقها (في لفظ الجلالة) وكسر الهاء من ضمير الغيبة إذا سبقت بكسر.

2-**النقل**:ويكون من المعنى الأصلي للفظ عدولا إلى معنى آخر (لغاية أسلوبية) ويكون بـ:

أ-التضمين: ويمكن عده من ظواهر التضام –فاللفظ الذي يتضمّن معنى لفظ آخر يحتل موقعه ، ويدخل على ألفاظ قد لا يدخل عليها بأصل وضعه ، أو يضم حرف في موقعه الحاضر ، ولا يضم معه في موقعه الأصلي – ومن ذلك قوله تعالى : « **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ**» [1] فالفعل يغلو تضمن معنى الفعل " لا تزيدوا" والقرينة : تعدية يغلوا ، ونصبه مفعولا به " غيرَ ".

ب-النيابة : ومجال الاهتمام هو نيابة اللفظ عن اللفظ ، كإنابة الجامد عن المشتق ويحدث بكثرة في الخبر والحال والنعت ، كما في قوله تعالى : « **فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا**» [2] بفتح اللام " مصدرا" أي زلِق بكسرها " صفة مشبهة"ومن مظاهر النيابة التي رأيناها سابقا نيابة الحرف عن الحرف ، ونيابة الحركة عن الحركة ، وسماها بعض النحاة تعويضا (فالنون في المثنى والجمع السالم عوض عن التنوين في الاسم المفردة ، ونيابة المعرفة عن الحركة أيضا ، أما الحكاية فقد رأينا المقصود بها سابقا .

ج- التنكير: يمكن تعريفه وذلك وصولا إلى إفهام التعميم ، وما يتولد عنه من إيهام أو تهويل أو تحقير أو تعظيم ويضيف "تمام" بحسب موقع الكلمة من سياقها اللّغوي والاجتماعي. [3]

وهنا يتكلم صراحة عن السياقيين معا ، والاجتماعي على وجه الخصوص وأهميتهما في التحليل الوظيفي للأسلوب فسياق الموقف هذا يؤخذ في الاعتبار عند الدراسة الأيديولوجية للأسلوب، لأن النص في النهاية ليس سوى تعبير يشكل جزء من عملية اجتماعية معقدة ، مما يجعل من الضروري استحضار الملابسات الشخصية والاجتماعية واللّغوية والأدبية ، وحتى الأيديولوجية –أي ما يسمى بموقعه السياق الثقافي للنص[4].

"لتمام" موقفه ونظرته الخاصة إلى هذا العنصر "السياق" ، ويرى أن البلاغيين قد فهموا المقام، أو " مقتضى الحال " فهما سكونيا قالبيا نمطيا مجردا ، إذ قالوا :" لكل مقام مقال،ولكل كلمة مع صاحبتها مقام " ورأى أن هذه المقامات (التعريف، الإطلاق، التقيد التقديم، الفصل...) نماذج مجردة وأطر عامة

---

* - مثال ذلك : إذا تحركت الواو أو الياء ، وانفتح ما قبلها قلبت ألفا : قَوَلَ: قال ، إذا اجتمعت الواو والياء ، وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء مثل مرمى أصله مَرْمُويٌ(وهذا نوع من الإعلال بالقلب) –حذف الواو والياء إذا وقعت بين عدوتيها كبيع أصلهما بيع.ينظر ، تمام حسان: البيان في روائع القرآن ، ص348.

1 - المائدة : 77.

2 - الكهف 40 زلقا : أي أرض ملساء قد عادت خرابا لا غرس فيها ولا نبات ، ولا تثبت قدم عليها لما نزل عليها العذاب ، مختصر تفسير الطبري : جامع البيان عن بتأويل أي القران، ص12.

3 - ينظر، تمام حسان: البيان في روائع القرآن ، ص347ـــــ356.

4 - صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص 250.

وأحوال ساكنة ذات مقتضيات يوزن بها " لسلوك الحي "، ويصب في قالبها ، وبهذا يصبح المقام عند البلاغيين سكونا لأنه " حال " أو *static* أما المتحرك النابض بالحياة فهو السلوك اليومي للفرد الذي يسعى إلى مطابقة هذه القوالب الثقافية ، ويقول إنه يصرف السياق إلى المعنى الاجتماعي النابض بالحياة فتعطى لـه ديناميـة لم ينسبها إليه البلاغيون، وهذا كله أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ، ليشمل كل جوانـب عمليـة الاتصال من:"الإنسان، المجتمع، التاريخ ، الجغرافيا ، الغايات والمقاصد..." والمقام أصلح للتعبير عما اصـطلح عليه عند الغرب حديثا بـ *contexte of situation* -فهذا المفهوم منتزع مباشرة من مفهوم "فيرث" للسياق .

وشرح أي نص من النصوص يتطلب أكثر من مجرد معاني الجمل التي يتكون منها النص ، ولتصفح ديوان شاعر ما لابد من معرفة سيرته الذاتية وصلاته بالأحداث مقدمة لابد منها للديوان ، وكذا أسـباب نـزول القرآن [1] ورأينا في منهج التحليل الوظيفي للأسلوب عناصر السياق الاجتماعي ، هذا السياق الخارج عن النص (العصر ،نوع القول وجنسه المتكلم (الكاتب) ، والمستمع ، العلاقة بين المرسل والمتلقي ، الجنس ...).

على الرغم مما أورده "تمام" من نقد لمفهوم المقام عن القدماء ، إلا أن ما قام به البلاغيون:"الجرجـاني" ، "ابن جني"،" الجاحظ.." لا يخرج عن هذه الدائرة، وعن جوهر المقام لدى المحدثون ،و إن أختلف شكل التعبير عنه حينما استعملوا لفظ (لكل) فلا تعني التحديد المطلق للمقامات؛ إنما هي إيراد لبعض منها- على سـبيل التوضيح- مع كل هذا نزداد إيمانا باعتناق تمام الأسلوبية الوظيفية، والتي لا تخرج عن نطاق السياق اللّغوي ، وسياق الموقف.

د-التعريف : قد يكون التعريف النكرة بـ (الجنس أو العهد)لكن هذه إفادة لغوية استصحابية لا عدوليـة أسلوبية ،وهنا يظهر "تمام" أن ليس كل ما هو عدول مؤشر أسلوبي، أما الأسلوب العدولي في هذه الحالة ، كأن يحمل المتكلم أداة التعريف من المبنى ما ليس له بأصل الوضع، وذلك نحو قولـه : « **فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ**» [2] فتعريف الرزق أفاد أن لا رازق إلا الله، لإفادة "ال" معنى استغراق الجنس.

هـ- الموصول : ما يعرف باسم الإخبار بالذي والألف واللام (وهذا إيراد للاقتران بالفاء وعـدمها) وقـد اجتمع الشرط والخبر الخالص في قوله تعالى : « **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ" (الشرط) "إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**» [3] (الخبر الخالص) .

زيادة على هذا فالموصول يفيد العموم ، والدليل نقله ليكون من الروابط الجملة –كما رأينا في مبحـث الربط-ويكون أداة للشرط والاستفهام بواسطة النقل (من ، ما ، أي) من هنا يأتي استعمال الموصول وفـاء بإرادة الفروق عن تحديد مدلوله لغرض أسلوبي معين ، كالتحقير والتعميم والتضخيم والتكريم....

---

[1] - ينظر، تمام حسان : الأصول دراسة ايبستمولوجية ، ص 303- 305.

[2] - العنكبوت : 17.

[3] - البروج : 10-11.

كما في قوله تعالى : « وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ» [1]

ويستعمل الموصول " للاختصار " نحو قوله تعالى: « وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ» [2] الموصول ما (لغير العاقل) ، اختصر وأحصى جميع ما سخره الله له

و-الإضمار : إن الضمائر صالحة للنقل –سبق وأن تطرقنا إليها –ومن ذلك : تسخيرها للتعبير عن معنى الشأن (ضمير الشخص والإشارة) ، نحو قوله تعالى : «وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ» [3] ويستعمل ضمير الإشارة لإفادة التلخيص لما سبق من قول ، تمهيدا للعطف عليه (نمط من أنماط الربط الشائع في الأسلوب القرآني) كما في قوله تعالى : « هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ» [4]

ثانيا – الإعـــراب :

يمكن الترخص في الإعراب وذلك بعدم مراعاته للوصول بالرخصة إلى غرض أسلوبي عدولي ، إمكانية (تحول الرخصة إلى أسلوب عدولي ، فالعلاقة بينهما تختلط إلى حد بعيد) ، ومن أوجه الترخص : مراعاة القافية في الشعر ، كما في قول امرؤ القيس [5]:

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبْلِهِ * كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ [6].

جر "مُزَمَّلٍ" ، إلى جوار بجاد ، وإلا فالقياس يقتضي رفعه لأنه وصف لكبير أناس

- أو مراعاة المناسبة الصوتية إعراب الجوار ، كما في قراءة "حمزة والكسائي" : « عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٍ» [7]-جر لفظ " خضر " لمناسبة الجر في سندس [8].

- وكذا إشباع الفتحة في قوله تعالى : « وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا» [9]، لأن الظنونا معرفة بالأداة "ال" ويضيف "تمام" أنه ربما كان من الأسلوب العدولي عند الحركة الأخيرة بعامة إلحاقهما " هاء" السكت في آخر الكلمات المنتهية بالياء المفتوحة ، كما في آيات سورة الحاقة.

---

1 - غافر: 30.وقال المؤمن إني أخاف عليكم يقتلكم موسى أن يهلككم الله هلاكا مثل يوم الأحزاب اللذين تحزبوا على رسول الله –صلى الله عليه وسلم-تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،ج1،ص293.

2 - الجاثية 13وسخر ما في السموات من شمس وقمر ونجوم ، وما في الأرض من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن وكل ذلك لمنافعنا ومصالحنا الطبري : جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج1،ص293.

3- الصافات : 165 فهم يصفون للصلاة ويقف كل واحد منهم على درجة لا يتجاوز حده .انظر سيد قطب : في ظلال القرآن ،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ط1 1967، ج4 ، ص72.

4 - ص : 55.

5 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص 357ـــــ366 .

6 - امرؤ القيس: الديوان ،دار صابر بيروت (د.ت) ص29 .

7 - الإنسان : 21.

8 - ينظر ،تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص 368-369.

9- الأحزاب : 10.

- وأخيرا الوقف[1*]على آخر الكلام : يعد أسلوبا عدوليا عن الإعراب ، له ما للأصل الإعرابي من تقعيد ،وله ماله من اطراد [1].ويعد ذلك من الظواهر الموقعية (السياق الوظيفي) ويدل على موقع و في طابعه " مفصــل" يمكن عنده قطع السلسلة النطقية *Chain of uttrance*، وتعد كل دفعة منها واقعة تكميلية *speech évent* إذا كان معناها كاملا (منعزلة) باعتبار هناك حالات لا يكون المعنى فيها كاملا ، كالوقف على الشرط قبل ذكر الجواب ، فالواقعة التكميلية هنا تشتمل على أكثر من دفعة كلامية [2].

ثالثـا - الربــط : ويعدل عن الربط بأساليب متعددة مكنها (الالتفات-التغليب-المراوحة-حذف الرابط).

1-الالتفــــات[3] :

هو أحد الأساليب التعبيرية ، أو الألوان البلاغية التي يشيع استخدامها في لغة القرآن الكريم ، بل لعله أكثر هذه الألوان ترددا ، وأوسعها انتشارا ، وكان ظهور مصطلح الالتفات على يدي "ابــن المعتــز " في كتابــه البديع[4] وهو :" هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار ، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر"[5].

فمفهوم الالتفات يضيق عند" ابن المعتز"؛ إذ لا يتضمن إلا صورة واحدة من صوره، وهي التنويع بين الضمائر ويتسع عنها من جهة أخرى حيث يشمل معها الانصراف من معنى إلى معنى[2*][6].

ويقسم "تمام" الالتفات إلــى :

أ- الالتفات الدلالي الخالص : وهو أقل ورودا ، ومعنى أنه دلالي خالص : أن العنصر النحوي الذي من شأنه أن يكون محل الالتفات ، يبقى على صورته لكن دلالته عند إيراده ثانيا، تختلف عن إيراده في المرة الأولى ، ومن ذلك قوله تعالى : « فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ»[7] والضمير في آتوهم لم يتغير عن صورته التي في كاتبوهم (ضمير المخاطبين)فالأمر بالمكاتبة لمن يملكون رقــاب

[1*] - الوقف : قطع النطق عند آخر الكلمة فما كان ساكنا الأخر وقف عليه بسكونه فكان صحيحا ، أم معتلا وما كان متحركا(ككتب وأين) وقف عليه بحذف حركته أي السكون. انظر، مصطفى غلاييني : جامع الدروس العربية، المكتبة العربية ، صيدا بيروت،ط19913 ،ج1،ص126

1 - تمام حسان : البيان في روائع القران، ص 369.

2 - تمام حسان :اللّغة لعربية معناها ومبناها، ص 270.

3 - تمام حسان : البيان في روائع القران ، ص 369.

4 - حسن طبل : أسلوب اللتفات في البلاغة القرآنية ، دار الكتب الحديث، ط1 ، ص55.

5 - ابن المعتز : البديع تقديم وشرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، ط1 1990.

2 أبرز مجالات الالتفات في القرآن هي : الصيغ ، العدد ، الضمائر ، الأدوات ، البناء النحوي ، المعجمي فبين صيغتي الفعل مثلا قوله تعالى : * «نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ»".آل عمران 3

أما العدد فمن ذلك قواه تعالى :" خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ ."البقرة 7، إفراد السمع ، وجمع الأبصار والقلوب ...حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ،ص17.

6 - المرجع نفسه ،ص55-88

7 - النور : 33.

هؤلاء العبيد ، أما الأمر بالإيتاء فهو لعامة المسلمين ، فقد تغيرت الدلالة مع ثبات صورة الضمير وقوله كذلك:« أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ» [1]في الضمير على صورته " الواو " مع اختلاف المخاطبين به : الأولى المؤمنين والثانية : أهل الكتاب ، فهو دلالي لا نحوي.

ب- الالتفات الدلالي النحوي : كما في قوله تعالى : « **كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**» [2] ضمير لخطاب في " إليك " للرسول - عليه الصلاة والسلام-وفي" اتبعوا "لعامة المؤمنين ، فاختلف الضميران بذلك دلاليا ونحوي (بالفرق بين الأفراد والجمع).

ج- الالتفات النحوي: كما في قوله تعالى : « **وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**»[3]

فاختلاف الضمير في تهتدون(أنتم للمخاطب) ويهتدون (هم الغائب) لكن اتفاق في القصد بجامع الاهتداء ويقول" تمام " ،وتقسيم ظاهرة الإلتفات على هذا النحو من مبتكرات هذا البحث، فلست أعلم من سبقني إليه"[4] – وهذا يحسب له-

ب- التغليب : وحقيقته إعطاء الشيء حكم غيره،وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر،وإطلاق لفظة عليها إجراء للمختلفين مجرى المتفقين وهو أنواع:

- تغليب المذكر.
- تغليب المتكلم على المخاطب، والمخاطب على الغائب.
- تغليب العاقل على غيره.
- تغليب الأكثر على الأقل .
- تغليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به[5]...

وهو عدول عن المطابقة وينقسم إلى قسمين :

أ- **معجمي**: حيث يكون التغليب ملحوظا في الكلمات المفردة (أدوات المعنى المفرد) وهي في مقابل الكلمات التركيبية ذوات المعنى الوظيفي الذي يتكفل ببيانه النحو : كالأدوات والضمائر ، ومن أمثلة ذلك لفظ "العمران" ويقصد "أبا بكر الصديق " و"عمر"- رضي الله عنهما –إذ غلب لفظ "عمر" على" أ بي بكر "وكذا

---

1 - البقرة : 71.

2 - الأعراف : 2-3.

3 - النحل : 15-16.

4 - تمام حسان : البيان في روائع القران، ص 369ــــ372.

5 - ينظر، الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم،دار الجيل بيروت لبنان ،ط 1988 ص302-313.

يقال في الحرمين. ومن القرآن الكريم قوله تعالى : « وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » [1] هنا تغليب الأم على الأب لأن الولادة خاصة بها، فلما كان المقصود الدعوة إلى البر بهما ، ليدخل الأب بواسطته إلى هذه الوصية .

ب- التغليب النحوي : وغلب الرجل بتذكير لفظ "الوالدين"فغلبت الأنوثة معجميا وغلب التذكير نحويا (مما يدل على ميل اللّغة إلى الاختصار بحذف علامة التأنيث) ، واللجوء إلى التذكير بطلب الخفة .

ومن ذلك كذلك قوله تعالى : « يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ» [2] تغليب نحوي بواسطة الضمير "هما" : لأن إخراج اللؤلؤ والمرجان من البحر دون النهر.

ج- المراوحة: والمقصود بها أن يختلف النظر إلى الكلمة من حيث المطابقة بين اعتبارها مفردة أو مثنى أو جمع ، وبين كونها مذكرا أو مؤنثا ، كما في قوله تعالى : « غُلِبَتِ الرُّومُ» [3].جاءت الروم فاعلا لفعل لحقته تاء التأنيث ولو قيل(غلب الروم) . وقد يصدق ذلك على "من" التي هي في الأصل موصولة وتنقل إلى الشرط أو الاستفهام، وتبقى على لفظها وعلى صلاحها أن تدل على عموم المعاني الوظيفية: كالإفراد والتثنية ، والجمع والتذكير ...وغيرها.

—وتظهر أهمية المعاني الوظيفية التي تشغلها داخل الحيز اللّغوي ،وتفرض مع الضمير العائد تصرفا أسلوبيا وهذا يجري داخل النسق - مما يذكرنا بأن الأسلوب خواص منظمة في سمات لغوية تتنوع بتنوع البنية والسياق وكل هذا إجراء وظيفي نحوي ، ومن هنا التأصيل لأسلوبية وظيفية داخل هذا الكتاب : "البيان في روائع القرآن"،فمن أعاد الضمير عليها —من-مفردا مذكرا" مراعاة للفظ"، ومن أعاد مثنى أو جمعا أو مؤنثا : فقد راعى المعنى. [4]

وهذه المراوحة بين لفظها ومعناها عدول عن استصحاب المطابقة للفظ (أسلوب عدولي مقبول ، كقبول استصحاب المطابقة)ومن ذلك قوله تعالى: « وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا» [5] أعيد الضمير مذكورا في "من يتخذ" هو (إلى الإعراب) مراعاة للفظ ومن مراعاة المعنى قوله تعالى : « وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ» [6]جاءت المراوحة بين الفظ والمعنى ، من حيث التذكير والتأنيث كما يبدو في المقابلة بين:"يقنت" "تعمل" فـ "من" مذكر،لعل مدلولها نساء النبي-عليه الصلاة والسلام —مؤنث ، فعدل هنا عن استصحاب المطابقة (والتي تكون قرينة على المعنى النحوي) وفي كل مرة

---

1 - الإسراء : 23.

2 - الرحمان :22 . يخرج من هذين البحرين اللؤلؤ ، (يخرج من أصداف البحر وهو الكبار ، وصغار اللؤلؤ وهو المرجان) .تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القران ،ج1،ص412 .

3 - الروم : 02.

4 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص 373-375.

5 - التوبة : 98.

6 - الأحزاب : 31.

يؤكد "تمام "على ارتباط الأسلوب العدولي بالشيوع والاستعمال والتوظيف والتداول الاجتماعي لظاهرة لغوية ما، والعدول أسلوب اجتماعي .

د- حذف الرابـــط : إن حذف الرابط مع وجود دليل (لا حذف إلا بدليل) وذلك لأمن اللبس ، ليصـــبح حينها أسلوبا مقبولا عدل عن استصحاب الربط .ومن ذلك قوله تعالى: « **وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**» (1) أي تعلمونه أي حذف ضمير الغائب (1*)

رابعا – الرتبـــة :

وهي قرينة نحوية ووسيلة أسلوبية ،وتكون بالتشويش (أوضح ما جذب البلاغيين) من الأساليب العدولية ويبدوا أن الرتبة غير المحفوظة بين أبواب النحو تجري على النحو التالي :

ففي قوله تعالى : « **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**» (2)، وإذا ترتيب الآية:(نعبد إياك ونستعينك) وأن هـــذا التقديم إنما جاء ليدل على أن العبادة والاستعانة لا تكونان إلا بالله وحده ، وذلك يقرب المعنى من قول :" لا نعبد ولا نستعين إلا إياك " وتقريب المعنى على هذا النحو وظيفة تقديم المفعول به علـــى الفعـــل وفاعلـــه(2*) ،ويكون التقديم أسلوبا عدوليا عن أصل الرتبة ، ومؤشرا أسلوبيا وهو يكون لغايات تتصل بـــالمعنى (شـــأن الأسلوب العدولي) مع كل القرائن كالربط.(3)

خامسا – التضـــــام : من الأساليب العدولية في إقليم التضام ظواهر وهي :

أ- الحذف :

وهو ينسب إلى تركيب اللّغة لا إلى مضمون القرآن ، وإذا حذف أحد عناصر الجملة ، ثم اتضح المعـــنى لوجود الدليل على المحذوف ، عد ذلك حذفا مفاجئا ، جيء به لطلب أو اختصـــار أو اقتصـــار أو تجنـــب للحشو،وكل عنصر من عناصر الجملة صالح لأن يحذف ، بشرط قيام الدليل عليه –مما رأيناه سابقا –كحذف الحرف ، أو الضمير ، آو الكلمة المفردة .ولقد مر بنا نزع الخافض وحذف الأدوات الداخلة على الجملة ، لكن لا بأس أن نورد هذا الشاهد للتذكير فقط .

---

1 - البقرة : 74-75.

1* - ويحذف ضمير الغائب وقد يحذف ضمير الإشارة كما قد يكون حرف عطف –وقد يكون الرابط المحذوف مما يدخل على الأجوبة "كالفاء" وقد يكون حرف جر (كنزع الخافض) وقد رأينا هذه الحالات سابقا .

2- الفاتحة : 5 .أي نخصك يالله بالعبادة ، ونخصك بطلب الإعانة فلا نعبد أحدا سواك فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب (إياه نعبد الأصل) وتقديم المفعول يفيد القصر ؛أي لا نعبد سواك . محمد على الصابوني : صفوة التفاسير ص 25-26.

2* - هناك مواطن لوجوب تقديم المفعول على الفاعل ، وهناك حالات يجوز فيها التقديم أيضا ، وأن مدار هذا التقديم في التركيب ؛ إنما يدور على الاهتمام والعناية كسائر مواطن التقديم وإن كان موطن الاهتمام مختلفا بحسب المقام. فاضل صالح السمرائي: معاني النحو، ج2، ص54-55.

3 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص 376ـــ378.

قال تعالى : « إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ » [1]أي فقالوا ، ولربما عد ذلك من الفصل البلاغي والذي رأيناه في مبحث قرينة النظام في التركيب القرآني .

ومن أنواع الحذف كذلك : حذف ركنا الجملة ، وحذف جمل متعددة يقتضيها المعنى بقرينة السياق نحو قوله تعالى : « فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى فَأَكَلَا مِنْهَا»[2] أي استمعا إليه وأطاع وسوسته فأكلا منها ونلاحظ أن " تمام" يعتمد دائما على كل ما هو وظيفي ، وداخل السياق.

ب- الزيـــادة :

إن المعنى المطلوب بالجملة ليس وظيفيا فقط (وظائف الفاعلية ، المفعولية) بل يسلك مسالك أسـلوبية ، ولا تحققها إلا العناصر الزائدة على مجرد النمط التركيبي للمعنى الوظيفي ، فزيادة المبنى تدل على زيادة المعـنى وهذا ما اعترف به البلاغيون ،ومن شواهد ذلك من القرآن الكريم، الكثير نحو قوله تعالى : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» [3]والزائد هو "الباء" للتأكيد.

ج-الاعتراض :

الأصل في الجملة أن تتصل أجزاؤها ويعدل عن هذا الأصل بواسطة اعتراض مجرى الكلام، بجملة يتطلبها الموقف وذلك لأغراض أسلوبية.

الاعتراض وظيفية بلاغية ، وتتمثل في المبادرة بإبلاغ السامع معنى ، لولا إبلاغه إياه في حينه لورد على الكلام بدونه ما لا يرد عليه بوجوده،ومن ذلك قوله تعالى : « هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»[4] هذا عطاؤنا بغير حساب ، ولك الاختيار في المن والإمساك ، مثلما وضح الفرق ما بين " الفصل النحـوي " و" الفصل البلاغي "

فإن هناك فرقا بين الفصل النحوي والاعتراض : فالفصل يكون للمفرد وإن افتقر إلى ما يكمله أو يجـزئ الجملة، وأن الاعتراض يكون بالجملة الكاملة ومن شواهد الفصل النحوي : « قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» [5] ففصل بالمبتدأ المؤخر (شك) بين الخبر المقدم (أفي الله) وصفته (فاطر) .

---

[1] - ص : 22.

[2]- طه: 120 -121.

[3] – فصلت : 46.

[4]- ص: 39.

[5]- إبراهيم : 10.

سادسا - تجاهل الاختصاص النحوي :

ويكون العدول بدخول بعض الحروف على غير ما اختصت بالدخول عليه ، وذلك لأسباب أسلوبية ومن ذلك الشاهد الذي رأيناه سابقا في قوله تعالى: « **وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ**» (1)

وقوله تعالى : «**ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم**» (2) الأصل ها أنتم أولاء . ولكن تقدم الضمير عن هاء التنبيه اتكالا على صحة دخولها على " أولاء " ... وغير ذلك من الحالات .

سابعا - تجاهل المناسبة المعجمية :

وهي – كما رأينا سابقا – من أوجه التضام ونقيضها المفارقة ، وهذا الباب واسع لأنه باب الإفادة من ناحية والمجاز من جهة ثانية ، أما الإفادة فواضحة (القبولية النحوية) والشق الثاني المفارقة . يذكر بالعلاقة العنادية في مبحث التضام .

والعدول يكون بخروج المتكلم عن العلاقة العرفية (اجتماعيا) لينشئ علاقة فنية: " تشبيهية (استعارة) أو" عقلية" (المجاز) ، ومن ذلك في القرآن الكريم . قوله تعالى : "**الذين اشتروا الضلالة بالهدى** " (3).

وقوله تعالى: « **لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ** » (4) كناية عن الإعراض . والقرآن الكريم حافل بمثل هذه الأساليب (5)

---

1 - هود : 111.

2 - البقرة : 85.

3 - البقرة 16.

4 - المنافقون : 05.

5 - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص 380ــــ394.

المبحث الرابع :إباء اللبس في القرآن :

وما التركيز على هذا العنصر إلا تأكيدا على أهمية المعنى ؛ لأنه المقصود من كل لغة ، فالمفهوم يتم بالتواصل وقد افتتح" تمام"هذا المبحث بحديثه عن تعدد المعنى في للمبنى الواحد [*] وهذا التعدد يفرض أن هناك قرينة ، تثبت أحد الاحتمالات وترفع سواها . والمشكلة إذا تعددت احتمالات الإعراب (في الجملة إعرابان أو ثلاثة) وهذا جائز في كل نص عربي ، لكن النص القرآني ، فإذا سمح تركيب جملة من القرآن ، باللبس سارع النص القرآني إلى رصد القرائن (اللفظية ، المعنوية والخارجية) .

ويستنتج من هذا الطرح تجاوز "تمام " الجملة ، باعتبارها حيزا ضيقا إلى النص ككل ، فيما رأيناه سابقا من تجاوز لنحو الجملة إلى نحو النص ، فهذا إثبات للفرضية السابقة الطرح بالإضافة إلى ربطه من جديد بين السياق اللّغوي والخارجي على غرار الوظفيين ، ولكن في بعض الحالات يكون اللبس مقصودا لذاته ، لغرض ما وفيما يلي شواهد قرآنية على ما سبق قوله :

أولا - اللبس في المعنى الوظيفي :

_ تعدد معاني الحروف :" أي ما يعرف "بالنيابة ك : " من ، ما ، ب ، ل ، إذا ..."

وفي المبحث الخاص بالبنية رأينا كيفية تعدد المعنى الوظيفي لكل هذه الحروف والأدوات ، ونستكفي هنا بعرض شاهد واحد ، على وجه التذكير والاستدلال ليس إلا . ومن ذلك قوله تعالى: « **قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ** » [1]تحتمل" الواو" هنا أن تكون " للقسم " ، قسم بمن فطرنا وأن تكون بمعنى العطف ، والمعنى لن نؤثرك على من فطرنا والقرينة الدالة على إرادة العطف قرينة حالية ، (كانوا في حالة اعتراف بدخولهم في دين موسى) فالقسم غير وارد ؛ لأنهم لم يسبق لهم عهد بأن الله فطرهم ولا لفرعون هذا العهد .

ثانيا – احتمالات الصيغة الصرفية [2]:

ومن ذلك قوله تعالى : « **قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** »[3] تقاسموا(أي احلفوا) إشارة إلى " أن تقاسموا " فعل أمر ، أي قال بعضهم لبعض احلفوا

---

* - قد قام " تمام " باستقراء كتب التراث ، إذ لم يكن حكمه عبثا وأطلع على كتب المغني اللبيب لابن هشام ، الجنى الداني للمرادي

1 - طه :72 . وقالوا ذلك غير مكترثين بوعيد فرعون ، وقوله من البينات (المعجزات الظاهرة كالعصا ، واليد من الخوارق وإنما نسب المجيئ لهم ، وإن كان موسى جاء بها لفرعون وقومه ، لأنهم المنتفعون ، ولا يمكن أن يكون قسما ، لأن القسم يتطلب جوابا ، وإذا اعتبرت جملة (لن نؤثرك) هي الجواب ، فلا يجوز لأن القسم قلما يرتبط جوابه "بلن " ، وبالتالي فالجائز هو العطف ، والتقدير (لن نؤثرك مع أنه جاءنا من البينات ولا على الذي فطرنا) . ينظر، أحمد الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، راجعه عبد العزيز سيد الأهل ، ملتزم الطبع والنشر ، عبد الحميد أحمد حنفي مصر، ص 59 .

2 - ينظر ،تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص395 ـــ404.

3 - النمل : 49.

على كذا (قتل صالح) [1] وإذا احتملت صيغة تفاعلوا الماضي ، فيكون المعنى على البدلية من قالوا (قـــولهم في سورة القسم) .

أما إذا احتملت الأمر: يصبح جزءا من مقول القول ، ويقول" تمام ": أن قرينة المعنى الأخير " حاليـــة " ، لأن الآية تكشف عن الكيد الذي دبره هؤلاء القاتلون ، والذي يتطلب الثقة بين الأطراف بالقسم .

وفي الآية نفسها قضية احتمالات" الباء " الداخلة على لفظ الجلالة ، أهما جار ومجرور متعلقان بالفعل الـــذي قبلهما (ماضيا أو أمرا) ، أمرهما قسم بالله (الفعل ماضيا) ، لكنهما جار ومجرور متعلق بالفعل (لأنه لم يكن بينهم من يعارض هذا الكيد حتى يقسم).

ثالثا – احتمالات العلاقات السياقية :

ومن شواهد ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : « **أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى** » [2] يحتمل التركيب علاقـــتين ســـياقيتين : الأول أن يكون الضمير في "يمشون "،والضمير في مساكنهم للقرون (الأجيال) السابقة ، والجملة حال من القـــرون ؛ ذلك أن المشي كان ملابسا للإهلاك. والاحتمال الثاني : أن تكون الواو " في يمشون " لمرجع الضمير من"لهم" و "قبلهم" ، وأن يكون الضمير في مساكنهم " باقيا على دلالته " على القرون الغابرة ،وبذلك يكون المفهوم أن الكفار اليوم يمشون في مساكن كفار الأمس ، والجملة على هذا حال ، وصاحب الحال مرجع الضمير في " قبلهم "والقرينة على إرادة المعنى الثاني من تاريخ – كما يقول "تمام" – إذا لم يعلم أن قوما من الغابرين قـــد أهلكوا أثناء المشي أو سببه . وهذا الإجراء يصب في موقعه النص الثقافي ، إذ إن سياق الآيـــة ، يســـتدعي استحضار الملابسات من نوع (التاريخية هنا) لأن أهم ما يتصل بهذه الموقعة ، استقراء الظروف التاريخية المحيطة بالنص والملابسات الاجتماعية ، فالتحليل الوظيفي للأسلوب يقتضي ذلك .

رابعا - احتمالات إعرابية :

ومن ذلك قوله تعالى : « **يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ** » [3] لفظ " كثير " يحتمل أن يكون نائبا عن المفعول المطلق (أي أن يضل به إضلالا كثيرا) كما يحتمل أن يكون مفعولا بـــه (أي يضل به الكثيرين ويهدي به الكثيرين) لأن الأصل " يهدي " فعل ، والفاعل ضمير مستتر " الكثيرين" مفعول به منصوب . والقرينة على إرادة المفعول به في نهاية الآية وما يتصل به " إلا الفاسقين " ، فالضـــلال والهدى واقعين على الأشخاص. [4]

---

1 -أحمد الصاوي :حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، ص199.

[2] - طه : 128.

[3] - البقرة: 26. سبب الهداية والضلال ، هو المثل الذي ضربه الله تعالى في قوله : « **إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها**». البقرة : 26

[4] - ينظر ،تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص 405ــــ413.

وقوله تعالى : « يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » [1] . فهل يعرب الليل والنهار مفعولا بهما أم ظرفين ؟ لا يمكن أن يستحق الليل والنهار التسبيح ، فيستحق هذا الأخير مفعولا مقدسا، فالمسبح إنما يسبح لله تعالى ، وقد يدوم ذلك طوال الليل والنهار ، القرينة على الظرفية ، من ناحية المناسبة المعجمية إذن ،وهناك قرينة لفظية في نهاية الآية ، وهي قوله تعالى : « لَا يَفْتُرُونَ » وهذا دليل على ما قاله " تمام "من عدم كفاية العلامة الإعرابية ؛ بل تتضافر القرائن على توضيح المعنى لرفع اللبس .

خامسا – تعدد المعنى المعجمي :

ومن ذلك قوله تعالى : « وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ » [2] الفعل رغب يتعدى بحرف الجر على النحو التالي : " رغب إليه أي طلب منه " لكن الفعل ترغبون جاء في هذه الآية دون أن يقترن به حرف جر فهل يترتب على هذا ، اللبس في المعنى ؟

اللبس هنا مؤشر أسلوبي مقصود -إذ إنه قد يكون مقصودا لغرض- وفيما سبق رأينا سبب حذف حرف الجر في هذا الموضع فليس النص القرآني كتاب قانون ، حتى يضع العبارة على صورة الأسلوب الفقهي (ترغبون في وعن...)إنما هو نص معجز يتخذ الحذف أحيانا وسيلة للتعمية والتعمية وسيلة للتعميم(الذي يكون مسلكا للتشريع)وحديث" تمام"عن الإعجاز القرآني يكون بذلك متجها إلى المركز الذي بحث فيه النحاة واللّغويون والبلاغيون العرب القدماء، إذ لم يخرج أحدهم عن هذه القضية ، فما زال البلاغيون (الأسلوبيون) – العرب المحدثون يحومون حولهما –

سادسا – تعدد معاني النمط التركيبي :

ومن ذلك قوله تعالى : « إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ » [3]ما هو الضمير الذي يقدر مع الفعل يضل ؟ أهو ضمير رفع مستتر (على معنى الفاعلية) أم ضمير نصب محذوف (على معنى المفعولية) ، لكن القرينة قائمة على إرادة المفعولية ، فهو لا يهدي من شاء أن يضله من عباده (يضله) .

سابعا – اختيارات أسلوبية [4]:

والاختيارات الأسلوبية أيضا تدخل لتدفع اللبس وتوضح المعنى ، ومن ذلك قوله تعالى : « لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ » [5] أعيد ذكر

---

[1] - الأنبياء : 20 . أي مستغرقين في العبادة والتسبيح جميع أوقاتهم ، لأن جلالة الله وسلطانه يوجب أن لا تصرف العبادة لغيره (الليل والنهار). عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام ،ص 521.

[2] - النساء : 127.

[3] - النحل : 37.

4 - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 413ـــــ431.

[5] - النساء : 7 . في الآية طباق بين الرجال والنساء ، وإطناب . محمد على الصابوني: صفرة التفاسير ، ص 260 - 261.

"الوالدان والأقربون" في آخر الآية ، ذلك أن إضمار هذه العبارة ، يجعل الضمير عائدا على الرجال أي مما ترك الرجال.

وقوله تعالى: « سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ» [1] في قواعد النحاة يتطلب العطف على ضمير الرفع المتصل ، الفصل بين المتعاطفين ، بضمير منفصل ، ومن ثم فلو كان " آباؤنا " معطوفا على الضمير " نا " في أشركنا لتطلب ذلك أن يقال (ما أشركنا نحـــن ولا آباؤنـــا) ولكن عدم ذكر الضمير " نحن " دل على قصد أسلوب آخر ، تكون العبارة المقدرة فيه : " مـــا أشـــركنا ولا آباؤنا " مع تقدير فعل محذوف أشركنا ، والدليل عطف الفعل " حرمنا " (عطف أفعال منفية) [2]

وأوضح ما يجب في الأسلوبية الوظيفية في هذا المبحث :

- الاعتماد على القرينة الحالية في توضيح المعنى (أي سياق الموقف) ، وعدم الاكتفاء بالمعاني الظاهرة - الصفية – من خلال البنى اللّغوية (أي السباق اللّغوي) .

ما ذكره "تمام " من وسائل إباء اللبس منطلقها وظيفي، ناتج عن التفاعل الوظيفي ، ودينامية الأدوات والصيغ الصرفية والتراكيب (أي النمط) واحتمالات العلاقات السياقية . هذا التحليل يلجأ فيه إلى التفسير والتعليل وهذا ما كانت تتحاشاه الدراسة الوصفية ، لكن الوظيفية احتضنته- كالمدرسة التوليدية التحويلية وهذا وجه من أوجه المفارقة بينهما-

والاهتمام بإباء اللبس ، يهدف إلى تحقيق التواصل ، وحرصا على تمام عناصر العملية التواصلية (متكلم مستمع الشفرة ، الملابسات ، السياق).

---

[1] - الأنعام : 148.

[2] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 431ـــــ437.

المبحث الخامس : أسلوب الدعوة في القرآن :

ما دام القرآن الكريم رسالة من لدن العزيز الحكيم ، وهو دستور الأمة ، وأولى مصادر التشريع الإسلامي وهو المنظم لحياة الأفراد ؛لذا أحرى أن يكون له أسلوبه الخاص في الدعوة والتوجيه ، ولا يتحقق هذا إلا عن طريق الأسلوب (اللّغة) الحاملة لهذه المعاني بشكل ينسجم فيه المبنى والمعنى ، لسلامة التوصيل .

فاللّغة بالنسبة إلى المستقبل أداة توجيه . فهي تكيف السلوك وتعدله بحسب موقفه مما يسمع أو يقرأ ، أما بالنسبة للقناة التي يسلكها الكلام ، فوظيفة اللّغة هي التواصل بين الناس (وفي القرآن فإنه كلام الله الموجه إلى عباده) وهناك وظيفة جمالية ،فيأتي هنا دور الأسلوب وطريقة التبليغ وإرادة التأثير الفني ، وأخيرا وظيفة اللّغة من وجهة نظر الموضوع (محتوى الرسالة) ، فتكون الوظيفة إعلامية والمقصود بها نقل المعلومات [1] .

والنص القرآني يحمل هذا البعد لقوله تعالى : « هَٰذَا بَلَٰغٌ » [2] ، ودعم" تمام " هذه الوظائف بالمخطط الذي وضعه "جاكسون" لوظائف اللّغة في بعدها التواصلي ، كما رأينا في الفصل الأول وهذا يؤكد إيمان " تمام حسان " بالبعد الوظيفي التواصلي للغة ، وهو الشق الثاني من الوظيفية ، ما دام هناك المعنى الوظيفي للبنية .

وبين هذه وتلك علاقة وطيدة تتجسد فيها العلاقة بين النحو والبلاغة ، كما هي عند " الإمام الجرجاني " فالبلاغة العربية منذ البداية لم تخل من هذا البعد التواصلي الوظيفي ، لأن مرجعها النص المقدس دائما ، والرسالة الأزلية وعلى هذا فأبحاثهم : " الجرجاني، الرماني ، الجاحظ ، ابن جنى ، الفارسي ..." و"تمام" حديثا فكلهم لم يغفلوا العلاقة القائمة بين المبنى والمعنى ، وبشكل وظيفي وهنا يدخل كذلك البعد التداولي الذي يتجاوز السياق الداخلي للنص ، إلى السياق الخارجي بما فيه من اهتمام بالحلقة التواصلية بين الأطراف . ولما كان هدف القرآن الدعوة والتشريع ، فإنه حدد منهاج الدعوة بحدود الحكمة (الحوار الهادئ) وموعظة حسنة (بالتذكير وضرب الأمثال والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) وأما جانب الجدل فكان بالحجاج ، وهنا تظهر المعجزة القرآنية بنوعيها [3] :

أ-حسية : وهي ما كان خرقا للعادة ،فيما يدرك بالحس والعيان (السمع أو البصر).

ب-عقلية : فهي بمثابة خطاب لعقل الإنسان ، وتدرك عن طريق العقل (ومنها أسلوب الدعوة هذا) [4]

ويقول "تمام ": « بأننا سنورد وصفا لأسلوب القرآن في كل جانب من هذه الجوانب» [5] فقوله:وصفا للأسلوب على غرار أنصار الموضوعية ، أي وصف النص لغويا ، من خلال الانطلاق مما هو موجود ، وهذه حجة تدعم ما قيل سابقا من أن الوظيفي يحتوي الوصفي .

---

1 - ينظر ، تمام حسان : الأصول دراسة ابيستملوجية ، ص 247 .

2 - الحجر : 52.

3 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 441.

4 - أمير عبد العزيز : دراسات في علوم القرآن ، دار شيهاب للطباعة والنشر ، ط 2 1982 ، ص 116.

5 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن، ص 441 .

أولا-الحوار في القرآن الكريم:

غاية الحوار القرآني رد العقل إلى التفكير المنظم الهادئ ،وبيان فساد موقف الخصم وقد يأتي على لســان أحد الأنبياء ،أو رجل صالح،أو بتوجيه قرآني إلى النبي- عليه الصلاة والسلام -أن يقول قولا معينا بنص آية من القرآن وأكثر ما يكون ذلك السرد على قول الكافرين أو موقفا غير منطقي ،ومن أغراض الحوار:

1-التكذيب المباشر للدعوة :

ومن ذلك قوله تعالى : « **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** »

الرد : « **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ** »[1]

وقولهم " إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ". أي ليس شأننا الإفساد أبدا ؛ بل نحن محصورون في الإصلاح ، ولا نخرج عنه إلى غيره ، فهو من حصر المبتدأ في الخبر وأكدوا ذلك " إنما " للحصر وبالجملـــة الاسميـــة المفيـــدة الـــدوام والاستمرار ،فرد عليهم سبحانه وتعالى بجملة مؤكدة بأربع تأكيدات (ألا الاستفتاحية ، وأن وضمير الفصل، وتعريف الخبر) –لكن" تمام" لم يورد هذا المؤكد الأخير[2]، كما يظهر هنا هدوء الحوار الذي ألبسه وأكســبه وزنا وثقلا من حيث السمع أو المعنى .

2- قلب الدعوى:

كما في قوله تعالى: « **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا** ».

الرد : « **وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا** »[3]؛أي إذا قالوا قـــولا كقول أشياعهم (ليخرجن الأعز منها الأذل)،والكلام الذي يتكلم به الواحد بعد الواحد،في الاستهزاء بالدين وبالرسول ،وإذا بلغ النبي -عليه الصلاة والسلام- شيئا من ذلك ،جاءوا إليه يحلفون بالله ما قالوا [4] ،فـــرد عليهم دعواهم،و أضاف إلى ذلك أنهم كفروا بسبب [*] قولهم و أنهم همّوا بقتله، فلم ينالوا منه شيئا،ووظف هنا أداة تأكيد(لقد)على الفعل "قالوا"،وعلى ما عطف عليه من أفعال [5]-وتظهر هنا وظيفة الأداة في مسار معنى كل الجملة ،وتوظيفها هنا بالغ الأهمية في إيصال المعنى وتأكيده .

---

[1] - البقرة : 11-12.

[2] -أحمد الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، ج1 ، ص 10.

[3] - التوبة : 74.

[4] - عبد الرحمان بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ،ص344 .

[*] هناك اختلاف في سبب النزول :أولهما اقتتال جهني و أنصاري ،و قول عبد الله الأنصاري عندما تعود :"يخرجن الأعز منها الأذل "و عندما بلغ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- الخبر حلف عبد الله نفيا الخبر ،سيد قطب في ضلال القرآن .ج 4. ص256

و قرينة اللفظية في الآية تجعل سبب النزول فيه شك ،و هي :(و هموا بما لم ينالوا) وهو الفتك برسول الله بعد العودة من غزوة تابوك إذ اتفق خمسة عشر رجلا منهم على دفع الرسول – صلى الله عليه و سلم –عن راحلته إلى الواد ،لكن حذيفة انتبه لوجودهم فهربوا . سيد قطب :في ضلال القرآن ، ج4، ص256-257.

[5] - ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص 442.

ولو عمد "تمام" هنا إلى مجرد وصف الأسلوب (الآية ليبين أن هناك إدعاء يستلزم وجود رد وفقط ، وأين له"ولنا" بمعرفة سبب الحلف ومتن الرد وفحواه ، لم يكن كل هذا إلا بمعرفة سبب نزول السورة لما يورثه من إدراك المعنى المقصود من الآية كي لا يقع الباحث أو المفسر في اللبس ، كما أنه قوي في فهم معاني القرآن فالعلم بالسبب يورث العلم بالمسبب [1] .

وما يقتضيه التحليل الوظيفي للأسلوب ، يتجاوز الوصف إلى الملابسات والظروف المحيطة بالقول والسياق و يقوم على :"الاستقراء"، والعودة –طبعا- إلى كتب التفسير ، وربط السياق الداخلي بالخارجي (وظيفة لقد) داخل البنية اللّغوية للآية فهو بذلك يترصد السياقين معا لتكون بذلك أسلوبيته وظيفية لا فردية ،ولا تعبيرية.

3- التعليق على قول الخصم:

ومن ذلك قوله تعالى: « **يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ** »
الرد : « **فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً** » [2] لقد سأل اليهود (أي طلبوا من رسول الله –صلى الله عليه و سلم – أن يترل عليهم كتابا من السماء ،جملة كما أنزل على موسى – عليه السلام – تعنتا وعنادا ؛لذا لم يبلغهم مرادهم، ولو كان سؤالهم طلب إرشاد لأجيبوا)[3] أي طلبوا المستحيل .

4- الإنكار على الخصم :

نحو قوله تعالى : « **وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا** ».
الرد: « **أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا** »[4]ويأتي الحوار القرآني بتذكير المنكرين للبعث بالنشأة الأولى بواسطة الإنكار أيضا ، وأنها كانت لا شيء فأيهما أهون على الله، ولما كان الإيمان بالغيب (إيمان بالقلب) لا معرفة بالعقل ،لأن الغيب لا يبنى على مقدمات حسية ،لذا لم يستطع الكفار التصديق.

5-السخرية:

كما في قوله تعالى : « **وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** »
الرد : « **قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ** »[5] يتساءلون هنا عما إذا كانت أجسادهم البالية تبعث من جديد ،فتشككوا في البعث ،فقال لهم و رد عليهم بأن الله قادر على بعثكم كيفما كنتم . [6]

---

1 -أمير عبد العزيز : دراسات في علوم القرآن ، ص 77 – 80.
2 - النساء :153.
3 :احمد الصاوي :حاشية الصاوي على تفسير الجلالين،ص255.
4 - مريم : 76-77.
5 - الإسراء : 49ـــ51.
6 -تمام حسان :البيان في روائع القرآن،ص442ــــ445.

6-الوعيـــــــــد:

قال تعالى : « **وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** »

الرد : « **لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ** » [1] . تساءل الكفار بشيء من التحدي عن وقت القيامة فرد عليهم القرآن الكريم بكيفية عذابهم جاعلا الوعيد ردا على التحدي ،وفي حذف جواب "لو" من إفادة التعميم ،ما يفهم منه شدة العذاب وفزع المعذبين، ثم أضاف إلى ذلك ردا عن السؤال.

7-الاعتـــــذار [2]:

كما في قوله تعالى : « **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ** »

الرد : « **إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** » [3].

كذب الكافرون بالرسالة واقترح الكفار على رسول الله آيات عينوها ،ويجعلون ذلك القول عذرا لهم في عدم الإجابة على الرسول –عليه الصلاة والسلام –والحال أنه منذر، ليس له من الأمر شيء وما هو إلا داع يدعو إلى الهدى شأنه في ذلك شأن بقية الرسل ، ومعه من الأدلة ،ما يدل على صحة ما معه من الهدى [4].

8-التنـــزيه:

كما في قوله تعالى : « **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا** ».

الرد : « **تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا** »[5].طلب من الكفار السجود للرحمن فتجاهلوا أنهم يعرفون المقصود بالرحمن ،فكان الرد عليهم أن في عدم معرفتهم به اعتراف بالعمى و عدم الإدراك.

9- الدعاء[6]:

كما في قوله تعالى : « **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** »

الرد : « **غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** » [7]

---

[1] - الأنبياء : 38-39.

[2] -تمام حسان :البيان في روائع القرآن،ص446-447..

[3] - الرعد : 07.

[4] -عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفيسر كلام المنان ،ص:414.

[5] - الفرقان : 60-61.

[6] -تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص449.

[7]- المائدة : 64.

إذ وصفوا بأن يد الله مغلولة على الخير و الإحسان و البر .والرد كان بالدعاء عليهم، بجنس مغالاتهم فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقا عليهم فكانوا أبخس الناس وأقلهم إحسانا فأبعدهم عن رحمته التي وسعت كل شيء [1] .

10- تعدد أنواع الرد :

كما في قوله تعالى : « **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ** »

الردود:-تعجيز:« **قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ».

-تعليق : « **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ** »[2]

- تعددت وجهات نظر الكافرين فيما يخص القرآن ،فمنهم من قال (بالافتراء الكذب)وكان الرد أن أعجزهم وأخرسهم بأن يأتوا بمثله.

وكذلك التعليق، فهذا التنويع يثري المعنى و يزيد الأسلوب جمالا وحيوية ،بما يضيفه من انتقال من (تعجيز،تعليق قلب للدعوة).

ثانيا - التذكير وضرب المثل والأمر بالمعروف :

1-التذكير (ينشط الذاكرة ،ويربط الانتباه بمذكور أو معهود معين) ووسيلة التذكير هنا في القرآن الكريم - فيه كل الوسائل الموصلة إلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتي هي أحسن –

ومن شواهد التذكير في القرآن الكريم : التذكير بذات الله ، أو بنعمه ، أو أمرا من النبي – عليه الصلاة والسلام – أن يذكر بالقرآن – نحو قوله تعالى : « **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** »[3] وهنا أمر للرسول – عليه الصلاة والسلام – للتذكير بالقرآن.

2 – ضرب المثل : القرآن ثري بهذه الظاهرة ، إذ يتخذها وسيلة للدعوة والتهذيب والزراية بأعمال الذين كفروا ويعد اليوم من أنجح وسائل التربية وقد يكون عمليا (خُلق الرسول) أو قوليا (كالتشبيه العادي ...) وقد تعددت صوره :

- **الصورة الأولى** : ضرب الله مثلا كذا وكذا هل يستويان ؟ أو نحو ذلك .

قال تعالى : « **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** »[4]

-**الصورة الثانية** : ضرب الله مثلا لكذا كذا [5] :

---

[1] - عبد الرحمان بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ،ص414.

[2] - يونس : 38-39.

[3] - الذاريات : 55.

[4] - النحل : 75.

[5] - ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص449 ــــ456.

قال تعالى : « ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ » [1]

-**الصورة الثالثة** : مثل كذا كمثل كذا :

كما في قوله تعالى:« مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ » [2]

-**الصورة الرابعة** : مثل كذا ككذا :

قال تعالى: « وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ» [3]

-**الصورة الخامسة** : مثل كذا ككذا = أمثل كذا ككذا :

قال تعالى : «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا » [4]

- **الصورة السادسة** : كذا كمثل كذا :

قال تعالى : « اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ » [5]

-**الصورة السابعة** : مثل كذا = صفة كذا :

قال تعالى : « مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ» [6]

3 – الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : وأوضح ما يمثل ذلك قوله تعالى: « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » [7] قد حقق بالعرف في هذه الآية العفو والإعراض عن الجاهلين ، ويمكن اعتبارهما اعتبارهما قرينتين شرحتا المقصود بالعرف هنا [8]، « يقال للعرف المعروف وهو ما تعارف الناس على حسنه

---

[1] - التحريم : 10.

[2] - البقرة : 17.

[3] - إبراهيم : 26.

[4] - محمد : 15.

[5] - الحديد : 20.

[6] - الرعد : 35.

[7] - الأعراف 199 المقصود بـــ:"خذ العفو" ضد الجهل أي خذ ما عفاك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم، وتسهيل من غير تكلف ، أما العرف : المعروف والجميل من الأفعال . الزمخشري . تفسير الكشاف . تحقيق وتعليق محمد مرسي عامر – دار المصحف ، مطبعة عبد الرحمان أحمد ، ط 2 1977 ،ج 1 ، ص 52 .

[8]- ينظر ، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص456ـــــ460.

وهو ضد المنكر الذي تعارفوا على إنكاره وكأن العرف قانون للتعامل الإسلامي ، عند غياب التشريع لـذا أمرنا الله
– عز وجل – لجعل المعروف قرينا للكثير من تصريفنا للعلاقات الاجتماعية » [1]

ثالثـــا - الحجاج :

تتمثل معجزة الرسول-عليه الصلاة والسلام – في القرآن الذي يخاطب به البشـر (النـاس أجمعـين) لإقناعهم بالتخلي عن معتقداهم والإيمان بالمعتقد الجديد ،وقد تعددت مظاهر هذا الإقناع في القرآن ، فهـو إقناع مبني أساسا على اللّغة وبالعودة إلى مضمون" الكتاب "وأسباب الترول يمكن اعتبـار القـرآن خطابـا حجاجيا ؛ إذ جاء ردا على خطابات (علنية كانت أو ضمنية) ويقدم الحجج لمستويات مختلفة [2] .

إن الحديث عن الحجاج يؤدي إلى البحث عن العلاقة ما بين البلاغة العربية ، ونظرية الاتصال القائم على الحجة *argument* والحجاج *argumentation* ؛فالحجاج خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي ، والتأثير في سلوكه ، أي الإقناع *persuasion* (وهي خطابة شاعت في الثقافة الغربية المعاصرة) بفضل التعدد والاختلاف في سياق من الحرية ، لا يسمح باستخدام السياق، فكان البديل "حد الخطاب" "خطاب التأثير"والاستمالة ؛ إذ يقول"بيرلمان "بأن نطلق على القرن العشرين قرن الترويج ، والدعاية ومن ثم أهمية هذا الخطاب دراسة تحليل التقنيات التي يستخدمها في استمالة المتلقي وإقناعه ، وكانت الخطابة العربية أحد النصين الأدبيين (الخطبة – القصيدة) اللذين دارت حولهما البلاغة العربية، أما النص الثالث (أي القرآن الكريم)كان ذو طبيعة خطابية ، وخطابية جدلية على نحو خاص (الحجة للفت الانتباه والإقناع)[3] قد يؤول الحوار في بعـض صـوره إلى الاعتماد على الحجة والدليل باعتباره طريقا من طرق الدعوة ، ويفرق" تمام حسان" ما بين الدليل والحجة :

- **فالدليل** : قد يساق من خلال المطالبة بالنظر في الظواهر الكونية ،ففي وجودها دليل على موجودها ، وعلى نعم سخرها للإنسان – أي دليل النصبة كما هو عند" الجاحظ"-.

- **أما الحجة** : فهي تتراوح ما بين الدليل المنطقي [*] ، والدليل الخطابي ، لكن النص القرآني لا يحـتكم إلى أسلوب واحد بعينه ويشبهه بحدائق ذات بهجة من الأساليب التي لا تنتهي (التعدد) .

- **أما الدليل الخطابي** : (غير صوري) فلا أسلوب له إلا ما يناسب المقام،فللمستدل أن يعبر عنه.(بالاستفهام الخبر) – ففكرة مقتضى الحال إذن هي التي يعول عليها بعض الباحثين في الربط بين البلاغة الغربية ونظريـة الاتصال الأدبي وهنا نجعل هذه الفكرة المعول عليها في التأكيد على أهمية هذا العنصـر بالنسـبة للأسـلوبية الوظيفية.

---

[1] -المرجع نفسه، ص 459ـــ463

[2] - ينظر، الحواسي مسعودي : البنية الحجاجية في القرآن الكريم سورة النمل نموذجا ، مجلة اللّغة والأدب الجزائر ،العدد 12، ص333.

[3] - جميل عبد المجيد : البلاغة والإتصال ، دار غريب القاهرة ط 2000، ص 7 – 8.

[*] - الدليل المنطقي : صوري يعتمد على مقدمات للوصول إلى نتائج ، ويأتي على صورة معينة .تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص 463.

ومن شواهد (الدليل الخطابي) وكما يرى " تمام " أن الدعوة بالموعظة الحسنة حين أمر الله –تعالى- بذلك شاء أن يكون الجدال بالتي هي أحسن ، ولفظ أحسن لا يدل على صفة مشبهة؛ إنما يدل على المقارنة بحسن الموعظة ، بتفضيل حسن على حسن ، ليكون أفضلهما هو الأحسن مما يقي الجدال من أن يكون منبرا للعداوة ومقاومة الدعوة (فالمقام يفرض ذلك) [1]ومن شواهد النوع الأول - الدليل- قوله تعالى :"**و خلق كل شيء وقدره تقديرا** "[2] ومن شواهد الدعوة إلى التأمل ، الكثير : ومن ذلك : قوله تعالى : « **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** »[3] .

الهمزة داخلة على محذوف ، والفاء عاطفة عليه (أغفلوا فلم يسيروا) فهو تحريض على السير ليشاهدوا آثار من قبلهم من الكفار ليعتبروا ، فصبرهم وعدمه سيان ، فالخلل ليس في حواسهم الظاهرية إنما في قلوبهم ، وانهمكوا في الشهوات وعدم إذعانهم للحق لأن عمى القلوب هو الضار[4] .

شواهد المحاججة :

ذكر فيما سبق أن الدليل العقلي لا يعد منطقيا بالمعنى الدقيق ، إلا أن يكون صوريا (تراعى فيه أصول الاستدلال المنطقي) أما إذا لم يتحقق له شيء من ذلك ، وظل يخاطب العقل ، فإنه عندئذ يقع في عداد الأدلة الخطابية ، وليس الدليل الخطابي أقل شأن إلا لأنه هو التفكير نفسه يخاطب العقل حينا والعاطفة حينا آخر ، والأدلة القرآنية جميعها تخاطب العقل ، وإن لم تعمم على أساس المسلمات العقلية وفيما يلي شواهد من الأدلة القرآنية السابقة الذكر [5] :

قال تعالى : « **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**»[6]

ولنربط ما سبق من أسلوب الدعوة في القرآن بالوجهة الوظيفية التي تعتمد على ثلاثة أبعاد :

أ – مجال القول: إذ حدث تنويع في مجالات القول (الموعظة الحسنة، الأمر بالمعروف، والرد بحسب الموقف..) ويترتب على هذا التوسيع نتائج لغوية ، فالمجال يمارس تأثيرا على تركيبة النص ، الجملة نحويا مما يعود بالأثر على البعد التواصلي .

1–ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن،ص،463—470.

2 - الفرقان : 2.الأشياء كلها خلقها وملكها فسواها لما يصلح له، فلا خلل فيه أنظر مختصر التفسير الطبري . جامع البيان في تأويل آ ي القرآن، ص 107 ، وهناك من قال أنه عدله تعديلا بأن جعله على شكل حسن . أحمد الصاوي: حاشية الصاوي على تفسير الجلالين . ص 150.

3– الحج :46.

4 - أحمد الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين،ج3، ص 104 – 105.

5- ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن،ص 470-——.488

6- القيامة 36 – 40 حسابه هذا باطل ، ظنه بأنه يترك هملا لا يؤمر ولا ينهى ، و لا يكلف بعبادة ، فهذا المنكر قد . ينظر التفس كان نطفة فعلقة فسواه بشرا ناطقا سويا . ينظر ، الطبري : جامع البيان في تأويل آي القرآن ، ج 2 ، ص 504.

ب : أما كيفية القول : فنلمسها في درجة التوسيع والتحول الكيفي الماثلة في العمل ، وهي تتوقف على مقاصد الرسالة ، كتنوع الصور التي رأيناها للمثل وأغراض الحوار .

ج – أما طابع المقال : يظهر من خلال اختيار نماذج وتراكيب لغوية معينة (توظيف عناصر اللّغة في موقـــف معين ودرجة الموافقة بين المبنى والمعنى) كالتنويع الذي رأيناه سابقا في الرد إذ تراوح بين التعجيز والتنـــــزيه والرد .

" فتمام " ركز في تحليله لأسلوب الدعوى في القرآن على هذه النواحي جميعا ، بشكل أو بآخر قاصدا إلى هذا التحليل (الوظيفي) أم لا ، وأهم من هذا إقحامه عنصر المحاججة (الحجاج) والذي من خلاله يـــدخل نظرية الاتصال في البحث الأسلوبي والوظيفي منه على وجه الخصوص ، والذي يعد من قواعـــد وأصـــول الأسلوبية الوظيفية ، ويظهر هنا البعد التداولي.

ويلاحظ في بعض النماذج التي اختارها "تمام "، من قول ثم الرد عليه ، فيها من سياق الموقف، ما يجعـــل القارئ (السامع) يبتعد عن سياق الموقف الواقع العمل لحظة (ملابسات) وذلك تركيزا على سياق الموقـــف الذي تخلفه الآية (الآيات) أو النص ككل وذلك إثباتا للعلاقة بين اللّغة وما تحمله من مضامين ، أو الصـــيغة الشكلية التي تعكسها في المقام ، بالإضافة إلى هذا فإن" تمام" يترصد السياقين الأكبر والأصغر – ولنا عودة إلى هذه النقطة لاحقا–

المبحـــــــث الســــــــادس : من المقاصد الأسلوبية للقرآن :

المقصود بالأسلوبيات ، فرع من اللسانيات (أي الدراسة اللّغوية الحديثة) يقوم على تحليل الأسلوب ، والأسلوب اختيار استعمال إحدى الطرق الممكنة للتعبير ،حين تكون مثل هذه الطرق صالحا لأداء معنى معين. وهذا ما جعل "تمام" يوافق القدماء حينما عرفوا البيان :"بأنه علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في ووضوح الدلالة عليه" فالاختلاف هو تجاوز تمام اللفظ (المعنى الواحد ليترك المعنى غير مقيد ، أي الاتجاه إلى التركيب ، ويتتبع هذه القضية من خلال فهمه للمعنى).

إذا كان موضوع البلاغة هو العلاقة بين الأسلوب والمعنى فإن المعنى هو الأساس الذي تم بحسبه تشقيق المعنى ، وإعطاء كل شق منه ما يوصل إليه من الأساليب اللّغوية وتشقيق هذا المعنى إلى ثلاثة أضرب (وظيفي معجمي ، معنى المقام) وسبق أن رأينا هذا التشقيق نفسه لدى عبد القاهر" الجرجاني" .

وإعطاء كل شق منه ما يوصل إليه من الأساليب اللّغوية : فالمعنى الوظيفي النحوي معنى الأبواب النحوية كالفاعل فالمعاني الوظيفية تحرسها قرائن صوتية: كالعلامة الإعرابية ونغمة الكلام ، أو صرفية :كالبنية الصرفية والمطابقة والربط والأداة، أو تركيبية : كالتضام والرتبة ، فالأبواب النحوية وظائف تكشف عنها القرائن أو هي معان وظيفية للقرائن المستمدة من الأصوات والصرف والماثلة في التركيب والسياق [1] .

- وهذه الفكرة هي عين ما رأيناه في منهج التحليل الوظيفي للأسلوب ؛إذ على البحوث التركيبية التي تعنى بالوصف التفصيلي للأسلوب ، أن توازن نتائجها وتقارنها بما يستخلص من الملاحظة المتأنية للقيم الصوتية والصرفية للنصوص المدروسة ؛إذ النحو ما هو إلا تراكم تركيبي لهذه المستويات ، وتوظيف لمحصلتها الأخيرة .

- وأن سر الأسلوب لا يكمن في سيطرة عنصر ما على غيره ، بل يأخذ في الاعتبار العلاقات القائمة بين مختلف الأجزاء .مع التذكير أن أي عنصر له دلالته(دلالة خاصة)قد تتغير في علاقته بنظام آخر – ويضيف أن هذا المعنى الوظيفي بصوره الثلاث :

أ- معنى الجزء التحليلي :خاضع للتعقيد والضبط .

ب- المعنى المعجمي :سبق لنا أن تكلمنا عليه .

ج-أما المعنى المقامي : التام أو الشامل للعناصر الاجتماعية التي يتكون منها المقام [2] ويجعل هذه النقطة متكئا لنقد التراث البلاغي العربي ، إذ يقول :" لم يحاول أحد أن يمزج العلمين بالآخر – النحو والمعاني – ليخرج منهما بدراسة نحوية تعنى بالتركيب ، كما تعنى بالتحليل ، وتختص بمعاني الجمل كما تختص بمعاني الأبواب الفرعية التي في داخل الجمل ، وبهذا السبب لم تقم علوم البلاغة في أية مرحلة من مراحل تاريخها الطويل بدور المنهج النقدي الأدبي المتكامل ؛ لأنها لم تتخط النقد الشكلي إلى نقد المضمون " [3] . والبديل هو الاعتراف بأن اللّغة ظاهرة اجتماعية ، وشدة ارتباطها بثقافة الشعب وهذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع

---

1 - ينظر، تمام حسان : الأصول دراسة ابستمولوجية (النحو ، فقه ، بلاغة)، ص 279 – 291.

2 - المرجع نفسه، ص 292 .

3 - ينظر، تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها ، ص 336.

المواقف الاجتماعية المختلفة (المقام عند العرب القدماء) وبهذا المعنى يصبح للعلم الجديد الذي يأتي من امتزاج النحو والمعاني مضمون ، لأنه يصبح شديد الارتباط بمعاني الجمل ومواطن استعمالها وما يناط بكل جملة من معنى [1] .

فبالرغم من اعترافه هنا للبلغاء ، في إطار شكلية البلاغة –على حد تعبيره– بتفطنهم لفكرة المقام لكن يرد ذلك بالنقد الذي رأيناه سابقا ، والمتمثل في أن مفهوم المقام لديهم سكونيا.

ومفهوم المعنى عند" تمام" منتزع من نظرية السياق عند" فيرث"، ومع ذلك فلا يكاد يختلف عن مفهوم المعنى كما هو لدى" الجر جاني" على وجه الخصوص .

والسبب في إدراج هذا العنصر في هذا المبحث ، لأن الحديث فيه سيكون عن طرق التعبير الموصلة إلى المعنى (المقصود)وهذا يستلزم مطابقة المقال للمقام ،كما أن اختيار طريقة دون غيرها ، يجعل العنصر المختار مؤشرا أسلوبيا ، لأن رؤية العناصر التي اختيرت في كل حالة وتركيب وأسلوب ، تمكن من ملاحظة درجة التوفيق في توظيفها وعدمه ، وذلك أن هناك عددا من المبادئ التي يمكن بواسطتها التعبير عن المعنى وليس هذا من باب الإسراف اللّغوي ، إنما كل صورة منها تنطوي على مقصد معين ، ما دام هناك متكلم ومستمع فاللّغة شركة بينهما تفهم في نطاق عرف مشترك ، ثم في حدود ذوق عام –وهذا الطرح تدعيم لفكرته السابقة والتي تثبت بأن اللّغة ظاهرة اجتماعية ، فعملية التواصل لا تتم إلا داخل هذا الحيز الاجتماعي
–وهذا البعد التواصلي قد أشار إليه" ابن جني" حين ربط الصوت بالغرض وبالقوم ؛لأن المقاصد الأسلوبية تنطلق من الغرض الذي يمكن أن يتحقق أثناء عملية التواصل- .

فإذا حدث وأن تناسبت الأذواق الفردية ، ردها هذا الذوق العام إلى بساط مشترك تنكسر به حدة التباين فيتحقق التفاهم المنشود و الاهتمام بالوسائل التي تضمن التواصل (الفهم و الإفهام) باعتبارها قاسما مشتركا أعظم بين كل مستويات التعبير و طرقه ، و بذلك يصيب "تمام" على غرار" الجاحظ" البعد التواصلي العادي و الفني ، بذكره خاصة مصطلح الذوق ،و "تمام" ينكر موقف من أعلنوا موت الكاتب (المؤلف) " رولان بارت" فالنص عنده تراث من تركة المؤلف لا يثبت لنفسه حق الاستمتاع بها ، إلا بعد إثبات صلته بالمورث فالذوق العام دليل إثبات الصلة بين القارئ و صاحب النص فيبقى الذوق الفردي محل تصرف القارئ .

و المغزى من كل هذا أن منشئ النص و قارئه يلتزم بشرط " عرفية الاستعمال " وحدود ذوق عام ، لكن له الحق في أن يلقى على النص ظلا من ذوقه الخاص، ووسيلة ذلك تحميل أنماط التركيب عبء هذه المقاصد الأسلوبية الفردية ، و من هنا يستطيع الناقد أن يولد نصا آخر انطلاقا من النص المنقود و يرتاح فهمه و قراءته للنص ، أو المشاركة في بناء معنى النص [2].

و يمكن التمثيل لذلك بقوله تعالى:« وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ

[1] - تمام حسان : اللّغة العربية معناها ومبناها ، ص 337 .

[2] –ينظر ، تمام : البيان في روائع القرآن،ص489-490..

فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ »[1].

يوجد في الآية جملتين اسميتين " مبتدأ و خبر " و ظرفين بلفظ (يوم) من الناحية التركيبية المحض صالح لأن يتعلق "يوم يقوم" بالفعل "خلق" و حصل المعنى : أنه خلقهن بالحق ، وكان خلقهن يوم يقول " كن " ، وصالح أيضا من الناحية التركيبية ، ولكن التكوين الديني والعقلي يضاف إليهما الذوق اللّغوي (عام وفردي) يجعل الظرف معلقا على النحو الآتي:

يوم يقول كن فيكون قوله الحق : أي أنه إذا قال " كن " فإن قوله من حيث يصحبه مباشرة خلق ما أراد له أن يكون . وهذا التعليق حاصل من استغلال العلاقات ما بين التركيب في فهم المعنى ومن علاقات سياقية وكذا الإحساس والذوق .

ولكي يتبين المقصود " بالمقاصد الأسلوبية " لابد من إيراد بعض هذه المقاصد ، وما يستعان به من وسائل للوصول أليه ومن ذلك :

أولا - التعميم : ويوصل إل هذا المقصد بوسائل منها :

1- الموصول:كما في قوله تعالى:« قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا » [2]. لم يكن اسمها مهما، بقدر ما كان حكم الظهار هو المهم .

2- **التنكير**: فإذا وقعت النكرة في سياق النفي ، كانت إفادتها التعميم أشد وأشمل وأشهر ما يكون ذلك ما يضيفه اسم لا النافية للجنس من معنى ،ومن ذلك قوله تعالى:« لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا »[3]

فليس في الدين من أنواع الإكراه جميعا وليس للعروة الوثقى من أنواع الانفصام شيء .

3-الشرط:الشرط مبنى على معنى العموم، إلا أن يكون بلفظ "إنْ" أو " إذَا "ومن ذلك قوله تعالى:« أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ » [4] أي كل من يتبدل [5] .

---

1 -الأنعام : 73 يوم يقول : خبر مقدم ، و قوله الحق : مبتدأ و المعنى أنه خلق السموات و الأرض قائما بالحق و الحكمة و حين يقول لشيء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق الحكمة عن موعظة و صواب .الزمخشري :تفسير الكشاف، ج1، ص 74 .

2- المجادلة : 1 .

3– البقرة : 256 . أي لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إليه ، لأن الدين القويم قد ظهرت أعلامه للعقول ، وتبين أمره وعرف الرشد من الغي (بالعروة الوثقى) أي الدين القويم الذي ثبتت قواعده وكان التمسك به على ثقة من أمره. عبد الرحمان. بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، ص 111

4- البقرة 108 .

5 - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن . ص : 490 – 296.

ثانيا – التوكيد [*1]: ويكون في القرآن بوسائل متعددة منها :

1-التوكيد اللفظي[*2] ومن ذلك قوله تعالى:" **إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا**»[1] وهذا النوع بصورته النحوية قليل في القرآن –ورأيناه في مبحث سابق (الإيقاع بالتكرار).

2-التوكيد المعنوي[*3]: يأتي لإفادة معنى (هو لا غيره) وهو وارد في الأسماء والأفعال ومن ذلك قوله تعال: « **لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ**»[2] أي لقد اكبروا أنفسهم بأنفسهم.

3 -التوكيد بزيادة الحرف: كتضعيف عين الثلاثي ،زيادة همزة في أوله :أو زيادة تاء الافتعال عليه ،فزيادة المبنى تدل على زيادة في المعنى".

ومن ذلك قوله تعالى : « **ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا**» [3].أي والقرآن المجيد عجبوا، ويمكن القول بنيابة "بل"عن"قد"،فمن خلال التوكيد تتعين المقاصد الأسلوبية ،من تقرير المؤكد في نفس السامع وإزالة الشك.

4 -**التقديم:** سبب التقديم في النحو(بين المبتدأ والخبر) أن المبتدأ معلوم للمتكلم والسامع، والخبر مجهول للسامع، وكذا الفرق ما بين الجملتين الاسمية والفعلية، هو فرق تقديم وتأخير.

كما في عرف البلاغيين ،وضع التقديم بسبب الاهتمام موضع العلم والجهل ،ويقول"تمام"أن النتيجة ذاتها ،وذلك اعتدادا منا – "تمام" يتحدث- بأن التقديم نوع من التأكيد، ومن ذلك قوله تعالى: « **أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ**» [4] (أئفكا) يقدم على مفعول به "آلهة" لأن الأصل :تريدون آلهة دون الله إفكا ،وهذا التقديم لأجل التقبيح عليهم على إفك وباطل .

5-القصر: هو تأكيد بنفي الغير وإثبات الحكم للموضوع ويكون إما :

أ- صراحة: بحرف النفي :و-إلا- (لا+إلا / ما+إلا).

ب-ضمنا :"إنما"والسبب في جعل إنما للتأكيد من جهتين :أولهما أن "إن" في أصلها للتأكيد،وأن زيادة(ما) زيادة في المبنى وبالضرورة تكون زيادة في المعنى إنما فيها إشارة إلى تفرد الاسم بالاتصاف بالخبر ،ولا يكون

---

*1-التوكيد(التأكيد)تكرير يراد به تثبيت أمر المكرر في نفس السامع وفائدة اللفظي:تقرير المؤكد،في نفس السامع وتمكينه في نفسه من الشبهة فيه.والمعنوي:يكون:(بكل ،جميع،وعامة)إذن فائدته الدلالة على الإحاطة والشمول ،وفائدة التوكيد(بـ نفس عين) رفع إحتمال أن يكون في الكلام مجازا،أو نسيان، أما (كلا، كلتا) إثبات الحكم للاثنين المؤكدين معا ..ينظر مصطفى غلا ييني : جامع الدروس العربية .ص231-233

*2 -إن إعادة اللفظ أوسع مجالا من (التأكيد اللفظي) من وجهة النظر النحوية ،في باب "الربط بإعادة اللفظ " ولا يعد باب التوكيد اللفظي . تمام حسان:البيان في روائع القرآن ،ص 496 .

1-الواقعة :26 .

*3-التوكيد المعنوي:لا يعد التوكيد بالمصدر من قبيل التوكيد المعنوي ،وإن اتفق في عموم المعنى (أما الفعل فإنه يؤكد بمصدر لإبعاد المجاز)أما الأسماء :فالأصل أن تؤكد بضمير منفصل ،لكن عدل عن ذلك ،لأن الضمير أحيانا يفيد العطف نحو (جاء زيد هو وأبوه) .تمام حسان :البيان في روائع القرآن، ص497.

2 – الفرقان: 21.

3 – ق: 1-2 .

4-الصافات :86 .

هذا في إن التي تقيد وتؤكد إسناد خبرها إلى اسمها ومعنى القصر في الحالتين اختصاص أحد العنصرين دون غيره بالآخر ،ومن ثم تأكيد النسبة بينه وبين الآخر[1] ومن شواهد ذلك من القرآن الكريم: قولــه تعــالى : «وَمَــا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» [2].

وقوله تعالى: « لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا»[3] "لا +إلا".

وقوله تعالى : « إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ» [4] إنما

بالإضافة إلى أدوات القصر السابقة (إن ،إنما....) فهناك قصر بحرف العطف نحو (أقبل محمد لا خالد) وقــد يكون بتقديم ما حقه التأخير نحو «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» [5](ومحمد أكرمت) أما القصر بـــالعطف فيكون بين أمرين (أمور) تثبت بعضا منها وتنفي بعضا . أما القصر بالتقديم فقد يكون لغير إنكار ،أو دفـــع لإرادة تخصيص المتقدم بالحكم(وقد يكون السامع لا ينكر الأمر) وقد يجهل المخاطب الأمر نحو (هو لا نفسه ينصر ولا ابنه يزجر)أي ولا يستطيع أن يخص نفسه بنصر ولا ابنه يزجر –وقد يكون لغرض التوجيه والتعليم كما في قوله تعالى: «وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ »[6] ، وقد يكون التقديم لغير إرادة القصر، بل لمجرد الاهتمـــام بخـــلاف الاستثناء المفرغ. الذي لا يكون إلا للقصر مثل : «وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ »[7] ليست الهداية مقصورة على نوح فقط[8].

6-النسخ: (النواسخ) بإن[*]-أن – ولا النافية للجنس.

ومن شواهد ذلك، قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ»[9]

نلاحظ ما في لفظ شيء من معنى العموم ،فدخولها على الجملة زادها تأكيدا ويتضح الفرق بين هذه الجملة عند ورود الأداة ،ورفعها وثبوت الناسخ وبتوظيفه يزداد المعنى تأكيدا وإثباتا.

1- ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن، ص 496ـــــ503.

2– البقرة:.9

3- البقرة :32.

4– البقرة:14

5– الفاتحة :5.

6- المدثر: 3

7– الأنعام :.84

8 - فاضل صالح السمراائي :معاني النحو، ج2 ،ص249ـــ252.

*-إن وأن :من الأحرف المشبهة بالفعل ،ومن معاني إن :التوكيد (وهو الأصل) ،ويرى عبد القاهر الجرجاني أن أصلها الجواب (والله إن زيدا منطلق) –وتكون للربط – وتكون للتعليل /أما أن لها معان وغيايات :أهم وظيفة لها أنها توقع الجملة موقع المفرد فهيئها لتكون فاعلا ومفعولا ومبتدأ.....(يعجبني أنك فزت) ،واختلفت في كون أن مؤكدة أو مصدرية على الرغم من أن الرأي الأكثر رواجا عند النحاة أنها مؤكدة ،كما تكون بمعنى لعلى، نحو قوله تعالى :" وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ" الأنعام 109 .ينظر، فاضل صالح السمرائي :معاني النحو ج 1 ،ص 286-298

9 - آل عمران: 5

وقوله تعالى: «عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا»[1]

7- التأكيد بالصيغة:

ذلك أن أي تصرف في طريقة صياغة الكلمة المفردة ،حتى بالترخص لابد أن تضيف إلى المعنى عنصرا جديدا :"كصيغ المطاوعة ، التعدية ،المشاركة ،الصيرورة ،الطلب..." ويقول "تمام" أن المهم هو لفت الانتباه إلى معان تحمل جرثومة التأكيد–وهذا يذكرنا بجرثومة الحدث في البنية- كمعنى قوة العيب أو الاجتهاد في الطلب أو قوة اللون أو المبالغة... ذلك أن الاختيار الأسلوبي لصيغة من الصيغ الدالة على هذه المعاني وتفضيلها ،يبرز استعمال التأكيد بالصيغة ، وقد يجري منشئ النص بعض التعديل على الصيغة ، ومن ذلك قوله تعالى: « تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ»[2] يضيف إلى المشهور من الصيغ ،زيادة غير مشهورة"يصطرخون" أي "فعل الصراخ "، تاء الافتعال تحولت إلى أو يخترع الصيغة : كذّابا ،كبّارا.

8-التأكيد بضمير الفصل: والضمير هنا بمعناه العام (الإشارة –الأشخاص،الموصولات) وللربط بالضمير فوائد "دفع اللبس"كما في قوله تعالى: « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» [3].فالصورة التركيبية الممكنة لهذه الجملة القرآنية:

أ - والسابقون أولئك السابقون المقربون ،أي يصدق اسم السابقين على المقربين منهم فقط.

ب- وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. أي والسابقون حقا هم المقربون .

ج- والسابقون السابقون المقربون – يحتمل كلا من المعنيين السابقين دون تعيين أحدهما ،فالصورتان الأوليتان لا لبس فيهما ،وإن اختلف معنى كل منهما عن الآخر ،أما الصورة الثالثة ففيها لبس من قبل أنه لا يعلم خبر السابقون ،أهو السابقون الثانية أو المقربون ،لكن ضمير الإشارة وظف للفصل ،فحدد المعنى .

-أن المعنى الحاصل من الفصل بالضمير ذو رحم بما قدم في الكلام عن القصر، لأن المعنى يقترب من إفهام أن المقصود بالمؤكد (هو لا غيره).

ومن شواهد ذلك قوله تعالى: « إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»[4] فضمير المخاطب " أنت"،فصل بين الناسخ وخبره (العزيز) فأفاد معنى العزة والحكمة في ذات الله –عز وجل- ويضمّن "تمام" هذا العنصر ،ما رأيناه سابقا من وصف للنكرة بالاسم الموصول، ويقول أن ذلك من قبيل الفصل بضمير موصول .

9-التأكيد بالاستفتاح:ويقول" تمام" أن النحاة قد اعترفوا بواحدة فقط من هذه الأدوات (إلا) و تتظافر معها وسائل أخرى لإفادة التأكيد[5] ومن ذلك اقترانها بـــ"إن "كما في قوله تعالى: « أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ

---

[1]- الإسراء :79.

[2] - يس: 49.

[3]- الواقعة :11.

[4]- البقرة: 129 .

[5]- ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن، ص504——510.

لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ»[1] لا استفتاحية مقترنة "فإن" أو مقارنتها للتقديم بمعنى قرين أو حل محل التقديم ،نحو قوله تعالى: « أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا»[2].

وبعدما انتقد" تمام" النحاة حصروا الاستفتاح في" ألا" وأضاف"تمام" أداتان وهما:

"إذ "التي لا متعلق لها ، بينها وبين لقد علاقة المعاقبة – غالبا- ويمكن أن تحل إحداهما محل الأخرى .

ومن ذلك قوله تعالى : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ »[3]وقوله كذلك «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ»[4] بمعنى لقد –حسب رأي" تمام" – لكن في عرف النحاة بمعنى حين(ظرفية).

-أما الاستفتاح ب "أم" فدليلها عدم صلاحها بمصاحبة الهمزة (لا يراد بها تسوية) بل التأكيد وتعاقبها "ألا" لكن وأحيانا "قد" أو "بل" ، ومن شواهد ذلك قوله تعالى : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ»[5]فأم هنا لا يراد بها تسوية أو تعيين .

وقوله تعالى: « أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» [6] أي القافلة (غلق الله على قلوبهم فلا يفهمون المواعظ ،فلا يوجد هنا أثر للتسوية).

وفهمه هذا الجديد صادر عن تحليله الوظيفي لهذه الأدوات ،انطلاقا من السياق ومعناها داخله ولا يعود إلى معنى الصيغة ؛لأن هناك فرقا ما بين معنى داخل السياق أو التركيب ،وبين معنى الصيغة خارجه (أي الإعراب العام)فلجأ "تمام" إلى تحليل وظيفي انطلاقا من التركيب .

ونتفق معه خاصة في معنى "أم" ، ولكن هذا لا يعني أن النحاة لم يدركوها ؛بل شأنهم في هذا شأن تقسيمهم "الزمن" إلى ثلاثة أقسام ، وتقسيمهم الجملة إلى اسمية وفعلية ،فهذا الاختلاف يؤول إلى اختلاف عميق).

وعلى هذا فإجراءه هذا وظيفي (بحت) وليس وصفي، فلو اعتمد هذا الأخير الوصف فقط، لاكتفى بإعطاء معنى الصيغة الظاهرة ،وهنا وجه الاختلاف بين إجراء وصفي، وآخر وظيفي.فتحليله للأسلوبي دائما على البحث الوظيفي للتراكيب داخل الجمل، وتغير التراكيب طبقا للمقصود، فـ"أم" هنا تصلح للتأكيد أكثر من التسوية[7].

---

[1]-هود 5 .يثنون صدورهم (ما فيها أي يميلونها فتقع صدورهم حاجبة لعلم الله ،بأحوالهم ،وبصره، لهيآتهم .عبد الرحمان بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 376 -377 .

[2]– التوبة :49.

[3]- البقرة : 30.

[4]-الكهف: 60.

[5] - العنكبوت :4 .والمعنى أن ظن الذين يعبدون غير الله ،أن يعجزوه فلا نقدر عليهم ،فننتقم منهم .أنظر تفسير الطبري: جامع البيان عند تأويل أي القرآن ،ج 2 ،ص165.

[6]- محمد: 24.

[7] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ص، 510-512.

10- تأكيد الإنكار بالاستفهام:

وترد في مواطن التعجب والتنديد بمواقف الكافرين، وبمواقف التجاوز لأوامر الله ،ومن ذلك قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ»[1]هو كلام مستأنف سيق من تعجب الرسول-عليه الصلاة والسلام- والمؤمنين من سوء حالهم وهذه الحالة رأينا فيها ما يخص تعدد المعنى الوظيفي للمبنى.

11-تأكيد الإيجاب بسلب الضد وعكس ذلك:

ويكون بالإثبات ،ونفي الضد،وبالنفي ،ثم إثبات الضد ،وبالأمر ثم النهي عن الضم وبالنهي ثم الأمر بالضد ، ويكون أثر ذلك في الفهم كأثر التأكيد اللفظي – تماما – وهكذا يتضح مفهوم "تمام" والبلاغيين لمعنى البيان ؛ إذ يرد المعنى الواحد بطرق مختلفة ويربط "تمام" ذلك دائما بالغرض والقصد .

ومن ذلك قوله تعالى: « فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ»[2]،النهي ثم الأمر.

وقوله تعالى: « وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ» [3] الأمر ثم النهي... إلى غير ذلك من الأنماط[*]

والتعليل بيان العلة أيا كانت صورة البيان ، فيكون بالمفعول لأجله ، أو بالجر بحرف جر يفيد التعليل أو بنزع الخافض أو بلعل[4].

1-قوله تعالى: « يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ» [5]اجتمع في هذه الآية المنصوبان "الصريح وغيره" (بحرف جر).

لكن الصواعق:في موضع نصب على أنه مفعول لأجله غير صريح(يجر بحرف جر مفيد للتعليل).

حَذَرَ:مفعول لأجله صريح:استوفى شروط نصبه[6].

2- التعليل بواسطة لعل":كما في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [7]. الأصل في لعل الترجي.لكن في قوله تعالى "أفادت التحقيق"–وهذا ما رأيناه في معنى "كان" سابقا-

---

1- النساء:44.

2 -البقرة : 150.

3 -البقرة: 152.

* -وباقي حالات التأكيد بضمير الشأن ،لام الابتداء ،لام الجحود ،نون التأكيد ،لن المؤكدة للنفي ،لام الجواب،لام الموطأة للقسم .ينظر حسان تمام : البيان في روائع القرآن ،ص 515- 517

4- تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص 514-.528

5- البقرة :19.

6 - مصطفى غلاييني :جامع دروس العربية ، ص46.

7 -البقرة :21.

والمعنى أنكم إذا عبدتم الله وحده اتقيتم بذلك سخطه وعذابه للإتيان بالسبب الدافع لذلك [1]،فمعــنى لعــل داخل التركيب معناها الوظيفي ،إذ تغير هنا من الترجي إلى التعليل ،وهذا دليل يضاف إلى ما قيل سابقا .

ويكون التعليل بـــ"الباء" نحو قوله تعالى:«**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا**» أي سبب قولهم.

وبإكمال ما قبلها يتضح معنى التعليل بالباء أكثر،قال تعالى: « **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**»[2] أي أن تشبيههم بالمجانين ، بسبب تسويتهم بين الحرام والربا .

أما التعليل بواسطة "من" فوجد له شاهد واحد في سورة البقرة كما في قوله تعالى: « **يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**»[3] أي يجعلون أصابعهم بسبب الصواعق ...

-التعليل بالفاء –السببية-نحوز قوله تعالى: « **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ**»[4] أي ولهذا لم تربح تجارتهم.

ويكون التعليل بواسطة الإخبار بالذي والألف واللام،مع الربط بالإشارة ،ليشرب التركيب معــنى الشــرط فيكون علة الجواب كما في قوله تعالى : « **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ** »[5] أي يلعنــهم لأنهــم يكتمون،فالشــرط (من:إن...الكتاب) الجواب (أولئك يلعنهم الله)

-التعليل من خلال الإنكار :نحو قوله تعالى: «**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ**»[6].أي لا تكفروا به لأنه أحياكم.

-ويأتي التعليل مع الفصل وتقدير حرف التعليل، كما في قوله تعالى : « **وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**»[7] أي الفصل بأولئك تقدير حرف التعليل (لأنهم يدعون إلى النــار والتعليل بواسطة "أن" نحو: «**وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ**»[8] فإذ هنا أفادت التعليــل عكس ما رأيناه في إذ سابقا ،إذ أفادت الإثبات بأخذ معنى لقد.

---

[1]–عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص.45
[2]- البقرة :275.
[3]- البقرة : 19.
[4]-البقرة : 16.
[5]–البقرة :159.
[6]–البقرة :28.
[7]- البقرة :221 .
[8] - الأحقاف: 11 .

رابعـــــا – الإحـــــــالة:

هي من ظواهر الربط،وقد تقع خارج نطاق القرائن النحوية تتجه اتجاهين:

أ- ما سق ذكره :فالإحالة إليه تتم بضمير الإشارة "ذا " مع اختلاف ما يصاحبه من حروف الخطاب والتنبيـــه فيكون الضير تلخيصا لما سبق ذكره ،تجنبا للإطناب ،وذلك نحو قوله تعالى : « **ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا**» [1] الإشارة هنا إلى ما سبق في قوله تعالى : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ** »[2].

-"فتمام" هنا يتجاوز مستوى الجملة أو الآية (من الآية 106 -108) أي الفاصل آيتين ،من هنا يمكن القول أنه تجاوز الجملة إلى النص –

ب- الإحالة إلى ما يلي : فالإحالة إليه تتم بالإشارة وبغير الإشارة ،والمقصود بالذي يلي هذا (يمكن أن يكون مضمون الشأن) أن ضمير الإشارة يستعمل للشأن –وإما أن يكون الضمير إشارة إلى المنطوق والمضمون معا مثله مثل عبارة" ما يلي" ، شأن الإشارة والموصول.

لا بأس أن نورد شاهدا على ذلك – إذ تم تناوله فيما سبق – نحو قوله تعالى : « **نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**» [3] ، أي نتلو ما يلي من نَبَإِ موسى وفرعون[4].

خـــــــــــامسا - النفي:

رأينا سابقا أن النفي الأسلوبي أوسع من النفي النحوي ،فهو إما أن يكون صريحا أو ضمنيا –كما يـــراه" تمام"- والصريح منه إما أن يكون : نحويا أو معجميا ، والصورة العامة من هذا التقسيم تبدو علـــى النحـــو التالي :

---

[1] - المائدة : 108 .

[2] - المائدة : 106.

[3] - القصص : 03.

[4] - ينظر تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص528ـــــ539.

النـــفي

صريح | ضمني

معجمي بواسطة المعنى المفرد

نحوي بواسطة الأدوات

دلالي

بواسطة المضمون الأسلوبي للتركيب

النفي وأنواعه (1)

ولكل واحد من هذه الأنواع مجال تطبيق في الأسلوب القرآني وبيان ذلك على النحو التالي:

أ- النفي النحوي : ويكون بواسطة أدوات النفي بعضها أصلي وآخر منقول :

1-ما الداخلة على ضمير: نحو قوله تعالى : « **وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ** » (2)

2-"ما" الداخلة على الاسم الظاهر : كما في قوله تعالى: «**وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى**» (3)

3-"ما" الداخلة على الفعل :كما في قوله تعالى: « **فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**» (4)

4- "لا"الداخلة على الاسم لنفي المفرد:قال تعالى: « **لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ** » (5)

5- "لا" النافية للجنس قال تعالى: « **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**» (6)

6- "لا" الداخلة على الفعل المضارع:قال تعالى: « **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**» (7)

7-"لا" الداخلة على الماضي :قال تعالى : « **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ**» (8)

8-"لم"الداخلة على المضارع:قال تعالى: « **أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**» (9)

---

1 -المرجع نفسه ، ص 539.

2 - البقرة : 96.

3 - النساء : 37.

4 - البقرة : 71.

5 - البقرة : 68.

6 - البقرة : 158.

7 - البقرة : 18.

8 - البلد : 11.

9 - البقرة : 33.

9-"لن":تختص بالدخول على المضارع، قال تعالى: « **لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ**» [1]

10- النفي بليس: تختص بالجملة الاسمية، قال تعالى:« **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ**» [2]

ب-النفي المعجمي: ويكون بواسطة المعنى المفرد ،ومن ذلك قوله تعالى : « **فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ**» [3]، أي «**فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا** » [4]، لدينا في الآية الأولى ما زائدة لتأكيد القلة ، وهنا نتذكر أصل الاستعمال والنقل والنقل إذ نقلت إلا من الاستثناء إلى النفي ، وكذلك تقديم لفظ القلة ، نفيا للكثرة بمقدار ما ينفيهـا حـرف النفي في الآية الثانية أي (النساء) وهذا النوع من النفي صالح أن يستثنى منه [5].

ويلخص "تمام" جميع المعاني المتفرعة عن النفي (المعجمي) يبدو في صورة التخطيط التالي:

السلب	الإزالة	التحول	المنع والامتناع	الكف و الانحسار	القطع والانفصام
ضل	نزه	ذهب	أمسك	كف	نبذ
جع	سبح	فسد	وقى	ترك	بتر
نقص	أمن	ولى	كفر	خشي	قطع
جهل	أبطل	حرّف	منع	خاف	برئ
ضعف	أخذ	فتن	رفض	أبى	
صمّ		زل	عصى	كتم	
			حزم		

النفي المعجمي بواسطة المعنى المفرد[6].

الظاهر أن هذا التصنيف للنفي ،يعود إلى ظاهرة معجمية أطلق عليهـا اللّغويـون مصـطلح"الحقـول المعجمية"، وأن تقسيم معجم لغة ما إلى حقول ،وهذه الأخيرة مختلفة الطابع،فبعضها يعود إلى العقل ،والبعض الآخر يعود إلى العرف والثقافة الشعبية ،ويضيف "تمام" أن ما يعود إلى طبيعة التكوين العقلي ربما أعمق وأهم

---

1 - البقرة : 61.

2 - البقرة : 113.

3 - البقرة : 88.

4 -النساء : 46.

5 - ينظر تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 539 ـــ543.

6- ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص544.

–على حد تعبيره –ذلك أن محاولة تقسيم المفاهيم بين الإثبات والنفي ،فلربما يؤدي إلى نتيجة وهي أن طوائف المعاني تتفرع عن النفي وإن جرى التعبير عنها بالفعل المثبت ،على نحو ما مر في التخطيط السابق.

ونلاحظ أن"تمام" تأثر في هذه النظرية ،بـالحقول المعجمية بالعرب والغرب .كما هو عند" ابـن سـيده و"سوسير" و"ستيفن أولمان "و"روجيه" ... وغيرهم .

وفي حديثه عن الحقول الدلالية ثلاث ملاحظات:(الحقول المعجمية لا الدلالية).

ثم تقسيم الحقول :بعضها يعود إلى العقل وبعضها الآخر إلى العرف .فهو لم يسلك منهج مدرسة معينة فيما يخص مناهج علم الدلالة :

-المنهج التاريخي أو العلمي :والذي يعتمد على الملاحظة والتجربة ،وفي رأيهم أن دراسة المعنى تتم في إطار *Operationalor Contextual methode* أي الموقف والاستعمال السياقي ، وتبلغ هذه النظرية ذروتها عند "و يتيغنشتاين" (*Wittgenstein*) ،إذ وازن بين المعنى والاستعمال ،فمعنى الكلمة هو استعمالها في اللّغة ،وكثيرا ما يربط بين الكلمات والأدوات فوظائف الكلمات تتعدد بتعدد وظائف هذه الأدوات .

ومن الذين ذهبوا إلى دراسة المعنى في إطار السياق أيضا"فيرث"، ودراسة الدلالة دراسة موضوعية (بعيدا عن الاستقراءات الحدسية) فمادامت اللّغة وسيلة تعبيرية تواصلية ،فإنها وسيلة للحالات العقلية الداخلية وبما أنه يجب استبعاد الحالات العقلية فيجب الاعتراف بكون الكلمات أفعالا أو حوادث وعادات فيحصر البحث حينها فيما هو موضوعي ضمن الحياة الاجتماعية .

وهذا هو الوجه الذي قصده "تمام حسان"بالعرف والثقافة الشعبية.

وعلى هذا "فتمام" لم يسر على نهج هذه المدرسة ،لمغالاتها في إبعاد العمليات العقلية على الرغم من اعترافه بالجانب العرفي.[1]

أما المنهج العقلاني[*]: يمثله "نوام شومسكي" (*N.tchonsky*) وعلى غرار السياقين فهو يـرى أن الوظيفة الأساسية للغة تكمن في نفل الأفكار وتسهيل عملية التواصـل، و لم يـذعن للمنـهج التجـريبي واعتمـد الاستبطان« *Introspection* » منهجا[2] ، ويظهر أن "تمام" قد اعتنق هذا المنهج لعدم اسـتبطانه العمليـات العقلية، الاستبطان (الحديث) وهذا كما قيل سابقا لا يلغي العلمية ،وتبدو المرونة في فهم المنهج العلمي وهذا وجه آخر للمفارقة -إن صح التعبير- بين البينوية والوظيفية .

وقال "تمام "الحقول المعجمية لا الدلالية ،على الرغم من أن "سوسير"قد فرق بينهما فالأولى مبنية على التشابه في الصورة ،والثانية مبنية على التشابه في المعنى (أي العلاقات الاشتراكية) [3] .

---

[1] -ينظر، أحمد مومن :اللسانيات النشأة والتطور، ص242- 244.

[*] -وهناك علم الدلالة التاريخي ،الوصفي ،المنهجي التحليلي (ريشارد وأوقدن).

[2] -ينظر، أحمد مومن :اللسانيات النشأة والتطور،ص241-247.

[3] - ينظر، المرجع نفسه ، ص 245 .

فنلاحظ هنا نوعا من التذبذب –إن صح التعبير – إذ اختار مصطلح الحقول المعجمية (نظريا) لكن أثناء الممارسة والتطبيق استعمل واتبع طريقة الحقول الدلالية.

على هذا يمكن مقاربة منحاه هذا بـ "شومسكي" لإقراره بالاستبطان (العقل) وكذا نظرية وظيفة اللّغة والمتمثلة في نقل الأفكار وتسهيل عملية التواصل من جهة ،وبالمنهج السياقي حينما تحدث عن العرف والاستعمال وأنواع النشاط من جهة أخرى ، و"بسوسير"حينما وظف مصطلح العلاقات المعجمية :
وبالتالي فهو وان كان يتبنى الوصفية صوريا ،لكن منهجه في العمق وظيفي لا محال وظيفية "فيرث" و"مالينو فسكي" ووظيفي التوليدية التحويلية ، وهذا التذبذب :هو الصبغة العامة في اللسانيات العربية الحديثة وهي أزمة من الأزمات المطروحة في الساحة اللّغوية .
وهذه الاستقراءات اللّغوية تنعكس على الجانب الأسلوبي ، فما دام المنهج اللّغوي المتبع(أصوات ، صرف ، نحو، دلالة) وظيفي فكيف لنا أن نتكلم عن أسلوبية وصفية دون الوظيفية، لدى" تمام" .

سادسا - التسوية :

الأصل في ذكر أحد مشتقات مادة (س و ي) إما بالإيجاب وأسلوب التعبير عن التسوية قد يتخذ صورا أخرى مع المحافظة على أحد محوري التقابل أو التباين ومن هذه الطرق :

1-الشرط:كما في قوله تعالى: «**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** » [1] ، أي سواء وليتم قبل المشرق أو المغرب .

2-"أو":وتختلف عن"أو" التي للتخيير، في أن طرفي التسوية بينهما اطراد التباين (التقابل)وليس ذلك الاطراد بين طرفي التخيير، نحو قوله تعالى: « **إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا** » [2] أي هو أولى بهما سواء أكان غنيا أم فقيرا.

3-"الواو":التي بمعنى "أو" ،ويشترط فيهما ما قيل في النوع السابق " أو " وذلك نحو قوله تعالى: « **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ** » [3] ، أي سواء كانوا قياما أم قعودا أم على جنوبهم .

وهناك عبارات أخرى تفيد التسوية نحو :

قوله تعالى : « **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ** » [4]، سواء على هذه الصورة أو تلك.

قال تعالى : « **إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ** » [5] ، أي إنكم عند إذن سواء على رغم تباينكم .

---

[1] - البقرة : 115.

[2] - النساء : 135.

[3] - آل عمران : 191.

[4] - آل عمران : 06.

[5] - النساء : 140.

4-إما (لا الدالة على التفصيل)لأن بين طرفي التفضيل علاقة عنادية- عادة - بخلاف طرفي التسوية ،ومن ذلك قوله تعالى : «حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا »[1]

ومعنى إما هذه صنو [2]لمعنى الشرط-الذي ذكر بعد قليل- وواضح أن علاقة التسوية غير العلاقة العنادية – والتي رأيناها في مبحث التضام –لأن الأولى إيجابية والثانية سلبية.

---

[1] - مريم : 75.

[2] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 544ــــ549.

المبحث السابع: قصة يوسف -عليه السلام- كما تعرضها الصورة :

القصة في القرآن ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه ،وطريقة عرضه وإدارة حوادثه كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة، التي ترمي إلى أداء غرض فني مجرد،إنما هي من وسائل القرآن الكثيرة التي ترمي إلى تحقيق هدفه الأصيل، فما دام القرآن الكريم كتاب دعوة دينية قبل كل شيء ،فالقصة إحدى جوانبه إلى جانب مشاهد القيامة ،وصور النعيم والعذاب .

ولهذا فقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها وطريقة عرضها لمقتضى الأغراض (*) الدينية ،وهذا لم منع من حضور الخصائص الفنية في عرضها ،أبرزها خصيصة القرآن الكبرى في التعبير –التصوير- وكان من آثار خضوع القصة للغرض الديني ما يلي :

1- ترد القصة الواحدة في أكثر الحالات مكررة في مواضع شتى.

2- تكرار بعض حلقاتها فقط، كأن تكون إشارة سريعة لموضع العبرة ، وإن أعيدت كلها كمراعاة لمطالب السياق- دائما الربط بالغرض- وهذا المبحث أشد ارتباطا بما قبله، لما بينهما من تشابك في الحديث عن القصد أو الغرض ، وأثر ذلك في المبنى والصياغة أو العكس.

3- عرضها بالقدر الذي يكفي لأداء ذلك الغرض من غير التكرار؛ إذ أن هناك قصصا لا تعرض إلا في حلقة متأخرة جدا :"نوح ، صالح ، هود" لا تعرض إلا عند حلقة الرسالة .

4- منهج التوجيهات الدينية بسياق القصة، قبل وفي ثنايا وبعد، وفيما بعد سنتعرف على الخصائص الفنية للقصة القرآنية .

ولربما الغاية التي يسعى "تمام" إلى بلوغها من تناول قصة "يوسف" – عليه السلام- بالتحليل ،هو الكشف عن جانب بعينه من جوانب الأسلوب القرآني ؛ ألا وهو القصص ،ومن خلال هذا الاستقراء يتم التعرف على أوجه الشبه بين منهج القصص القرآني والأدبي (اختلاف المقصد) .

فالقصة القرآنية ليست للمتعة ولا للتذوق الأدبي المجرد،ولا لفرض منهج نقدي عليها (بتفردها في طابعها وغاياتها وتكوينها)[1].

ولربما وقع اختيار " تمام حسان " على صورة " يوسف " ، لأنها تمثل النموذج الكامل لهذا المنهج في الأداء النفسي والحركي و العقيدي والتربوي ، ومع أن المنهج القرآني واحد في موضوعه وأدائه إلا أن قصة يوسف – عليه السلام – وكأنها المعرض المتخصص في عرض هذا المنهج من الناحية الفنية للأداء [2] .

* - الأغراض هي :إثبات الوحي والرسالة – بيان أن الدين كله من عند الله –تبيين أن الدين كله موحد الأساس –بيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة –بيان الأصل المشترك بين دين محمد وإبراهيم بصفة خاصة،ثم أديان بني إسرائيل عامة –تبيان أن الله ينصر أتباعه في النهاية-تصديق التبشير والتحذير – بيان نعمة الله على أنبياءه – تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان .ينظر ، سيد قطب :التصور الفني في القرآن ،دار المعارف ، ط10 1986 ، ص120 ___227.

1 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن ،ص551.

2 - سيد قطب : في ظلال القرآن . ج 4 ، ص 179.

والجوانب التي ركز عليها "تمام" في تناوله للقصة هي :

1 – الزمان : يبدو أنه عهد" الهكسوس" وهم غزاة استولوا على مصر حوالي خمسة(5) قبل الميلاد (والدليل توافد الساميين الآخرين إليها) بين الدولتين المتوسطة والحديثة وقد جاؤوا من الشرق الأدنى " الصحراء السورية " ، فهم في الأغلب ساميون ،ويقول "تمام":في إطار ذلك تفهم وفادة إبراهيم –عليه السلام –إلى مصر ،كما يفهم نشاط القوافل التجارية (منها القافلة الحاملة ليوسف -عليه السلام-ومن القرائن القرآنية الدالة على هذا العهد – لذا لم يستدل تمام بما هو موجود في دائرة المعارف البريطانية " *Egypt*" على الرغم من صحة ما أوردته إلا أنه :" تمام " يتجه إلى القرائن الكامنة في النص القرآني ذاته من خلال سياق الآية ".

ومن ذلك –أي القرائن– أن القرآن يشير إلى ملك مصر في عهد موسى – عليه السلام- بلقب فرعون (ملك مصري أصيل) بينما في عهد يوسف لم تكن الإشارة إلى فرعون ،إنما كانت إلى الملك ،ومن الدلائل أيضا أن تمكين يوسف في الأرض لم يكن في عهد "الهكسوس" (لأن يوسف مشرقي من طينتهم) لأن ذلك ما كان ليحصل في عهد من الفراعنة الأصليين ، و الأدهى والأمر أنه غريب ،وصاحب رسالة ،لا يعترف بالآلهة المحلية و لم تحصر الدعوى في السجن فقط (على فتيين) والدليل قوله تعالى: « **وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ** »[1] فلو كان عهد الفراعنة ، لم نقرأ عن تنصيبه أمينا بل عن تعذيبه .

وهذا يذكرنا بموقعة النص ، فمن المهم نسبة النص إلى عصره تاريخيا وجغرافيا وإلى نمطه من ناحية المجال والطابع فتحليل الإطار التاريخي ، ضروري لتحديد مؤشرات المقام في الدراسة الأسلوبية ، وهذا ما يصب في منهج التحليل الوظيفي للأسلوب ؛ لذا "تمام" لم يتجاهله .

فإذا عرفنا أن النص قصة – الصورة القرآنية قصة- ، وأن هذه الأخيرة من الأجناس الأدبية الحاملة لسياق الموقف داخل النص نفسه ، فاستغل " تمام " هذه النقطة ليكشف عن الزمان داخل النص ذاته من خلال القرائن اللّغوية ، فوظيفته تجاوزت الكشف عن المعنى داخل البنى من خلال العلاقات المختلفة إلى استنباط الزمان ليقول :" إن الدلالة القرآنية أولى بأن يعتمد عليها في هذا المقام " .

2 – المكان : عاصمة ملك الهكسوس تسمى " بوبسطة " في إقليم الشرقية ، أقرب أقاليم مصر إلى سيناء ، وهو قريب إلى منشأهم الجغرافي ، ولو لم تكن العاصمة قريبة لكان الغلام يوسف- عليه السلام- من امتلاك أحد الأثرياء دون الملك ، ولا يرقى حينها إلى المشاركة في تصريف الدولة وهذا بحكمه أرادها الله تعالى [2]، حيث قال تعالى : « **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ**» [3].

---

[1] - غافر : 34.

[2] - ينظر، تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص 552 –554.

[3] - يوسف : 21 . وبقية الآية :"إن كنتم فاعلين " تحمل روح التشكيك، وكأنه يشككهم في أنهم مصرون على إيقاع الأذى بيوسف ، وهو أسلوب من أساليب التثبيط ، عن الفعل أي عدم الارتياح للتنفيذ . ينظر ،سيد قطب : في ظلال القرآن ،ج 4 ، ص 416 .

3- أشخاص القصة(الشخصيات):

أ- يوسف- عليه السلام- وأخوه أصغر الأبناء يعقوب - عليه السلام- (ولذا في نفسه رقة لأصغر الأبناء، لما ولّد وأثار غيرة إخوته الكبار إلى حد الكيد والمؤامرة.

ب- يعقوب:بني محب لأبنائه الصغار

ج- الإخوة (الكبار لأبيه)وهم إحدى عشرة ،لأبيه وواحد من أمه ومن بينهم أخ أقل تأثيرا بالبغضاء ،واستدل "تمام" لهذا من سياق الصورة ،في قوله تعالى: « **لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ** » [1]ومن سياق الصورة كذلك يستخلص أنهم لم يكونوا قتلة محترفين، إذ لم يكن قتله خيارا وحيدا إنما كان« **اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**»[2]،فالعبارة الأخيرة إعلان للتوبة قبل الوقوع في الذنب(الذنب بدافع الظروف)ويورد هنا أيضا نوعا من التحليل النفسي للطبيعة المركبة في كل إنسان(الغيرة+رقة الأب...).

- الأخ الأصغر (الشقيق)

د- أفراد القافلة (السيارة) خرجوا للتجارة والربح فقط .وعندما وجد أحد أفرادها يوسف (غلاما)في الجب صاح: « **يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ** » [3].(بشرى)كما يقول "تمام" تحمل دلالته أن هؤلاء لم يسافروا طلبا للعمل الصالح لذا لم يرجعوه إلى أهله و لم يحتفظوا به ،إنما باعوه لأجل الربح.

- العزيز:هو الذي اشتراه:كهل ليس له ولد .

- امرأته :شابة معجبة بيوسف- عليه السلام -

- نسوة المدينة:وتحدث "تمام"، ما لدى المرأة من فراغ دائم والتزاور والغيبة.

- الملك:يعتمد في تصرفاته على الرؤية، رجل غير طاغية، عادل كريم.

- الفتيان: (رفقاء السجن)[4].

يمكن القول أن رسم الشخصيات (نماذج إنسانية ،من ألوان التصوير في القصة فمن خلال هذه الشخصيات يتجاوز حدود الشخصية المعينة ،إلى الشخصية النموذجية)[5] وبالتالي فإن القصة في جملتها على شخصية مركزية (يوسف-عليه السلام-) الشخصيات (الثانوية)وهي تطور الأحداث لتصبح قصة مترابطة وهذا الترابط هو نظام الحبكة ،فأحداث القصة مترابطة :أولها خطيئة آخرها مغفرة ،وما بين هذه وتلك نجد

---

1 - يوسف : 10.

2 - يوسف : 09.

3 - يوسف : 19.

4 -ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص554-558.

5 - سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، ص164.

عددا من المقابلات :"الرق بالسيادة "الخمول بالتفوق والفشل بالنجاح واليأس بـالفرج والمـرض بالشـفاء" والتقابل بين هذه الأقطاب إضافة منطقية عضوية إلى النسيج العام للقصة .

فقوله- تمام- (منطقية وعضوية) يقصد به ما ذكر سابقا من عناصر نصيه،أي الالتحام والتـرابط المفهـومي والسبك (أي الوحدة العضوية) - ويظهر لنا هذا الرأي تمسكه بالنصـية -

وكل زوج مما سبق له دور حيوي في بناء القصة.

سرد القصة (الأحداث):

سرد القصة له منهجه الخاص الذي يتفرد به الأسلوب القرآني بتميزه بالأمور الآتية :

1- **الترتيب الزمـني** :إذ يندرج الترتيب من طفولة يوسف – عليه السلام- إلى بلوغـه أشـده ،كمـا أن الأحداث تندرج منطقيا مع نموه – عليه السلام-وهذا الترتيب أيضا سمة من سمات تركيب الأحداث الفرعيـة فهي سمات السرد (الترتيب الطبيعي للأحداث).

2- **عدم ذكر غير الضروري من الأحداث :**

يعقد "تمام" هنا مفارقة بين: المسرحية والسورة ،فالأولى تستند إلى كل من (مناظر وحوار)[*] لكن السورة حافة بالحذف لأن هذا الأخير مما يقتضيه سياق النص (كالحركات العضوية ،النفسية) [1] .

وهذه الطريقة متبعة في جميع القصص القرآني على وجه التقريب ،ويعتبر من الخصائص الفنية في عرض القصة والمقصود تلك الفجوات بين مشهد وآخر [2] التي يتركها قص المناظر ،وهذه الفجوة يملأها الخيال .ويسـتمتع بإقامة القنطرة بين مشهد سابق ولاحق .وشواهد ذلك في سورة يوسف –عليه السلام- والسورة حافلة بهـذا الحذف قال تعالى: « **قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (فأمنهم على أخـيهم وأرسله معهم) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ...** » [3]

3-**الاقتصار على الضروري من وصف المناظر** :فلا نجد في سورة من هذا النوع إلا عبارات قصيرة مثل قوله تعالى: « **فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِـدَةٍ مِـنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** » [4].

4-**ربط الأحداث المفردة بالغايات والآيات** – وهذا ما ذكر سابقا فيما يخص آثار خضوع القصة للغـرض الديني ومنها هذه ،إذ تمتزج التوجيهات الدينية بسياق القصة[5] – ويلاحظ ذلك بدء من افتتـاح القصـة ،إذ

---

* -المناظر ،السيناريو (الحركات ،الديكور/الحوار أي ما يدور بينهم من تبادل الكلام) .

1 - ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص 558 –559.

2 - -سيد قطب :التصوير الفني في القرآن ، ص254.

3 - يوسف : 14-15. فالكلام الموجود بين قوسين هو المحذوف .

4 - يوسف : 31.

5 - ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص559 ـــ561.

يقول الله تعالى: « وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ »[1]، إذ ربط هـذا الحـدث "الاختيار "، وتعليمه تأويل الأحاديث –ينظر شرحها أسفل- ألا و هي التمكين في الأرض.

وقوله تعالى: « لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ »[2] إذ أن هذا الحدث هو آية وعبرة لكل سائل ، أراد أن ينتفع ويعتبر بالآيات، وبالتالي فإن النص القرآني يحافظ على ربط الأحداث بـإرادة الله ، أن يمكن ليوسف من لحظة الاختيار والتعليم ، وإلى الولاية حتى يضيف ما بينهم من عوامل الربط ويجعلها بنيـة قصصية محكمة .

5 – **الحبكة** : وهي جملة الحدث المروي ، إذ ليس سير الأحداث لمجرد القصص فأحداثها ليست بمعزل عـن بعضها، إنما تدور الأحداث حول الرؤيا وتفسيرها ، وحول الشهرة والفضيلة ، والعقوبة والبراءة ، وكذلك نحو إنصاف الضعيف والتمكين لهم حتى ينتصروا ،ثم الثبات والاستمرار حتى النهاية .

فكل هذه الأحداث وغيرها وردت في القصة ،لكن نود أن نقف عند بعضـها ، لأن القصـة معروفـة لأهميتها ،وبيان كيفية التحليل اللّغوي وصولا بذلك إلى الغرض المقصود :

- قال تعالى: « عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا »[3] ،وهذا يذكرنا بموقف السيار إذ : « وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ »[4] ، فلم يكن النفع في نظر "العزيز" أمرا واقعا وإنما كان مرجوا للمستقبل.

- وقوله تعالى:« وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ »[5].وهنا [5].وهنا جاء دور الفضيلة في خُلق "يوسف "- عليه السلام-.

- سجن يوسف :قال تعالى : « ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ »[6]،وذلـك لستر العار والفضيحة حرصا على شرف العزيز وزوجته .[7]

---

[1] - يوسف :6. اتجاه فكر يعقوب إلى أن رؤيا يوسف تشير إلى اختيار الله له ،وإتمام نعمته عليه وعلى "آل يعقوب" كما أتمها على إبراهيم وإسحاق والمقصود معرفة المآل أما الأحاديث فربما المقصود بها إدراك ما آل الأحاديث منذ أوائلها سيد قطب :في ظلال القرآن، ج4 ، ص 212. عبد الرحمان بن الناصر السعدي يقول بأن المقصود بيان ما تؤول إليه الأحاديث الصادقة كالكتب السماوية ،أو الرؤى والأحلام ،فكلاهما جائز يتماشى مع الجو المحيط بيوسف - عليه السلام- عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص393.

[2] - يوسف : 07.

[3] - يوسف : 21.

[4] - يوسف : 20.

[5] - يوسف23 ،هذه الدعوة (هيت لك) والموقف بصفة عامة هو نهاية موقف طويل من الإغراء، بعدما أبى يوسف في أول الأمر واستعصم وهو تصوير واقعي صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة ،والضعف ثم الاعتصام بالله في النهاية والنجاة ،ولم تفصل الآية في تلك المشاعر المتداخلة المتعارضة ،فاكتفى بذكر طرفي الموقف بين الاعتصام في أوله والاعتصام في نهايته مع الإلمام بلحظة الضعف بينهما فيكتمل الصدق والواقعية والجو النظيف. ينظر سيد قطب :في ظلال القرآن ، ص227-228.

[6] - يوسف : 35.

[7] - ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص 561 ـــ566.

- والحدث الموالي ادعاء السرقة والجزاء ،قال تعالى : « قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ» [1] ،فالعرف الذي نشأ في ظله أبناء يعقوب أن السارق يصبح رقيقا في ملك صاحب الشيء المسروق وفيما يبدو أن العقاب في مصر أشد ،ومن هنا ألهم الله تعالى يوسف – عليه السلام- أن يستخرج على ألسنة إخوته فيكون أعدل وأكثر بأخيه،وهكذا يصبح الأمر بيد يوسف يفعل ما يشاء .وقول إخوتهم : « إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ»[2]

وفي هذا القول :"إثبات السرقة –توثيق الشهادة بالعلم بالواقعة – الاعتذار بأنهم ما كانوا يعلمون الغيب "وهذه الدلالات كلها مستفادة من سياق الآية [3].

ويظهر في النهاية أثر خضوع القصة للغرض الديني ،وذلك بعرض الحلقات التي تقتضيها الأغراض وأن غرض آخر حلقة تتحقق مع أظهر غرض ديني ،صيغت القصة من أجله ،ويتفق مع الختام ،وهذا الأخير يتفق مع الأصول الفنية [4] ، ولنركز على آخر السورة – بغض النظر عن خواتم الآيات الأخرى- قال تعالى: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» [5].

6-دلالات النص:

هنا بعض الدلالات التي أوردها" تمام" ، منها ما هو صريح ومنها ما هو ضمني :

أ-أن "يعقوب" - عليه السلام - يحسن تعبير الرؤيا ،لذا أمر ابنه على أن لا يقص رؤياه .

ب-معرفة "يعقوب" بكيد أبناءه "ليوسف" ،حتى قبل الرؤيا .

ج-أمل" يعقوب" الذي لم ينقطع،وذلك استمرارا لما ورد في الرؤيا في قوله تعالى: « وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ» [6]

د- إحساس اخوة يوسف برابطة الأخوة بينهم إحساسا قويا (عصبة)من قوله تعالى: « قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ» [7]

ه-أن عصمة" يوسف"من الوقوع في الفحشاء لا عن التفكير فيها ،ويقول "تمام" أن ذلك مستفاد من سياق النص –فاستخدام مصطلح السياق هنا ،فسياق نص ما يفرض أنه أكثر التزاما بطبيعة التصنيف الموضوع اللّغوي

---

[1] - يوسف : 75.

[2] - يوسف : 81.

[3] -ينظر ،تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،ص 566-573.

[4] -ينظر ،سيد قطب :التصوير الفني في القرآن ،ص143.

[5] - يوسف : 111.

[6] - يوسف : 06.

[7] - يوسف : 14.

للعناصر الاجتماعية في التواصل اللّغوي،وتحدد هذه العلاقات السياقية بطرق مختلفة.

و-يرى "تمام" أن لفظ "رب "في السورة يأخذ معنيين:

- الله -سبحانه وتعالى -ويستدل لذلك بقرائن من النص ذاته – قرائن نصية لا جملية –قال تعالى: « ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي» [1] .

- السبب الذي تجب له الطاعة والخدمة (ربما تعنو له الرقبة)والدليل حسب"تمام"(إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ)[2]

وعلى هذا"فتمام"ذهب بعيدا بسياق النص،واعتماده عليه في توضيح الدلالة ،واستغلاله لنظام قرائن النص .

سياق النص يدل على أن استرقاق السارق كان عرفا في بيئة أبناء يعقوب – عليه السلام-

ارتباط أحداث القصة بقميص يوسف في كل مراحلها (أصبح قميصه من عناصر ه).

تحقير النص القرآني امرأة العزيز من وجهين:

أ-قال تعالى: « وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا» [3]ولم يقل سيدته إكراما له وتحقيرا لها.

ب-قال : « وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ» [4]،ولم يقل زوجها أو بعلها ويقول" تمام "تحتمل أن تكون ملك يمين ووصفت نفسها فقط من أهله

-تعزية النبي "يوسف"- عليه السلام- عن عناد الكافرين بأمور منها :أن العناد طبع في أكثر الناس

-كل من سبقك من الرسول كانوا بشرا يوحى إليهم دعوة الناس فلم يستجيبوا لهم [5] .

ونخرج من هذا المبحث بنتائج عدة أهمها:

-تركيز "تمام" في تحليله للقصة على الغرض ذاته ،الموجود في النص القرآني ،الدعوة ،الوعظ، النصح، الإرشاد،الترغيب والترهيب ...

- لم يجعل هدفه دراسة الجوانب الفنية من القصة إلا بمقدار ما يخدم ذلك الهدف والغرض،حتى في تحليله راعى السياق والموضوع ، وهذا الإجراء هو البين من كل الدراسات اللّغوية العربية لأنها انطلقت من النص المقدس - وتم تحديد الدراسات النحوية والبلاغية –.

-الربط بين الجانب اللّغوي وما يحويه من دلائل (القصد) هو عينه الجانب الوظيفي المقصود من الخطاب عامة والنص القرآني على وجه الخصوص ، وقد وضع"تمام" نصب عينيه هذا الهدف ،وكل تحليلاته ذابت في هذه الغاية .

---

[1] - يوسف : 37.

[2] - يوسف :23 . لكن في كتب التفسير لم يرد هذا المعنى: ربما انتبه إليه من خلال هذه القرائن .

[3] - يوسف :23.

[4] - يوسف : 25.

[5] - ينظر ،تمام حسان :البيان في روائع القرآن ، ص 578 ــــ582.

- عدم لجوءه في تحليله للأسلوب على الجداول والإحصاءات وما إلى ذلك من البنى الشكلية إنما يتجه دائما إلى العمق ، من خلال علاقات الجمل فيما بينها والآيات ،حتى أن البناء والهيكل العام للقصيدة الوحدة العضوية سخرها هي الأخرى لتكون خادمة لقصد وغرض (من بداية الصورة إلى نهايتها) .وفي هذا تكملة للمبحث الذي سبقه –مقاصد الأسلوب القرآني -

فالانطلاق دائما من سياق النص في تحليله السياق النصي هذا، قد ركز على عناصر مهمة:(السياق النحوي – السياق المعجمي(الملك –يا بشرى) الإطار التركيبي (بداية السورة ونهايتها).

-سياق الموقف :ويقول عنه "تمام" : «الاعتماد في تحليل المعنى على سياق الموقف ،ثمرة من ثمرات الدراسة اللّغوية الحديثة ،والنظرة إلى المعنى من خلال الموقف،تتجه إلى عدد من المسا وقات مثل:المتكلم والقول والسامع أو السامعين الظروف الاجتماعية التي تشمل العرف والعلاقات الاجتماعية ،وتشمل الزمان والمكان ،والمأثورات والأشياء والعرف والنتيجة حين يكون لأي واحد من مساوقات الموقف هذه آثر في فهم المعنى –عرف المصريين[1].

ويذكرنا هذا التحليل بحكم أطلقه " تمام" سابقا (هو أن المنهج التراثي يتناول النص من خلال شرح المفردات مع عدم الانتباه إلى العلاقات العضوية بين أجزاء النص و لم يسلم من هذا النقد الشراح والمفسرون).

إذ يجب النظر إلى مجمل النص لالتماس فهمه ،ودلالاته المختلفة ،لكن في تحليله هنا نلاحظ توظيفه لهذه المعايير وإن شرح مثلا لفظة "ابنك سرق" لكن انطلاقا من الإيحاءات والدلالات التي تضمنتها داخل البنية اللّغوية وكذا الحال بالنسبة :"يا بشرى ".

- وأهم من هذا أن "تمام" قد حذف في منهجه الأسلوبي ،المقترب الوظيفي الذي طورته مدرسة "براغ" ،إذ عنيت هذه الأخيرة بصياغة أسلوبية تنبني على مفهوم النص بوصفه كلية بنوية يتضمن طبقات (الصوت-المعنى والمضمون) وهذا ما يصب في المقترب الوظيفي للأسلوب .

واتخذ مدخلا وظيفيا في معاينة الأسلوب ؛ ذلك أن الأسلوبية الوظيفية تنظر إلى الأسلوب بوصفه واقعة وهذه الأخيرة هي عنصر لغوي ينظر إليه من حيث استخدامه من حيث أغراض أدبية في عمل معين ، لكن "تمام"يوسع هذه الدائرة ليحتوي التواصل بأنواعه (الفني والأداء) أما علاقة التفسير جعلها إحدى العلاقات الملحوظة في النص القرآني ، ويقول عنها :"علامة العلاقة التفسيرية ، أن يصبح تأويله بعبارة (أي أن المقصود كذا (فإن صح هذا التقدير كان ذلك دليلا على أن الجملة الثانية تفسير لمضمون الأولى [2].

---

[1] -تمام حسان :البيان في روائع القرآن ،عالم الكتب القاهرة ،ط2 2000، ج1، ص400.

[2] -المرجع نفسه ، ص 409.

ولعل هذا التفسير (*)قد غاب عن الوصفية ، لتحتضنه وظيفية " التوليدية التحويلية" ليدخل معها دراسة المعنى عهدا جديدا- وهذا دليل على أن ما قام به"تمام"خاصة في دلالة النص– هو تفسير لما أورد أسفل (الهامش) وذلك باعتماده على القرائن اللفظية الواردة في النص فالتفسير لا يتنافى والقيمة الموضوعية للدراسة لأنا بإزاء نص لغوي فني ، وليس أمام ظواهر فيزيائية .

* - هناك اختلاف في قضية العلاقة مابين التفسير والتأويل: فالمتقدمون شاع بينهم أن التفسير والتأويل مترادفان– لكن التفسير أعم من التأويل ، فالتفسير هو كشف المعنى (المفرد) .والتأويل في المعاني – لكن عند تمام لم نلمس هذا – ينظر ، السيد أحمد عبد الغفار :التفسير ومناهجه ،دار المعرفة الجامعية ،ط2000 ،ص258.

يضاف إلى هذا فرق آخر: أن التفسير هو العلم المتعلق بالقرآن ،من حيث الكشف في أساس نزول آياته ،وعن محكمة ومشابهة وناسخة ومنسوخة أما "التأويل "هو حرف الآية إلى ما تحمله من المعاني والفرق كما وضحه الماتريدي –أن التفسير معناه القطع على أن المراد من اللفظ كذا أما التأويل فهو ترجيح أحد المحتملات من غير قطع ،أو بشهادة فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد،وبينما التفسير: هو إخبار عن دليل المراد . عبد العزيز أمير دراسات في علوم القرآن ،ص141-143.

المبحث الثامن: الهيكل البنوي لبعض سور القرآن الكريم :

قد عرض في هذا المبحث عددا من النماذج ،ويختار واحدا فقط قصد التوضيح ،وثم اختيار سورة"النمل" تبدأ السورة بقوله تعالى: « طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ» (1)

فما هي الآيات المشار إليها ،والتي تشتمل عليها السورة من سور القرآن :إنها من ثلاثة أنواع :

أولا:- الخوارق:

اشتملت السورة على تسع خوارق وهي :

1-من قصة موسى ،وهي أولى القصص في سورة النمل ،فورود هذا الجزء من القصة في هـذه السـورة ،ثم الحديث عنه في آثار خضوع القصة للغرض الديني –

أ-ومن ذلك : « فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (2)

ب- « وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ» (3)

ج-« وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» (4)

2- ومن قصة سليمان نجد:

أ-« وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ» (5)

ب-« حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ» (6)

ج-« فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ» (7)

---

1 - النمل : 1ـــ6.

2 - النمل: 8 . عندما قدم موسى –عليه السلام- إلى تلك النار فانتهى إليها ووجدها تأج في شجرة خضراء من العوسج ،في لحف جبل غربي منه عن يمينه والشجرة من ناحية الغرب ،فناداه ربه بالواد المقدس فأمره بخلع نعليه توقيرا للبقعة المباركة ،وتلك الليلة المباركة .ابن كثير قصص الأنبياء. تحقيق وتعليق عبد القادرأحمد عطاء المكتبة الاسلامية بيروت لبنان ،ط2 1982 م ،ص 23 .

3 - النمل : 10.

4 - النمل : 12.

5 - النمل : 16.

6 - النمل : 18.

7 - النمل : 22.

إذا قد استفادت السورة بأمثلة كلها معجزات ، من هدهد يتكلم ، ويجادل إلى نملة حكيمة ، توجه قومها ، وخلال ذلك كله قول سيدنا سليمان : (عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) [1]على الرغم من ورود لفظ النملة مرة واحدة فقط،لكن مملكتها نموذج للتفوق الحضاري فخاطبت الجموع بإيجابية ،و لم تهرب كما احتوى خطابها على إشارات رائعة في القيادة ،والإرادة ...... وكل ذلك من الخوارق .

د-« فَلَمَّا رَآَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ» [2]

3- ومن قصة صالح ما يلي :

أ-« وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» [3]. وسميت العقوبة مكرا لأنها جاءتهم بغتة من حيث لا يشعرون إذ قد كان في مدينة صالح تسعة رهط (أنفس) يفسدون في الأرض ،وغدر هؤلاء لصالح بمسيرتهم إليه ليلا ليقتلوه ،وأهله ،وصالح لا يشعر بذلك ،فأخذهم الله بعقابه فكانت المعجزة (الخوارق) تدمير السنة وقومهم فلم يبق منهم أحد وأصبحت مساكنهم خالية منهم أبادهم الله وأهلكهم.[4]

4- ومن قصة لوط:

أ-« وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ» [5]

فهذه الآيات جميعا من خوارق الطبيعة وفي ارتباط بقصص الأنبياء ما يجعلها معجزات من آيات الله ،التي يؤيد بها رسله إلى خلقه ، إذن فالقصة في القرآن وكأنها تتكرر في أكثر من موضع ،والحقيقة غير ذلك .

وما يدعم ما ذهبنا إليه من إثبات للاتجاه الوظيفي في دراسات " تمام حسان " : هو اتجاهه نحو النص (دلالة النص) ومن ذلك أم المعجزات تقع خارج الحيز اللّغوي (المادي المحسوس) لكن تمام في استخراجه للخوارق جعلها تتحرك داخل النص ذاته و ورود هذه الخوارق في مكان بعينه ، وسياق بعينه لوظيفة وغاية فالتركيز على وظيفة الخوارق باعتبارها كلاما داخل خطاب ، و نص إبلاغي و بلاغي و الكلمة و العبارة فالخارقة تحيا بالنص و داخل النص .

ولكن يعرض في كل موطن جانبا منها بحسب ما يقتضيه السياق ،وبحسب ما يراد من موطن العبرة والاستشهاد فلا غرو إذن أن تذكر في المناسبة التي يراد الاستشهاد لها أو الموطن الذي يراد الاتعاظ به .

ما دام السياق هو الذي يتحكم في إيراد- آية-في مواضع مختلفة ،هل تعود بنفس العبرة وبنفس القالب اللّغوي ؟.

---

1 - ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن ، ص 594-595.

2 - النمل : 40.

3 - النمل : 50.

4 - الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص142-143.

5 - النمل : 58.

لنأخذ آية من سورة النمل وأخرى من سورة القصص ،(قصة موسى) نموذجا

قال تعالى في سورة النمل: « فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ» [1]

وقال تعالى في سورة القصص: «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ» [2]

الفرق بينهما: أن الإتيان مجيء بسهولة ،وبالتالي فالقرآن يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة –وبالطريقة نفسها يفرق "تمام" بين مصطلحي عام وسنة في القرآن –

-وقوله في سورة النمل: « إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا» [3]

وفي سورة القصص : « آَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا » [4]

فزاد في الآية الثانية " جَانِبِ الطُّورِ نَارًا" وذلك لمقام التفصيل الذي بنيت عليه القصة في سورة القصص[5]

لحد الآن لا نكاد نخرج عن ما هو وظيفي في كل إجراءات "تمام" فمادم توظيف الآيات وتكرارها كان بدافع السياق والمقام وقد ركز أيضا (الهيكل البنوي على ما يخدم اتجاهه الوظيفي وإدراج هذه الآيات من صور و قصص أخرى وكيف تم إدراجها ضمن صورة النمل ، واتضح لنا من خلال تحليل فاصل السمرائي أن هذا الإجراء الو ظيفي يقصد به مراعاة المقام وتحقيق التواصل في زمان ومكان معين إذا تكرر من جديد وإن كان منهج تمام " شكلي يوحي " بوصف الهيكل البنوي لكن في العمق وضيفي .

ثانيا – البينات :

وهي جميعا دلالات على قدرة الله وألوهيته وترد في سورة أمر إلى نبي-عليه الصلاة ولسلام –أن يحمد الله ويسلم على رسله الذين اصطفاهم لتبليغ رسالته فأحسنوا تبليغها وكانوا لأمناء ، ثم يترتب على هذا الأمر ستة من الأسئلة يعقبها آمر آخر ، وذلك على النحو التالي [6]:

1-«الله خير أمّا يشركون» [7] .

2-«أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا » [8]

---

[1] - النمل : 08.

[2] - القصص : 30 .

[3] - النمل : 07.

[4] - القصص : 29.

[5] -ينظر، فاضل صالح السمرائي :التعبير القرآني ،ص90-97.

[6] - ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن ، ص 595-597.

[7] - النمل : 59.

[8] - النمل : 60.

3-« أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ» [1]

4-« أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ» [2]

5- «أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ»[3] .

إن تمهيد الأرض للسكن ،وتفجير الأنهار خلالها وحجز ما بين العذب والمالح من مياهها ،ليس مما ظهور الاعتبار به وبيانه في الجلاء والوضوح كخلق السموات والأرض وإنزال الماء إلى ما في الآية ،فلما كان التذكير بما في الآية الثانية أخفى ،أعقب [4] بقوله تعالى : « بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » [5].ثم تدرج الاعتبار إلى ما هو هو أخفى فقيل: « أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ » [6].

وخفاء الاعتبار بهذا واضح ،ولا يحصل عليه إلا من أمعن النظر فيما تقدم عليه ،فأعقب هذا لخلفائه بقوله تعالى : « أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ » [7].

إلى غير ذلك من شواهد البناء المتراص المحكم ، فلم يكن بناء الآيات ضربا من التنسيق الشكلي ؛بل قمة في الأحكام والتوافق مبنى ومعنى،وغاية ،وموقعا،و ترتيب الآ يات .

6-« أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ» [8].

إزاء هذه الآيات ،تصب في عنصر الحجاج –كما رأينا سابقا- والحديث عن الحجاج يؤدي إلى البحث عن نظرية الاتصال القائم على الحجة ،باعتبارها دليلا وهذه الأدلة تخاطب العقل ،وتطالب بالتأمل والنظر في ملكوت الله.

إذ استفتح –الآيات –باستفهام يتساءل عن أيهما خير : "الله" أم "الأوثان" وترتب عن هذا الاستفهام مجموعة من الآيات لتنقية الشطر الثاني من السؤال:"أما يشركون" لتبقى الألوهية لله وحده.

---

[1] - النمل : 61.

[2] - النمل : 62.

[3] - النمل : 63.

[4]- بن زبير الثقفي : ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ،تحقيق سعيد الفلاح ،دار الغرب الإسلامي ،ط1 ، ص902 - 903 .

[5] - النمل : 61.

[6] - النمل : 62.

[7] - النمل : 63.

[8] - النمل : 64.

وقد تتابعت وتلاحقت الأدلة آية بعد أخرى (ست آيات)وهذا لتكثيف الإقناع ، الذي لا يترك مجالا للهروب أو السهو ،بل يجعل القارئ منتبها دائم الاستطالة .

ويأتي الأمر الثاني لنبي-صلى الله عليه وسلم-ما من شأنه أن يتم الدلالة السابقة على ألوهية الله.

7-« قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ» (1)

ثالثا - الأجوبة المشتملة على الوعيد:

وهي تترتب عن سؤال إنكاري ساقه الكفار:

قال تعالى : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» (2)

ثم يوغلوا في العناد : « وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (3)

وتأتي الأجوبة بعدها مشرفة بالوعيد على النحو التالي :

1-« قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ» (4)

2-«وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» (5)

3-« إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ» (6)

4-« إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ» (7)

5-«وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ» (8)

---

1 - النمل : 65.

2 - النمل : 67-68.

3- النمل : 71.

4 - النمل : 74-75.

5 - النمل : 78.

6 - النمل : 80-81.

7 - النمل : 82.

8 - النمل : 83.

6-« وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآَيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآَيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ» [1]

7-« وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ» [2]

ثم نختم السورة بالإشارة إلى جملة الآيات[3] إذ يقول تعالى: « **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آَيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** » [4]أي وقل يا محمد للمشركين :الحمد لله على نعمته علينا بتوفيقه إيانا للحق فتعرفون بها حقيقة نصحي لكم ،وصدق ما دعوتكم إليه من الرشاد ،فلا يحزنك تكذيبهم وأيقن بالنصر على أعدائك . [5]

تركيز"تمام"في هذه الآيات على ما يحقق الوحدة العضوية خاصة فيما يخص فيما يتصل ببداية الصورة ونهايتها ،إذ لو تم إلحاق الآية (1-6) بالآية (93) مباشرة لما اختل المعنى وكأن المقدمة والخاتمة في القرآن خاصة ، عبارة أو جملة واحدة ،نبتدأ بقوله : « **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآَنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**» [6].

ويختصها بقوله : « **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آَيَاتِهِ**» [7]

وبين البداية والنهاية تلاحم وظيفي ، وكأن الخطاب مازال موجها في آنيته -أي مخاطبة الرسول –عليه الصلاة والسلام- وكأن بين افتتاح الصورة ونهايتها لا فاصل،وتظهر كلا منسجما متناغما متلاحما .

وفي هذا البناء الذي عرضه تمام وركز عليه ، هو ما يتفق والمعايير النصية :"السبك والالتحام " خاصة وهما أوثق صلة بالنص ،ثم القصد ورعاية الموقف.

فتمام على غرار "حازم القرطجني " يتجاوز الجزء التحليلي إلى التركيب العام -بلاغة النص –ولا يمكن هذا إلا في إطار وظيفية العناصر المركبة للنص .(أصوات ، صرف، نحو، جمل ، فقرات...) إلى النص ككل .

-وبذلك يتجاوز الوصف في عدم تعيينه لأجزاء المادة ،بل اتخذ أدوات أخرى : الترابط الرصفي (الدلالة النحوية)-الترابط المفهومي (النحو الدلالي).

---

1 - النمل : 83-85.

2 -النمل : 87.

3 - ينظر، تمام حسان :البيان في روائع القرآن .ص 597.

4 - النمل : 93.

5 -تفسير الطبري :جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص 149.

6 - النمل : 06.

7 - النمل : 93 .

القرآن الكريم : رواية حفص عن عاصم ، مؤسسة علوم القرآن ، منار للنشر والتوزيع دمشق بيروت.

قائمة المصادر والمراجع :

1- أحمد حسن حامد : التضمين في العربية (بحث في البلاغة والنحو) دار الشرق للنشر والتوزيع ، ط1 2001م.

2- أحمد درويش : دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، د ار غريب للطباعة والنشر ، ط 1998م.

3- أحمد درويش : النص البلاغي في التراث العربي والأوربي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 1998م.

4- أحمد الشامية : في اللغة دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية ، دار البلاغ للنشر والتوزيع ، ط1 2002م.

5- أحمد اليوسف : سلطة البنية ووهم المحايثة ، منشورات الاختلاف ، ط1 2003م، ج1 .

6- أحمد محمد قدور : مبادئ اللسانيات ، دار الفكر دمشق سوريا ، ط 1996م.

7 - أحمد مومن : اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2 2005م.

8- أحمد محمد ويس : الانزياح في التراث النقدي والبلاغي ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب دمشق ، ط 2002م.

9- أحمد المتوكل وآخرون : في اللسانيات واللسانيات العربية ، جمعية الفلسفة المغرب ،ط 1988م.

10- أمير عبد العزيز : دراسات في علوم القران ، دار شهاب للطباعة والنشر، ط1 1982م.

11- بدوي طبانة : علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، مكتبة الأنجلو مصرية ، ط2 1967م.

12- تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة مصر ، ط 1986م.

13- تمام حسان :الخلاصة النحوية ، عالم الكتب مصر، ط1 2000م.

14- تمام حسان : الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (نحو فقه اللغة بلاغة) عالم الكتب القاهرة ، ط 2000م.

15- تمام حسان : اللغة المعيارية والوصفية ، عالم الكتب القاهرة ، ط4 2001م.

16- تمام حسان :اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب القاهرة ، ط3 1998م.

17- تمام حسان : البيان في روائع القران ، دراسة لغوية أسلوبية في النص القرآني ،عالم الكتب القاهرة، ط 1993م.

18- تمام حسان : البيان في روائع القران ، دراسة لغوية أسلوبية في النص القرآني،عالم الكتب القاهرة ط 1993م ، ج4 .

19- جعفر دك الباب: النظرية اللغوية العربية الحديثة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ط 1996م.

20- جعفر دك الباب : الموجز في شرح دلائل الإعجاز نظرية الإمام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة الحديث ، مطبعة الجيل دمشق ، ط 1980م.
21- الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت (د.ت).
22- ابن جني : الخصائص ، تحقيق عبد الكريم بن محمد، المكتبة التوفيقية (د. ت) ،ج3.
23- حسن خميس ، سعد الملخ : نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين ، دار الشرق للنشر والتوزيع ،ط 2000م.
24- حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، دار الكتب الحديث، ط1 .
25- حسن ناظم : البنى الأسلوبية دراسة في أنشودة المطر للسياب بغداد ، ط 1995م.
26- حسام البهنساوي : أهمية الربط بين التفكير البلاغي عند العرب ونظريات التفكير اللغوي الحديث في مجال مفهوم اللغة والدراسات النحوية ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، ط 1994م.
27- حلمي خليل : العربية وعلم اللغة البنوي ، دار المعرفة الجامعية الأزاريطة ،ط 1996م.
28- حلمي خليل : مقدمة دراسة فقه اللغة ، د ار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، ط 1993م.
29- حمادي صمود : الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة ، دار شوقي للنشر ، ط2 1997م.
30- حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، منشورات الجامعة التونسية ، ط 1981م.
31- حسان الباهي : اللغة ولمنطق بحث في المفارقات ، المركز الثقافي العربي، ط 2000م.
32- خالد جمعة : نحو نظرية أسلوبية لسانية، دار الفكر دمشق ،ط 2003م.
33- خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر ، ط 2000م.
34- دو سوسير : دروس في الألسنة العامة ، تعريب صالح القرمادي محمد عجين محمد الشاوش ، الدار العربية للكتاب ليبيا ، ط 1985م.
35- رابح دوب : البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط 1997م.
36- رجاء عيد : البحث الأسلوبي معاصرة وتراث ، منشأة المعارف الإسكندرية ،ط 1993م.
37- رجاء عيد : فلسفة اللغة بين التقنية والتطور ، منشأة المعارف الإسكندرية ،ط 1998م.
38- الرماني : النكت ضمن رسائل ثلاث في الإعجاز القرآني ، تحقيق وتعليق محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام ، دار المعارف، ط4 .
39- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الجيل بيروت، ط 1988م.
40- السكاكي : مفتاح العلوم ، ضبطه وعلق عليه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط2 1987م.

41- سعد مصلوح : في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات ، عالم الكتب القاهرة ط1 2004م.
42- سعد مصلوح : دراسة لغوية إحصائية ، عالم الكتب القاهرة، ط 1991م.
43- أبو السعود حسن الشاذلي : الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية دراسة تحليلية تطبيقية ، دار المعرفية الجامعية الإسكندرية ،ط1 1989م.
44- سمير أبو حمدان : الإبلاغية في البلاغة العربية ، منشورات الدولية بيروت باريس ، ط1 1991م.
45- سيبويه : الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون ، دار القلم القاهرة، ط1 1991م، ج1 .
46- السيد أحمد عبد الغفار : التفسير ومنا هجه ، دار المعرفة الجامعية ،ط 2000م.
47- سيد قطب : التصوير الفني في القران ، دار المعارف ،ط 10 1986م.
48- الشافعي : الرسالة ، دار الفكر ، بيروت ، (د.ت) .
49- شفيع السيد : البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم ، دار الفكر العربي ، ط2 1996م.
50- شكري عياد : مدخل إلى علم الأسلوب ، أصدقاء الكتاب القاهرة ، ط3 1996م.
51- صالح بلعيد : التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 1994م.
52- صلاح فضل : بلاغة الخطاب و لم النص ، دار الكتاب المصري القاهرة ، ط1 2004م.
53- صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد الأدبي، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع القاهرة، ط 1992م.
54- صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق القاهرة ، ط 1998م .
55- صلاح فضل : مناهج النقد المعاصر ، دار الآفاق العربية ، ط1 .
56- طيب دبة : مبادئ اللسانيات البنوية دراسة تحليلية ابستمولوجية دار القصبة للنشر ، ط 2001م.
57- عبد الرحمان حسن العارف : تمام حسان رائدا لغويا ، عالم الكتب القاهرة ، ط1 2002م.
58- عبد الحكيم راضي : نظرية اللغة في النقد الأدبي ، مكتبة الخانجي القاهرة ،ط1 2003م.
59- عبد السلام المسدي : النقد والحداثة ، دار الطلعة بيروت، ط 1983م.
60- عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب ، دار سعاد الصباح ، ط4 1993م.
61- عبد السلام المسدي: العربية والإعراب ، مركز النشر الجامعي ، ط 2003م.
62- عبد السلام المسدي : اللسانيات أسسها المعرفية ، الدار التونسية للنشر، ط 1986م.
63- عبد القادر حسين : أثر النحاة في البحث البلاغي عند العرب ، دار غريب للطباعة والنشر، ط 1998م.
64- عبده الراجحي : فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة العربية بيروت لبنان، (د.ت).

65- عبد السلام السيد حامد : الشكل والدلالة دراسة نحوية للفظ والمعنى ، دار غريب للطباعة والنشر ط 2002م.
66- عبد العزيز مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة ، لجنة التأليف والتعريب والنشر الكويت، ط1 2003م.
67- عبد العزيز حمودة : المرايا المحدبة من البنوية إلى التفكيكية ، عالم المعرفة ،ط1 1998م.
68- أبو عبيدة : مجاز القرآن ، تحقيق محمد فؤاد سيزكين ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط 1962م.
69- عبد القادر الفاسي الفهري : اللسانيات واللغة العربية ، دار تويقال المغرب، ط1 1985م.
70- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ، علق عليه محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت لبنان ط1 1994م.
71- عبد اللطيف حماسة : العلامة الإعرابية في الجملة بين القدامى والمحدثين ، دار غريب للطباعة والنشر ط 2001م.
72- عبد الوهاب هنداوي : الإعجاز الصوتي في القرآن ، الدار الثقافية للنشر القاهرة ، ط1 2004م.
73- ابن فارس : في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في مسائلها الكلامية ، حققه وقدم له فاروق الطباع، مكتبة المعارف بيروت ، ط2 1993م.
74- علي عزت : الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ، أبو الهول للنشر القاهرة ط 1996م.
75- عبد المنعم خفاجي : محمد السعيد فرهود ، عبد العزيز شرف ، الأسلوبية والبيان العربي ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 1992م.
76- فاضل صالح السمرائي : التعبير القرآني ، دار عمان الأردن ، ط2 2002م.
77- فاضل صالح السمرائي : لمسات بيانية في نصوص التزيل ، دار عمان الأردن ،ط3 2003م.
78- فاضل صالح السمرائي : معاني النحو ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط1 2000م.
79- فاطمة الزهراء بكوش : نشأة الدرس اللساني العربي الحديث ، إيتراك الطباعة والنشر ، ط1 2004م.
80- فتحي أحمد عامر : المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ،ط 1998م.
81- فخر الدين قباوة : التحليل النحوي أصوله وأدلته ، الشركة العالمية المصرية لونجمان ،ط 2002م.
82- مازن الوعر : قضايا أساسية في علم الحديث ، د ار التناص للدراسات والترجمة والنشر ، ط 1980م.
83- محمد الحسناوي : الفاصلة في القران الكريم ، دار عمان للنشر والتوزيع ، ط2 2000م.
84- محمد رمضان الجربي : الأسلوب والأسلوبية ، منشورات دار الهدى EGLA ط 2002م.
85- محمد زغلول سلام : تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ،منشأة المعارف الإسكندرية ،ط1 .
86- محمد صالح الضالع : الأسلوبية الصوتية ، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة ،ط 2002م.

87- محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط 1994م.
88- محمد عبد المطلب : البلاغة العربية قراءة أخرى ، لشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ط1 1997م.
89- محمد عزام : الأسلوبية منهجا نقديا ، منشورات وزارة الثقافة دمشق ، ط1 1989م.
90- محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وامتدادا تها ، إفريقيا الشرق بيروت لبنان ، ط 1999م.
91- محمد فكري الجزار : لسانيات الاختلاف الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة إتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2 2002م.
92- محمود السعران : علم اللغة مقدمة القارئ العربي ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان (د.ت).
93- محمود سعيد : مباحث البيان عند الأصوليين والبلاغيين ، منشأة المعارف الإسكندرية ،ط1
94- مصطفى غلاييني : جامع الدروس العربية ، المكتبة العربية صيدا بيروت ، ط3 1991م.
95- مصطفى غلفان : اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية ، مطبعة فضالة ، ط 1998م.
96- مصطفى هدارة : علم البيان في البلاغة العربية ، دار المعرفة العربية بيروت لبنان، ط1 1989م.
97- ابن المعتز : البديع، تقديم وشرح وتحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، ط1 1990م.
98- منذر عياشي : مقالات في الأسلوبية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ط 1990م .
99- موسى ربايعية : الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها ، دار الكندي للنشر والتوزيع الأردن ، ط 2002م .
100- نور الدين السد : الأسلوبية وتحليل الخطاب ، د ار هومة للطباعة والنشر ،ط 1997م، ج1.
101- أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية ، تحقيق أبو عمر عماد زكي الباروي ، المكتبة التوفيقية (د.ت).

قائمة التفاســـير

1- أحمد الصاوي : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، راجعه عبد العزيز سيد الأهل ، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي مصر، (د.ت).
2- ابن الزبير الثقافي : ملاك التأويل ، القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التتريل، تحقيق سيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي، ط1 1983م.
3- الزمخشري : تفسير الكشاف ، تحقيق وتعليق محمد مرسي عامر ، دار المصحف مطبعة عبد الرحمان حمد ط2 1977م ، ج.1
4- سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ،ط1 1967م.
5- الطبري : مختصر تفسير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني وصالح أحمد رضا ، مكتبة رحاب ، ، ط1991م، ج2 .

6- عبد الرحمان بن ناصر السعدي : تيسر الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة ط$_1$ 2000م.

7- فيروز أبادي : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، المكتبة العلمية بيروت ، (د.ت)

8- ابن كثير : تفسير القران العظيم ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط$_1$ 1990م، ج$_1$.

9- ابن كثير :قصص الأنبياء ، تحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا ، المكتبة الإسلامية بيروت لبنان ط$_1$ 1982م.

10- محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، شركة شهاب الجزائر، ج$_1$ (د.ت) .

الكتب المترجمة

1- أندري مارتيني : مبادئ في اللسانيات العامة ، ترجمة أحمد الحمو، المطبعة الجامعية دمشق ،ط 1985م.

2- أندري مارتيني : وظيفة الألسن وديناميتها ، ترجمة نادر سراج ، دار المنتخب العربي ،ط$_1$ 1990م.

3- بيرجيرو : الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي ، مركز الإنماء القومي لبنان، (د.ت).

4- جورج مولينيه: الأسلوبية ، ترجمة وقدم له بسام بركة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط$_1$ 1999م.

5- جورج مونان : علم اللغة في القرن العشرين ، ترجمة نجيب غزواني ، مؤسسة الوحدة سوريا، ط$_1$.

6- دي بوجرائد : النص والخطاب والإجراء ،ترجمة تمام حسان ن عالم الكتب القاهرة، ط 1998م.

7- ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة كما بشر ، مكتبة الشاب القاهرة ،ط 1985م.

8- سعيد الغانمي :اللغة والخطاب الأدبي (رولان بارت) المركز الثقافي العربي ، ط$_1$ 1993م.

9- فان ديك : النص و السياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد لقادر فنينيي إفريقيا الشرق بيروت لبنان ، ط 2000م.

10- فكتور إيرليخ : الشكلانية الروسية ، ترجمة الوالي محمد ، المركز الثقافي العربي ،ط$_1$ 2000م.

11- فيلي ساندريس : نحو نظرية أسلوبية لسانية ، ترجمة خالد محمود جمعة ، المطبعة العلمية دمشق ط$_1$ 2003م.

12- لا نسون ومييه : منهج البحث في اللغة والأدب ، ترجمة محمد مندور ، دار العلم للملايين بيروت ط$_2$ 1982م.

13- هنرش بليث : البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، ترجمة وتعليق محمد العمري إفريقيا الشرق المغرب ، ط 1999م.

قائمة الدوريات

1- إيناس عياط: إستراتيجية التلقي الأدبي في الفكر النقدي المعاصر ، كلية الآداب واللغات ، جامعة لجزائر (ماجستير 2000-2001م).

2-جمال حضري : ظاهرة الانزياح في الشعر صلاح عبد الصبور ، جامعة الجزائر (ماجستير)2000م.

3-جيلي محمد الزين: أصول اللسانيات الوصفية العربية الحديثة (دراسة نقدية) كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة مولود معمري – تيزي وزو – (ماجستير ، 2001-2002م) .

4 - سعدي الزبير : العلاقات التركيبية في القرآن الكريم ، دراسة وظيفية ، معهد اللغة العربية وآدابها جامعة الجزائر (دكتوراه) ، 1989م .

5- محمد العيد رتيمة : دراسات لغوية لمفهوم الآلية في القرآن الكريم ،بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه جامعة الجزائر ،سنة 1993.

قائمـــــة المجـــلات :

1- جعفر دك الباب : نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية ، البلاغية البنوية الوظيفية في النقد الأدبي، حوليات جامعة الجزائر ، العدد7 ، 1993م.

2- الحواسي مسعودي : البنية الحجاجية في القران الكريم ، سورة النمل نموذجا ، مجلة اللغة والآداب ، الجزائر العدد 12.

3- رابح بومعزة : الحد الدقيق للجملة ، والوحدة الإسنادية الوظيفية في لغتنا العربية ، مجلة العلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد 8 ، سبتمبر 2005م.

4- صلاح يوسف عبد القادر : الصوت والدلالة في النص القرآني ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ،العدد 32 نوفمبر 2003م.

5- عبد الحميد بن عيسى : اللسانيات والنص القرآني ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة ، العدد3 ، نوفمبر 2003م.

6- محمد سليمان العبد : من سور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد 36.

قائمة الدواوين الشعرية :

1- امرؤ القيس : الديوان ، دار صابر ، بيروت (د.ت)ص29.

2- الشابي : الديوان ، دار الجيل بيروت ، ط1 1997 م ،ج1.

3- عنترة : الديوان ، دار الجيل بيروت ، ط 1998م.

قائمـــــة المعاجم

1- إميل بديع يعقوب : معجم الإعراب والإملاء ، دار الشريقة (د.ت).

2- ابن منظور : لسان العرب المحيط ، قدم له عبد الله العلايلي ، أعاد بناءه يوسف خياط، دار الجيل بيروت ط 1988م.

قائمة الموسوعات

1- الموسوعة الثقافية العامة ، مشاهير العالم إعداد محمد فتحي التويخي ، إشراف إميل يعقوب، دار الجيل،ج1

المراجع الأجنبية :

1- Ferdinand de Saussure :cours de l'linguistique générale, essai ouvrage présenté par Dalila Morsly, el-Aniss ,collection Aciences Humaines dirigée pzs Ali el-kenr.eneg/edition1990 P110.

2-François cadet :Saussure une science de la langue ,Presses universitaire de France .Paris 1987 P30-31.

3-Jean Dubois et autres : dictionnaire de linguistique ,librairie Larousse Paris France.1980.

4- Librairie Larousse , Paris 1966,tom3.

فهرس الموضوعات :